الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة

مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه العلوم

التخصص:

معجمية وقضايا الدلالة

إعداد الطالب: **علي بعداش**

عنوان الأطروحة :

خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم – مقاربة تداولية –

المشرف : د . محمد بوادي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف– 2

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ . د . صلاح الدين زرال	أستاذ	محمد لمين دباغين سطيف 2	رئيسا
د. محمد بوادي	أستاذ محاضر " أ "	محمد لمين دباغين سطيف 2	مشرفا ومقررا
د . أحمد مرغم	أستاذ محاضر " أ "	محمد لمين دباغين سطيف 2 .	ممتحنا
د . مسعود بودوخة	أستاذ محاضر "أ "	محمد لمين دباغين سطيف 2	ممتحنا
د . محمد بن صالح	أستاذ محاضر " أ "	جامعة المسيلة	ممتحنا
د . إسماعيل ونوغي	أستاذ محاضر " أ "	جامعة المسيلة	ممتحنا

2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر والحمد والثناء الحسن لله رب العالمين أولا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله سيد المرسلين ، وخاتم النبيين .

والشكر الجزيل بعد هذا لأستاذي المشرف المحترم الدكتور مُحَمَّد بوادي -حفظه الله وجزاه أفضل الجزاء - الذي سعدت وتشرفت بإشرافه على موضوع هذا البحث ،لقد دلني على الطريق بالتوجيه والنصيحة والمساعدة ، وكان حريصا على متابعة العمل من أوله إلى آخره ،كما لو كان الأمر أمره ، والقضية قضيته ، والرسالة رسالته ،

كما أتقدم بخالص شكري للسادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث وإلى كل من قدم لي يد المساعدة والعون من قريب أو من بعيد ، وعلى رأسهم الدكتور الزايدي بودرامة - حفظه الله - وأشكر أيضا قسم اللغة والأدب العربي بجامعة مُحَمَّد لمين دباغين سطيف.

إهداء

إلى من أفعمني بصريح العطف ، وأغدقني بفيض الإحسان.

أبـي .

إلى التي أشبلتني بخالص الحب ، وصدق الحنان .

أمّـي .

إلى التي قاسمتني الأعباء ، والعناء بالصبر، والسلوان.

زوجـتي.

إلى فلذات الأكباد ، وحبات القلوب، وبآبئ العيون .

أبنائي وبناتي.

إلى الذين آثروني بالإيخاء ، وناصروني في كل آن.

إخواني وأخواتي.

إلى الذين صنعوا فيّ النجاح بنور العلم ، وروائع البيان.

أساتذتي.

إلى كل صديق أخلصني الوداد ، وصدق الخلان.

إليك يا جزائر، يا محبوبة القلب ، والجنان .

إلى هؤلاء جميعا ، أهدي ثمرة نجاحي كعربون وفاء وعرفان.

مقدمة

مقدمة

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد .

إذا كان الخطاب هو كل منطوق أو مكتوب ، يتوجه به المتلفظ (المتكلم) إلى المرسل إليه (المتلقي) ليعبر به عن قصده ، وتحقيق هدفه بأفضل حالة من خلال استعمال العلامات اللغوية ، وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة حسب اختيار إستراتجية معينة ، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط ، والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة فإن الخطاب النبوي الشريف هو- أيضا –كلام منطوق صادر عن النبي المعصوم – صلى الله عليه وسلم- الذي لا ينطق عن الهوى في شتى المناسبات والأغراض ، في مقام معين، عبر قناة ملفوظة أو إشارة قبل أن يدون في الصحاح والمسانيد ، مسوقا إلى الناس عامة ، وإلى المسلمين والمؤمنين خاصة من أجل إبلا غ وتبليغ الدعوة الإسلامية ، فاقتضاؤه مخاطبا ومخاطَبا ؛ أي باثا ومتلقيا ، وتضمنه حوارا من جهة ، وظهور ضمائر الخطاب في الدرجة الأولى لتكليف المسلمين ، وتوجيه الخطاب لهم مشافهة من جهة أخرى ،كل ذلك يسمح لنا بجواز تسمية الحديث النبوي الشريف خطابا.

وإذا كان مدار الشرف في الكلام الشريف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال، كما يقول أحد البلاغيين، فإن هذه الصفات تنطبق تماما على الحديث النبوي الشريف الذي هو وحي من الله عز وجل.

وهو مع هذا الشرف ، يمتاز بخصائص بناه التركيبية التي تجعل منه خطابا متميزا بصدق القول وفصاحته ، وشرف المعنى ودقته ، ومتانة التركيب وطلاوة سبكه ، وسحر التأليف وجمال معرضه ، وإيجاز التعبير وبلاغته ، وبروعة بيانه ، وقوة حجته ، إنه البيان النبوي الذي يمثل سنن الكلام العربي خير تمثيل .

ولهذا يأتي الخطاب النبوي الشريف في أرقى مستوى ، وأعلى درجة من حيث القدرة على الإبلا غ والبلاغة ، والإفصاح والفصاحة ، والتأثير والإقناع، بحكم أنه صادر من المعصوم الذي هو أفصح العرب قاطبة ، ولا عجب أن تكون الفصاحة صفة في إنجاح وتبليغ كل رسالة عظيمة ، تجتمع للكلام ، ولهيئة النطق بالكلام ,ولموضوع الكلام . ومحمد صلى الله عليه وسلم فصيح في نطقه وكلامه ، وموضوع كلامه. فقد أوتي جوامع الكلم ،والإحاطة باللغة ، وفصل الخطاب ، ولم يسمع الناس بكلام قطّ كهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشّاه بالقبول، وجمع بين رونق المبنى ، وجمال المعنى ، وبين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام.

فخطابه – صلى الله عليه وسلم – الشريف بصفة عامة ، والمدون في صحيح مسلم بصفة خاصة رسالة إبلاغية تحمل إلى الناس مقاصد الشريعة الإسلامية السامية ، وغايات العقيدة الصحيحة ، قصد إسعادهم في الدنيا والآخرة ، يخاطب في متلقيه العقل بالحجة للإقناع ، والقلب بالبلاغة للتأثير ، إنه إنجاز تأثيري جاء ليغير ويبني ، ويعلم ويربي ، ويصلح ويهدي للتي هي أقوم .

وحسبنا منه أن نحله من أنفسنا محل الغاية من السعي ، والغرض من الحياة ، ونجتهد في فهمه وتفسيره والعمل بما جاء به على مراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في غير إفراط، ولا تفريط ، فهو أولى بالدراسة ، وأحق بالعناية من جهة فهمه وتفسيره ، انطلاقا من خصائص بناه التركيبية إلى القرائن الخارجية التي تعين على تحديد دلالته بدقة ، ولما كان الأمر بهذه الأهمية ، جاء العزم مع الرغبة في البحث عن أنسب مقاربة لسانية لها القدرة على التفسير والتحليل والبيان والإفصاح عن المقاصد بنجاح ، فكانت المقاربة التداولية ، لذلك وجدتني أجنح إلى دراسة خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في ضوء المقاربة التداولية في صحيح مسلم أنموذجا ، انطلاقا من التساؤلات الآتية : ما الخطاب النبوي الشريف ؟ وما خصائص بناه التركيبية والأسلوبية ؟ وما مدى استجابته للمقاربة التداولية بقضاياها ومبادئها ووظائفها ؟ وما دور السياق بعناصره وأنواعه في تحديد المعنى المقصود منه ؟ وما علاقة الخطاب بصفة عامة والخطاب النبوي الشريف بصفة خاصة بالحجاج البلاغي التداولي ، بخصائصه وتقنياته ؟ .من خلال الطرح السابق سيكون عنوان البحث كالآتي :

خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم

– مقاربة تداولية –

فالمقاربة التداولية هي دراسة الاتصال اللغوي في السياق ،في كونها تهتم بتفسير بنية الخطاب تفسيرا شاملا ، يجمع إلى جانب المكونات الداخلية له القرائن الخارجية المصاحبة التي تؤثر تأثيرا واضحا في تحديد دلالته بدقة ، وبهذا التصور اقتربت من القول المأثور في البلاغة العربية : لكل مقام مقال ،إنها نسق معرفي أو قل إن شئت علم استعمال اللغة يعنى بدراسة الأفعال الكلامية ، وسياق الحال، وغرض المتكلم ، وإفادة السامع ، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب ،ولا تختلف عن علمي النحو والدلالة إلا في المستوى فقط ؛ إذ تقوم على جمعهما على مستوى ثالث خاص بالمقام أو السياق . فهي تتجاوز الوصف التركيبي للجملة ، ودرجة نحويتها ، كما تتجاوز الدلالة ، وتتخذ موضوعا للبحث القول منزلا في المقام المعين ، وتؤكد دور المعارف غير اللغوية في تأويل الأقوال ، وفهم المقاصد، ولذلك تعمل على تحديد قصد المتكلم بدقة في إطار عملية التواصل الذي يمثل الوظيفة الأساسية

للغة. ولهذا أصبحت دراسة خصائص البنى التركيبية للخطاب في المدونات مطلبا أساسا تدعو إليه الضرورة ، والحاجة العلمية في علوم اللسان العربي في أقصى ما يمكن بذله في الاستنطاق اللغوي لتحديد غايات التواصل، والأهداف من عملية التخاطب ، وقصد المتكلم خاصة إذا تعلق الأمر بالخطاب النبوي الشريف، ولذا وقع الاختيار عليها ؛ لأنها تجيب عن الأسئلة الآتية

ماذا نفعل عندما نتكلم ؟ وماذا نقول عندما نتكلم ؟ ومن يتكلم ؟ ومع من يتكلم ؟ ولماذا يتكلم بهذا الشكل وليس بذلك ؟ وهل يمكن الاطمئنان للمعنى الحرفي للجملة ؟ وما هي الاستعمالات الممكنة للغة

وقد كان من أسباب اختيار موضوع البحث ما يأتي :

– بيان خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف من منظور تداولي في صحيح مسلم . الذي هو من أعظم الكتب الصحاح بعد صحيح البخاري ،

– أن جل الذين درسوا الحديث النبوي الشريف غالبا ما يركزون على ما فيه من قضايا دينية معززة ببعض التفسيرات اللغوية العابرة ، أما الجوانب اللغوية من صوت وصرف وتركيب ، ودلالة فما تزال تحتاج إلى دراسة تداولية وإن وجدت فهي قليلة لا تكاد تذكر .

– الرغبة في الدراسة اللغوية ، والإسهام في تلبية مطالب البحث في المدونات التي تنتمي إليها الأمة العربية الإسلامية .

– منزلة الخطاب النبوي الشريف السامية في القلب ، والحرص الشديد على فهم مراده ، للعمل بمقتضاه والسير على هديه ونوره في درب الحياة ، من غير إفراط ولا تفريط، فطاعة الرسول الكريم ، من طاعة الله العظيم ، وحب نبيه المصطفى المختار ، من حب الله العزيز الجبار .

وأما الأهداف من الدراسة فهي تتمثل فيما يأتي .

– التأكيد على احتواء الخطاب النبوي الشريف مقاصد شرعية سامية ذات أبعاد وإجراءات تداولية ، ومن ثم تكون التداولية مدخلا مناسبا من مداخل فهم الخطاب النبوي الشريف، وأداة من أدوات قراءته .

– الإسهام في تعريف القراء عموما، وطلبة اللغويات خصوصا بنسق لغوي حديث.

– الإسهام بجهد متواضع ينضم إلى الجهود التي تهدف إلى قراءة هذه النظرية قراءة جديدة ، تحاول أن تعيد إليها هويتها اللغوية ، فهذا الحقل المعرفي هو نقطة التقاء مركزة بين العديد من العلوم كاللسانيات، والسيميائيات ، والمنطق والفلسفة .

– أن تجنح الدراسات اللسانية إلى الاتجاه التداولي لما له من إجراءات تكشف عن قيم النص المختلفة بعده موضوعا للاتصال .

– استثمار معطيات اللسانيات الحديثة ، وآخر ما وصلت إليه من تطور في الدرس العربي في دراسة المدونة للإسهام في تأسيس درس تداولي عربي متميز .

اقتضى موضوع البحث أن يكون المنهج المعتمد في ذلك هو المنهج الوصفي الذي ساعد في رصد البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف وتحليلها ، والوقوف على خصائصها التي تجعل منه خطابا متميزا ، متكئا على آليات المقاربة التداولية للكشف عن المقاصد من الخطاب، والمراد من سوقه في مقاماته المختلفة ، ليتم التواصل بين المتكلم والسامع بنجاح ، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي عندما يتعلق الأمر بالبحث في عرض نشأة الدرس التداولي وتطوره ،أو بتأصيل المفاهيم وتأثيلها .

وعلى ضوء هذا التصور، وأمام هذه الإشكالية المطروحة ، يجتهد البحث في الإجابة عن تساؤلاتها – بإذن الله تعالى وعونه– وفق خطة ممنهجة تتمثل في:

مقدمة ، وأربعة فصول منها: فصل نظري ، وثلاثة فصول تطبيقية ، وخاتمة .

أما المقدمة : فقد تم التطرق فيها إلى تمهيد وضع من خلاله البحث في سياقه المعرفي العام ،مع عرض إشكالية البحث، وتفرعاتها المعرفية ، وأبعادها المنهجية ، ثم تقرير عنوان البحث ،مع ذكر أسباب اختيار موضوعه ، والمقاربة التداولية ، والأهداف المرجو تحقيقها والمنهج المعتمد، وخطة البحث ، وبعدها الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع المعتمدة ، والصعوبات المعترضة ، ختمت بالشكر والتقدير .

وأما الفصل الأول : الموسوم بالخطاب النبوي الشريف والمقاربة التداولية ، فهو فصل تمهيدي نظري شمل خمسة مباحث: عالج الأول منها الخطاب والخطاب النبوي الشريف ،والبنية والتركيب.وعالج المبحث الثاني التداولية : مفهومها ،وأهميتها .والثالث : أبرز المفاهيم والمبادئ التداولية منها : متضمنات القول ، الافتراض المسبق ، الأقوال المضمرة ، والاستلزام التخاطبي ، نظرية الملاءمة ، الفعل الكلامي ، الوظائف التداولية ، والرابع: تم الحديث فيه عن مفهوم السياق ،وعناصره ، وأنواعه . وأما الخامس فقد تناول بالدراسة الحجاج : مفهومه ،وخصائصه ، وتقنياته .

أما الفصل الثاني المعنون بـ: خصائص البنى التركيبية لأحوال المسند والمسند إليه ، وأبعداهما التداولية في الخطاب النبوي الشريف ، فقد تم التطرق فيه إلى الأبعاد التداولية للتعريف والتنكير ، والذكر والحذف والتقديم والتأخير ، والإظهار والإضمار . اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث : درس المبحث الأول :

الأبعاد التداولية لأحوال المسند إليه فيما يخص تعريفه وتنكيره ، وذكره وحذفه . وتقديمه. وعالج المبحث الثاني من الفصل الثاني الأبعاد التداولية لظاهرتي الإضمار والإظهار .أما المبحث الثالث ، فقد تناول بالدراسة الأبعاد التداولية لأحوال المسند من جهة تعريفه وتنكيره . وحذفه .و تقديمه.

أما الفصل الثالث الموسوم بـ: خصائص البنى التركيبية للأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف فقد اشتمل على مبحثين: فكان الأول منهما الإخباريات ومن خلاله تطرق البحث إلى جريان الخبر على مقتضى الظاهر وجريان الخبر على خلاف مقتضى الظاهر. وخروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية وإنشائية . وأما المبحث الثاني، فكان الحديث فيه عن الطلبيات.عولج فيه الأمر وخصائص بناه التركيبية لأفعاله الكلامية ، والنهي، والاستفهام، والنداء ، مع العلم أن البحث قد نظر إلى هذه الإخباريات والطلبيات، وحاول أن يكشف عن خصائص بنيتها التركيبية من وجهة نظر تداولية .

أما الفصل الرابع الموسوم أيضا بـ خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الحجاجي، فقد تفرع إلى مبحثين: خصص المبحث الأول لدراسة الحجج الجاهزة .والثاني لدراسة الحجج الاصطناعية المتعلقة بـــ :

– العدول الكمي بالزيادة داخل التركيب وأبعاده الحجاجية . المتمثل في التوكيد بالأداة، والتوكيد بالصفة، والتوكيد بالبدل، والتوكيد بالعطف، و التوكيد بالمفعول المطلق.

– العدول الكمي بالنقصان داخل التركيب وأبعاده الحجاجية .اشتمل على الحذف ؛أي حذف الفاعل وحذف جملة جواب الشرط ،

– العدول النوعي داخل التركيب وأبعاده الحجاجية .اشتمل على العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في جواب الشرط .والعدول عن الحقيقة إلى المجاز في الصورة البيانية .(التشبيه ، الاستعارة ، الكناية

ختمت هذه الدراسة بخاتمة سجلت فيها النتائج المتوصل إليها من خلال البحث في قسميه النظري والتطبيقي، مرفقة بفهارس عامة منها: فهرس للآيات القرآنية، وآخر للأحاديث النبوية الشريفة ثم قائمة المصادر والمراجع، وأخيرا فهرس الموضوعات.

وبهذه الخطة يكون البحث قد حظي بثلاثة فصول تطبيقية، وفصل نظري. أما أهم المصادر والمراجع المعتمدة فمنها ما هو تراثي قديم، ومنها ما هو حديث معاصر. فمن الأول : الكتاب لسيبويه ، شرح المفصل لابن يعيش ، شرح كافية ابن الحاجب للأستراباذي ، صحيح مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، عمدة القاريء للعيني ، البيان والتبيين للجاحظ ، مفتاح العلوم للسكاكي ، الطراز للعلوي ، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، الإيضاح للقز ويني ... الخ .ومن الثاني : التداولية

عند علماء العرب لمسعود صحراوي، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة . الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية لصراف علي محمد ،الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط لأحمد المتوكل،في بلاغة الخطاب الإقناعي لمحمد العمري ، الحجاج مفهومه ومجالاته إعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي اللسان ،الميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن ...الخ.

وفي الأخير أرجو أن ينال هذا العمل المتواضع رضا الله أولا، والبحث العلمي ثانيا ، ولا يسعني إلا أن أشكر أستاذي الدكتور محمد بوادي الذي سعدت وتشرفت بإشرافه على موضوع هذا البحث ، و الذي دلني على الطريق بالتوجيه والنصيحة والمساعدة ، وكان حريصا على متابعة العمل من أوله إلى آخره كما لو كان الأمر أمره ، والقضية قضيته ، والرسالة رسالته، وكان نعم الخليفة للمشرف الأول الأستاذ الدكتور ابراهيم قلاتي –رحمه الله وطيب ثراه ، وأسكنه فسيح جناته –كما أتقدم بخالص شكري إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث أملا في استكمال ما به من نقص من خلال الملاحظات العلمية الوجيهة التي تقدم أثناء المناقشة ، وإلى كل من قدم لي يد المساعدة والعون من قريب أو من بعيد .

وما توفيقي إلا بالله العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وله الحمد من قبل ومن بعد.

الفصل الأوّل:

الخطاب النبوي الشريف والمقاربة التداولية

المبحث الأوّل : الخطاب والخطاب النبوي الشريف

المبحث الثاني: التداولية: مفهومها، وأهميتها.

البحث الثالث: أبرز المفاهيم والمبادئ التداولية

المبحث الرابع: السياق مفهومه، عناصره، أنواعه.

المبحث الخامس: الحجاج مفهومه، خصائصه، تقنياته.

المبحث الأوّل

الخطاب والخطاب النبوي الشريف

1 - الخطاب مفهومه و أنماطه .

اللغة الطبيعية نظام من العلامات يستعملها الإنسان للتواصل مع غيره لتبيين قصده، وتحقيق هدفه ؛ أي لتحقيق الإفهام والفهم غير أن أهميتها تتجاوز ذلك، فلا يقتصر دورها على وظيفة نقل الخبر، أو وصف الواقع ، بل ينجز الإنسان بها أعمالا لا يستطيع إنجازها من دونها ، فمن المفيد أن تدرس العمليات التواصلية من وجهة نظر تداولية .

وبالرغم من أن اللغة الطبيعية هي مادة الخطاب في الغالب، إلا أن استعمالها هو الذي يخرجها من حالة السكون، فما يتم التبادل به ليس اللغة وفق مصطلح (دوسوسير)، بل الخطاب الذي يستلهم المعنى من الخارج ؛ أي من السوق اللغوي، وبالتالي يكتسب هذا الخطاب قيمة رمزية تنبع من التجارب الفردية، ومن التضمين والإحياء، حينئذ يبنى التواصل بين المحدثين، كونهم الممثلين الاجتماعيين، على مبدإ الحوارية وتعدد الأصوات[1].

أي أن المستعمل من اللغة هو الخطاب الذي يقتضي متكلما ومتلقيا ورسالة وقناة ملفوظة في مقام معين ، يتم بموجبه التواصل على مبدإ الحوارية وتعدد الأصوات .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقول : إن كل منطوق أو مكتوب سواء أكان نصا كاملا ، أو جملة ، أو مركبا أو شبه جملة على رأي أحمد المتوكل .[1] يتوجه به المرسل أو المتكلم إلى المرسل إليه أو المتلقي ، ليعبر به عن قصده ، وتحقيق هدفه بأفضل حالة من خلال استعمال العلامات اللغوية ، وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة حسب اختيار إستراتجية معينة ، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية التي تكون نظام اللغة ، والذي يلبي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية ، وتتشكل علاقاته من خلال ممارستهم كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم .فهذا الاتصال اللغوي الذي يتم بين الأفراد على المستوى المنطوق بين متكلم ومستمع ، فتنشأ عنه مهارتا التحدث والاستماع ، أو على المستوى المكتوب بين كاتب وقارئ ، فتنشأ عنه مهارتا القراءة والكتابة في مقام معين ، هو ما اصطلح عليه بالخطاب .فما هو إذن الخطاب لغة واصطلاحا؟ وما أنماطه؟

---

[1] بيار أشار ، سوسيولوجيا اللغة ,تعريب د عبد الوهاب ,ترّو منشورات عويدات ,بيروت ,لبنان .ط1. 1996 ص: 11.

[1] ينظر المتوكل ,أحمد .الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط .دار الأمان الرباط ط1 1431هـ ,2010م ص : 24 .

ا – مفهوم الخطاب لغة:

جاء في اللسان : الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، وهما يتخاطبان ، والمخاطبة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن. قال الليث: إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد ، هو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب ، فيوضع موضع المصدر" [1]

أما من ناحية صيغة لفظ الخطاب فهو: (أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة على الاسمية ، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به ، وهو الكلام .)[2].

أي أن الخطاب هو الكلام الذي يتوجه به لمن يفهم .

أما في القرآن الكريم فقد ورد لفظ الخطاب في عدة مواضع ، وبصيغ متعددة من بينها : صيغة الفعل في قوله تعال : ﴿وَاصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[3]. وقوله أيضا : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلاَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰماً﴾ [4] .وبصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنُ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾[5] وقوله تعالى:﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[6] .ويرى الزمخشري أنه يجوز أن يراد بمعنى الخطاب في الآية وفصل الخطاب : القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل ، ويقول : الفصل بمعنى التمييز بين الشيئين .وقيل الكلام البين : فصل بمعنى مفصول ؛لأنهم قالوا :كلام ملتبس وفي كلامه

---

[1] ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت711هـ) : لسان العرب , دار صادر ,بيروت , ط1 ,1955 . مادة (خطب).

[2] ينظر إدريس حمادي في: الخطاب الشرعي وطرق استثماره ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1 1994ص:21.

[3] هود :الآية :37.

[4] الفرقان :الآية :63.

[5] النبأ: الآية : 37.

[6] الآية : ص 20.

لبس ، والملتبس المختلط . فقيل في نقيضه : فصل؛ أي مفصول بعضه من بعض ، فمعنى فصل الخطاب : البين من الكلام ... الذي يتبينه من يخاطب به ... وإن شئت قل الفصل بمعنى الفاصل ... وأردت بفصل الخطاب : الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد ، والصواب والخاطئ ، وهو كلامه في القضايا والحكومات ،وتدابير الملك والمنشورات[1] .

نفهم من هذا كله أن الخطاب بمعنى الكلام ، وأن فصل الخطاب ، هو البين من الكلام الذي يفصل بين الصحيح والفاسد ، والصواب والخاطئ ، أو هو القدرة على التعبير والبيان ، والإفصاح عن المراد الذي يخطر بالبال والخيال من غير لبس .وفي هذا الشأن يقول فخر الدين الرازي: لأن فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ، ويحضر بالخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء ينفصل كل مقام عن مقام [2]

ب – مفهوم الخطاب اصطلاحا :

عرف الآمدي الخطاب بقوله: (اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه)[3] ، بيد أنه يخرج في تعريفه هذا العلامات غير اللغوية ، ويتفق معه الرازي بأن جعل: (الفائدة في الخطاب إفهام المخاطب[4]، وقريب منه ما فعل الجويني أيضا بقوله : إن(الكلام، والخطاب،والتكلم،والتخاطب ، والنطق واحد في حقيقة اللغة، وهو ما به يصير الحي متكلما)[5].

ويعرفه أحمد المتوكل بقوله : (يعد خطابا كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات.) ثم يحلل هّذا التعريف قائلا: يفاد من التعريف ثلاثة أمور:

أولا : تحييد الثنائية التقابلية جملة /خطاب حيث أصبح الخطاب شاملا للجملة .

ثانيا : اعتماد التواصلية معيارا للخطابية .

---

[1] الزمخشري محمود بن عمر (ت538ه) المفصل: قدم له: إميل بديع يعقوب، (ط1 دار الكتب العلمية، بيروت: 1422ه – 2001م : ج4 ص:80.

[2] الرازي محمد فخر الدين(ت606ه) : التفسير الكبير, دار إحياء التراث العربي ط3ج 26 ص :187 و.188

[3] ينظر الآمدي علي بن محمد : الإحكام في أصول الأحكام تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي ،بيروت الطبعة الثانية 1406ه , 1986م، ج1 ص:136.

[4] ينظر الرازي محمد فخر الدين : المحصول في علم أصول الفقه ،دار الكتب العلمية ،بيروت ط1 ، 1988 .ص:403

[5] الجويني (ت478ه) ، الكافية في الجدل ،تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمد ، مطبعة عيسى ألبابي الحلبي ،القاهرة1399.ه 1977م ص:32.

ثالثا : إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة أو مركب أو ما أسميناه في مكان آخر شبه الجملة .[1]

ونستنتج مما سبق ذكره أن الخطاب: هو كل مكتوب أو منطوق يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات بغض النظر عن الحجم يتوجه به المرسل إلى المرسل إليه ليعبر به عن قصده ، وتحقيق هدفه بأفضل حالة كالتأثير في المخاطب ، وإقناعه من خلال استعمال العلامات اللغوية ، وغير اللغوية ، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة حسب اختيار استراتيجية معينة " كالإستراتيجية التوجيهية التي تتجسد من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه المرسل للمرسل إليه، مثل أساليب الأمر والنهي الصريحين ، والتحذير والإغراء .والإستراتيجية التلميحية التي تستخدم فيها آليات لغوية كالمجاز بأنواعه من استعارة وكناية واستلزامات حوارية .فقد يستخدم المرسل شكلا ما بقصد تبطين مقاصده ومعانيه ، ويرمي من خلاله إلى أمور يتدخل سياق الخطاب في كشفها وتحديدها.وإستراتيجية الإقناع انطلاقا من أن المرسل يتوخاها لتحقيق مآرب كثيرة. ويستخدم لذلك آليات متعددة، وحيلا لغوية مختلفة ، منها ما يخاطب العواطف ، ومنها ما يتعامل مع عقل المرسل إليه مثل الآليات الحجاجية التي يمكنه عن طريق البراعة فيها أن يتخذ الأقوال أدلة ، تساق أمام المرسل إليه حتى يقنعه دون تلاعب بعواطفه، أو التغرير به. ويوظف لها كافة العمليات شبه المنطقية التي تتجسد باللغة الطبيعية. وهذه الإستراتيجية تندرج تحت معيار الهدف من الخطاب. ويعد الهدف الإقناعي من أهم الأهداف التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها " [2].

ويمكن أن يتوخى المرسل في الخطاب الواحد إستراتيجيات مختلفة, أو يتوخى إستراتيجية واحدة في أصناف متعددة من الخطاب، ممّا يجعل الاكتفاء بالتصنيف التقليدي الذي يقسم الخطاب إلى سياسي، وإداري، وديني وخطاب مراسم أو محافل...الخ، غير كاف للكشف عمّا نريد، فما يبدو خطابا دينيا من خلال مقاصد المرسل الظاهرة وأهدافه مثلا. فقد يتوخى المرسل استراتيجيات تحقق أهداف تتناسب مع صنف آخر له بدوره أهداف ومقاصد أخرى، أي إن ظاهر الخطاب الشكلي لم يعد دليلا كافيا لتصنيفه. وهذا ما يجعل الإستراتيجية إطارا عاما ملائما للتصنيف ينضوي تحته أكثر من صنف من أصناف

[1] أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط . ص:24.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1 2004 م طرابلس ليبيا مقدمة الكتاب ، ص : 7 .

الخطاب، وبحيث يمكن إعادة تصنيف أشكال الخطاب حسب الإستراتيجية إلى خطاب إقناعي، أو تلميحي، أو مباشر.[1]

ولا يمكن إغفال دور المرسل إليه الذي يمارس معه المرسل فعله الخطابي،فبالنظر إلى العنصر السياقي نستطيع أن نميز الخطاب ذا الإستراتيجية التضامنية عن الخطاب ذي الإستراتيجية التوجيهية، الذي يتجه من خلال أدوات لغوية مباشرة إلى فرض الغرض من الخطاب بأسلوب مباشر.

إذ لا يمكن تحديد وظيفة اللغة من وجهة نظر تداولية بمعزل عن الاستراتيجيات التي يتوخاها في الخطاب بمعزل عن المقاصد التي لديه، وعن المرسل إليه، وإجمالا عن السياق بعناصره المتعددة. ومن ذلك: (الإستراتيجية التضامنية، التي فيها يصبح طرفا الخطاب وكأنهما، من الأقران لغة، ويمكن أ ن يعبر المرسل عن تلك العلاقة بأدوات لغوية كثيرة) منها على سبيل المثال لا الحصر، الأدوات الإشارية اللغوية التي تقرّب البعيد ، أو تقترب منه، وتجمع الأطراف المتخاطبة ، مثل الضمير (نحن) الذي يدل على الجمع بين طرفي الخطاب، واستعمال الاسم الأول ، والألقاب والكنى.[2]

إذن وظيفة اللغة التداولية تقتضي مرسلا ومرسلا إليه ورسالة وقناة ملفوظة وغير ملفوظة وسياقا مقاليا ومقامي.

2 - أنماط الخطاب:

يقترح التنميط التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفا منطلقا فيه من أحد المعايير الآتية :

الموضوع والآلية والبنية .

تصنّف الخطابات من حيث موضوعها إلى خطاب ديني ، وخطاب علمي،وخطاب إيديولوجي،أو سياسي.

وتصنّف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى"الخطاب الفني" (الإبداعي ,الأدبي) إلى قصة ، ورواية وقصيدة شعر، وغيرها.

أما من حيث الآلية المشغلة ، فيميز بين الخطاب السردي ، والخطاب الوصفي، والخطاب الحجاجي.[3]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية .

[2] المرجع نفسه،مقدمة الكتاب, ص : 7 .

[3] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية, دراسة في البنية والوظيفة والنمط ، ص : 25.

وعلى ضوء هذا التنميط المقترح يصنف الخطاب النبوي الشريف إلى خطاب ديني ، له من الخصائص في بناه التركيبية ما يميزه عن باقي الخطابات الأخرى .وهذا ما يدعونا إلى التساؤل عن ماهيته .

2– الخطاب النبوي الشريف وخصائصه:

إذا كان الخطاب هو كل منطوق، أو مكتوب يتوجه به المرسل (المتكلم) إلى المرسل إليه (المتلقي) ليعبر به عن قصده ، وتحقيق هدفه بأفضل حالة من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة حسب اختيار إستراتجية معينة ، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية ، والصرفية والنحوية ، والدلالية التي تكون نظام اللغة .

فإن الخطاب النبوي الشريف هو– أيضا –كلام منطوق صادر عن النبي المعصوم – صلى الله عليه وسلم– الذي لا ينطق عن الهوى في شتى المناسبات، والأغراض في مقام معين، عبر قناة ملفوظة ، أو إشارة قبل أن يدون في الصحاح والمسانيد مسوقا إلى الناس عامة وإلى المسلمين والمؤمنين خاصة من أجل إبلاغ وتبليغ الدعوة الإسلامية ، فاقتضاؤه مخاطبا ومخاطَبا ؛ أي باثا ومتلقيا ، وتضمنه حوارا من جهة ، وظهور ضمائر الخطاب في الدرجة الأولى لتكليف المسلمين ، وتوجيه الخطاب لهم مشافهة من جهة أخرى ،كل ذلك يسمح بجواز تسمية الحديث النبوي خطابا. و هو متميز بشريف معانيه وسمو مقاصده وتشريعاته , وبروعة بيانه ، وقوة حجته.

لكن ماذا يعني (مصطلح النص الشريف)؟.أهو شيء يختلف عن النص،كما يطرحه اللغويون والأصوليون ؟ وما معنى أنه شريف ؟ أهو شريف ببلاغته وإشعاعاته الجمالية ؟ أم بقداسته ؟ أم بعمقه وإضاءته التشريعية ؟ أم هو النص الذي وصف به الصحابة بصفة عامة أفعاله وإقراره وصفاته ؟.

النص الشريف من حيث هو لغة وأسلوب ثلاثة أنواع:

1. نص شريف تكلم به الرسول . صلى الله عليه وسلم . فهو أسلوبه وهذا نص شريف خالص , من حيث نبوة المفهوم ، والمنطوق مميز بإضاءته وإشعاعاته .

2 . نص شريف تكلم به الصحابة وصفا لفعله أو إقراره أو صفته , فهو نبوي من حيث نبوة المفهوم ، بشري من حيث صياغة المنطوق.

3 . نص شريف يشمل النوعين السابقين .

فالنص الشريف بهذا المعنى يصبح واسعا ، يتجاوز أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم .....، مما يبين أن الشرف ليس يقف عند اللفظ ، وإنما عند الفعل والإقرار والوصف ,وعلى هذا فلا بد أن يؤخذ ذلك بعين الاعتبار في تحليل النص الشريف لبيان خصائص الإضاءة وخصائص الإشعاع [1].

وفي هذا الشأن يقدم لنا الجاحظ قاعدة بلاغية بوصفها معيارا لمعرفة ميزة الكلام الشريف من غيره تتضمن أيضا أربع صفات : الصواب ، والمنفعة ، والموافقة الحالية ، والمقامية ، ذلك ؛ لأن المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال[2].

هذه هي المعايير الأساسية لمعرفة الكلام الشريف :

1 . تحقيق الصواب .

2 . تأكد المنفعة .

3 . الموافقة الحالية .

4 . الموافقة المقالية للمقام .

وإذا كان مدار الشرف في الكلام الشريف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين، فإن هذه الصفات المذكورة في الكلام السابق تنطبق تماما على الحديث النبوي الشريف الذي هو وحي من الله عز وجل.

وفي هذا الشأن يقول الآمدي :"إن الكتاب والسنة وحي من الله تعالى على ما قال تعالى :

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3] غير أن الكتاب متلو والسنة غير متلوة " [4] بمعنى أن الكتاب يقرأ أناء الليل وأطراف النهار ومتعبد بتلاوته، والسنة ليست كذلك.

ومن هنا يأتي الشرف الذي معياره الصواب ، والمنفعة ، وموافقة الحال والمقام ، فالعصمة هي : العامل الحاسم في تحقق الاستقامة ، والمنفعة والموافقة الحالية و المقامية .

قال ابن تيمية: (وأما ما يخبر به الرسول من الأمور البعيدة الكبيرة مفصلا مثل إخباره :إنكم تقاتلون الترك ....ونحو ذلك فهذا لا يقدر عليه جني ، ولا إنسي، والمقصود أن ما يخبر به غير النبي من الغيب

[1] أحمد عثمان رحماني ، الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف وتطبيقاته ،عالم الكتب الحديث اربد الأردن 2011م :ص: 18.

[2] المرجع نفسه ، ج1 ص:43.

[3] النجم : الآية : 3 ، 4 .

[4] الآمدي الإحكام في أصول الأحكام .ج3 ص: 150.

معتاد معروف نظيره من الجن والإنس ، فهو من جنس المقدور لهم ، وما يخبر به النبي خارج عن قدرة هؤلاء وهؤلاء ، فهو من غيب الله الذي قال فيه، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.)[1]

أي ما يخبر به الرسول من الأمور البعيدة الكبيرة مفصلا، فهو من غيب الله ، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول. وهذا دليل على أنه نبي رسول .ولذا يجب قبول ما يقوله قال ابن تيمية: (أن النبي وجب قبول كل ما يقول لكونه نبيا ادعى النبوة ودلت المعجزة على صدقه والنبي معصوم)[2].

فالنص الشريف بتعبير أحمد عثمان رحماني هو: نسيج اللغة المفعمة بطابع النبوة التي تشكل – بفضل العصمة– الحديث النبوي الشريف المميز بالإضاءة والإشعاع[3] .

ويقول في موضع آخر: وظيفته الأساسية هي؛ الإضاءة لكل المناطق المظلمة في العقل البشري فالنص الشريف هو الذي يضيء العقول بما يحمله من حق , ويجلب القلوب بما يتميز به من إشعاع[4].

وهو مع هذا الشرف يمتاز بخصائص بناه التركيبية التي تجعل منه خطابا متميزا بصدق القول وفصاحته ، وشرف المعنى ودقته ، ومتانة التركيب وطلاوة سبكه، وسحر التأليف وجمال معرضه وإيجاز التعبير وبلاغته ، إنه البيان النبوي الذي يمثل سنن الكلام العربي خير تمثيل .

ولهذا يأتي الخطاب النبوي الشريف في أرقى مستوى وأعلى درجة من حيث القدرة على الإبلاغ والبلاغة ، والإفصاح والفصاحة ، والتأثير والإقناع بحكم أنه صادر من المعصوم الذي هو أفصح العرب قاطبة ، ولا عجب أن تكون الفصاحة صفة في إنجاح وتبليغ كل رسالة عظيمة ، تجتمع للكلام ، ولهيئة النطق بالكلام ,ولموضوع الكلام . ومحمد صلى الله عليه وسلم فصيح في نطقه و كلامه وموضوع كلامه[5]

وأسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم متميز بقوته ، وشرف كلامه الناجم عن العصمة ؛إذ أوتي عليه الصلاة والسلام (جوامع الكلم).

---

[1] ا بن تيمية ،النبوات ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1386. ج1. ص:8.

[2] المرجع نفسه ،ج1 ص: 6 .

[3] أحمد عثمان رحماني ، الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف وتطبيقاته ،ص :23.

[4] المرجع نفسه ، ص : 25 .

[5] ينظر العقاد محمود عباس ،عبقرية محمد ، د ط . المكتبة العصرية ، بيروت .ص: 26 .

يقول القاضي عياض في شأن فصاحته وبلاغته صلى الله عليه وسلم : (وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل الذي لا يجهل سلامة طبع وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلم)[1].

فقد أوتي جوامع الكلم ,والإحاطة باللغة ,وفصل الخطاب , وروعة البيان ,وصدق الحديث وقوة الحجة فكان كلامه كما قال الجاحظ:(هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه ، ونزّه عن الصنعة والتكلف ، استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة ، وشدّ بالتأييد،ويسر بالتوفيق.وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشّاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام .هو مع استغنائه إلى إعادته ، وحاجة السامع إلى معاودته ،لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ، ولا خطيب إلا أفحمه، بل يبذّ الخطب الطوال في الكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ،ولا يطلب الفوز إلا بالحق ولم يسمع الناس بكلام قطّ أعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقفا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم.[2]).

فخطابه صلى الله عليه وسلم رسالة إبلاغية تحمل إلى الناس مقاصد الشريعة ، وغايات العقيدة الصحيحة ، قوامه الحجة المقنعة ، والبرهان المفحم للخصم، والجمال المؤثر في النفس والقلب

وحسبنا منه أن نحله من أنفسنا محل الغاية من السعي ، والغرض من الحياة ، ونجتهد في فهمه وتفسيره والعمل بما جاء به على مراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في غير إفراط ولا تفريط ، فهو أولى بالدراسة ، وأحق بالعناية من جهة فهمه وتفسيره ، انطلاقا من خصائص بناه التركيبية إلى القرائن الخارجية التي تعين على تحديد دلالته بدقة ،ويستوقفنا هنا التساؤل الآتي : ما البنية التركيبية ؟

[1] القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، مراجعة هيثم الطعيمي ، ونجيب ماجدي ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء 2006. ص :54.

[2] الجاحظ عمرو بن بحر(ت 255ه) ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت ، لبنان ج2 ، ص : 9,8 .

3 – البنية التركيبية :

البنية مشتقة من البناء، والبناء كما يقول ابن فارس: (ضم الشيء بعضه إلى بعض)[1]. وقال الزبيدي :(يقال: بناه يبنيه بنيا وبناءا وبنيانا وبنية وبناية .)[2].ويضيف قائلا : وقال غيره يقال :بِنية وهي مثل رِشوة ورشا ،كأن البنية الهيئة التي بني عليها مثل: المشية والركبة [3] فتعريف البنية مستفاد من صيغة اسم الهيئة كذلك لا من مادتها فقط ، وإنما ترجع مادتها إلى التماسك والثبوت ، ويدل عليه قوله :وبناء الكلمة بالكسر(لزوم آخرها ضربا واحدا من سكونه أو حركة لا لعامل) ، وكأنهم سموه بناء ؛لأنه لما لزم ضربا واحدا فلم يتغير تغير الإعراب سمي بناء من حيث كان البناء لازما موضعا لا يزول من مكان إلى غيره [4].

ويتبين لنا من الأصل الذي اشتقت منه الكلمة، أنها مجموعة الأحرف التي يتكون منها على صورتها الخاصة أخذا من معنى البناء الذي هو ضم عدد اللبنات بعضها إلى بعض كما يقول ابن فارس، أو مجموع الأحرف التي تتكون منها الكلمة متماسكة كالجسم دون اعتبار شكلها الخارجي ،وتطلق على كل من الأسماء والأفعال والحروف ، فبنية الكلمة مثل: "خالد" مجموع حروفها التي هي الخاء والألف واللام والدال[5] .

أما على مستوى التركيب فهي: مجموع المقولات النحوية المؤلفة ضمن نسق، ونظام قواعدي ترتبط بعلاقات تؤدي إلى مركب تام مفيد بالوضع ، أو هي متتالية من الكلمات المتعاقبة خطيا منتظمة وفق ترتيب ما، وبمعنى آخر " التركيب عند النحاة ضم الكلمة إلى أخرى فأكثر، فإن صح السكوت عليه فكلام ."[6]، فالتركيب الإسنادي هو ضم كلمة حقيقة أو حكما ، أو أكثر من كلمة إلى أخرى مثلها، أو أكثر منها بحيث يفيد السامع فائدة تامة ، والمركب كما يقول نشأت علي محمود عبد الرحمن يباين المفرد، فإن المفرد ما لا يدل جزؤه على جزء معناه، والمركب ما دل جزؤه على جزء معناه ، فقولنا (زيد)،

---

[1] ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ) ، مقاييس اللغة .تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية إيران. ج1، ص : 302.

[2] الزبيدي سيد محمد مرتضى (ت1205هـ). تاج العروس ، طبعة ، دار بيروت . ج 10 ، ص: 46.

[3] المرجع نفسه، ج 10، ص : 46.

[4] ينظر لسان العرب مادة (بنى) ، و ينظر أيضا ، تاج العروس ، ج1 ، ص: 365 .

[5] عبد الحليم عبد الباسط محمد ، صيغة أفعل في النحو و الصرف و دلالتها ووظيفتها ، ماجستير دار العلوم ,ص :4

[6] خالد بن عبد الله الأزهري (ت 905هـ) شرح التصريح على التوضيح، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد ، المكتبة التوفيقية القاهرة . :ج1 ص : 63 .

هو مفرد باعتبار أن جزءه ، وهو الزاي أو الياء أو الدال لا يدل على جزء معناه، وأما (غلام زيد) فإن جزءه وهو (غلام) يدل على جزء معناه، فإن معنى (غلام زيد) هي نسبة الغلام إلى زيد، و(غلام) جزء و(زيد) جزء، والنسبة بينهما هي جزء من المعنى أيضا، والمركب عند النحاة [1] يطلق على شيئين، أحدهما: على أحد الجزءين أو الأجزاء بالنظر إلى الجزء الآخر أو الأجزاء الآخرة، كما في قولنا: (كتب زيد)، فإن (كتب) مركب إلى (زيد)، و(زيد مركب إلى (كتب)، وأما الثاني فيطلق ويراد به المجموع،فإن مجموع (كتب زيد) يدل جزؤه على جزء معناه، فهو مركب من (كتب زيد)، فتبين مما تقدم أن هنالك فرقا بين (تركب إلى) و(تركب من)، ف(تركب إلى) يطلق على أحد الجزءين . مثلا. باعتبار علاقته بالجزء الآخر داخل التركيب. وأما (تركب من) فيطلق على المجموع باعتبار علاقة الكل بالأجزاء المكونة له.[2] ونخلص إلى أن المركب هو مجموع الأجزاء المكونة له و دل جزؤه على جزء معناه .

فالبنية التركيبية هي النظم والضم الذي يقوم على " أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا . أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر . أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له ، أو بدلا منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا . أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى . أو يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا ، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذاك . أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى ، بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس"[3].

وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي وضعت لها فلا تخل بشيء منها "[4] .

أو بعبارة أخرى لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم . فالنظم والنحو عند عبد القاهر اسمان لمفهوم واحد , فليس النظم شيئا غير النحو ،كما أن النحو هو مراعاة قواعد النظم , وإنما يحسن هذا النظم بحسن التخير والانتقاء لهذه المعاني النحوية بحيث تلائم المقام المناسب ، وتطابق الغرض

---

[1] رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت 686 هـ). شرح كافية ابن الحاجب ، دار الكتب العلمية .بيروت 1405 هـ 1985م :ج1 ص : 16 .

[2] نشأت علي محمود عبد الرحمن ، التوجيه النحوي وأثره في دلالة الحديث النبوي الشريف. دراسة في الصحيحين ،المكتبة العصرية ط1 ، 1432 هـ – 2011 م بيروت ص : 227 .

[3] الجرجاني عبد القاهر (ت471هـ) دلائل الإعجاز ، تعليق محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانفي القاهرة .ط 5. 2004م . ص :45.

[4] المرجع نفسه, ص :60.

المقصود فتجوز مرتبة الصحة إلى مراتب في الحسن تتفاوت بتفاوت التوفيق في الربط بين هذه المعاني والأغراض المقصودة من الكلام .

والنحو كما يقول السكاكي : هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب[1].

أما علم المعاني " فهو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره[2] .

ففي هذين التعريفين يبرز جليا مدى العلاقة بين دراستي النحو والمعاني . فعلماء المعاني يصلون طرق التركيب وخواصه بالمقام , حيث ركز علماء المعاني على أهمية المقام في تحديد طرق التركيب التي هي من صميم الدرس النحوي .

فهو تأليف ينتج عن ترتيب العناصر المكونة للجملة سواء أكانت فعلية من فعل وفاعل وبقية العناصر المتممة المسماة في النمو الوظيفي بالظروف الإنجازية مثل الحال والمفعول لأجله ، أو جملة اسمية من مبتدإ و خبر ، أو جملة اسمية منسوخة ، وهذا الترتيب قد يكون استجابة تداولية لبعض العناصر السياقية ، فكل ترتيب ينطوي على قصد معين ، وهذا هو عين نظرية عبد القاهر الجرجاني ؛ إذ يتجاوز المرسل مجرد الضم الذي يقتضيه النحو والدلالة إلى الضم على طريقة مخصوصة وفق ما يستدعيه سياق الخطاب. لهذا دعا المحدثون العرب إلى مزج معطيات النحو بعلم المعاني والمقامية البراغماتية.

ولما كان الأمر بهذه الأهمية جاء العزم للبحث عن أنسب مقاربة لسانية لها القدرة على التفسير والتحليل والبيان والإفصاح عن المقاصد بنجاح ، فكانت المقاربة التداولية ؛لأنها تجيب عن الأسئلة الآتية

ماذا نفعل عندما نتكلم ؟ وماذا نقول عندما نتكلم ؟ ومن يتكلم ؟ ومع من يتكلم ؟ ولماذا يتكلم بهذا الشكل وليس بذلك ؟ وهل يمكن الاطمئنان للمعنى الحرفي للجملة ؟ وما هي الاستعمالات الممكنة للغة ؟ . فما المقاربة التداولية إذن ؟ سؤال يجيب عنه المبحث الثاني .

---

[1] السكاكي أبو يعقوب (ت626هـ) ،مفتاح العلوم ،تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ط2 .2011 م . ص : 125 .

[2] المرجع نفسه ، ص: 247.

المبحث الثاني:

التّداوليّة مفهومها وأهميّتها

لقد استقر في فهم الدارسين في مجال اللسانيات أن أولى المدارس اللسانية الحديثة نشأة هي المدرسة التاريخية التي يعود الفضل في إرساء دعائمها إلى المحامي الإنجليزي وليام جونز(1746-1794) [1] ، وقد اقترن اهتمامه بالدراسة التاريخية للغات بالمد الاستعماري الغربي عموما والإنجليزي منه على وجه الخصوص في شبه القارة الهندية ، واطلاع جونز على اللغة السنسكريتية لغة الهند القديمة كما فتح ذلك الباب على فقه اللغة المقارن ؛ أي الوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بين لغة قدماء الهنود ، واللغات الأوربية بما فيها الانجليزية مما يبرر صلات القربى[2].

وعلى الرغم من هذا كله ، فإن هذا التوجه اللساني في دراسة اللغة ظل محدودا بحكم توزع اهتمامه، وعدم تركيزه على لغة واحدة بعينها، الأمر الذي جعل نتائجه محدودة في محاولة استظهار خصائص اللغة الذاتية.

وهو ما التفتت إليه المدرسة البنيوية بريادة الألسني السويسري فرديناند دوسوسير (1854-1913) وقد سطر مبادئها وأصولها في سلسلة محاضراته التي ألقاها على طلبته بجنيف ما بين 1909-1911، ثم جمعت فيها بعد في كتاب: محاضرات في الألسنية العامة ، من قبل أخلص تلامذته :كشارل بالي زعيم أبرز توجه أسلوبي في مقاربة النص الأدبي، وقد صرف دوسوسير جهده إلى التركيز على طبيعة اللغة منظورا إليها كظاهرة إنسانية ذات بعد اجتماعي .

لقد حاول دوسوسير أن يميز بين منهجين في دراسة اللغة ،أو بين طريقتين طالما خلط بينهما الدارسون من قبله ، وهما المنهج التاريخي التعاقبي، والمنهج الوصفي الآني، أو البنيوي الذي يركز على بنية اللغة باعتبارها بنية ، أو منظومة من العلامات التي تعد قوانينها المتحكمة مجالا لدراسة اللسانيات، المتنبأ لها من قبل دوسوسير نفسه بمدمجيتها في علم أوسع، هو علم العلامات، أو السيميولوجيا، أو الأعراضية أو غيرها من المصطلحات المستعملة لمسمى واحد[3].

وهذا المنهج البنيوي يعد من المناهج التي تجسد الاتجاه الشكلي، فهو يعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه ، أو علاقته بالمرسل ،وقصده بإنتاجه ، ويتم ذلك بتحليل مستويات لغة بعينها مثل اللغة العربية بوصفها كيانا مستقلا ذات بنية كلية ، وإيجاد العلاقة بين هذه

[1] محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ،دار الكتاب الجديد ليبيل ،ط1 ، 2004 .ص:59

[2] فرديناند دي سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ,ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة ,الجزائر. ماي 1986 ص: 12.

[3] المرجع نفسه . ص: 27 .

المستويات بدءا من تحليل الأصوات ، والصرف ، والتراكيب إلى تحليل مستوى الدلالة ، وغني عن القول إن هذا النموذج من التحليل لا يولي الكلام الفردي عنايته. واكتفت هذه الدراسات في أول الأمر بدراسة الجملة على المستوى التركيبي .[1]

فالمدرسة الوصفية البنيوية قامت على تحليل العمل الإبداعي على أساس أنّه آلة لتصنيع الأشكال اللغوية القابلة للتفكيك، ثمّ إعادة التركيب والبناء، فالنّص الإبداعي – في نظرهم – هو بمثابة رقعة الشطرنج، قوامها المداخل المعجمية المرموقة، وفق القوانين البنيوية؛ بمعنى أنّ مفهوم البنيوية يقوم على البنية والعلاقات التي تقوم بين العناصر اللسانية قبل أن يقوم على كيانات معزولة2. وواصلت البنيوية حدّها الذي بلغ منتهاه في تحليل النص الأدبي، لاسيّما مع ظهور التوجه الذي أعلى من قدر التحليل الوصفي، وتشدد في تطبيق إجراءات المنهج الشكلي

ومن ذلك أيضا الاتجاه التوليدي وهو الذي يهتم بتفسير الظاهرة اللغوية في عمقها قبل الانجاز ويمثله النحو التوليدي والتحويلي بتطوراتهما.

ويرجع النحو التوليدي بالدرس اللغوي من ملاحظة الظواهر ووصفها إلى محاولة تفسيرها ، ووضع النظرية ليعصم اللغة من سكونها ، ويمنحها طابعها الإبداعي الخلاق، ولذلك يعتمد في تقعيده وتمثيله على المنطق والرياضيات ليضفي على اللغة الصبغة العلمية المنضبطة متخذا من الجملة أساسا في التحليل ،ويفترض أن الإنسان ينتج كلامه وفقا لهذه القواعد الصورية ، مما اقتضى البحث في إيجاد العلاقة بين العقل واللغة والعناية بالمكون البيولوجي لها ، والتعامل معه مثل أي مكون بيولوجي آخر بوصفه العضو الذي يسمح للإنسان بإنتاج وتفسير عدد لا محدود من الجمل التي لم يسبق أن سمعها من قبل ، وبوصف اللغة أهم خصائصه ، وهذا ما جعل المنهج التوليدي يعيب على المناهج البنيوية التوقف عند أشكال اللغة المنجزة.

وقد اهتم بتكون الكفاءة اللغوية ، ونموها عند الطفل. من هنا كانت العناية بتفسيرها ، والأنساق التي تعمل فيها، وبهذا فالنحو التوليدي ينحو إلى التجريد مما يستدعيه في بعض التطبيقات إلى اصطناع الجمل كما فعل (تشومسكي) في عبارته المشهورة: (**تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون باختناق**).

---

[1] روجر فاولر : اللسانيات والرواية ،ترجمة لحسن أحمامة ،دار الثقافة ، الدار البيضاء ط 1. 1997م

[2] ينظر حناش، محمد، الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع (مقاربة لسانية تداولية)، مجلة التواصل اللساني، المجلد العاشر، العددان 1، 2، سنة 2001.

إذ تتصف هذه الجملة بموافقتها لقواعد النحو ، وفقا لما يقتضيه المكون التركيبي، بيد أنها لا تدل على معنى مفهوم ؛ لأن (تشومسكي) يرى أنه (لا يمكن تشخيص مفهوم القواعدية ،بأنه كل ما له معنى أو كل ما هو ذو مغزى وفق أي مفهوم دلالي) [1]، وقد كان هذا من المآخذ على النظرية التوليدية في أول مراحلها مما استدعى العناية بالمكون الدلالي في المراحل اللاحقة من خلال قواعد الإسقاط بالاتساق مع المكون التركيبي[2].

وتطور المنهج التوليدي فبرز مفهوم النحو التحويلي الذي يرى : أن اللغة عبارة عن مجموعة من الجمل العميقة ، مما جعله يرد عددا من الجمل المنجزة إلى جملة ذات بنية عميقة ، وذلك ليفسر محدودية الأصل ولا نهائية المنجز.

وهكذا بينما كان بلومفيلد وأتباعه يسألون: كيف يمكن أن نصف ، ونحلل ما يقوله المتكلم والكاتب من كلام يمكن للملاحظ الخارجي أن يلحظه عيانا ؟ كان التشومسكيون يسألون:ماذا يدور في عقل المتكلم السليقي أو الفصيح حيث يمكن أن يدعي متكلما للإنجليزية أو السواحلية أو اليابانية أو اللاتينية الكلاسيكية أو أية لغة أخرى.؟.

ومن الجدير بالذكر أن تشومسكي طرح أفكاراً عدّة في كتابه، وطرح تصوراته في مهام اللسانيات، ومناهج البحث اللساني. ووجد في علم اللسانيات الوصفي مناهج متطورة، يمكن أن يفيد منها، على أنّها نقطة انطلاق للدرس اللساني[(3)].

وكون هذه الدراسات قد وقفت عند حد الجملة ، فقد قصرت عن دراسة بعض الظواهر مثل: ظاهرة الإحالة وتحديد مرجعها، الإضمار ، الروابط الخطابية. وهذا ما برر الالتفات إلى دراسة اللغة في مستوى أكبر من الجملة ، وهي دراسة الخطاب ؛ إذ يدرس بوصفه بنية كبرى من خلال بيان العلاقة بين وحداته وفهمها شكليا.

---

[1] نعوم تشومسكي، البنى النحوية ، ترجمة د يوئيل يوسف عزيز ،مراجعة مجيد المشطة ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط1 1987 ص: 19

[2] ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت 1983 ص ص :31، 38.

[3] للوقوف على نظرية تشومسكي انظر: بريجتيه، بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى نعوم تشومسكي، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2004، ص:270 وما بعدها/ ميشال زكريا، الألسنية في علم اللغة الحديث، بيروت، 1980 /تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى باقر، منشورات وزارة التعليم العالي، جامعة البصرة، 1985 / خليل عمايرة، ، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، ط 1، 1984.

شهدت دراسة اللغة تطورا في ظل المناهج المختلفة ,حيث انتقلت من علم اللغة الذي يكاد يخلص للنظام اللغوي (من دوسوسير إلى تشومسكي) إلى علم لغة يركز على التوجه الاتصالي والوظيفي ولهذا التحول عوامل أهمها :

– تعدد الحاجات والمصالح الاجتماعية ،مما دعا إلى ضرورة تحديد دور علم اللغة في المجتمع .

– ظهور مشكلات جديدة في الممارسة اللغوية ، تحتاج إلى معالجة جديدة تتجاوز الإخلاص للنظام اللغوي نحو: التوثيق، المعالجة الآلية للمادة اللغوية ، اكتساب اللغة ، تعليم اللغة ، الترجمة ، التوجيه اللغوي ، العلاج باللغة ، تأثير اللغة في الاتصال اليومي .

ولذلك يمكن فهم التحول البراغماتي في علم اللغة على أنه انعكاس لحاجات مجتمعية متغيرة ،مهمته اجتماعية بوجه عام.

وتعود اللسانيات الوظيفية إلى جملة بحوث وأعمال لسانية لم تستقر في فترة معينة ،ولا عند دارس معين حيث يستطيع البحث أن يرصد بداياتها من أعمال البراغيين حين ميزوا بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي الذي يقوم على مفهوم الفونيم ،وقد وصفت أعمالهم بأنها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة لاهتمامهم بدراساتها ضمن مفهوم التواصل بعده وظيفة أساسية في النشاط اللغوي عند الإنسان وقدم في ذلك ياكبسون مخطط التواصل المعروف بوظائفه الست ، والذي تعرض إلى انتقادات في الستينيات من طرف بعض اللسانيين نحو: دانيش ، وسبوفودا وفيرباس ، وبسكال ...الذين يرون أن التواصل حركة ، وليس ثباتا كما يوحي بذلك مخططه .

كما تستند الدراسات الوظيفية أيضا إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن ، وهي متأثرة بأعمال براغ حيث تعد اللغة ظاهرة بشرية متكاملة ,وإن دراستها في مستوياتها الجزئية الصوتية ، والصرفية ، والنحوية والدلالية تفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها ، فضلا عن أن مثل هذه الدراسة لا يقدمها في صورتها المتكاملة ،لذا فقد دعت إلى عدم إغفال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية ، وطورت في هذا المجال مفهوم " سياق الحال " الذي يدرس اللغة في سياقها المادي والمعنوي ؛لأنها ظاهرة سيميائية واجتماعية ينبغي تفسيرها، انطلاقا من هذه المبادئ اعتمادا على ما قدّمه دوسوسير.

وقد استفادت الدراسات التداولية الحديثة من تمييز دو سوسير بين اللغة والكلام ، ويقصد بالكلام هنا ما ينشأ عن الاستخدام الفعلي للغة ؛ أي ناتج النشاط الذي يقوم به مستخدم اللغة عندما ينطق بأصوات لغوية مفيدة، بينما تتسم اللغة بالطابع الاجتماعي بوصفها ظاهرة اجتماعية كامنة في أذهان

أفراد المجتمع ، يحدث الكلام نتيجة نشاط فردي ، وعندما تستخدم قولة ما، فإن القولة المستعملة لها جانبان:

1- جانب ينتمي إلى اللغة ، وهو الذي يضمن أن المخاطبين يفهمون ما يقوله المتكلم بوصفه منتميا إلى مجتمعهم اللغوي ، ويتحدث لغتهم ، ويتمثل هذا الجانب في تقيد المتكلم بقواعد اللغة والمناويل اللغوية المتعارف عليها في لغته ، والمفردات المعجمية المطلع عليها .

2- جانب ينتمي إلى الكلام ،وهو تركيبه لقولة معينة على نحو يحكمه عادة قصده الإبلاغي واختياره لمفردات معجمية ، ومناويل قواعدية بعينها واستثمار السياق لبيان مقصده ،وثمة صلة بين التمييز بين اللغة والكلام من جهة ، والتفريق بين المعنى والقصد من جهة أخرى ، وهي صلة لم يشر إليها دوسوسير صراحة ولكنها رسخت في الدراسات البراغماتية الحديثة. فعندما نتحدث ،فإننا في الواقع ننقل اللغة إلى كلام ، والجملة إلى قولة ، والمعنى إلى قصد ،ولعله من المهم أن نذكر أن القولة عندما تعزل عن سياقاتها يتعذر علينا أن نفقه المقصود منها ،وإن أمكننا فهم معانيها. فعندما ننظر إلى قوله تعالى: (فَال بَلْ فَعَلَهُ, كَبِيرُهُمْ هَـذَا)[1] بغض النظر عن السياق الذي وردت فيه ، فلا يفهم منها إلا أن شخصا ما ينسب فعلا إلى شخص ما ، هو أكبر المحيطين به .أما إذا نظرنا باعتبارها قولة فسنضطر إلى الرجوع إلى السياق الذي قيلت فيه ، وسندرك بعدها أن المتكلم هو إبراهيم عليه السلام ، وأنه يشير بكلمة فعل إلى كسر الأصنام ، وأن الضمير يشير إلى عملية الكسر ، وأن هم في كبيرهم تشير إلى الأصنام ، وأن هذا تشير إلى أكبر الأصنام الموجودة ، وأن القصد من هذه القولة تشكيك المخاطبين في اعتقادهم ألوهية تلك الأصنام ، وتوجيه انتباههم إلى عجز كبير الأصنام عن القيام بمثل هذا العمل ، وعجز سائر الأصنام عن الدفاع عن نفسها عند تعرضها للكسر، والاستخفاف بعقولهم التي تتمسك باعتقاد ألوهية تلك الأصنام على الرغم من عجزها عن الدفاع عن نفسها ، أو حتى الإخبار عمن كسرها .

ولا يمكن لنا أن ندرك المقصود بكل هذه الإشارات والمراد من القولة إلا بإقحام العناصر الخارجة عن اللغة وهي: المخاطب ، والمخاطَب، والسياق ؛ أي ربط الجملة بزمان ، ومكان ، ومخاطبين ومقام تخاطبي وتحديد ما تشير إليه التعبيرات اللغوية الإشارية ، وبهذا الإقحام تكون عبارة : (بل فعله كبيرهم هذا) قد خرجت من حيز اللغة إلى مجال الكلام الفعلي .

[1] الأنبياء ،الآية : 63 .

واستخدم مالينوفسكي العالم الانثروبولوجي مصطلح(سياق الحال) أو ما يسمى بـ (السياق المقامي) ليدل على نظريته حيث وجد صعوبة في ترجمة بعض آداب الشعوب البدائية ، وذلك خلال قيامه بأبحاث ميدانية في جزر التروبرياند جنوبي الباسيفيك، وتوصل إلى ضرورة وضع كلمات في سياقها الذي استخدمت أو نطقت فيه[1] ؛ لأن السياق كفيل ببيان معناها بلا لبس ولا غموض.

واهتمت المدرسة السلوكية بزعامة بلومفيد ببعض العناصر غير اللغوية المتصلة بالكلام، فوجهت عناية اللغويين نحو ربط المعنى بمجالات غير مجالات الكلام، مجالات تستلزم التحليل على مستويات خاصة مثل التجارب الشخصية[2]. فعرف بلومفيلد معنى الصيغة اللغوية- كما يقول بالمر :بأنه الموقف الذي ينطق فيه المتكلم بالمعنى، والاستجابة التي يحدثها المعنى في السامع ، وهذه الفكرة تمتد إلى أبعد مما ذهب إليه كل من مالينوفسكي وفيرث، فهما قد حددا صياغات المعنى بالنظر إلى الموقف، وبلومفيلد يعرف المعنى-أساسا- باعتباره الموقف[3].

دون إغفال إسهام بحوث مارتيني لا سيما في (نظرة وظيفية للغة 1962) ، حيث اعتمد مبادئ دو سوسير في التقطيع المزدوج للغة ، وكثيرا من آراء البراغيين في مجال الصوتيات الوظيفية ، فقدّم وصفا وظيفيا عاما للغة .وغاية الدراسة اللغوية في نظر الوظيفيين هي تحديد المبادئ العامة المرتبطة باستعمال اللغة .

على أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين ، بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أوكسفورد هم: أوستين Austin وسيرل j. Searle ،و غرايس h. grice ، وقد كان هؤلاء من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية الذين اهتموا بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها ، وكان هذا من صميم اللغة أيضا .

ومن ثمرات الدراسات الوظيفية في السبعينيات النحو الوظيفي الذي يعد من أشكالها العامة ، ويهتم بوظيفة اللغة الأساسية (التواصل) ، وموضوع اللسانيات في نظره هو: وصف القدرة التواصلية لدى

[1] بالمر . علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري ابراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية 1992.م ،ص: 75.74.

[2] محمود السعران ،علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي،دار الفكر العربي ، القاهرة .ط2 1997 ، ص :(309)*، بتصرف.

[3] بالمر .علم الدلالة، إطار جديد، ص:(81).

المتكلم والسامع ،مما جعل بعضهم يعده نظرية في التركيب والدلالة من جهة نظر تداولية ، وتقدم في هذا المجال بحوث سيمون ديك وأحمد المتوكل، وبنية الجملة في نظر الوظيفيين هي مجموع وظيفتين. [1]

– وظيفة المحور ويمثلها الخبر المعلوم لدى السامع في مقام ما،وتبتدئ الجملة عامة بما هو مشترك بينه وبين المتكلم إلا إذا كان المقام يتطلب اهتماما بالجديد المجهول حسب طبيعة التواصل.

– وظيفة التعليق: يمثلها الجزء الحامل للمعلومة الجديدة ، وكلما ارتبط بعناصر أخرى تدعم نموه ،أتم بالحركة والنماء.

ومما تتناوله الدراسة الوظيفية للجملة ؛ الاهتمام بدراسة الوحدات اللغوية داخل الخطاب إلى جانب دراسة المحتوى غير اللغوي ، الاعتداد بالسياق اللغوي، وموقف المتكلم من الخطاب ذاته ومن السامع.

فالتداولية الوظيفية هي التي تهتم بدراسة الفعل الكلامي في عددٍ من المجالات، أو هي المذهب اللساني الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح،والسياقات،والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة المعالم، وناجحة[(2)].

1–المفهوم المعجمي للتداولية:

التداولية لغةً.

أصل المصطلح من مادة (دول) وجاء في أساس البلاغة :" دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليهم، والدهر دول... وتداولوا الشيء بينهم"[3]

وفي معاجم أخرى منها القاموس المحيط: الدولة :انقلاب الزمان من حال إلى حال، الدولة: العقبة (النوبة) في المال، وتداولوه: وأخذوا بالدول[4].

ومن الشواهد القرآنية قوله تعالى : (كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلاَغْنِيَآءِ مِنكُمْ)[5]

---

[1] ينظر مصطفى غلفان ،اللسانيات العربية الحديثة ،دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية المنهجية ,سلسلة رسائل وأطروحات ,رقم: 04 جامعة الحسن الثاني، عين الشق ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية ،المغرب 1998 ص:253.

[2] ينظر: ابن عربية، راضية، اللسانيات التداولية في ضوء الدراسات العربية، أحمد المتوكل أنموذجا، الشابكة.

[3] الزمخشري. أساس البلاغة . تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، ص: 139.

[4] الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ) ، القاموس المحيط . القاموس المحيط.دار الجيل، بيروت .ج4 ص : 42 .

[5] الحشر، الآية : 6.

وقوله أيضا : (وَتِلْكَ ٱلأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ)[1].

جاء في اللسان قوله: تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّول. فقالوا: دَواليك؛ أي مداوَلَةً على الأمر. ودالت الأيام؛ أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي؛ أي أخذته هذه مرّةً، وهذه مرّة. والماشي يداول بين قدميه؛ أي يراوح بينهما[2].

والملحوظة التي نخرج بها من هذا المعنى المعجمي لمادة "دول" هي: أنّ المعاجم العربية لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر "دول" عن معاني التحول، والتبدّل، والانتقال من مكان إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى؛ وهذا يقتضي بالضرورة وجود أكثر من طرف في حقل التحول هذا. وإذا ما ذهبنا نطبق هذا المعنى على اللغة، فإنها – اللغة – متحولة من حال المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ثم هي متنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم. يقول طه عبد الرحمن في توصيفه للفعْل "تداول"[3]: "تداول الناس كذا بينهم" يفيد معنى تناقله الناس، وأداروه فيما بينهم، ومن المعروف أيضاً أنّ مفهومي "النقل، والدوران" مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، كما أنهما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال: "نقل الكلام عن قائله"، بمعنى رواه عنه، ويقال: "دار على الألسن" بمعنى جرى عليها، فالنقل والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل بين الناطقين، ويدلان في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، فيكون التداول جامعاً بين اثنين هما: التواصل، والتفاعل.

فالصيغة الصرفية التي جاء عليها المصطلح (تَفاعُل وتَفاعُلية) تفيد عند الصرفيين معنى المشاركة بين طرفين (المرسل، والمرسل إليه)، ممّا ينقل النص من فردية المبدع إلى ثنائية التفاعل بين المرسل والمرسل إليه، ويضفي عليه سمات تنغيمية، ووظيفية تداولية ما كانت لتتحقق لو كان النص مكتوبا بعيدا عن وظيفته الإبلاغية

[1] آل عمران ،الآية : 140.

[2] ينظر ابن منظور، لسان العرب، ، مادة "دول". الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة مادة "دول".

[3] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1944، ص:244.

2 – المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

التداولية اصطلاحاً:

وإذا عدنا إلى الجذر اللغوي للمصطلح فتعود كلمة (التداولية) في أصلها الأجنبي: إلى الكلمة اللاتينية (pragmaticus)، والتي يعود استعمالها إلى عام 1440م[1] ومبناها على الجذر براغما، ومعناه الفعل[2]، ثم صارت الكلمة بفعل اللاحقة، تطلق على كل ما له نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي،

أما في الفرنسية، فقبل أن تدخل إلى مجال الدراسات الفلسفية والأدبية، فإنها استعملت في المجال القانوني، وتحديدا في عبارة : Pragmatique sanction وتعني المرسوم أو المنشور الذي يهدف إلى تسوية قضية هامة،باقتراح الحلول العملية والنهائية في الوقت نفسه، ثم كان توظيفها في مجال العلوم البحتة، لتدل على كل بحث، أو اكتشاف، له صفة إمكانية التطبيق العملي، وفي وقت متأخر تسللت الكلمة إلى اللغة المستعملة، في عبارات من مثل:هذا تفكير عملي، أو هو شخص عملي، للدلالة على أن شخصا ما ميال إلى إيجاد الحلول العملية والواقعية لما قد يطرح من إشكالات [3].

وتعدّ التداولية المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي (Pragmatics)، الذي يعود إلى الفيلسوف تشارلز موريس. وفي هذا المقام يجب أن نفرّق بين مصطلحين هما: "براجماتكس" الذي يستخدم في المجال اللساني ، ويشيع ترجمتها إلى العربية بالتداولية؛ لأنها توفي المطلوب حقّه، بوصف دلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معاً[4]. و"براجماتيزم" الذي يستخدم في مجال الفلسفة. ومن الترجمات الأخرى الذرائعية، والنفعية، البراغماتية.

والتداولية مصطلح عربي موافق لـ pragmatics الأجنبية الذي كان الفضل في وضعه للأستاذ والفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن منذ سنة 1970 ؛ أي بعد حوالي اثنتين وثلاثين سنة من أول استعمال لمصطلح التداولية pragmatics ينسب للفيلسوف الأمريكي " شارل موريس chrale Morris و ذلك سنة 1938*:

---

[1] Maxidico. Dictionnaire encyclopédique de la langue française, édition de la connaissance, Paris 1997,p:876.

[2] المرجع نفسه .

[3] Gouvard (J M), la pragmatique, éd Armand Colin, Paris, 1998 p: 4.

[4] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، سنة 2000، ص: 28.

إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات و هذا تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي "[1] و تمثل التداولية – حسب رأيه – فرعا من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات و هي :

1-**علم التراكيب**: la syntaxe ارتباط العلامات فيما بينها .

2-**علم الدلالة**: **la sémantique** ارتباط العلامات في علاقتها بالواقع ، أو دراسة علاقة العلامات بالأشياء ، و الموجودات التي تدل عليها.

3-**التداولية** : **la pragmatique** ارتباط العلامات بمستعمليها ، بظروف استعمالها و بآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية[2].

أما في الاصطلاح اللساني فتعني : ذلك الاهتمام المنصب على مستوى لساني خاص، يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية[3].

ومع هذا فإنه يصعب وضع تعريف شامل جامع لها؛ لأنها:

أولاً: لم تكن نشأتها لسانية خالصة، بل كان للفلسفة دور ملحوظ في نشأتها وتطورها، كغيرها من المصطلحات التي نشأت في أحضان الفلسفة ، ثمّ ما فتئت أن شاعت في الدراسات اللسانية، مثل السيميائية التي نشأت على يد الفيلسوف الأمريكي بيرس.

وثانياً: لم تكن فرعاً أو مستوى تحليلياً من مستويات التحليل اللساني المعروفة.

وثالثاً: إنها قد لا تنضوي تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة، على الرغم من تداخلها مع هذه العلوم في بعض الجوانب. فهذه مجمل الأسباب التي يصعب معها وضع تعريف شامل جامع مانع للتداولية[(4)].

وقد قام غير باحث بعمل إحصائي لتعريفات التداولية، ومفاهيمها، منهم نعمان بوقرة[5] ويمكن هنا عرض بعض تعريفات التداولية التي وردت:

---

[1] حفناوي بعلي .التداولية البراغماتية .مجلة اللغة و الأدب ،عدد :17. جامعة الجزائر.

[2] ينظر : محمد الأخضر الصبيحي.مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه.ط1/2008، منشورات الاختلاف ، الجزائر .ص:48.

[3] Maxidico. Dictionnaire encyclopédique la langue francaise,,p:876.

[4] ينظر:

- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2002م.ص : 10
- أرمينكو، فراسوا، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر، ط1، 1987م. ص: 15

[5] ينظر على سبيل المثال لا الحصر : نعمان بوقرة ، مدخل غلى التحليل اللساني للخطاب ، دار الكتب الحديث ، أربد ، ط2 ، 2008

هي دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف : لِمَ تكون مجموعة من الجمل شاذة تداولياً أو تعد في الكلام المحال؟. وعلى الرغم من أن إيضاح الشذوذ في هذه الجمل قد يكون سبيلاً جيداً للوصول إلى نوع من الأسس التي تقوم عليها التداولية، فهو لا يعدّ تعريفاً شاملاً لكل مجالاتها.

هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق على شروط الصدق، فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط.

هي دراسة اللغة في الاستعمال ، أوفي التواصل ؛ لأنها تشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متصلاً بالكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ، ولا المتلقي وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم/ المرسل والمتلقي/ المرسل إليه في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.

هي العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة، لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة، وناجحة، وملائمة للموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم.

هي دراسة السياقات المختلفة، والوسائل المستخدمة لغوياً للتعبير عن عمل معين.

هي مجال استعمال اللغة في التواصل والمعرفة.

مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرائق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات، والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات... إلخ

ويمكن أن نستنتج أن التداولية، هي دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل، في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية، أو قل هي دراسة الكلمات والعبارات، والجمل كما نستعملها، ونفهمها، ونقصد بها شيئا ما في ظروف ومواقف معيّنة،

وتظهر وظيفة التداولية في ستة عناصر رئيسة: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والقناة، والمرجع، واللغة؛ إذ يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه، تتضمن موضوعا ، أو مرجعا معيّنا، وتُكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من المرسل والمتلقي. ولكل رسالة قناة حافظة كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية..... واللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي.

ويعني هذا أن اللغة ذات بعد لساني وظيفي، وأنها ستة عناصر، وست وظائف، هي: [1]

- المرسل ووظيفته انفعالية تتضمن قيما، ومواقف عاطفية، ومشاعر وأحاسيس يسقطها المتكلم.
- والمرسل إليه، وهو المخاطب ووظيفته تأثيرية؛ إذ يتم التأثير عليه بغية إقناعه. وتكون العلاقة بين – المرسل والمتلقي إيجابية أو سلبية.
- والرسالة التي تتجسد في وظيفة التواصل المعرفي.
- والمرجع ووظيفته مرجعية، والوظيفة المرجعية ترتكز على وظيفة الرسالة بوصفها مرجعا، وواقعا رئيسا تعبر عنه تلك الرسالة. وهذه الوظيفة في الحقيقة موضوعية لا وجود للذاتية فيها، نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر.
- والقناة ووظيفتها حفاظية؛ أي الحفاظ على عملية التواصل والإبلاغ وعدم انقطاعه.
- وأخيرا اللغة ووظيفتها تفسيرية، وتقوم على الشرح والتفسير والتأويل، للوصول إلى وصف الرسالة لغويا، بالاستعانة بالمعجم، والقواعد اللغوية ، والنحوية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه.

ومن اللافت للنظر أن هذه الوظائف تقوم على عناصر، هي:

- عنصر ذاتي يتمثل في التعبير عن معتقدات المرسل، ومقاصده، واهتماماته.

.– عنصر موضوعي يتمثل في غلبة كل وظيفة على نوع خاص من ألوان الرسائل.

. – عنصر تواصلي بين المرسل، والمتلقي يدلّ على معرفة مشتركة بينهما.

3 – أهمية التداولية :

التداولية مشروع موسع في اللسانيات النصية : تهتم بالخطاب والمناحي النصية فيه نحو : المحادثة المحاججة ، التضمين ... ولدراسة تواصل بشكل عام ، بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد ، إلى ما يمكن أن تحدثه من تأثيرات في المتلقي،وتظهر أهميتها من حيث إنها تهتم بالأسئلة الهامة والإشكالات الجوهرية في النص ؛لأنها تحاول الإحاطة بالعديد من الأسئلة من قبيل : من يتكلم ؟ وإلى من يتكلم ؟ [2]

وتتلخص ملامح التداولية فيما يلي:

[1] كما جاءت عند رومان ياكبسون. ينظر: ياكبسون، رومان، اللسانيات والشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، سلسلة المعرفة الأدبية، ط1، 1988. الشابكة.

[2] دومينيك مانغونو . المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب . ترجمة محمد يحياتن. ط1 /2008 .منشورات الاختلاف . ص :27 .

دراسة استعمال اللغة ، فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة ، أي باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد ،لتحقيق غرض تواصلي محدد[1].

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر، وغير الحرفي على تواصل الحرفي المباشر .
- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفة للملفوظات .
- لا يمكن ، أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهما حقيقيا ما لم نفهم التداولية : كيف تستعمل اللغة في الاتصال .[2]

4 - الأصول الفلسفية للفكر التداولي:

تنوعت مصادر الدرس التداولي المعاصر ؛ إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي يستمد منه مادته العلمية ، وتصوراته عن اللغة والتواصل. فالأفعال الكلامية مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي ، وهو الفلسفة التحليلية. أما نظرية التخاطب فقد انبثقت من الفلسفة الحديثة ، ومن فلسفة (بول غرايس) ،وأما نظرية الملاءمة فقد ولدت من رحم (علم النفس المعرفي).

وبما أن الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي ، وهو الأفعال الكلامية ،فإنه ينبغي التعريف بهذا التيار الفلسفي لمعرفة كيف انبثقت ظاهرة الأفعال الكلامية من قلب التحليل الفلسفي، وما تبع ذلك من ظهور الاتجاه التداولي في البحث اللغوي .

فما مفهوم الفلسفة التحليلية ؟.

نشأت الفلسفة التحليلية بمفهومها العلمي الصارم في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا[3]، على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه (G.freje1925/1884) بكتابه " أسس علم الحساب" وكانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة والمنطق من مختلف الأصقاع الأوروبية لاسيما ألمانيا والنمسا على الرغم من قلة إنتاجه المكتوب.

---

[1] مسعود صحراوي . التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، التنوير للنشر والتوزيع ،ط1، 2008م الجزائر ص : 37 .

[2] بلبع عيد ، التداولية ،البعد الثالث في سيميوطيقا موريس . مجلة فصول العدد :66 ربيع 2005 . ص : 36 .

[3] يذهب دارسون آخرون إلى أن الفلسفة التحليلية لم تنشأ إلا مع فلاسفة المدرسة الانجليزية الحديثة من أمثال: جورج مور، برتراند رسل، فيتقنشتاين ، ثم كارناب ، وآير...في أوساط القرن العشرين ،ولكن التحليل كإجراء علمي قال به الفلاسفة منذ عصر أفلاطون. انظر: محمود زيدان ، مناهج البحث الفلسفي . ص:75

من أهم التحليلات اللغوية التي أجراها فريجه على العبارات اللغوية وعلى القضايا ، تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا و وظيفيا وهما : اسم العلم ، والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية ولا شك في أن هذا التمييز من اكتشافات المنطق الحديث ؛ لأن أرسطو . مع أنه عرف هذا التمييز. كان يخلط بين القضية الحملية وغير الحملية [1] بينهما إلا بعد صياغة المنطق الحديث.والقضية الحملية هي التي تتكون من طرفين:اسم علم،ومحمول يسند إلى اسم العلم.والقضية غير الحملية (أو العلاقية) هي التي تتكون من علاقات أخرى خارجة عن الإطار الحملي [2].

بين فريجه أن المحمول يقوم بوظيفة التصور؛ أي يقوم بإسناد مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم، أما اسم العلم فانه يشير إلى شيء فرد معين ، وهو عاجز تماما عن استخدامه كمحمول بل إن الاسم المحمول يتميز عن اسم العلم بميزتين على الأقل[3].

أن الوظيفة الأساسية لاسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معين، بينما الوظيفة الأساسية للمحمول هي دلالته على تصور، أي على مجموع الخصائص التي تستند إلى اسم العلم أو بعضها. فالعلم يؤدي معنى تام مستقلا دون حاجة إلى لفظ آخر ليتم معناه، والمحمول يحتاج إلى اسم العلم ليعطي معنى.

إن ألفاظ التسوير (كل، بعض..) ليس لها معنى حقيقي إذا دخلت على علم، بل قد تفسد معناه، وإذا دخلت على محمول أفادت معنى جديدا. ذلك أن العلم لا تجري عليه أسوار الكلية أو التبعيض. في الحديث عن محمد مثلا، لا نقول: كل محمد، أو بعض محمد (على الحقيقة)، فالعلم لا يقبل التبعيض، بينما المحمول يظل ذا معنى ولو دخلت عليها الأسوار، فنقول مثلا: كل متعلم، كل موظف، بعض الناس...

فالجديد الذي جاء به هذا الفيلسوف- في نطاق البحث اللغوي- هو رؤيته الدلالية، خصوصا تمييزه بين اسم العلم والاسم المحمول، كما رأينا، وبين المغنى والمرجع،محدثا قطعية معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين، هما الإحالة والاقتضاء، ولا شك في أن ذلك من نتائج اعتماد التحليل منهجا فلسفيا جديدا.

---

[1] ينظر محمود زيدان ،في فلسفة اللغة ،دار النهضة العربية . بيروت ،1985. ص :12.

[2] المرجع نفسه . ص: 13.

[3] Frege, les fondements de l arithmétique trad. franc.de : C .Lembert, Le seuil, Paris .p: 181.

وقد اقتفى الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتقنشتاين، أثر فريجه، فانتقد مبادئ الوضعانية المنطقية، وأسس اتجاها فلسفيا جديدا سماه: فلسفة اللغة العادية، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل (الإنسان) العادي، أهم ما يميز فلسفة فيتقنشتاين التحليلية بحثه في المعنى المنطقي الصارم.

وعليه فان الفلسفة التحليلية قد حددت لنفسها مهمة واضحة منذ تأسيسها، ألا وهي إعادة صياغة الإشكالات والموضوعات الفلسفية على أساس علمي، فأدارت ظهرها منذ إذن للمنهج الذي تبعته الفلسفة الكلاسيكية (الميتافيزيقية والطبيعية)، ويتمثل ذلك الأساس العلمي في اللغة. ومن هنا راحت تبدأ وتعيد في الإلحاح على أن أولى مهام الفلسفة هي البحث في اللغة وتوضيحها، وقد اعتبر فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي وهو علامة قوة منهجهم. ولذلك يعتبر هذا المذهب الفلسفي ردة فعل قوية على الفكر الفلسفي القديم برمته، ومن أهم ما أنكرته على ذلك الفكر ؛ أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية ، ولم يولها ما تستحق من الدراسة والبحث، فسعت إلى هدم هذه الهوة، والتكفير عن هذا الذنب باتخاذ اللغة موضوعا للدراسة باعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي يتوخى فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا...

ومهما يكون من أمر، فإن فلاسفة التحليل رأوا أن الأداة المعرفية الضرورية لتحقيق ذلك الهدف هي اللغة، وأنه لا سبيل لتجاوزها من أجل فهم علاقات العالم وبالكائنات البشرية ؛ إذ أن جميع الحالات الموضعية لشؤوننا، وجميع العلاقات الذاتية مع الأفراد والمجتمع، ومع تاريخ الجنس البشري، قائم على أساس لغوي ، إن أراد أن يكون له معنى. فالطابع اللغوي مرتبط دائما وأبدا بالفهم، ما دام المعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموسا إلا على هذا النحو. فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللغة[1].

وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجه عدد من الفلاسفة، ومنهم: هورسل وكارناب، وفيتفنشتاين، أوستين، و سيرل، وغيرهم... وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلّمة عامة مشتركة، مفادها: أن فهم الإنسان لذاته ، ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم.

باختصار، نجمل مفهوم الفلسفة التحليلية في جملة من المطالب ، أو المبادئ تتلخص في ثلاثة:

- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم، وخصوص جانبه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى موضوع التحليل اللغوي.

[1] روديجر بوب نر- الفلسفة الألمانية الحديثة- ترجمة: فؤاد كامل- دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة- ص: 81.

– تحديد وتعميق بعض المباحث اللغوية، ولاسيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنه.

هذا وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

– الوضعانية المنطقية، بزعامة رودولف كارناب.

– والظاهرتية اللغوية، بزعامة هورسل.

– وفلسفة اللغة العادية، بزعامة فيتقنشتاين.

وهذا الفرع الأخير؛أعني فلسفة اللغة العادية،هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية[1].إلا أن هذه التيارات الثلاثة ليست كلها ذات منهج وظيفي تداولي في دراسة اللغة، فقد خرج التياران : الأول والثاني عن التداولية بسبب اهتمام الأول باللغات الصورية المصطنعة ،واتخاذها بديلا عن اللغات الطبيعية. فما دام العلم الموحد المتحرر من الميتافيزيقا يرتبط في تكوينه بلغة علمية تضمن ضبط العلاقة بالواقع ، فإن اللغة العادية أداة غير ملائمة تشوش الضبط ، وتنتج عبارات ميتافيزيقية تصيب العلاقة بالاختلال[2]. وحتى محاولة بارهيلل (1954) التجديدية لم تتجاوز أفق كارناب المتمثل في إخضاع اللغة الطبيعية ، واللغة الصناعية لنفس وسائل التحليل، فعلم التراكيب وعلم الدلالة ، والتداولية جزء من الرياضيات مثلها في ذلك مثل الأعداد والهندسة[3]. فالوضعانية المنطقية، بسلوكها هذا المسلك، تقصي القدرات التواصلية العجيبة التي تمتلكها اللغات الطبيعية، بل تستبعد تلك اللغات ، وتقصيها تماما من نشاطها العلمي الدراسي، وتهتم ببناء لغات بديلة مقصورة على مجال تواصلي في غاية المحدودية ، والتخصص العلمي الضيق المحدود، بينما لا تظهر القدرات التواصلية الحقيقية للغات الطبيعية إلا في استعمالها العادي ؛ أي من قبل المتكلمين العاديين في الحياة الطبيعية العادية.

الفلسفة الظاهرتية قد جاءت بمبدإ إجرائي جد مفيد في اللسانيات التداولية، وهو مبدأ القصدية الذي استثمره الفيلسوف أوستين في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية، وقام تلميذه سيرل بنفس الصنيع حينما اتخذه معيارا أساسيا لتصنيف القوى المتضمنة في القول.

فلم يبق إذن، ضمن الاهتمامات التداولية، من تلك التيارات الثلاثة إلا تيار واحد هو تيار فلسفة اللغة العادية الذي أسسه الفيلسوف لودفيغ فيتقنشتاين، والمادة الأساسية للفلسفة عند فيتقنشتاين

Récanati (François), Philosophie de la logique te philosophie de langage, édition Odile Jacob, Paris, 1991, pp185/203.

[2] ينظر: محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية..، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، ص :40.

[3] المرجع نفسه . ص :4.

هي اللغة، فكان يرى : أن جميع مشكلات الفلسفة تحل باللغة، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها، وراح يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها.

ولكن تراث فيتقنشتاين لم يكتسب مكانته الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أكسفورد ولا سيما:

-ج. ل. أوستين، وقد بدا أثر فيتقنشتاين عليه واضحا في كتابه عندما يكون القول هو الفعل،

-وتلميذه ج. سيرل في استلهامه لبعض أفكار هذا الفيلسوف ، واتخاذها معايير وأساسا في دراسة القوى المتضمنة في القول.[1]

5 – الدراسات اللغوية عند العرب .

إن الدارس للنحو العربي في أول نشأته يجد أن سيبويه – من خلال كتابه – يصرّ على استعمال لفظة كلام الذي يستعمله المتكلم من اللغة بدل الجملة لترسيخ البعد التداولي. كما احتوى على التفاتات تعد نواة لبحث يجمع بين المقال والمقام أو بينة الوظيفة والبنية، ويفسر الثانية في ضوء الأولى، ومن أهم هذه الالتفاتات : حديثه في مقدماته عن درجات مقبولية الكلام فقد ذكر أن الكلام منه ما هو (مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب)[2] ، وتعكس كل صفة من هذه الصفات جانبا من جوانب الكلام التركيبية أو الدلالية أو التداولية .

وذكر الشاطبي : (أن سيبويه وإن تكلم في النحو فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب وما إلى ذلك، بل هو بين في كل باب ما يليق به حتى إنه احتوى على المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ في المعاني)[3] .

ويكفي شاهدا على ذلك أن استعمال اللغة عند العرب كان هو مصدر التقعيد، في أغلبه، كما كان هو مصدر جمع المادة اللغوية، وذلك ضمن حدود مكانية وأخرى زمانية.

---

[1] مسعود صحراوي . التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،ص: 34 .

[2] سيبويه عمرو بن عثمان الكتاب ج1 ص 52

[3] الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات، دار المعرفة بيروت لبنان ط2 ، 1975 ،ج4، ص: 116

كما تنبهوا إلى أنه لا يوجد الكلام أصلا، إلا منطوقا في سياق تواصلي اجتماعي، يؤيد ذلك اشتراط النحاة حصول الفائدة ليستحق الملفوظ تعريفه بأنه كلام، ومن المعلوم أن الفائدة تحصل باستعمال وجوه ممتفاوتة من التراكيب، وبكيفيات مختلفة من طرق التلفظ[1].

و يضيف عبد الهادي ظافر الشهري قائلا : (والتأكيد أن السماع يعتبر أحد مصادر التقعيد عند الكوفيين هو من الشواهد على الاتجاه التواصلي، كما لم يغفلوا اعتبار اللهجات وتأثيرها على القواعد، وهذا ما وسع الاهتمام في علم النحو، فلم يعد مقتصرا على تقعيد القواعد والحرص على سلامة التراكيب بمعزل عن الساق فحسب، بل دخل فيه بعض الاعتبارات التداولية[2]. وقد شارك البلاغيون مسلكه في هذا الأمر فيما بعد فوظفوا الكلام، واشتغلوا عليه، ولم يشتغلوا على الجملة التي كانت نتاج متأخري النحاة وبذلك تعد الدراسات البلاغية من أهم الدراسات التي تؤكد الارتباط بين دراسة اللغة واستعمالها في السياق، وكثرة تلك الدراسات تند عن الحصر، فمن أهمها دراسات ابن سنان الخفاجيّ والسكّاكي، والجرجانيّ والجاحظ والقرطاجنّي والعلويّ، بالإضافة إلى ما جاء عند ابن خلدون في المقدمة وغيرهم.

ومن هذه الدراسات ما بلوره الجرجانيّ في نظرية النظم في بعض جوانبها، بوصف النظم دليلا على الكفاءة الذهنية التي يعتمد عليها المرسل في انجاز الخطاب بناء على المواءمة بين الكفاءة اللغوية الكامنة في الذهن ، وعناصر السياق الخارجي ، وقد مثل للنظم في مستوى التراكيب بوصفه أبرز مستوى تتجلى فيه تلك الكفاءة .

كما عمد السكاكي إلى مقاربة العلوم اللغوية الواحد تلو الآخر من صرف، ونحو ، وبلاغة بأقسامها وهذه الربط دليل على التحام هذه العلوم في انجاز الخطاب ، ولذلك عدها من العلوم التي لا غنى لأي مرسل عن معرفتها.

ولم يقتصر الاهتمام بدراسة اللغة في السياق على العلوم اللغوية البحتة، بل تجاوز إلى علوم أخرى إذ كانت اللغة وفق هذا الاتجاه هي أساس الدراسة عند تفسير القرآن بربط الآيات بأسباب النزول وكذلك في علمي الفقه وأصوله وعلم الكلام. وقد تجلى في هذه العلوم بعض النظريات التي تضاهي أحدث النظريات المعاصرة.

[1] عبد الهادي ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص: 30 .

[2] المرجع نفسه ص : 30 .

ومن ذلك ما تطرق له القدماء في المؤلفات اللغوية بصورة عامة. مثلما تجسد في بعض المؤلفات النحوية، ومنها الكتاب لسيبويه، وشرح المفصل لابن يعيش، وهمع الهوامع للسيوطي وغيرهم, كما تجسدت في مواضع متفرقة من الخصائص عند ابن جني.

وتعد الدراسات البلاغية من الأعمال التي تطرقت أعلى ما يقتضيه المنهج التداولي ؛ إذ يتضح ذلك في بعض الأعمال. ومنها دراسات السكّاكي في مفتاح العلوم، والجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، والجاحظ في البيان والتبيين، والخفاجي في سر الفصاحة.

كما اقتضت الحاجة في دراسات الأصوليين إلى الإلمام بأدوات المنهج التداولي ، وآلياته ، واعتبار متطلباته السياقية واستحضارها ،كون دراساتهم قائمة أساسا على البحث في خطابات متنوعة ذات سياقات مختلفة ، من هنا كانت هذه الدراسات من أبرز الدراسات القديمة التي عالجت بعض جوانب المنهج التداولي مثل ما يتعلق بإنتاج المعنى وتأويله ، وشروط ترجيح معنى على معنى آخر ،كما في دراسات الشاطبي في الموافقات ، والغزالي في المستصفى، والقرافي في التنقيح ، ومن نحا نحوهم. ومن جانب آخر تعد أعمال الفقهاء من الأعمال التي لامست بعضا مما يندرج في الإطار التداولي ومن ذلك ما ورد عن ابن تيمية في الفتاوى ، وابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين وغيرهم كثر فقد تم التركيز لديهم على بعض الجوانب في الأبواب التي تعالج المعاملات والعقود.

ومع ورود هذه الشذرات ، وتعدد تلك الإشارات إلا أن معالجاتهم كانت متناثرة لا يجمعها رابط، ولا تندرج في إطار معين بوصفها منهجا دراسيا لغويا متكاملا ، بالرغم من عمقها في بعض المواضع، وانضباطها في مواضع أخرى.

ولم يغب هذا السبق عن بعض الباحثين المحدثين عندما استثمره نفر منهم ، فأفاد منه في دراساته من خلال المزج الواعي بينه وبين النظريات الغربية مثلما فعل طه عبد الرحمن في دراساته التداولية التي تعالج الخطاب ، والحوار، والحجاج من وجهة نظر فلسفية وأخرى لغوية ليس هذا فحسب ، بل انبنت على هذه الجهود بعض الدراسات الأخرى مثل دراسة محمد يونس علي الذي بحث في كيفية تحليل الفقهاء للخطاب الفقهي تحليلا تداوليا في سبيل استخراج الأحكام الشرعية ، والتقعيد لها ، وتصنيف مراتبها ، ومنها كذلك دراسات أحمد المتوكل الذي اتخذ من النحو الوظيفي إطارا عاما لها ، فقد حاول أن يوفق في بعضها بين الدراسات العربية القديمة ، وبين المناهج الحديثة مع شيء من النقد والتنقيح.

وهناك بعض الدراسات ذات المنهج البلاغي ومن أبرزها دراسات محمد العمري خصوصا دراسته(في بلاغة الخطاب الإقناعي) الذي حاول فيها دراسة الخطاب الإقناعي في صدر العهد الإسلامي بتطبيق ما ورد عند أرسطو عليها. وهناك بعض المقالات المتنوعة في المجلات والدوريات التي يتباين أصحابها بين إتباع وجهة معينة وبين ابتداع طريقتهم.

وبهذا يتجلى الفرق بين هذين الاتجاهين العامين، عند العرب قديما أو عند الغربيين ومن نحا نحوهم من المحدثين، فدراسة اللغة تظل دراسة تكاملية،إذ لا يستطيع الدارس الاستغناء بأحد الاتجاهين عن الآخر مثلما هو الحال عند مستعمل اللغة، الذي لا يستطيع أن ينتج خطابا دون أن يتوفر على الكفاءة اللغوية، وأن يوظف كل مستوياتها فيه. وإنما كان التفريق من وجهة نظر إجرائية، إذ يقف أصحاب الاتجاه الأول عند حدود معينة، بينما يتقدم أصحاب الاتجاه الآخر إلى حدود أوسع.

وبهذا تظل مهمة الاتجاه الأول هي اكتشاف القواعد ، وتصنيفها والتمثيل لها، في حين تظل مهمة الاتجاه الثاني هي دراسة اللغة في التواصل من خلال توظيف تلك القواعد، وإدراك مدى امتثالها لمتطلبات السياق ، وفائدة العدول عن بعض الصور إلى صور أخرى ، وأسباب ذلك، والربط بين ذلك التنوع من ناحية ، وبين أسبابه من ناحية أخرى، وبذلك يمكن دراستها وفقا لمنهج توفيقي، هو المنهج التداولي الذي تتبلور وظائف اللغة من خلاله.

ونخلص إلى أن الدرس اللساني عرف تطورات ملحوظة عبر فترات تاريخية متعاقبة من الدراسة الفيلولوجية والتاريخية إلى الوصفية البنيوية في اتجاهها الشكلي بريادة دوسوسير إلى النحو التوليدي التحويلي بزعامة تشومسكي الذي انتقل بالدراسة من الوصف إلى التفسير ، فما لبثت حتى ظهرت اللسانيات الوظيفية التي تعود إلى جملة بحوث وأعمال لسانية لم تستقر في فترة معينة ،ولا عند دارس معين حيث يستطيع البحث أن يرصد بداياتها من أعمال البراغيين إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن ، وهي متأثرة بأعمال براغ وقد مهد هذا الاتجاه الوظيفي إلى ظهور التداولية التي أصبحت تركز اهتمامها على الكلام المستعمل كفعل انجازي وعلى الخطاب المتداول والسياق المحدد ومقاصد المتكلمين من عملية التخاطب وأحوال المتلقين لتحقيق تواصل ناجح وهادف مؤثر ومقنع .

كما كان للدراسات اللسانية العربية الأصيلة في جانبها الشكلي والوظيفي من ملامح نظريتها ما يجعلها تتقاطع مع الدرس اللساني الغربي في عديد من النقاط سواء تعلق الأمر بالنحو التحويلي أو الاتجاه الوظيفي التداولي.

المبحث الثالث:

أبرز المفاهيم والمبادئ التداولية

تقوم التداولية المعاصرة على مفاهيم عديدة كثيرا ما يتداولها الدارسون المعاصرون، وهي: الفعل الكلامي، القصدية، الاستلزام التخاطبي (أو المحادثي)، متضمنات القول، ونظرية الملائمة. فما هي هذه المفاهيم ؟

متضمنات القول: les implecites

مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية ، وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره. ومن أهمها:

الافتراض المسبق[1]: pré-supposition

لكي ينجح أي تواصل لساني بين متكلم ومتلق لابد من انطلاقهما من معطيات وافتراضات مسبقة معترف بها ،ومتفق عليها بينهم، وهي محتواة ضمن السياقات ، والبنى التركيبية العامة. ففي الملفوظ (1) مثلا: أغلق النافذة ، وفي الملفوظ (2) : لا تغلق النافذة ، وفي الملفوظين كليهما خلفية افتراض- مسبق مضمونها أن النافذة مفتوحة.

ويرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ، أو الاضمارات التداولية بتعبير طه عبد الرحمن [2] ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليمات تم الاعتراف بدور الافتراضات- المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه ، والبناء عليه. أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت التواصل السيئة ، فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي.[3]

وهذا يعني أن الافتراضات المسبقة ، أو الاضمارات التداولية ضرورية لنجاح التواصل الكلامي والإبلاغ .

الأقوال المضمرة: les sous-entendus

هي النمط الثاني من متضمنات القول ، وترتبط بوضعية الخطاب ، ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية. تقول أوركيوني kerbrat Orecchioni : القول

[1] Oswald Ducrot, présupposés et sous- entendus- in : langue française, 1969, edition collection prpositions, Paris, pp 30/43.

[2] ينظر طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص: 113

[3] مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ص : 45 .

المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث[1].

ومثال ذلك قول القائل: إن السماء ممطرة.

إن السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى: المكوث في بيته ، أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد ، أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر، أو عدم نسيان مظلته عند الخروج...

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات ، والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب. والفرق بينه وبين الافتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي المتنامي تدريجيا ، والثاني وليد ملابسات الخطاب.

الاستلزام التخاطبي (أو المحادثي):

لاحظ بعض فلاسفة اللغة ، واللسانيون التداوليون، وخصوصا الفيلسوف غرايس[2]،

أن أجمل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي، ويتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين أ و ب :

- الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟
- الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

لاحظ الفيلسوف غرايس Grice أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) ، وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي والآخر مستلزم. معناها الحرفي أن الطالب ج من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أن الطالب المذكور ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة[3]. هذه الظاهرة اللغوية سماها الفيلسوف غرايس بـ : الاستلزام الحواري[4].

---

[1] Orecchioni (Kerbrat) l'implicite, édition Armand colin, Paris, 1986, p 39.

[2] Grice (H.P), logique et conversation- in : L'information grammaticale- traduit par : fredzrick Berchet et Michel Bozen, Paris, n 66- 1995 - pp 51-71.

[3] Ibid, pp 51-71.

[4] Ibid, pp 51/ 71.

لقد وضع غرايس قواعد خطابية للفعل منطلقا من مبدإ عام سماه مبدأ التعاون ، ومقتضاه " أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة ، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه ، أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة[1] "

وتتفرع عن هذا المبدأ قوانين حصرها غرايس في أربعة[2]:

. **قانون الكم** : quantité

يحتوي على قاعدتين أساسيتين :

. أن تكون مساهمتك على مقدار من المعلومات المطلوبة منك ، وفق أهداف التبادل الحواري الراهن .

. ألا تتوفر مساهمتك على أكثر مما هو مطلوب منك .

قانون الكيف :qualité

- حاول أن تكون مساهمتك صادقة .

وهناك قاعدتان فرعيتان خصوصيتان:

- لا تقل ما تعتقده خطأ .
- لا تقل **ما** تراه يحتاج إلى دليل .

قانون الورود و الملاءمة .

. اجعل مساهمتك في الحوار المتبادل واردة ، أو ما يعرف في الأدبيات البلاغية العربية القديمة بـ : لكل مقام مقال.

قانون الصيغة :

- كن واضحا وبالخصوص .
- ابتعد عن الإبهام .
- تجنب الغموض.
- كن موجزا .
- كن منهجيا (منظما).

[1] Searle les actes de langage préface de O Ducrot, éd Herman, Paris, 1996, p : 61.

[2] Grice (H.P), logic and conversation trad. FR in communication, Paris n 30 -1979, p :45 46.

هكذا نلاحظ أن قوانين الخطاب عند غرايس لا تثبت على حال ، فهي معرضة للتداخل لا للتكامل دون أن تكون مستقلة بذاتها ، وهذا ما يجعل نظرية غرايس تتعرض لانتقادات كثيرة ، وتقودنا هذه الملاحظة أعلاه إلى القول مع طه عبد الرحمن : " إن مبدأ التعاون والقواعد المتولدة عنه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من الخطاب , أما الجانب التهذيبي منه فقد أسقط اعتباره إسقاطا " [1].

وتحصل ظاهرة الاستلزام التخاطبي، إذا تم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة.

فالجملة: أن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز تستلزم حواريا معنى العبارة: ليس الطالب (ج) مستعدا لمتابعة دراسته الجامعية بقسم الفلسفة ؛ لأنها خرق للقاعدة الثالثة، قاعدة الملائمة (أو المطابقة)، ذلك أنها جواب غير ملائم للسؤال المطروح: هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟.

ويقترح غرايس تنميطا للعبارات اللغوية[2] يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معان صريحة ، ومعان ضمنية .

1 – فالمعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي:

أ – المحتوى القضوي، وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب– القوة الإنجازية الحرفية، وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصيغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء، والإثبات والنفي.

2– والمعاني الضمينة: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل ما يلي:

أ – معان عرفية، وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا ، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

ب – تخاطبية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية.

مثال توضيحي: يمكن التمثيل لتلك المستويات الدلالية بالجملة (د):

(د): هل إلى مردّ من سبيل ؟

فالمعنى الصريح للجملة (د) مشكل من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية.

---

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقل ،.ص:239.

2 ينظر أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري منشورات ، عكاظ 1989 ص : 25- 26.

أما المحتوى القضوي فهو ناتج من ضم معاني مكوناتها: الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بعد الموت.

وأما قوتها الإنجازية الحرفية، والمؤشر لها بالأداة هل، فهي الاستفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية.

والمعنى الضمني للجملة (د) يتألف من معنيين جزئيين هما كالآتي :

- **معنى عرفي هو الاقتضاء**،أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة الدنيا.
- **معنى تخاطبي استلزامي**، وهو تمني المتكلمين من المخاطب (الله سبحانه وتعالى) أن يردهم إلى الدنيا

يمكن إيضاح هذا التصور وكيفية تطبيقه على الجملة (د) في شكل المشجر التوضيحي الآتي

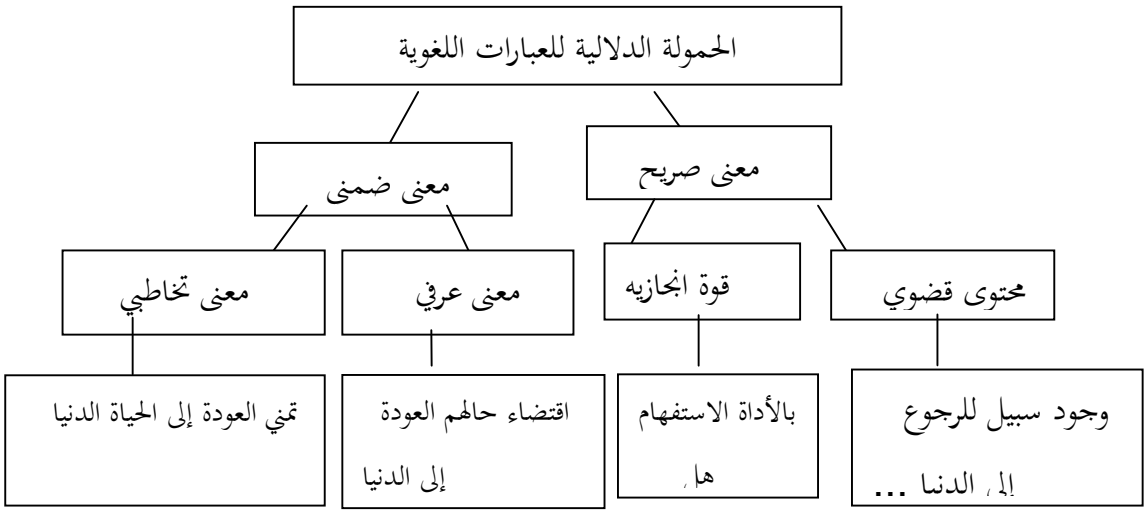

نظرية الملاءمة: théorie de pertinence

تعد نظرية الملاءمة نظرية تداولية معرفية، أرسى معالمها كل من اللسانيين دريدر ولسن D Wilson.، ودان سبربر D. Sperber ، وتأتي أهميتها التداولية من أمرين:

- إنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية.
- إنها ولأول مرة منذ ظهور الأفكار والمفاهيم التداولية، تبين بدقة موقعها من اللسانيات، وخصوصا موقعها من علم التراكيب.

فنظرية الملاءمة تدمج –إذن– بين نزعتين كانتا متناقضتين، فهي نظرية تفسر الملفوظات ، وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وتعد في الوقت نفسه نظرية معرفية.

كما استفاد سبربر وولسن من نظرية جرايس التخاطبية (1967)، التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدإ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية.إلا أن نظرية الملاءمة أعادت النظر في نظرية

جرايس وقلّصت محتوياتها مقتصرة على مبدإ الملاءمة كأساس مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة، ويعد تعميما للتواصل الموصوف بـ المناسب الاستدلالي فهو:

– مناسب، لأن المتكلم يستعمل المثير الأكثر ملاءمة، لإبلاغ افتراضاته.

– وهو استدلالي، لأن المتلقي يستدل على القصد الإخباري، انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم.

فالتواصل، في نظر سبربر و ولسن، يقوم على هذا الأساس...

التواصل الاستدلالي المناسب ينتج المتكلم مثيرا واضحا للمخاطب، فيصبو الأول إلى جعل مجموعة من الافتراضات واضحة ، أو أكثر وضوحا لدى المخاطب.

لعل أهم ميزة تتميز بها نظرية الملاءمة تصورها للسياق، إذ لم يعد شيئا معطى بشكل نهائي، أو محددا قبل عملية الفهم، وإنما يبنى تبع التوالي الأقوال ويتألف السياق من زمرة من الافتراضات السياقية تستمد من مصادر ثلاثة[1] .

1–تأويل الأقوال السابقة: إن القضايا التي نحصل عليها مباشرة بعد الالتفات إلى أول الكلام ، وتأويله تخزن في الذاكرة التصويرية، حيث تمثل جزءا لا يتجزأ من سياق تأويل الأقوال المستهدفة في المعالجة، فلا بد من رد آخر الكلام على أوله.

2– المحيط الفيزيائي: قد يشمل السياق أيضا، كل تمثيل قضوي، انبثق من الكلام الذي جرى فيه التواصل، حيث إن الجهاز الإدراكي للمتكلم قد يمثل خصائص الأمكنة بشكل مباشر أو غير مباشر.

3– ذاكرة النظام المركزي: تحتوي ذاكرة النظام المركزي على معلومات مختلفة عن العالم ، نستخدم بعضها في السياق التأويلي.

إن الحديث عن المصدر الأخير يدفعنا إلى طرح سؤال أساسي: كيف نصل إلى المعلومات المخزونة في النظام المركزي؟

يجيب المؤلفان بأن ذلك يمر من خلال سند "الصيغة المنطقية " في مرحلة الأنظمة الدّخل، حيث تضم مجموعة من المفاهيم لكل مفهوم عنوان تصوري في الذاكرة المركزية، يخزن ثلاثة أنماط من المعلومات[2]:

[1] Moschler (jacques)-et A . AUCHLIN, introduction à la linguistique contemporaine, Armand colin Paris, 1998, p : 17

[2] Ibid. p : 179.

أ–المدخل المنطقي: يتضمن معلومات عن بعض العلاقات المنطقية.

ب– المدخل المعجمي: يخص جميع المعلومات المتعلقة بعنصر معجمي. إن مدلول هذا المصطلح لا يختلف كثيرا عن نظيره في النحو التوليدي، حيث يضم المعلومات الصواتية والتركيبية.

ج– المدخل الموسوعي: يضم كل المعلومات التي نكونها حول موضوعات ،أو أحداث أو خصائص تقترن بمفهوم معين.

إذا كانت المداخل الثلاثة مصادر للافتراضات السياقية، فإن ثمة سؤالا يطرح نفسه: كيف تنتقى الافتراضات السياقية ؟

يجيب سبربر وولسن (1986) بأن ذلك يتم بموجب مبدأ الملاءمة.

يتحدد هذا الأخير انطلاقا من وسيطين: الآثار المعرفية والجهد المعرفي، يراد بالمفهوم الأول كل تعالق بين معلومتين ، إحداهما قديمة والثانية جديدة، مما ينتج عنه مجموعة من الحوسبات، كتعديل أو تحسين أو إثبات أو إقصاء افتراضات توجد في ذاكرتنا التصويرية.

يمكن هذا التفاعل بين المعلومات من تمييز المعلومات الواردة عن نقيضها. لا يعني هذا إن درجة ملاءمة الخطاب موقوفة على الآثار السياقية التي تنشا عن تفاعل قضيتين، فلوسيط الجهد المعرفي دور في تقويم مدى ملاءمة الأقوال حسب المبدأ الآتي[1]:

كلما قل الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملاءمة هذا الملفوظ، وكلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهدا كبيرا كانت ملاءمته ضعيفة.

مفهوم الكفاءة: ويقصد بها، تماشيا مع المعنى الأصلي للكلمة، إنجاز الفعل في السياق.

وبصياغة مغايرة ومبسطة، يمكن القول:إن الكفاءة هي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق، هذا الإسقاط الذي يختلف المتكلمون في مستوياته ودرجاته، وبناء عليه تتحدد كفاءتهم التواصلية.

ويجب التنصيص في هذا المساق، على أن مفهوم الكفاءة من جهة، ومستوى الاستجابة من جهة أخرى، باعتبارهما المنتهى في استعمال اللغة، يرتبطان بأحد أهم المبادئ العملية في التحليل التداولي، الذي أرساه فيلسوف اللغة الأمريكي بول غرايس، وهو مبدأ التعاون، القاضي بأن أطراف العملية التواصلية يفترض أن يكونوا متعاونين فيما بينهم لتسهيل الفعل، فالمتكلم يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدع، لغويا، ونفسيا، واجتماعيا، وثقافيا، بل إنه يسخر في ذلك ما قد يعين في التبليغ من التعبير بالإشارة،

[1] Ibid. p 179.

والملامح.. ليجد من المخاطب نفسه تتفرع، برأي غرايس، مبادئ ثانوية في المستوى التكوينين لكنها مهمة من الناحية العضوية، تسمى مبادئ المحادثة(الكمن الكيف، الأسلوب، والمناسبة)[1].

الفعل الكلامي:

-مفهوم الفعل:

تكاد تتفق المعاجم العربية على دلالة عامة للفعل هي: الإنجاز والأداء ، ومن هذه المعاجم مقاييس اللغة الذي ورد فيه أن " الفاء ، والعين، واللام" أصل صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره"[2] على أن هذا الإحداث منه المادي ، ومنه المعنوي فمن المادي قولهم: فعل والفعال- بفتح الفاء- الكرم ما يفعل من حسن[3] .ومن المعنوي قولهم: "كانت من فلان فعلة حسنة أو قبيحة[4]. وكتاب مفتعل؛ أي مختلق موضوع [5] ، لما فيه من تحريف.

وعرّفه ابن الأنباري في أسرار البلاغة بقوله : " فإن قيل لم يسمى الفعل فعلا؟ قيل: لأنه يدل على الفعل الحقيقي ألا ترى أنّك إذا قلت " ضرب" دلّ على نفس الضرب الذي هو فعل في الحقيقة ، فلما دل عليه سمي به لأنهم يسمون الشيء إذا كان منه بسبب ، وهو كثير في كلامهم"[6]

فالفعل بهذا المفهوم يكون حاملا لقيمة تداولية هامة هي أن تسميته قائمة على الاستعمال، والتداول وما يدل عليه ، وهي من المجالات المفهومية للتداولية.

ويعد الفعل الكلامي من أساسيات الأعمال التداولية ، بل النواة المركزية لمفهوم التداول في صورته اللغوية وفحواه كما يقول مسعود صحراوي : أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية، (كالطلب ، والأمر ، والوعد ، والوعيد...) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض، والقبول).

---

[1] وهي مبادئ لم تثبت طويلا فقد تعرضت للتغيير من قبل (harniche-sadock) كما أسقط (sperber و Wilson) المبادئ الثلاثة الأولى و أبقي مبدأ المناسبة، أي مناسبة الكلام لسياق الحال، أو الموقف الذي يجري فيه التواصل. ينظر مدخل إلى اللسانيات ،محمد يونس ص :99، 100.

[2] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، 1991.ج4 ص : 511.

[3] الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مج 15 باب اللام ،ج،4 ص :511 .

[4] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ،ج4 ،ص :511.

[5] الزمخشري ، أساس البلاغة أساس البلاغة ،ص :344 .

[6] ابن الأنباري ، أسرار العربية ،ص :11 .

ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا ؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما[1].

وبتعبير آخر يراد به الإنجاز التأثيري الذي يؤديه مستعمل اللغة بمجرد تلفظه بملفوظات معينة في مقامات تواصلية ، وسياقات تخاطبية خاصة .

وهذا يعني أن اللغة لا تستعمل فقط لتمثيل العالم، ولكن تستعمل بالمقابل في إنجاز أفعال ،أي إن الإنسان المتكلم، وهو يستعمل اللغة، لا ينتج كلمات دالة على معنى، بل يقوم بفعل، ويمارس تأثيرا، وهذا انطلاقا من مناداة رواد المدرسة الفلسفية التحليلية (أو ستين– سيرل) بضرورة اعتماد هذا المفهوم، الذي رسخه أوستين في مجموع محاضراته التي جمعت في كتاب عنوانه: (عندما نقول نفعل، أو كيف تصنع الأشياء بالكلمات)، ليمكن لنظرية جديرة بالاهتمام في المقاربات التداولية، وهي نظرية أفعال الكلام[2]، نشأت فكرة (أفعال الكلام) أو (أفعال اللغة) من أهم مبدإ في الفلسفة اللغوية الحديثة . وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب[3]. مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد، هو العبارات الخبرية كأن تصف واقعا ما. ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، نحو (الجو جميل : صادقة في حال واحدة هي جمال الجو واقعا ، وكاذبة في غير ذلك). وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنه لا يقبل إلا إذا كان خاضعا للتمحيص والتجريب. وأن الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها[4].

ومن الذين تصدوا لهذه الفكرة (أوستين) من خلال محاضراته بجامعة (هارفارد) في 1955، حيث نبه إلى أن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارا[5] ، وهي ليست مقيدة دائما بأن تحيل على

---

[1] مسعود صحراوي ،التداولية عند علماء العرب ،ص ص :54 ، 55 .

[2] Gaune (Jean), Esthétique de la communication (QUE SAIS – JE) , PuF , 1er édition, 1997, p 95 96.

[3] ينظر أحمد المتوكل ، اللسانيات والوظيفية، ص : 18. ومحمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية مصر 2002 م، ص :42.

4 Maingueneau (Dominique) : pragmatique pour le discours littéraire, collection lettres, SUP, Dunod, Paris, France,1977.

[5] Austin: quand dire c'est faire – traduction française de Gilles Lane – postface de : François Recanati- Edition du seuil, 1970 .p18.

واقع فتحتمل الصدق أو الكذب. وأن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته ، مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي، وتأثير في مواقعه.[1]

وأنه أيضا، إلى جانب النوع السابق (العبارات الخبرية أو الوصفية) الذي يقوم على وصف الحدث وتعيينه مقارنة بما يحيل إليه، ويمكن وصفه بالصدق أو الكذب . يمكن أن نصنف نوعا آخر، هو (العبارات الإنجازية أو الأدائية)، وهي " التي تحض على فعل أو تنهى عنه، ..أو التي ترد أوصافا لأحداث. وميزتها هو أن تلفظها إنما ينجز الحدث الذي تصفه".[2]

ومن خصائص هذه العبارات أنها جمل لاتصف واقعا خارجيا ، ولا تعينه ولا تحيل عليه ، مع أنها جمل خبرية ونحو:

1- التزم بالحضور .

2- أعلن عن افتتاح الجلسة .

3- أعدك بالزيارة غدا إن شاء الله .

4- سأعيد لك مالك الشهر القادم بحول الله .

فهذه الجمل ونحوها لا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب ، وهي لا تعكس واقعا موصوفا ، بقدر ما هي أفعال منجزة من المتلقي أو المتكلم على حد سواء .ومن خصائصها أيضا أنها جمل محكومة بالتلفظ بها ؛ حيث إن نطقها سبب في انجاز الأفعال المبنية عليها :ففي (1) وعد وفي (2)أمر بمباشرة أشغال الجلسة وفي (3) وعد وطلب وكذلك في (4)مما يغير في سلوك متلقي هذه الجمل بتوفر ظروف ذلك ، وتنوع المتلقين بتنوع الأخبار وأغراضها ، وهي جمل شبيهة بالجمل المنطوقة على موجّهات (أمر ، استفهام...)[3] إلى آخر العبارات المشروطة بالوضع الاجتماعي العام للمتخاطبين , وطبيعة مقاصد المتكلم من إسعاد السامع أو الإساءة إليه أو إزعاجه أو تهديده أو وعده ...كل ذلك يبقى مرتبطا بنية المتكلم وقصده [4] ومن أمثلة ذلك أيضا :

1- أن يقول رجل مسلم لامرأته : أنت طالق .

---

[1] المرجع السابق ، ص: 14.1 .

[2] سورل ، من سوسير إلى فلسفة اللغة (مقال)، إشراف ومراجعة مطاع الصفدي ،مجلة العرب والفكر العالمي ،ع 13 14 ، مركز الإنماء القومي ،بيروت لبنان ، ربيع 1991 , ص:61 .

[3] ينظر جان سرفوني ، الملفوظية ، ترجمة قاسم المقداد ، من منشورات اتحادكتاب العرب 1996 ص:18,17.

[4] سورل (جون) ، من سوسير إلى فلسفة اللغة مقال , ص:61.

2 –أن يكتب رجل مسلم : أوصي بنصف ما أملك لدار العجزة .

3 – أن يقول ولي امرأة وفي ظروف معروفة لأحد : زوجتك فلانة .

4 – أن تقول الأم فور الولادة : سميته (هارون) .

فيتوفر القصد والنية ؛ حيث يفرض المتكلم نفسه في كل من هذه الجمل مقتنعا بما يلفظه , ويضع مخاطبه في موقع لا يمكنه الرفض والإنكار إذا كان حسن النية .[1] حيث يبدي اهتماما بالحدث كأنه يتمناه في (3) ، أو يصدقه [2] في (1),(2) مثلا ، أو ينبني عنه عمل ما في (4) ، وكذلك في (1) و(2) و(3) بتوفر ذلك تنبني عن هذه الجمل أفعال ، وتغيرات في المواقف والسلوك . ومعناه أن المتكلم ليس محتما عليه أن يجعل أمره في صيغة أمر ، والخبر في صيغة الخبر ، والوعد في صيغة الوعد . وبالمقابل ليس ضروريا أن يتلقى السامع هذا الخطاب النسقي بقدر ما يكون ملزما بتأويل الدلالات ؛ فقد يجد بعض أنواع الطلب في صيغة الخبر ؛ كأن يدخل الأستاذ حجرة الدرس قائلا : الجو خانق فينهض أحدهم لفتح النافذة دون أن يطلب منه ذلك .

وقد يجد طلبا متضمنا في الطلب ؛ نحو سؤال أحدهم لآخر في الشارع هل عندك ساعة ؟ وهو لا يريد معرفة أنه يملك ساعة أم لا بقدر ما يود معرفة الزمن ، وعليه أن يفهم ذلك سريعا أو أن تخاطب ولدك وأنتما على وشك الخروج من البيت : ألم ترتد ملابسك بعد يا هيثم ؟ فهو ليس سؤالا بقدر ما هو تأنيب واستعجال .

ولذلك ميز سورل بين ثلاثة مستويات في أي نشاط اجتماعي[3] :

. مستوى اللسان بعدّه اتفاقات اجتماعية تحملها العبارة دون التلفظ بها. (اللسان بالمفهوم السوسيري).

. مفهوم الحوافز الفردية (الكلام بالمفهوم السوسيري) التي تمنح للعبارة دلالة ما عند التلفظ بها.

. مستوى الاشتراطات الاجتماعية الواسعة، وهو مستوى معقد، يشرح سبب اختيار هذه الدلالة دون غيرها.

وخلاصة هذه الأمثلة ، أنه ينبغي على المشاركين في الخطاب أن يدركوا العلاقة بين شكل الجملة ووظيفتها، وأن هذه الأفعال اللغوية تكتسيها إضافات اجتماعية لها قواعدها ومعاييرها. ولا يمكن فهمها

[1] ينظر جان سرفوني، الملفوظية ص:18,17 .

[2] ينظر فان ديك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحري ، القاهرة ، مصر ،ط1 . 2001 ص :118.

[3] ينظر سورل ،من دوسوسير إلى فلسفة اللغة ص:61.

خارج هذه الشروط التي تحكم إن كانت الأمثلة السابقة ناجحة أو مخفقة، لا صادقة ولا كاذبة، قياسا إلى أن اللغة بهذا المفهوم لا تتجاوز كونها وسيلة تعبير إلى كونها نشاطا اجتماعيا تفاعليا.

وتصبح وفق هذا المفهوم أيضا بنية اللغة لا تختلف عن بنية الفكر ، ووظيفتها تتجاوز كونها وسيلة تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسلوك. ويصير الكلام ذا قوة بلاغية كامنة فيه ، تظهر حال النطق به وقوة أخرى تأثيرية فعلية على مستوى المتلقي ، تظهر من خلال الآثار والنتائج المرتبة .[1]

وبذلك فان تحديد دلالة جملة ما اعتدادا بهذا المفهوم لا يمكن، إذا استمر فصل قيمتها الوصفية عن قيمتها الملفوظية التي تقرها .[2]

وبكلمة: لقد قدمت فكرة أفعال الكلام دراسة نسقيه لعلاقة العلامات عموما بمستعمليها ومؤوليها.[3] وشرحت ما يقوم به التأويل في الخطاب. وللإشارة، فإن الاحتفاء بها لم يكن لدى اللسانيين وحدهم الذين وجدوا فيها مجالا جيدا لحل المشكلات التركيبية ، والدلالية ، ومشكلات تعليم اللغات ، بل احتفى بها أيضا علماء النفس ؛ لأنها وسيلة هامة لاكتساب اللغة ، ونقاد الأدب لفهم ما تتحمله النصوص من فروق تعبيرية، والفلاسفة ؛لأنها مجال خصب لشرح علاقة اللغة بالعالم.

أ . فكرة أفعال الكلام عند (أوستين):

اقترح (أوستين) قسما ثانيا من العبارات إلى جانب (العبارات الوصفية) هو (العبارات الإنجازية) التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها. كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروطا أوضحها الدارسون، ولا تتحقق إنجازيتها إلا بها، هي :[4]

. أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية: (وعد، قال، حذر أوعد..).

. أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم ؛ أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

. أن يكون زمن دلالتها المضارع.

شروط كما نرى تجمع بين المستويين النحوي والمعجمي، وغياب شرط واحد كفيل بتحويلها إلى عبارة وصفية . ويتميز الفعل الإنجازي عن الوصفي (الإخباري) بأن يكون عاكسا للآثار التي ينجزها كلامنا ،

[1] Austin :quand dire c’est faire p13-14

[2] ينظر جان سرفوني ، الملفوظية، ص :18.

[3] ينظر فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش ،مركز النماء القومي ، الرباط ،المغرب 1986 .ص : 60.

[4] ينظر : أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية، ص : 19. أو :

Austin quand dire c’est faire p 50-51

وهو فعل دقيق للغاية ، ثم لا حظ أوستين بعد ذلك أنه يمكن تقدير فعل وفق الشروط المذكورة ، وفي العبارات الوصفية نحو: أقول الجو جميل ، لتصير إنجازية هي الأخرى وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:

. إنجازية (صريحة/ مباشرة)، فعلها ظاهر (أمر ، حض ، دعاء ،نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

. إنجازية (ضمينة/ غير مباشرة) فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد = أقول الاجتهاد مفيد = آمرك أن تجتهد. ونحو قوله تعالى: " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" [1] أقول: احذروا...

هذا، وقد توصل أوستين في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي:

أ – فعل القول (أو الفعل اللغوي): Acte locutoire

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة[2]. ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي. ولكن أوستين يسميها أفعالا: الفعل الصوتي، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية على لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو: توظيف هذه الأفعال حسب معان ، وإحالات محددة، فقولنا مثلا:

إنها ستمطر.

يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي: إخبار بأنها ستمطر، أم تحذير من عواقب الخروج من الرحلة، أو أمر بحمل مظلة، أو غير ذلك.... إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.

ب – الفعل المتضمن في القول:Acte illocutoire

وهو الفعل الإنجازي الحقيقي ، إذ أنه عمل ينجز بقول ما[3]. وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال:

[1] الحديد الآية : 20.

[2] Austin- quand dire c'est faire- p: 109.

[3] Ibid. – p :113.

القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد أمر ، شهادة في محكمة... فالفرق بين الفعل الأول (أ) والفعل الثاني (ب) هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء.

ج- الفعل الناتج عن القول:Acte perlocutoire

وأخيرا يرى أوستين أنه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة) فقد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء أثار في المشاعر والفكر ،ومن أمثلة تلك الآثار الإقناع ، التضليل ، الإرشاد ، التثبيط ... و يسميه أو سنتين : الفعل الناتج عن القول ، و سماه بعضهمٌ الفعل التأثيري في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء. أي: فعل تأثيري (استلزامي): يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن (يرعبه، يجعله ينفعل..). ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة انجازيه وهي:" تفترض تزامنا تاما بين موضوع الملفوظية، والمتلفظ" [1]

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية ميز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية :[2]

. الأفعال الحكمية (الاقرارية): حكم، وعد ، وصف.

- الأفعال التمرسية: إصدار قرار لصالح أو ضد...، أمر، قاد، طلب...
- أفعال التكليف (الوعدية): تلزم المتكلم: وعد، تمنى ، التزم بعقد، أقسم، اندمج في حزب..
- الأفعال العرضية (التعبيرية): عرض مفاهيم منفصلة، بسط موضوع(أكد، أنكر، أجاب، وهب..).
- أفعال السلوكات (الإخباريات): ردود أفعال ، تعبيرات تجاه السلوك : اعتذر، هنأ حيّ، رحبّ...

ونخلص الآن إلى تلخيص البنية العامة للأفعال الكلامية عند أو سنتين في الشكل الأتي :

الفعل الأول : فعل القول، وبنيته كالآتي:

فعل صوتي (إنتاج الأصوات) + فعل تركيبي (إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين)+ فعل دلالي(ربط الأصوات بالدلالة). الفعلان الثاني والثالث: الفعل المتضمن في القول ، والفعل الناتج عن القول :

الفعل المتضمن في القول: وهو القيام بفعل ما ضمن قول شيء .

---

[1] Maingueneau (Dominique) : pragmatique pour le discours littéraire, collection lettres, SUP, Dunod, Paris, France,1977.

[2] ينظر فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص :62. ومصطفى غلفان ، اللسانيات العربية الحديثة، ص : 48.

الفعل الناتج عن القول : وهو مجموع الآثار المترتبة عن الفعل السابق.

النتيجة: الفعل الكلامي الكامل، وبنيته كالآتي:

فعل القول: (قول شيء معين) + الفعل المتضمن في القول (القيام بفعل ما ضمن قول شيء)+ الفعل الناتج عن القول (الآثار المترتبة على الفعل الإنجازي) ، ولعل هذه البنية تتضح أكثر في ما يلي:

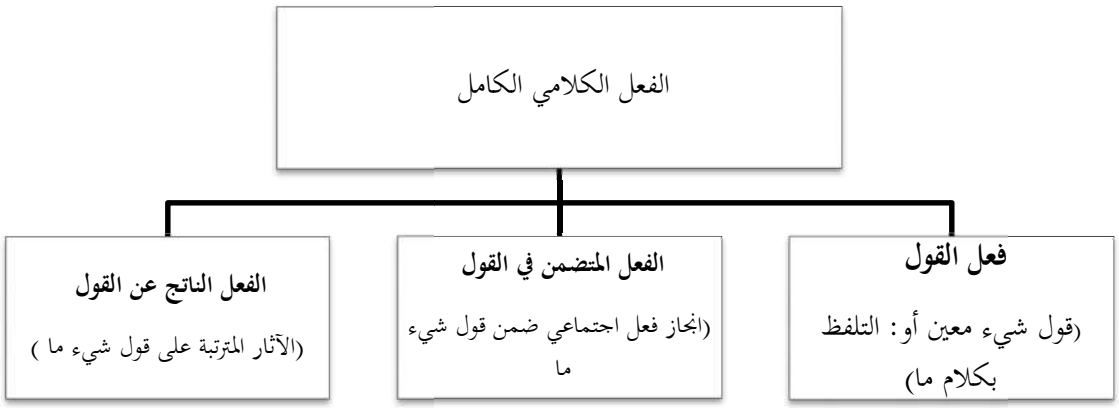

خصائص الفعل الكلامي :

يلاحظ أوستين أنه توجد ثلاث خصائص للفعل الكلامي الكامل:

- أنه فعل دال.
- أنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- أنه فعل تأثيري، (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا)[1].

ب . أفعال الكلام عند (سورل):

هو أول من أوضح فكرة (أوستين) السابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط انجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود.[2]

[1] مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ص : 59

[2] ينظر ، فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية، ص: 66،68.

فقول من في المكتب: " تركت الباب مفتوحا" لمن يدخل عليه، يخضع إلى جملة خطوات لإدراك الفعل المقصود انجازه، منها:

- أن الضجيج في الرواق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ، فهو يأمرني بإغلاقه .
- المكتب مكيف ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا فهو يطلب مني(بشكل ما)إغلاقه . من الأدب أن تغلق الباب كما وجدته مغلقا حال دخولك ، فهو يعاتبني على سوء سلوكي

ومما قدمه سورل أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية ، وميز بين أربعة أقسام [1]

- فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي) .
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي).
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين) .
- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين) .

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها[2].هي :

- الأخبار (تبلغ خبرا وهي تمثيل للواقع)وتسمى أيضا : التأكيدات ، والأفعال الحكمية .
- الأوامر تحمل المخاطب على فعل معين .
- الالتزاميات (أفعال التعهد) وهي أفعال التكليف عند أوستين حين يلتزم المتكلم بفعل شئ معين .
- التصريحيات : وهي الأفعال التمرسية عند أوستين , وتعبّر عن حالة , مع شروط صدقها .
- الإنجازيات (الإدلاءات) تكون حين التلفظ ذاته .

كما أنه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي منها : غاية الفعل، توجيهه ، حالته السيكولوجية[3] ... وسماها شروط النجاح . وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة لغرايس . ووسع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم إلى العرف الاجتماعي اللغوي وجعل للقوة الإنجازية أدلة عليها : (تقديم تأخير نبر ,تنغيم ,علامات ,ترقيم...)

وعليه فانه يمكن أن نقرر مطمئنين أن " نظرية الأفعال الكلامية " في الفكر الأنجلو ساكسوني المعاصر ليست نظرية كاملة ، وينبغي ألا ننظر إليها على أنها نظرية كاملة ، ولكن هذا النقد لا يمس

[1] Searle (J r) les actes de langage essai de philosophie du langage, Collection savoir lettres Hermann, Paris, 1996, p: 60.

[2] المرجع نفسه ،ص : 62.

[3] ينظر فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص : 63.

جوهر " مفهوم الأفعال الكلامية ذاته وإنما يعدل بعض جوانب ذلك المفهوم قصد إيلائه قدرا أكبر من الكفاية العلمية التفسيرية والإجرائية. على رأي مسعود صحراوي[1].

أفعال الكلام بعد أوستين.وسورل.

تناول فكرة أفعال الكلام لسانيون عدة بعد أوستين وسورل وعرضوا الكثير من قضاياها ، لا سيما مفهوم الفعل الإنجازي ، وشروط قيامه ، ومفهوم القوة الإنجازية ووسائل ظهورها في البنية أو إخفاقها ومن أولئك:

أوزوالد ديكرو Oswald Ducrot : ذكر شروط الإنجازية بقوله: تكون جملة ما إنجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك ، ويكون فعل ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازيه[2] . وفي كتابه : (القول واللاقول) حدد نوعا من الأفعال سماه أفعال الرأي ، وهي : "ما يتعلق بالمتكلم ، ويعلم به السامع يقينيا مثل: فكر، علم ، تيقن ، أعتق ، تخيل ، شك ، جهل، تعلم[3] "وهي مجموع أفعال الشك والرجحان واليقين في العربية ، لكنه يجعل استعمالها مشروطا بأمرين :

- الأول أن تسند إلى ضمير المتكلم في المضارع .
- والثاني أن ترتبط بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها وعدمه.[4]

ثم يميز أفعال الرأي هذه عن قسم آخر من الأفعال يسمى أفعال الحجاج " التي تختلف عنها في أنها لا تمثل رأيا لشخص ، ولكن تعني الافتراضات المسبقة للرأي نحو : برهن ، بين ، فند[5] .

ومن الذين انتقدوا أوستين في بعض أقسام الأفعال ، إلى جانب بنفنيست وسورل وغيرهما ، ديترو وريكاناتي[6] واقترحا أربعة أقسام فقط هي :

- أفعال إنجازية .
- أفعال إدراكية .

---

[1] مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ,دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ص : 64.

[2] Cullioli responsable laboratoire de linguistique formelle équipe de recherche associée au CNRS era acte de langage et théorie de l énonciation département de recherches linguistiques drl collection université paris vii France 1985 p: 36 .

[3] Oswald Ducrot dire et ne pas dire principes de semantique linguistique collection savoir sciences Hermann 3em édit paris France octobre 1991 p:266.

[4] المرجع نفسه ، ص : 269.

[5] المرجع نفسه ، ص: 267.

[6] ينظر فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص : 69 ، 70.

- أفعال قوة الإنجاز .
- أفعال قوة الإدراك.

الوظائف التداولية:

من أهم ما تميز به الدرس التداولي تحديده لما يعرف بالوظيفة التداولية للغة حيث تجاوز فكرة الوظيفة الوحيدة للغة (التواصل) التي هيمنت زمنا طويلا إلى تعدد الوظائف ، وأهمها أن اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني ، وتنبني عليها تغيرات في المواقف والآراء .

والحق أن فكرة تعدد وظائف اللغة نشأت مبكرا قبل نضج الدرس التداولي مع (رومان ياكبسون) في مخططه المعروف للتواصل ، وتنوعت مع دارسين آخرين نحو (بوهلر) و(هاليداي) وغيرهما .

والوظيفة . لسانيا . حسب معجم (ديبوا) هي :" الدور الذي تؤديه الوحدة اللسانية ...في البنية التركيبية للملفوظ ، ويعد كل عنصر من الجملة مشاركا في معناها العام.."[1].

وفي معجم (جورج مونان) " تقوم وجهة النظر الوظيفية في تحليل لساني على وصف بنية لغة ما والتي تعرّف قبل كل شيء بأنها وسيلة تواصل ... وفي هذه الحال كل الوحدات اللسانية والعلاقات المتبادلة بينها ، تحلل وتوصف اعتدادا بدورها (وظيفتها)في مؤسسة التواصل[2] .

ومن خلال هذين التعريفين يبدو أن تحديد الوظائف اللغوية التي تكتنف البنى اللسانية يقوم أساسا على فكرة التواصل ؛ ببيان قيمة العنصر ، أو دوره في الجملة بعده واحدا من مكونات عناصر الإبلاغ العام ، ولذلك عدت الدراسات الوظيفية نظريات خطاب لا نظريات جملة [3].

لأنها تهتم بهذا العنصر بوصفه معطى ضمن سياق ومقام معروفين ويكتسب قيمته منهما ، ويؤدي دوره خلالهما .

ولعل أحسن من تناول قضايا الوظائف التداولية في اللغة العربية هو أحمد المتوكل بما قدمه من تأليفات في الموضوع ، يرجع في أغلبها إلى ما عرضه (سيمون ديك) في نظرية النحو الوظيفي ، وبحث مفاهيمها في اللغة العربية أساسا.[4]

---

[1] Dubois (jean) et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse , Paris, 1988,p :216.

[2] Mounin (George), Dictionnaire de linguistique, quadrige PUF, 1974, p: 143-144.

[3] ينظر أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص : 25 .

[4] ينظر من ذلك مثلا: . المرجع نفسه ص : 21 .

- الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء المغرب،ط1 . 1985. ص : 17
- اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) , منشورات عكاظ .1989م .1989 .
- الوظيفة بين الكلية والنمطية دار الآمان للنشر والتوزيع الرباط المغرب 2003.

ولقد ذكر أن التواصل بوجه عام يقتضي ثلاث بنى متضافرة هي البنية التداولية التي تحكمها طبيعة التواصل، وشروط الأداء , ثم البنية المكونية ، وتحددها العلاقات القائمة بين الوحدات اللسانية للبنية . وتليها أخيرا البنية الدلالية التي يحددها مستوى تشكيل معنى الملفوظ سياقا ومقاما [1]

وتعرض كل من هذه البنى بشكل خاص وظائفها المنوطة بها ،حيث تختص البنية التداولية ببيان علاقة التخابر بين المتخاطبين في مقام ما ، ويرتبط إسنادها بكم من المعلومات ونوعيتها التي يعتقد المتكلم توفرها عند المخاطب [2]

ومهمة الوظائف التداولية أن تحدد وضعية مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية في علاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها[3] . فهي إذن وظائف مرتبطة بالسياق والمقام ، وبمدى إنجازيتها في واقع التواصل.

واستنادا إلى سيمون ديك جعلها المتوكل نوعين : داخلية وخارجية [4]. " وتتسم الوظائف التداولية الداخلية بكونها تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها [5]" وتشمل وظيفتي المحور والبؤرة .

أما الوظائف التداولية الخارجية فغير مرتبطة بعناصر الجملة ؛ حيث تستند إلى مكونات خارجة عن الحمل وتشمل وظائف المبتدأ والذيل .

وبذلك فمجموع الوظائف التداولية حسب سيمون ديك أربع ويضيف المتوكل وظيفة خامسة هي وظيفة المنادى فيقول: " ونقترح شخصيا أن تضاف إلى الوظيفتين التداوليتين الخارجيتين وظيفة المنادى التي نعتبرها واردة بالنسبة لنحو وظائف كاف لا لوصف اللغة العربية فحسب ، بل كذلك لوصف اللغات الطبيعية بصفة عامة...[6]

وفيما يلي تعريف هذه الوظائف[7].

---

[1] ينظر أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية ، ص :73.

[2] ينظر أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص : 109، 110 .

[3] ينظر أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية ، منشورات عكاظ ، الرباط، المغرب 1988 .ص: 25.

[4] ينظر مثلا . المرجع نفسه ، ص : 25 .

. أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، ص: 109 ، 110

[5] المرجع نفسه ، ص : 110.

[6] أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 . 1985م . ص: 17 .

[7] المرجع نفسه , ص : 17 .

أ . الوظيفتان الداخليتان :

أ . 1 . الوظيفة المحور : تستند على المكون الدال على ما يشكل المحدث عنه (محط الحديث) داخل الجملة ، والمحور هو الذات التي تشكل محط خطاب ما، أو الذات التي تشكل موضوع حمولة الموضوعات الواردة في الخطاب نحو: متى رجع زيد؟ . رجع زيد البارحة : يشكل زيد محور الجملتين ، وهو محط الحديث فيهما ، ويؤدي وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية (في الأولى محور الاستخبار ، وفي الثانية محور الإخبار).

أ . 2 . الوظيفة البؤرة : تسند على المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية ، أو الأكثر بروزا في الجملة . ولا تسند إلى الحمل، ولا إلى أحد حدوده ، نحو: أغدا ألقاك ؟ (أم بعد غد) ، أو إنما زيد مسافر (غير موجود) ، ويقترح لها المتوكل قسمين :

- بؤرة الجديد : ترتبط بالمكون الحامل للمعلومة المجهولة لدى المخاطب لا المعروفة . ولا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بينه وبين المتكلم .
- بؤرة المقابلة :ترتبط بالمكون الحامل للمعلومة التي هي محل شك ، أو إنكار من المخاطب .

ب . الوظائف الخارجية :

ب . 1. الوظيفة المبتدأ : المبتدأ هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا نحو: (زيد, أبوه مريض) ومن خصائصه ؛ أن يكون معرفة لدى كل من المخاطب والمتكلم ، وأن تكون إحالته مرتبطة بالمقام ؛ أي بالوضع التخابري بين المخاطبين فجملة (الشجرة تساقطت أوراقها) غير محيلة ؛ لأن الشجرة وإن كانت محلاة بـ (أل) فهي لا تقدم معرفة كاملة

ب. 2 . الوظيفة الذيل : تسند إلى المكون الدال على الذيل ، وهو الحامل للمعلومة التي توضح معلومة داخل الجمل أو تعدلها أو تصححها مثل (أخوه مسافر ، زيد ساءني سلوكه ، زارني خالد بل عمرو) ومن خصائصه أيضا الإحالية وهي : مفهوم تداولي مرتبط بالمقام ، وبالوضع التخابري القائم بين المتكلم والسامع بشكل خاص .

ب . 3 . الوظيفة المنادى: تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين ، وينبغي التمييز بين النداء بعده فعلا لغويا ، شأنه شأن الإخبار، أو الاستفهام ، أو الأمر وبين المنادى بعده وظيفة ؛ أي علاقة تسند إلى أحد مكونات الجملة ؛ فالوظيفة التداولية مرتبطة بالمقام وعلى نحو ارتباط وظيفة المبتدإ أو الذيل ...

المبحث الرابع:

السياق: مفهومه وعناصره وأنواعه

إذا كانت التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين، وأحوال المخاطبين ، فهذا يعني أن السياق هو من دعائمها ومقوماتها الأساسية ؛لأنه يمنح الكلمة مفهومها الخاص التي ترد فيه، كون نظام اللغة متشابك العلاقات في وحداته من جهة، ومفتوحا على دلالات متجددة ومتغيرة بتجديد وتغيير البنية المعجمية والتركيبية من جهة أخرى، فالكلام لا يتضح المراد منه ما لم نعرف السياق الذي سيق من أجله، وإلا انتفى حصول التواصل ولم يصل المقصود.

فأي فهم لخطاب لغوي معين لا يمكن تحقيقه إلا إذا قمنا بتقصي الأحوال الاجتماعية والنفسية والأوضاع التاريخية التي أنتجت لنا خطابا مختلف المعارف والتجارب الإنسانية بتعبير جون دي بوا Jean de bois هو مجمل الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي،واستعمال اللغة ،وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي، والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما[1].

كما يعسر الوصول إلى نظرية كاملة للسياق ؛لأن الوصول إليها يمثل كل المعلومات المتوافرة عن المتكلم والمستمع ، والظروف المحيطة بها بتعبير منال محمد هشام سعيد نجار[2].

ومع هذا فإن نظرية السياق كما يقول أولمان: (تمثل حجر الأساس في علم المعنى وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن)[3].

وحول صعوبة تحديد مصطلح السياق في الدراسات الحديثة يقول محمد حبلص: (إذا كنا نشعر بالصعوبة الواضحة في تجليه المقصود بالسياق بوصفه مصطلحا، فإن مرجع هذه الصعوبة –في نظري- هي محاولة العثور على تعريف للمصطلح من ذلك النوع الجامع المانع كما يقول المناطقة فسوف أولي وجهي شطر ناحية أخرى لعلها أجدى من تجلية المقصود بالسياق من محاولة البحث عن مثل هذا التعريف العصي، أعني بذلك صرف الجهد في التعرف على خصائص السياق، وفهم عناصره وبيان دوره في تحديد المعنى[4].

---

[1] Jean de Bois et autre, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1973, p : 120-121.

[2] منال محمد هشام سعيد نجار، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية ، عالم الكتب الحديث، ط 1 ، 1432 هـ – 2011 م اربد الأردن ، ص : 19.

[3] أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص: (66،67).

[4] حبلص محمد يوسف ، البحث الدلالي عند الأصوليين ، مكتبة عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 1991، ص : 28.

يقر محمد حبلص بصعوبة العثور على تعريف لمصطلح السياق تعريفا مانعا جامعا ، ولهذا السبب يصرف النظر إلى البحث عن خصائصه ، وفهم عناصره وبيان دوره ، لكن هناك من حاول وضع تعريف اصطلاحي لمصطلح السياق كما جاء في معجم المصطلحات الأدبية لإبراهيم فتحي، فالسياق عنده (بناء نصي كامل من فقرات مترابطة في علاقة بأي جزء من أجزائه، أو تلك التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة ودائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيقة الترابط بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها)[1].

يعني أن السياق هو الذي يمنح الكلام المعني المقصود في أي بناء نصي أو كلامي، بإلقائه الضوء على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة.

لقد استعملت كلمة السياق حديثا في معان مختلفة، فقسمت إلى سياق لغوي وسياق عاطفي وسياق موقفي وسياق ثقافي، ويشرح أولمان السياق حيث يرى أن السياق يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة بل والقطعة كلها والكتاب كله، ويشمل أيضا كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها في هذا الشأن[2].

ونفهم من خلال هذا القول أن هناك سياقين : سياقا لغويا وسياقا غير لغوي ، والسياق المقصود في هذه الدراسة هو السياق غير اللغوي ،وهو المقام في علم العربية وهذا الذي يندرج تحته السياق العاطفي والسياق الاجتماعي والسياق الثقافي، أما السياق اللغوي فيتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ،وهو النظم في علم العربية، وأما السياق غير اللغوي فهو مجموع الظروف الاجتماعية، أو العلاقات الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي،[3] فما السياق وما أنواعه؟ وما عناصره؟

[1] ابراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات للنشر والتوزيع ،ط1. القاهرة 2000.م ص :245.

[2] أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص :62.

[3] بالمر ، علم الدلالة إطار جديد ، ص: 61،60.

1 – تعريف السياق لغة واصطلاحا

أ – تعريف السياق لغة :

جاء في لسان العرب: (ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسوّاق (...) وساق إليها المهر والصداق سياقا (...) وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت، ويقال فلان في السياق؛ أي في النزع (أثناء الموت)، والسياق نزع الروح[1].

ونفهم من كلام ابن منظور أن السياق يأتي بمعنى حاد وقاد، ومعنى أعطى، ومعنى نزع.

وذهب ابن فارس إلى أن:(السين، الواو، والقاف) أصل واحد وهو حدو الشيء ويقال:ساقه يسوقه سوقا والسيقة ما سيق من الدواب والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق[2].

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: (ساق النعم فانساقت ومن المجاز:ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر... وساق الريح السحاب، وهو يسوق الحديث أحسن سياق... وجئتكم بالحديث على سوقه ؛ أي على سرده)[3].

وجاء في قاموس petit Larousse لفظ contexte أي السياق وهو اسم لاتيني مذكر ورد contexte ومعناه مجموع النص الذي يسبق، أو يلي جملة، أو مجموعة من كلمات أو كلمة[4].

ب – تعريف السياق اصطلاحا:

السياق هو الجو العام الذي يحيط بالكلمة ، وما يكتنفها من قرائن، وعلامات يشعر بترجيح فهم أو تأويل دون غيره. أو هو ما سيق الكلام من أجله بتعبير العطار[5].

السياق هو الجو العام الذي يتم فيه الحدث الكلامي ، فهو يشمل الزمان والمكان والمتكلم والسامع والأفعال التي يقوم بها ، ومختلف الأشياء والحوادث التي لها صلة بالحدث الكلامي، ويتسع السياق ليشمل المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع ، ولكل الأعراف التي لها علاقة بالموضوع والاعتقادات والمسلمات السابقة المعتد بها من قبل الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها المتكلم والسامع .[6].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب .مادة" سوق ".

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، (س ، و ، ق)' ص :117.

[3] الزمخشري ,أساس البلاغة ص: 225.

[4] Petit Larousse en colleur, édition Larousse, Paris, 2006, p: 295.

[5] العطار ، حاشية العطار على جمع الجوامع ، ج1 ، ص: 320.

[6] منال محمد هشام سعيد نجار ، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية ، ص: 20.

2 – أنواع السياق:

تتنوع السياقات بتنوع الظروف المحيطة بإنتاج نص ما سواء أكانت الظروف داخلية أم خارجية لأن دراسة معاني الكلمات تتطلب عند أصحاب نظرية السياق تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي[1].

فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة، فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحريرها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[2].

لذلك تعتمد اللغة على السياق في تحديد وضبط معانيها، وإزالة الإبهام عنها ، فالسياق هو الذي يحدد ما إذا كان المقصود هو المعنى الأصلي أو المجازي، وذلك عن طريق اعتماده على مجموعة من الظروف الحسية النفسية المحيطة بالنص ، وكذلك المحيط الاجتماعي ؛ لأن السياق يعتمد على معرفته بالعادات والتقاليد ، والحياة الروحية والدينية والاجتماعية بصفة عامة في تحديد المعنى[3].

ولذلك اقترح (Ammer) تقسيما للسياق ذا أربع شعب[4] كما يراها هو لغوي، وعاطفي واجتماعي وسياق الموقف وهو ما يسمى بالسياق غير اللغوي أما:

أ– السياق اللغوي:

فيتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية،وهو النظم في علم العربية.

فمهمة الصوت الوظيفية داخل السياق تظهر في تأدية الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات، وتكتسب المورفيمات قيمة دلالية إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين، وتتكون البنية التركيبية من شبكة العلاقات القواعدية التي تتحكم في بناء الوحدات اللغوية داخل نص ما كالإعراب الذي يمثل قرينة بيانية يسهم في توضيح المعنى . فهو حصيلة استعمال اللغة داخل نظام الجملة ، عندما تساوى مع كلمات أخرى مما يكسبها معنى خاصا محددا، فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه "المعجم"، لأن

[1] أحمد محمود قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص: 295.

[2] تمام حسان ، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2000م ص: 68.

[3] تمام حسان ، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب ، ط2 ، 2000م ص: 220.

[4] عون نسيم ، الألسنية في علم الدلالة، دار الرابي ، بيروت ، ط1، 2005م .ص: 220.

هذا الأخير متعدد ومتحول، في حين أن المعنى الذي يقدمه "السياق اللغوي" هو معنى معين له حدود واضحة، وسمات محددة غي قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم...[1]

فالسياق اللغوي إذن: " هو الاعتماد على الوحدات الدلالية وتجاورها في تركيب ما ، بحيث لا يحدد معنى وحدة دلالية معينة ما لم ينظر إلى ما صاحبها في التركيب ، لأن الكلمات تدخل في تركيب ما تشكل نسيجا لغويا يعتمد كل جزء فيه على الآخر ،فهو يتعلق بالنظر إلى بنية النص ، ومهمته توضيح أبعاد الدلالة الغامضة في اللفظ ، وكل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة ، وما يحتويه من قرائن تساعدنا على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية ، وهي تسبح في نطاق التركيب"[2] ، لذلك وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية والدلالية) للوقوف على ذات الكلمة وأهميتها، ومن أمثلة ذلك: عندما ترد كلمة " عين" في العربية: وهي من "المشترك اللفظي " في سياقات لغوية متعددة ، يتبين للدارس ما تحمله من معان مختلفة باختلاف كل سياق ترد فيه ، فكل سياق آت ترد فيه كلمة "عين" يقدم معنى واحدا تتجه إليه الأفهام و تترك ما سواه، فنقول مثلا:

- عين الطفـــــــل ـــــــــــــــــــــــــ العين الباصرة.
- عين جارية في الجبل ـــــــــــــــــــــــ العين هنا هي عين الماء
- هذا عين على العدو ـــــــــــــــــــ العين هنا بمعنى الجاسوس
- الرجل عين من الأعيان ـــــــــــــــــــ العين هنا السيد في قومه.

نستنتج مما سبق أن السياق اللغوي هو الذي يكشف عن المعنى المقصود داخل التركيب ، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النظم من خلال جملة أو فقرة أو غيرها.

ب – السياق غير اللغوي: ويسمى بسياق الحال وهو المقصود بالدراسة وهو الجو العام الذي يتم فيه الحدث الكلامي فهو يشمل الزمان والمكان والمتكلم والسامع والأفعال التي يقومون بها، ومختلف الأشياء والحوادث التي لها صلة بالحدث الكلامي، ويتسع السياق ليشمل المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع لكل ما له علاقة بفهم المنطوق ، كما يتسع ليشمل القبول الضمني من قبل المتكلم والسامع لكل الأعراف التي لها علاقة بالموضوع، والاعتقادات والمسلمات السابقة المعتد بها من قبل الجماعة اللغوية التي

[1] عون نسيم ، الألسنية ، محاضرات في علم الدلالة ، دار الفارابي، بيروت، ط1،2005، ص: 159. وأحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص :295.

[2] عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 2002، ص: 542-543.

ينتمي إليها المتكلم والسامع[1]. أطلق عليه الدكتور : "كمال بشر" اسم : "المسرح اللغوي"، كما سماه "فيرث" سياق الحال، ويعرفه: " بأنه جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع –إن وجدوا – وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي ممن يشارك في الموقف الكلامي، كحالة الوضع السياسي، المكان، الكلام،....[2] ، فهو بذلك يركز على الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي بجمع عناصره انطلاقا من: (المرسل ــ الوسط ــ المرسل إليه) يجمع مواصفاتها وتفصيلاتها، فالكلام " لا ينطق بمعزل عن إطاره الخارجي" ، لذلك تقول العرب: "لكل مقام مقال"، وكان البلاغيون أكثر القوم احتفاء واهتماما بهذا المنظور، لذلك يجب فهم كل القرائن التي تحيط بدائرة النص في تحديد أبعاده الدلالية.[3]

وينقسم هذا النوع من السياق إلى:

أ– السياق العاطفي: هو ما سيق لأجله كلمة مستعملة في دلالتها العاطفية الخاصة ، وهو الذي يوضح لنا أنها مقصود بها التعبير عن العواطف ، والانفعالات، لذلك تنتقى الكلمات ذات الشحنة القوية خاصة عندما يتعلق الحديث بأمر فيه غضب وشدة،كما يظهر الدور الفعال للسياق العاطفي في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية، حيث تنطق الكلمة ، وهي تمثل معناها تمثيلا حقيقيا مع ما يصاحبها من إشارات الكلام ، من هذا القبيل " النبر " ،" الإيقاع" ، " التنغيم"، واختيار الكلمات ونظام ترتيبها ومواقعها... كلها مجتمعة أو متفرقة قد تظفر بإحداث التأثير، وتنويع التعبير عن الانفعال[4].

ب – سياق الموقف : يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، فاستعمال كلمة يرحم في مقام تشميت العاطس بقولنا يرحمك الله، وفي مقام الترحم بعد الموت: الله يرحمك فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف.

وبالتالي لا بد للدارس اللغوي أن يتفعال مع المقام المتكون من العناصر الآتية، والتي تمثل عناصر أساسية في سياق الموقف وهي :

---

[1] منال محمد هشام سعيد نجار، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، ص : 20 .

[2] السعران محمد ، علم اللغة، مقدمة إلى القارئ العربي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ، 1997، ص:338.

[3] عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان، ط1، 2002 ، ص:338.

[4] عون نسيم ، الألسنية، محاضرات في علم الدلالة ، ص: 160.

- الكلام الفعلي: أي ما دار بين المتكلمين خلال الموقف الكلامي.
- طبيعة المتحدثين: يعني من هم المتحدثون الذين دار بينهم الحديث؟ ومعرفة كلا واحد منهم هل هو مسؤول يحدث أحد موظفيه؟، أم أب يكلم ابنه...؟، لأن علاقة المتكلم بالسامع تقتضي نوعا من الحديث المؤطر والمقيد بتلك العلاقة.
- طبيعة الأشياء المتحدث عنها: يعني بذلك: عم يدور الكلام؟ ولماذا؟
- الأفعال المصاحبة للكلام: فيجب أن ترى الشخص، أو يوصف لك، كيف كان يتكلم...؟، هل كان يبدو من ملامحه الغضب أو المرح أو الرضا أو الضجر أو المزاح؟ ، أي لابد من أن نرى المتغيرات المصاحبة للكلام على وجه المتكلم.
- زمن الكلام: مثلا: أعند الفجر؟ أعند العشاء؟ في أي وقت كان وقت الكلام...؟ لأنه لا يمكن الاستغناء عن عنصري الزمان والمكان اللذين ورد فيهما الحدث اللغوي من أجل الوصول إلى المعنى المبتغى.

هذه العناصر هي التي جعلت من الدكتور تمام حسان يقر بأسبقية العرب الذين عرفوا سياق الموقف قبل ألف سنة أو ما فوقها، إلا أن كتبهم لم ترق إلى مستوى الدعاية على المستوى العلمي مقارنة مع الدراسات الغربية الحديثة بسبب نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات[1].

ج- السياق الثقافي: يعرف هذا النوع من السياق على أنه المجال أو الإطار الاجتماعي أو الثقافي الذي ينتمي إلى الكلام، إذ يسهم السياق الثقافي في تحديد المحيط الذي تتواجد فيه الوحدات المستعملة، وغالبا ما يكون المحيط اجتماعيا[2].

يختلف استعمال اللغة واختيار المفردات بالنسبة للأشخاص باختلاف طبقاتهم الاجتماعية فلكل يختار ما يناسبه من المفردات اللغوية بحسب درجته الثقافية وطبقته الاجتماعية، فيسهم السياق الثقافي في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداما عاما ، أو التي ترتبط بثقافة معينة لتكون علامة لانتماء ديني أو سياسي ، فمثلا كلمة فتح ، لها دلالة ثقافية تاريخية إيجابية تدل على حرب وكسب الأرض، لا تساوق بحال من الأحوال استخدام كلمة احتلال.

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:372.

[2] عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص : 224.

الآن يتضح لنا أن السياق يحتوي على كل عامل مؤثر في تفسير التعبير، أو يمكننا القول: إن السياق هو الأجزاء المحذوفة من السياق اللغوي.

وباختصار. إن السياق على أعم الأقوال، يجب أن تتوفر فيه المظاهر الآتية:

1-متكلم ومستمع واحد على الأقل.

2- كلمة واحدة ، أو قول واحد على الأقل.

3- تظهر الكلمات ، أو الأقوال في زمان ومكان معينين.

4-تشير هذه الكلمات ، أو الأقوال إلى معان، تتعين ضمن السياق

بالنظر لأهمية السياق في دراسة وتحليل القول الطبيعي، نجد القدماء قد أدركوا جيدا ما له من دور خطير في توجيه المعنى , فلا نكاد نجد مفسرا ولا أصوليا ولا لغويا إلا ويعتبر السياق في كل إجراءاته وتطبيقاته وعيا منه بما يكون لعناصر السياق من دور في إضاءة مجاهيل نصه الذي هو مجمع أقوال طبيعية لرفع غموضه.

ولذلك كان حضوره قويا في النص العربي القديم تحت مسمى المقام ، وكما أن السياق هو المحور الذي تدور حوله البراغماتية ، فالمقام هو المحور الذي تدور حوله البلاغة العربية.وتدفع أهمية السياق بماكس بليك إلى إعادة تسمية البراغماتية بالسياقية فلا غرو أن نسمي البراغماتية بالمقامية وهكذا نرى أن للبراغماتية جذورا ممتدة في تراثنا البلاغي والنحوي والنقدي ... فقد أدرك بلغاء العربية القدامى ظاهرة السياق من خلال عبارتهم مقتضى الحال التي أنتجت مقولتهم : لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبتها مقام .فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة المقام ، وربطها بالتركيب والصياغة ,فربطوا الشكل اللغوي أو الأسلوب اللغوي بالمقام ، أو ألحوا على قيمة دراسة كيفية عمل الكلمات دراسة مفصلة , فأصبح معيار الكلام في باب الحسن ، والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق بمقتضى الحال والمقام[1] . وفي هذا الشأن يقول الجاحظ:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني , ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات [2]

[1] منال محمد هشام سعيد نجار ، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية ,ص: 24 .

[2] الجاحظ ، البيان والتبيين. ج1 ص: 138 ،139 .

ومجمل القول: إن الكلام يرتبط بطبقات السامع ؛ أي مقامه الاجتماعي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات [1] كما يرتبط بحاله وقت تلقيه الكلام ، فلا بد أن يراعي المتكلم هذا المقام الاجتماعي بالإضافة إلى مراعاة حال سامعه؛ فيأتي بالمعنى فيما يليق بهما وإيراد ما يقبل عليه ، وتجنيبه ما يكرهه وينكره ، وما لا يحتمله قبله ، ولا يسعه صدره ولا يليق به قبوله . فهذا ما قصده الجاحظ بأقدار المعاني وأقدار المستمعين وأقدار الحالات وأقدار المقامات .

ويتابع أبو هلال العسكري (395هـ) قائلا: " لا يكلم سيد الأمة بكلام العامة ، ولا الملوك بكلام السوقة ؛ لأن ذلك جهل بالمقامات ، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام وأحسن الذي قال : لكل مقام مقال[2].

فطبقة السامعين تحدد المعاني والألفاظ التي يستخدمها المتكلم " فيخاطب السوقي بكلام السوقة , والبدوي بكلام البدو , ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه ؛ فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب[3] "

يبدو أن بلغاء العربية في هذه الرحلة جعلوا المقام مقامين : مقام الخاصة ومقام العامة أو مقام الملوك والسادة والبدو ومقام السوقة والعامة والأعاجم .كما يتضح أن مقام البدو يناسبه وحشي الكلام ومقام السوقة يناسبه الكلام السهل .

ومن هنا يتضح أن المقامات متغيرة ما عدا مقام الكلام مع الذكي، ومقام الكلام مع الغبي.والذي نقصده بقولنا متغيرة، أن مقام المدح أو الذم . مثلا يرتبط بظرف خارجي (وقتي) يجد السامع نفسه فيه ولابد للمتكلم أن يأخذه بالاعتبار. أما الحالة الأخيرة مقام الكلام مع (الذكي، الغبي) فيرتبط بوضع ثابت متعلق بالسامع لا يفرقه.وبمعنى آخر يكون المقام ثابتا إذا أريد منه المقام العقلي للسامع (الذكي الغبي) ، أو المقام الاجتماعي (السوقي والمملوك...) ويكون متغيرا إذا أريد منه غرض السامع ومقصده – من الأحوال المتصلة بالمتكلم –كالشكر، والمدح والذم...

---

[1] المرجع السابق ، ص: 144.

[2] أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) ،كتاب الصناعتين ، تحقيق محمد علي البجاوي . محمد أبو الفضل ابراهيم ،المكتبة العلمية بيروت ، 1419 هـ . 1998 م . ص : 27.

[3] المرجع نفسه ، ص: 29.

أما الحال عند الجاحظ فهي حال المتكلم أو حال السامع، حال متغيرة ومتبدلة من جهة ، ومصاحبة للحدث الكلامي في عملية الاتصال من جهة أخرى. يقول الجاحظ: وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولهما اللفظ، ثم الإشارة[1]، ثم العقد [2]ثم الحظ، ثم الحال التي تسمى (نصبة). والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات[3] ثم يقول في موضع آخر: وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد[4] ثم يوضح الحال بقوله ولو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة، وجملة الحال في صواب التبيين، لأعربوا عن كل ما تخلج في صدورهم، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم،...، ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب، ومعدول بالهوى عن باب التثبيت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم[5].

أما الحال عند الشريف الجرجاني فهي الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته[6]، وهي ارتفاع شأن الكلام الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به[7]. أي: مقتضى الحال

وإذا وقفنا عند السكاكي وهو الذي شكل المرحلة التالية، مرحلة الضبط والتقعيد نشاهد فيها تطور مفهوم المقام حيث تجاوز دائرة الطبقية إلى تفصيل جزئيات المقام.

ففي إطار علم المعاني يرى السكاكي أن للكلام مقامات إذ يقول: لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام

---

[1] تكون الإشارة باليد وبالرأس , وبالعين والحجب , والمنكب , إذ تباعد الشخصان , وبالثوب والسيف , وقد يتهدد رافع السيف والسوط , فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا , ويكون وعيدا وتحذيرا , والإشارة واللفظ شريكان , ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه ينظر الجاحظ ، البيان والتبيين . ج1 ، ص : 77، 78 .

[2] العقد ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين، يقال له حساب اليد.

[3] الجاحظ ، البيان التبيين ج1 ، ص : 76.

[4] المرجع نفسه ، ص : 81.

[5] المرجع نفسه ج1، ص: 84.

[6] الشريف الجرجاني التعريفات ، ص :40 أي فصاحة الكلام: وهذا معناه خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات والتعقيد، مع فصاحة الكلمات .

[7] السكاكي ، مفتاح العلوم- ، ص: 256.

ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل مقتضى غير مقتضى الآخر[1].

فيؤكد أن مجيء كل مقتضى على ما يمليه حال السامع هو مدار حسن الكلام، ثم يعقب على قوله هذا بأن إخراج الكلام على ما يقتضيه حال السامع ، وعلى الوجوه المذكورة ، هو ما يسمي(إخراج مقتضى الحال)، ثم يذكر هذه الوجوه : وهي إطلاق الكلام أو تقييده، طي ذكر المسند والمسند إليه أو إثباته، الفصل والوصل، الإطناب والإيجاز ...الخ.

فان كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وان كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه ، فحسن الكلام تركه...[2].

وواضح أن دلالة الحال عندهم كانت جلية الملامح ترتبط بمتغيرات أطراف الخطاب، ومكونات التركيب، فتوقف ابن خلدون عند ذلك فقال: إن الكلام هو التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول، أو مبهم أو معرفة[3].ثم ارتبطت من بعد بالحالات النفسية أو الوجدانية أو الذهنية للإنسان وتقلباتها ،فلكل مقام مقال

ولا ينفك حازم القرطاجني يؤكد صلة الشعر المكينة بالإنسان وأحواله النفسية ،وبأن أحوال الناس لا تخلو من أن تكون مفرحة، أو شاجية، أو مفجعة ، أو سارة وشاجية ، أو سارة ومفجعة أو مؤتلفة من الثلاث، وعندها وجب أن تكون الأقاويل منقسمة بهذا الاعتبار... إلى أقسام: أقوال مفرحة، وأقوال شاجية، وأقوال مفجعة[4]... يقول القرطاجني: وكانت النفوس تختلف فيما تميل إليه من هذه الأقسام بحسب ما عليه حالها، فإنها ليست تميل إلا إلى الأشبه بما هي فيه[5].

اقتفى المحدثون أثر القدماء في إبراز دورهما؛ يقول تمام حسان أن البلاغيين عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمون ألف سنة تقريبا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي "المقام" و"المقال" باعتبارهما أساسيين

[1] المرجع السابق، ص: 256.

[2] المرجع نفسه ، ص:256.

[3] ابن خلدون ، المقدمة ، مكتبة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان،ط2، 1961م ص: 519.

[4] حازم القرطاجني (ت 684هـ) منهاج البلغاء، وسراج الأدباء ، تونس، دط، 1966 ، ص : 356،357.

[5] المرجع نفسه، ص :357.

متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة [1].

ويتابع قائلا : "إذا قال البلاغيون (مقتضى الحال): فالمعنى هو ما يتطلبه أحد الأنماط النوعية للمواقف من رعاية في الكلام، وهكذا يمكن للمرء أن يفكر في (أنواع) من المواقف ، لكل منها مطالب أسلوبية معينة"[2]. ويتساءل نهاد الموسى إلى أي مدى جعل النحاة العرب "محيط الحدث الكلامي" "وسياقه " والمتغيرات الخارجية، التي تكتنف مادة الكلام أصلا في وصف الظاهرة النحوية وتفسيرها؟

فهو قصد في دراسته أن يستطلع في تراث الدرس النحوي هذا الأصل . فهو يراه مستأنسا لديهم باطراد مستشعرا في تحليلاتهم على نحو يمثل استخراجه إحياء لأصل من أصولهم صدورا عنه ، وإن لم يصرحوا به تصريح اللسانيات الاجتماعية والحقول الملابسة لها في هذه الأزمنة[3]. ونبه محمد العمري إلى أهمية فكرة مراعاة المقام والحال في البلاغة العربية بوصفها " عنوانا للعلاقة بين الخطيب والمستمع ، فالبلاغيون العرب ، وإن لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي ،حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال، ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين"[4].

ورأى سعد مصلوح في فكرة (مقتضى الحال) عند السكاكي "مشروعا طيبا يمكن الانطلاق منه وإعادة النظر فيه لصياغة طراز، يتسم بالدقة والشمول في ضوء نظرية الإبلاغ الأدبي، واللسانيات النفسانية والاجتماعية"[5]. كما أنه في معرض دعوته إلى الانتقال بالعربية من نحو الجملة إلى نحو النص،

---

[1] تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3 ، 1985 م ص : 337 .

[2] تمام حسان .المصطلح البلاغي في ضوء البلاغة الحديثة ، مجلة فصول، م7، ع4، 3أبريل ، سبتمبر 1987م، ص (29).

[3] نهاد الموسى. منزلة السياق في نظرية النحو العربي ، ضمن كتاب الصورة والصيرورة: بصائر في أحوال الظاهرة النحوية ونظرية النحو العربي، ص :(121)، (125).

[4] ينظر محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ط2، 2002م. ص :(18).

[5] سعد مصلوح . مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ضمن قراءة جديدة لتراثنا النقدي، ع 59، المجلد، الآخر، النادي الأدبي الثقافي بجدة، 1990م، ص :(865).

رأى في علم المعاني نوعا من النحو المقامي، ومن ثم دعا إلى إعادة النظر في " صيغ النحو المقامي في البلاغة العربية ، فهي أوثق صور النحو القديم عروة بنحو النص"[1].

وأما محمد صلاح الدين الشريف ففي سياق تقديمه للاتجاه البراغماتي، ذكر مجموعة من المدارس النحوية التي تلتقي مع أوستن في دراسة التعامل داخل المؤسسة اللغوية في إطار اجتماعي عام، ومنها البلاغة العربية وبدراستها للإنشاء والخبر في باب علم المعاني"[2] " ولا تواصل ممكن إذا كان الخطاب مجرد تراكم لعبارات لغوية لا ينتظمها جامع مقامي"[3] فبنية العبارات اللغوية تعكس إلى حد بعيد المضامين التي تحملها والأغراض التواصلية التي تحققها في طبقات مقامية معينة[4]، ولا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب، بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة[5]، كما يقول أحمد المتوكل. وأول مبدإ من مبادئ انسجام النص عند محمد خطابي هو "السياق" /"المقام" الذي يتشكل من تشابك فضاءات عديدة ، تؤدي دورا فعالا في تأويل النص كالمتكلم والسامع والزمان والمكان[6].

وما المقامات عند حمادي صمود إلا "جملة الظروف الحافة بالنص بما في ذلك السامع"[7] وأخيرا يقول محمد مفتاح: " كلما راعى المنتج للخطاب مقامات الخطاب كان أقرب إلى الإقناع وإلى الإمتاع[8].

وإجمالا ، فهذه الأنواع من السياقات متداخلة ومترابطة ، فلا يستغني أي منها عن الأنواع الأخرى، وبهذا يصبح المنهج التداولي كافيا، لأنه يشير إلى وجهات نظر معينة وتوجه معروف نحو اللغة والعلامات الأخرى

---

[1] سعد مصلوح العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت (دراسات مهداة إلى ذكرى عبد السلام هارون إعداد وديعة طه النجم، عبده بدوي، 1990م، ص:(427).

[2] محمد صلاح الدين الشريف . تقديم عام للاتجاه البراغماتي –، ضمن كتاب (أهم المدارس اللسانية) المعهد القومي لعلوم التربية،تونس،1986م، ص:(97،98).

[3] أحمد المتوكل . مبدأ الوظيفية وصياغة الأنحاء . مجلة المناظرة، س2 ،ع3، (1410هـ1990م)، ص: (39).

[4] المرجع نفسه، ص: (37).

[5] أحمد المتوكل ، التمثيل الدلالي التداولي في النحو الوظيفي من بنية خطية إلى بنية متعددة الطبقات ، مجلة المناظرة، س3، ع5،1992م، ص:(8).

[6] محمد خطابي . لسانيات النص ، ص :(52،56).

[7] حمادي صمود التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ص :(302).

[8] محمد مفتاح، بعض خصائص الخطاب ، علامات ، ج35،مج9 ، 1420هـ – 2000م، ص :(30).

ومن البديهي أن السياق بهذا التنوع يضيق ويتسع، وينعكس هذا التنوع على الخطاب: في شكله والقصد منه وتأويله، فالسياق هو دليل المرسل في اختيار إستراتيجيته الخطابية.

3- عناصر السياق:

يتطلب السياق عناصر مختلفة، تظهر في :

أولا: عنصر ذاتي فما هو؟ هو معتقدات المتكلم فكل متكلم له معتقدات ، وأيضا مقاصد المتكلم فهو حين يتكلم يقصد شيئا، وكذلك اهتمامات المتكلم، فقد تكون له أهداف، فينبغي أن تدخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظاهرة اللغوية، ثم ينبغي أيضا أن نراعي في هذا العنصر رغبات المتكلم، فإذن هناك الاهتمامات ، والرغبات ، والمقاصد ، والمعتقدات، كلّها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق ، ثم العنصر الثاني : واسميه عنصرا موضعيا، فما هو؟ هو الوقائع الخارجة التي تم فيها القول، يعني الظروف الزمانية والمكانية، يعني أن هذه العوامل أيضا تدخل في تحديد السياق، ثم العنصر الذواتي، يعني ما بين ذوات المتخاطبين ، وأقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين فهذه المعرفة المشتركة هي معرفة معقد التركيب[1]. وهي مسألة اعتنت بها الدراسات التداولية ؛ لما لها من أهمية خصوصا في عملية التأويل، وقد وجدنا عند المحدثين و شراح الحديث أخذا بهذا المبدأ في تفسير عدد من القضايا المتعلقة بالتمام السياقي

إن الغالب على المتكلم من وجهة نظر تداولية أن لا يذكر في كلامه إلا ما كان يعلم أن المستمع يحتاج إلى معرفته ليتبين الفائدة منه معتمدا في ذلك على قدرة المستمع على استحضار المحذوف إما لوضوحه أو لقربه أو لشهرته، فتكون عناية المتكلم الكلام على حسب حال المخاطب / المستمع من الإدراك ومعرفته بالمعهود و على قدر مشاركته له في بعض الفوائد و المعلومات، فيضمر ما علمه المخاطب و يظهر ما جهله و غاب عنه، و في المنظور التداولي عل قدر ما يأتي المتكلم من الإضمار يأتي المستمع من الجهد في الفهم[2] .

فالسياق إذن يتحدد بعناصر عدة هي : الاهتمامات والرغبات والمقاصد والمعتقدات ، والوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية) . إلى جانب المرسل الذي هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه.وفق استراتيجية معينة. والمرسل إليه الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا قصد التأثير فيه وإقناعه ، مع مراعاة المقام ومقتضى الحال ،والمعرفة المشتركة التي

[1] هدسون : علم اللغة الاجتماعي ، ترجمة محمود عياد ، عالم الكتب. القاهرة 1990 . ص : 196 .

[2] طه عبد الرحمن اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص : 112 .

هي الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل ؛ إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه ،كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله ، وذلك حتى يتمكنا من الإفهام والفهم أو الإقناع والاقتناع. ويمكن أن تنقسم هذه المعرفة إلى:

– معرفة عامة بالعالم، ومنها معرفة كيف يتصل الناس ببعضهم البعض؟، وكيف يفكرون؟، وكيف يستطيعون أن ينجزوا أفعالهم اللغوية داخل المجتمع؟ مع إقامة الاعتبار لأطره العامة الدينية، الثقافية، الاقتصادية، الاجتماعية.

– المعرفة بنظام اللغة، في جميع مستوياتها، بما في ذلك دلالاتها، وعلاقتها بثقافتها[1].

أي المعرفة بنظام اللغة في جميع مستوياتها : الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتداولية .

فبالنظر إلى أهمية السياق التي عبر عنها ابن القيم الجوزية بقوله : السياق يرشد إلى تبيين المجمل ، وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته [2] تجد المفسرين والأصوليين واللغويين قد اهتموا به في كل إجراءاتهم وتطبيقاتهم ، ويذهب الدكتور طه عبد الرحمن إلى أن القول الطبيعي مجردا من مقامه تصير مجاملة كثيرة، ولا يتعين واحد منها إلا بتعيين المقام حتى أنه يصبح الادعاء بأن الأصل في القول الطبيعي أن تتعدد معانيه إلى أن يثبت بالدليل خلاف ذلك وإذا كان كذلك فقد وجب أن تكون صوره الممكنة متعددة وأن لا ينحصر تقويمها في حتمية واحدة [3]

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ص :49.

[2] بان القيم الجوزية بدائع الفوائد إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتاب العربي ،. ج 4 ص : 9 ، 10

[3] طه عبد الرحمن اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 45.

4 – السياق في الحديث النبوي الشريف .

وإذا ما عدنا إلى الحديث النبوي الشريف وجدنا كيف اعتنى المحدثون بالسياق في ورود الحديث ، وأن السياق في مصنفاتهم لا يكاد يغيب مصطلحا ومفهوما مما يسمح لنا أن نقول: بأن الدراسات المتعلقة بالحديث دراسات تداولية بامتياز وأن الشروحات التي قدمها شراح الحديث هي عبارة عن تحليل سياقي. و من آيات اهتمام المحدثين بالتمام السياقي للحديث النبوي الشريف اهتمامهم بأسباب الورود، و قد ألف فيه كثيرون منهم ابن حمزة الحسيني في كتابه (البيان و التعريف في أسباب ورود الحديث الشريف) و هو من أهم الكتب التي صنفت في أسباب الورود بعد كتاب (اللمع في أسباب ورود الحديث) للسيوطي؛ ومعرفة أسباب الورود من شرائط سلامة التأويل، يقول الإمام الشاطبي(رحمه الله): كثير من الأحاديث و قعت على أسباب ، ولا يحصل فهمها إلا بمعرفة ذلك،

و لعل الاطلاع على أسباب ورود النص الحديثي يزيد من تأكيد هذا المعنى من حيث إن عددا مما وصلنا من هذه الأسباب ليست محل إجماع، بمعنى أننا في بعض الأحيان إزاء سياقات مختلفة لنص واحد. ومعلوم أن هذا الاختلاف كان أحد أسباب حصول الخلاف و الجدل الفقهي بين المذاهب، ومن صور ذلك على سبيل الإيجاز و الاختصار:

أ – نقل زيادة اللفظ: بأن يستدل أحدهم بحديث وارد على سبب، على صحة دعواه، فيعترض عليه الآخر برواية أخرى فيها زيادة بيان للسبب ومعرضة للرواية التي استدل بها المدعي.

ب – الزيادة على السبب و ادعاء تخصيص الحكم بالزيادة: بأن يستدل أحدهم لرأيه في مسألة ما بواقعة حكم فيها رسول الله(ص) استدلال عموم فيعترض عليه الآخر بتخصيص الاستدلال بسبب معين في تلك الواقعة ، وذلك بإيراد رواية غير رواية الأول المستدل فيها زيادة توضيح لذلك السبب.

ج–العدول عن السبب المنقول إلى سبب غير منقول بدليل: بأن يستدل أحدهم بحكم النبي (صلى الله عليه وسلم) في واقعة بسبب ما ، فيعترض عليه الآخر بأن الحكم في الواقعة لا يتعلق بذلك السبب الذي ذكره الأول ، وإنما له سبب آخر ، ويمنع تعلقها بالسبب المدعي بدليل.

د– أن يكون للسبب المنقول تأثير في الحكم يدعي فيه زيادة منقولة: بأن يستدل المدعي بحكم النبي(صلى الله عليه وسلم) في واقعة ما مبينا تخصيصها بذلك الحكم، فيعترض عليه السائل بنقل زيادة في الحكم هي سبب ذلك التخصيص، وقد أغفلها المستدل.

ويندرج سياق القصة أو الرواية في منظور التداوليات اللسانية ضمن إجراءات التسييق العامة وهي عملية مشتقة من السياق، وتعني: ربط الكلام (الملفوظات) بسياقاتها النصية واللسانية السابقة و اللاحقة، وربطها أيضا بملابساتها الاجتماعية الداعية لإجراء الكلام و استخدامه على وجه دون آخر؛ لأن اللغة ليست حسابا منطقيا دقيقا لكل كلمة معنى محدد، ولكل جملة معنى محدد، بحيث يمكنك الانتقال من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي لكن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية و تتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه[1].

ويستعمل التداوليون مفهوم التمام السياقي باعتباره محددا رئيسا لعملية التأويل و يقصدون به أن المرويات تحمل في طيها معلومات تظل تنقصها مكملاتها مما يحمله السياق من قرائن تفيد في جلاء المعنى و صفاء الصورة الدلالية ، كما أن الجمل أو الملفوظات بلغة التداوليين تحتاج إلى التمام السياقي أي أن تكون الجملة أو الملفوظ غير كاملة في حد ذاتها، لكنها كاملة إذا أخذ سياقها بعين الاعتبار و التمام السياقي عندهم في مقابل التمام النحوي . وكأن التمام السياقي درجة أو حالة من حالات الخطاب أعلى من التمام النحوي ، إذ يمكن أن تكون الجمل التامة نحويا غير دالة من حيث طلب النحو للتركيب المستوفى شروط العاملية و المعمولية من غير نظر في إستيفاء الدلالة أو انعقاد المعنى[2].

ولنضرب مثلا للتمام السياقي حتى يحصل مزيد من الفهم و الإفهام، ففي: (باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا يروي مسلم حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيه عن جابر بن عبد الله قال : استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " من هذا ؟ " فقلت : أنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**أنا أنا** " [3]، وفي رواية كأنه كره ذلك .

دار الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه الذي استأذن النبي صلى الله عليه وسلم من أجل إيجاد حل لدين ، وهو خلف الباب يطرق ، والرسول صلى الله عليه وسلم بالداخل

إن هذه الخصائص السياقية وغيرها مما لم نذكره لتساعدنا على إدراك الفعل التواصلي و بالتالي قضية التمام السياقي فيما جرى بين النبي (ص) وجابر رضي الله عنه، فبالاطلاع على حقيقة المتحاورين و ما يربطهما ، أي المسافة الاجتماعية التي يفترض أنها تفصلهما (قريبة أم بعيدة) (حميمية أم عادية أم

[1] إدريس مقبول ، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية ، عالم الكتب الحديث أربد الأردن ، 2011، ص: 152 .

[2] المرجع نفسه ، ص : 155 .

[3] صحيح مسلم كتاب الآداب المجلد 3 رقم : 2155 ، ص : 1697

باردة) وكذلك الوضع الجسمي للأطراف المشاركة من حيث هيئة الجسم وطبيعة الحركة وتقاسيم الوجه في بعض الأحيان التي ترفع دقة التوقعات التأويلية، وبمعرفة القناة أو كيفية الربط بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي – لفظا أم كتابة أم إشارة...؟، وبمعرفة الشفرة المستعملة في اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل، وبمعرفة صيغة الرسالة(ما هي الصيغة المقصودة؟) هل هي حديث عابر غير رسمي أم مناظرة أم خطبة أم حكاية أم قصيدة ..إلخ كل هذا وغيره من الخصائص تسعفنا في فهم الحدث التواصلي وإدراكه ، كما تساعدنا على فهم إنتاج شراح الحديث، حيث استعمل بعضهم بعض هذه الخصائص و بنى عليها استدلاله في حين أسقط غيرهم بعضها فتوجه تأويله بعيدا في تقديم افتراضات لا يقبلها السياق[1].

فهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه كره جواب الطارق جابر رضي الله عنه رشحه في البرنامج التأويلي ما نسميه بالتمام السياقي المتضمن في الحوار وفي القرائن الحالية التي تصاحب عادة الكلام بتعبير إدريس مقبول [2] " من إشارات و رموز وحركات وسوابق ولواحق،لا تدخل تحت الحصر والتخمين، يختص بدركها المشاهد لها، فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر، حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد، أو توجب ظنا. وكل ما ليس له عبارة موصوفة في اللغة فتتعين فيه القرائن"[3].وقد نقل ابن حجر عددا من الأقوال في تفسير موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما قاله المهلب: إنما كره قول (أنا) لأنه ليس فيه بيان إلا إذا كان المستأذن ممن يعرف المستأذن عليه صوته، ولا يلتبس بغيره، والغالب الالتباس.وقيل : إنما كره ذلك؛ لأن جابرا لم يستأذن بلفظ السلام، وفيه نظر؛ لأنه ليس في سياق حديث جابر أنه طلب الدخول وإنما جاء في حاجته، فدق الباب ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم بمجيئه، فلذلك خرج له.وقال الداودي: إنما كرهه؛ لأنه أجابه بغير ما سأله عنه، لأنه لما ضرب الباب عرف أن ثمّ ضاربا، فلما قال : أنا كأنه أعلمه أن ثم ضاربا فلم يزده على ما عرف من ضرب الباب، قال: وكان هذا قبل نزول آية الاستئذان.وعقب على هذا قلت: (والكلام لابن حجر) وفيه نظر؛ لأنه لا تنافي بين القصة وبين ما دلت عليه الآية ولعله رأى أن الاستئذان ينوب عن ضرب الباب، وفيه نظر لأن الداخل قد يكون لا يسمع الصوت بمجرده فيحتاج إلى ضرب الباب الدق ، فيقرب أو يخرج فيستأذن عليه حينئذ، وكلامه الأول سبقه إليه الخطابي،

[1] إدريس مقبول ، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية ، ص : 158

[2] المرجع نفسه.

[3] الغزالي . المستصفى في علم الأصول ، ص : 185.

فقال: قوله (أنا) لا يتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما استعلمه؛ وكان حق الجواب أن يقول (أنا جابر) ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه[1]. ولذلك كأنه كره ذلك.

[1] العسقلاني ، فتح الباري ج11، ص : 35 .

المبحث الخامس:

الحجاج: مفهومه وخصائصه وتقنياته

الإنسان في تواصل مستمر وفعال مع محيطه الخارجي، وما يحتويه من مؤثرات ، ومحفزات وإكراهات أو ما يطرحه من أسئلة ،وإشكالات واقتراحات ،ومن هنا يدخل الجانب البلاغي كآلية رئيسية في تشكيل الخطاب لتحقيق تواصل مميز ومثمر بين الناس.كل هذا يكشف عن المكانة المهمة التي تحتلها البلاغة في العالم المحيط بنا .كما لا يختلف اثنان في كون التواصل الإنساني جملة قائم على الحجاج إلى حد أن المرء ليسلم بأن لا تواصل من غير حجاج ، وهذا ما يشجع على أن يكون الدرس الحجاجي مطلبا مشروعا فضلا عما فرضته الحقول المعرفية من نضج خصوصا الدراسات المنطقية ،واللسانية وغيرها وبناء على هذا يتبادر إلى أذهاننا السؤال الآتي :فما مفهوم الحجاج ؟ وما خصائصه ؟ و ما تقنياته ؟

مفهوم الحجاج :

أخذت كلمة Argument من الفعل اللاتيني Arguere وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا وهي بدورها من جذر إغريقي (*Argues*) ويعني أبيض لامعا[1].

ويشير المصطلح (Argue) في اللغة الانجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما.[2] ، ويحدد لالاند[3] معنى الحجاج من خلال تقديم المعطيات التالية:

المحاجة أو الحجاج : هي سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها , ويرى أن الحجاج طريقة في تنظيم الحجج واستعراضها أو تقديمها.

الحجة : ويعتبرها بمثابة استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها , أو تنفيذها . ويرى من ناحية أخرى . أن هناك من يعتبر كل حجة دليلا.

الدليل : إنه عملية توجه التفكير العقلي بصورة يقينية ومقنعة . وبذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها . ويحيل الدليل من جهة أخرى إلى الواقع ويأخذ من ثمة مضمونا ماديا تصبح بموجبه الوقائع و الأحداث والوثائق بمثابة أدلة . ويتميز الدليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة .إذ أن كل ما يحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقيا .

---

[1] للاستزادة حول هذا الموضوع ,يمكن الرجوع إلى كتاب عبد الرزاق بنور: جدل حول الخطابة والحجاج،ص: 25. كما يمكن الاستئناس بالمراجع التي يحيل عليها المؤلف.

[2] ينظر مادة (argue) في: Longman dictionary of gontemporary English Longman 1889

[3] André (Lalande), vocabulaire technique et critique de la philosophie, éd puff, Paris, 2003, pp: 78 79.

. البرهنة : هي استنباط يوجه لتأكيد أو إثبات سبق نتيجة , وذلك بالاستناد إلى مقدمات معترف لها بميزة الصدق أو الحقيقة .

فهو التأثير في الإنسان بواسطة اللغة غير أن هذا الكلام الحجاجي هو في الحقيقة إحدى الوظائف التي تنجزها اللغة الطبيعية التي هي نقيض اللغة العلمية المصنوعة والاصطلاحية ، وفي هذا السياق يقول فليب بروتون : (الإقناع واحد من الحالات الأساسية للتواصل ، وذلك تبعا لكون القصد هو التعبير عن إحساس أو حالة أو نظرة خاصة إلى العالم أو إلى الذات أو الإخبار ؛ أي الوصف الموضوعي إلى أقصى درجة لمقام ما أو بالإضافة إلى ذلك الإقناع ؛ أي التوجه إلى المستمع بالمبررات المقبولة لتبني رأي ما .)[1]

ويعود البعد الحجاجي للبلاغة في الأساس إلى التعريفات القديمة للبلاغة بكونها فنا للإقناع حيث عرفها أرسطو بأنها : (فن استخلاص من كل موضوع درجة الإقناع التي يحتويها ، أو هي القدرة على كشف نظري لما يمكن أن يكون في كل حالة خالصا للإقناع باعتبار البلاغة تدرس السبل المؤدية إلى الإقناع .)[2]

انطلق أرسطو في تنظيره للخطابة مما وضعه "سقراط" ؛حيث جعل لها خطتين: جدلية ونفسية. ورأى أنه لا بد للخطابة الجدلية من أمرين: التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرقة ، ليتمكن من تحديد الكلام، والتحليل الذي يرد الفكرة إلى آراء جزئية، وسمى أصحاب القدرة على التركيب والتحليل(جدليين)، فالخطابة عنده نوع من الجدل، أو هي الجدل بعينه[3].

وقد أعطى أرسطو في درسه للخطابة اهتماما كبيرا لجانبها العقلي والنفسي، محاولا الموازنة بين وسائل الإقناع ووسائل التأثير، يجعل الأولى معينة للثانية، فميز أول الأمر بين نوعين من الحجج (الأدلة)، الأدلة غير المصنوعة–التي لا دخل لنا فيها لأنها سابقة على تصرفاتنا: مثل الشهود في القضية والتعذيب، والاتفاقات المكتوبة، وغير ذلك[4]– والأدلة المصنوعة: وهي كل ما يمكننا جمعه بأنفسنا على هدى المنهج الموضوع، وهذه الأدلة المصنوعة التي يسميها (التصديقات) هي جوهر الخطابة لديه، وتقوم على ثلاثة أنواع : ... ما يتصل بأخلاق الخطيب نفسه، وما يتصل باستعداد السامعين، وما يتصل بالخطبة نفسها إذا كانت استدلالية في حقيقتها أو في ظاهرها[5].

---

[1] Philipe breton : l argumentation dans la communication, éd Puff, Paris, 1983 p :04 .

[2] ينظر رولان بارث : قراءة جديدة للبلاغة القديمة ،ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق ,المغرب ط1 . 1994م : ص:5,6.

[3] أرسطاليس، كتاب الخطابة، ترجمة: إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،ط2، 1953م،ص 22،23.

[4] المرجع نفسه، ص:84.

[5] المرجع نفسه ، ص :84 ،85.

فالحجاج الخطابي الذي عرض له أرسطو في كتاب "الخطابة" هو حجاج موجّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصّة، في مقامات خاصة. والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظريّ العقليّ ، وإنما يتعدّاه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات[1] وإلى إرضاء الجمهور ، واستمالته ، ولو كان ذلك بمغالطته ، وخداعه وإيهامه بصحّة الواقع[2].

ثم إن الحجاج ما فتئ حتى صار بعد ذلك مع اوسكمبر (وزميله ديكرو خاصة) يعالج في إطار لساني محض ، أو يكاد [3] .

وتعود أهمية الحجاج في الدراسات المعاصرة إلى العودة القوية للبلاغة تحت تسمية البلاغة الجديدة حيث ركزت على جانبين هما: البيان ، والحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع .مع أهم محاولة مع :

بلاغة شايم بيرلمان ch.perleman.

يمثل كتاب مصنف الحجاج البلاغة الجديدة المنشور سنة 1970 لشايم بيرلمان ch .Perleman وأولبيشت تيتيكا O. Titica أهم محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية ، مشروع بيرلمان هو أيضا أول محاولة في القرن العشرين لردم الهوة التي تفصل البلاغة المعاصرة عن أصلها الأرسطي بل الأثيني ، إذ البلاغة الحجاجية هي بنت الحاضرة الأثينية .

ويعتمد هذا الكتاب على محاولة لإعادة تأسيس البرهان ، أو المحاجة الاستدلالية باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع،كتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد، وامتداداته إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر[4]، والواضح أن هذا المنطق يرمي إلى الوظيفة التواصلية للغة، ذات العلاقة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية ،كون الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية كأدوات أسلوبية ، ووسائل للإقناع والبرهان، ثم يصور بلاغة البرهان لديه بتوضيحه لنظرية المحاجة التي يرى أنها لا يمكن أن تنمو إذا تصورنا أن الدليل البرهاني ،إنما هو مجرد صيغة مبسطة بديهية، ولذلك فإن هدف نظرية البرهان لديه هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته[5]، وهو يوجه نظريته إلى العناية بالنصوص المكتوبة في

---

[1] أرسطو: الخطابة، تعريف عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون العامة ،بغداد 1986.. المقالة 1. الفصل 2.1356أ.

[2] المرجع نفسه: المقالة3. الفصل 7.1408 أ و1408ب.

[3] J.c.anscombre et o.ducrot, l'argumentation dan la langue, édition Mardaga lieg – Bruxelles .2emeedition 1988, p : 201.

[4] محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت ، ع2 يناير مارس. 2000 .ص:61.

[5] صلاح فصل، الخطاب وعلم النص، عالم، المعرفة، ع164، أغسطس/آب، 1992، ص:73.

المقام الأول، مغفلا دراسة طرق الأداء وتقنيات الحركة والإشارة (تقنيات الخطاب الجماهيرية)، التي تخص جهات أخرى[1].

كما يعني بالفكرة المستنبطة من الخطاب كإرث بلاغي، ويجد أن تحليل الحجج البرهانية ذات الطابع العقلي فلسفيا ضروري ؛ لأنها تتوجه إلى قراء لا يخضعون للإيحاءات والضغوط والمصالح والأهواء[2].

إشارة إلى الكتابة أو المتلقي قراءة بعيدا عن الأوضاع الخطابية التي تستوجب وجود المتكلم أو الخطيب عموما، ويتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية:

1- أن يتوجه إلى مستمع.

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر –تناميه- إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- ليست نتائجه ملزمة[3].

وبالتالي فالحجاج (عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب)[4]. وإذا كان الإقناع هو مجال المبحث الحجاجي، فإن الدفع إلى الفعل هو أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال، حيث تتطلب وعيا بآليات من شأنها تحريك المعنيين بالكلام صوب الفعل، وتغييره بما ينسجم مع المقام، وتتطلبه مقاصد النص وطموحات الخطيب (المتكلم أو الكاتب) بوصفه مفكرا حاملا لرؤية معينة يسعى إلى إرسالها، أو جعلها راجحة في مواجهة حجج أخرى مناوئة[5]. ويتطلب هذا وضوح الأسلوب،واحترام شخص المخاطب؛ لأن ما عداهما ينفر المخاطبين، ويعوق سبل نفاذ الخطاب، وهنا يربط بيرلمان الحجاج بعوامل لغوية (الوضوح)، ونفسية اجتماعية (الاحترام، الوعي بظروف مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية...).فهذا الربط النفسي خاصة ناتج عن طبيعة الحجاج الذي ليس في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ومحاولة حيازة انسجامها الإيجابي[6]، وعدم توفر هذه الأمور سيفقد الحجاج غايته وتأثيره معا.

---

[1] المرجع السابق، ص:74.

[2] حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، عدد 1، يوليو- سبتمبر 2001 .عالم الفكر الكويت . ص:99.

[3] المرجع نفسه ، ص:76.

[4] المرجع نفسه، ص :76.

[5] المرجع نفسه ،ص:67.

[6] المرجع نفسه ،ص:68.

من هذا نجد أن نظرية الحجاج لدى بيرلمان، ذات مظاهر فلسفية، لأنها تنطلق من أرضية خطابية، تتوفر على قواعد فلسفية عميقة صيغت ووضعت منذ أقدم العصور لنجاح عملية الخطابة وحصول التأثير والإقناع (نظرية أرسطو)، كما أن بيرلمان كذلك، أولى عناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لا تكتفي بالأساليب اللغوية المنشئة فحسب، بل تولي اهتماما للظروف الخارجية التي تتعلق بكل من المخاطب ، و المقام خاصة، بما فيها النفسية و الاجتماعية.

إن بلاغته تهتم بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عمومية أو تعلق باجتماع المختصين أو بشخص واحد أو بكل الإنسانية ,بل إنها تهتم بالحجج التي قد يوجهها الشخص إلى نفسه في مقام حوار ذاتي, إن نظرية الحجاج بوصفها بلاغة جديدة تغطي كل حقل الخطاب المستهدف للإقناع كيفما كان المستمع الذي تتوجه إليه ومهما كانت المادة المطروحة .[1]

وقد وسع بيرلمان البلاغة إلى الحدود البعيدة وذلك عبر دمج الجدل ، والإنسانيات عامة والتحاور اليومي العملي في هذا النموذج الموحد الذي دعاه البلاغة الجديدة ، والواقع أن بيرلمان بهذا قد وقف على آليات مشتركة بين كل أشكال الكلام سواء النفسي الشخصي ، أو الثنائي ،أو الجماهيري ،أو الشعري ، أو خطاب المختصين في مجال القانون والعلوم الإنسانية ، واللافت للنظر هو هذا الجمع بين الخطاب الشعري وخطاب العلوم الإنسانية .

ب – الحجاج عند رولان بارث r. Barthes

لم يتبلور الحجاج عند بارث في كتابه:" قراءة جديدة للبلاغة القديمة" كموضوع قائم بذاته، وإنما كآلية بلاغية رئيسية تتبعها تاريخيا، وركز على أصولها الأرسطية. وما تلا ذلك من دراسات ونظريات "شيشرون" و"كنتليان"، ويشير إلى تراجع البلاغة واختزالها في (نظرية الصياغة)، التي حصرتها في : البحث في الصور، والوجوه ، والزخارف، أو الأسلوب عموما. وهذا الاختزال جنى على البلاغة، أو على جانبها التداولي المرتبط بـ: (نظرية الإقناع) المعبر عنها بـ : (المحاججة) و(المخاصمة) ، و(المجادلة) و(المنازعة)، و(المناقشة)، و(المحاورة)، و(المناظرة)، وغيرها.

وبما أن قاعدة البلاغة هو الكلام، شأنها في ذلك شأن فن الإقناع، فهذا يجعلها لسانيات (ذهنية) عامة، (تتعلق بكل لغة) ، كما أنها (لغة الكل)، أو هي صيغة تداولية منحها إياها " أرسطو" منذ أن فصل بين الشعرية والبلاغة، وجعل الصياغة هامشية في مقابل الترتيب (أجزاء الخطاب) والابتكار (موضع الحجج)[2].

[1]Perlman Ch, L'empire rhétorique de l'argumentation, édi librairy philosophique, Paris, p 19.

[2] . هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه منشورات الاختلاف ط 1 ، 2013 م الجزائر العاصمة ، الجزائر . ص : 52

والوظيفة الاقناعية للبلاغة تجعل من التواصل معركة، تستوجب لكسبها حيازة الإمكانات الفكرية للمتكلم: (الدليل الحجة، العلامة، الأمارة، القياس، المحتمل، الاستدلال، [...] والعاطفية: (التحريك، التهييج، الانفعال، الأحاسيس، العواطف،الطبائع، [...]، واللغوية: (الوضوح، الدقة، السلامة، الصور، الأساليب، الوجوه، الزخارف، [...]، وبالتالي فالبلاغة ليست جمالية للغة بقدر كونها فلسفة للتفكير وثقافة المجتمع، [...]، أسلوبية الحوار، ومثال العقل البشري عموما. لفظ البلاغة بهذا يمتلك دلالة مزدوجة: فهي أداة محاججة، وسيلة تفكير، تقنية للإقناع، إضافة إلى كونها فن للقول، جودة الحديث (والكتابة فيما بعد)[1].

الحجاج أو المحاججة في مصنف "بارث" المذكور، ينطلق من التقسيمات القديمة للبلاغة، ليصيغها فيما بعد بمصطلحات حديثة توافق النظريات اللغوية الحديثة كذلك، وهو بهذا يعيد صياغة البلاغة القديمة فيما يسمى بالبلاغة الجديدة، غير بعيد عن "بيرلمان"، لكنه كان أقل دقة، ولنقل أقل تركيزا على الحجاج كموضوع وإن لم يهمله كعملية أساسية ضمن مجموع عمليات بلاغية تطرق إليها.

يطلق "بارث" مصطلح (الابتكار) على المحاججة، أو ما يسميه (ابتكار الحجج)، أو (طريق المحاججة) أي العثور على الشيء الموجود مسبقا، فهو مفهوم (استخلاصي) أكثر مما هو إبداعي، وتحدد هذا الابتكار جهتان: الأولى: تعتمد التقنية الجيدة، أو المنهج ، المنهجية الحجاجية مع المادة لجلب محتوى خطاب رائع. أما الثانية: غياب الابتكار كتقنية لتوليد اللغة (الكلام) ، أو اللامنهجية لا تجدي شيئا، وهذا الابتكار يتفرع عنه طريقان أساسان: الأول منطقي، والآخر نفسي (الإقناع والتحريك)، وهذا الإقناع يعتمد آلية منطقية أو شبه منطقية هي: التصديق (مجال الأدلة)، لإحداث هزة أو ردة فعل تتناسب وذهن المتلقي[2].

ومن الابتكار ينتقل إلى (الترتيب)؛ أي الخطاب ذاته أو نظام أجزاء الخطاب، ثم علاقته بالابتكار (المحاججة)، ويجد أن مواد الابتكار مسبقا (قطع لغوية)، موضوعة في حالة معكوسة، ويجب إدماجها في نظام غير معكوس، الذي هو اتجاه الخطاب، أو ترتيب بذور التصديقات (الأدلة) مسبقا في السرد (حصر المعنى)

ثم تأتي الحجج لا حقا. ثم يمثل لعملية الترتيب بعنصرين أو مصطلحين: (استدعاء الأحاسيس): الاستهلال والخاتمة كجزء بين خارجين للخطاب، أما المصطلح الثاني: (الدعوة إلى الحدث، إلى الدليل) فيغطي السرد (علاقة الأحداث) والإثبات (مؤسسة الأدلة أو طرق الإقناع)، أو الجزء بين المتوسطين للخطاب.

---

[1] رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، ينظر المقدمة .

[2] المرجع نفسه ، ص :49 ، 5.

ج– الحجاج عند "جان ميشال آدم:

يفرق "آدم" بين " الوحدة الحجاجية" أو " المقطع الحجاجي"، والحجاج عامة، ويمضي في تعريف الحجاج (التعريف العام) سواء على مستوى الخطاب ، أو التفاعل الاجتماعي، أو على مستوى البنية التداولية، فهو يهدف إلى تغيير تصور المخاطب بقصد هدف خطابي معطى، أو هو سعي لإعطاء آراء أو تصورات للمخاطب تتعلق بالموضوع المعطى ، وبعبارة أخرى : إننا نتكلم لكي نحاجج، وهذه القصدية توضحت عن طريق وحدات أخرى إضافة إلى القيمة الوصفية –الإخبارية للغة[1] ويعرفه أخيرا بقوله :" إن الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء ، وسلوكات المخاطب أو المستمع ،وذلك بجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا (النتيجة) وذلك بمختلف الوسائل، بالنظر لقول آخر (الحجة، المعطاة، الأسباب). وعلى سبيل التعريف نقول : أن المعطاة –الحجة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية. "[2]

الحجاج عند "ألان بواسينو:

في كتابه: "النصوص الحجاجية"، يتبنى "بواسينو" آراء "بيرلمان"، خاصة في تعريفه للنص الحجاجي من وجهة نظر تعليمية وفق نظرة "بيرلمان":

- لا يختصر النص الحجاجي في نموذج البرهنة المنطقية رغم استعمالها لبعض وسائلها.
- يعتبر النص الحجاجي مركز حوار بين المتلقين (يركز على العلاقة مع الآخر).

كما اعتمد في تصنيفه لأنواع النصوص على التمييز الذي قام به " إ. ويرلايك" بين خمسة أنواع: النص الوصفي والسردي، والعرضي،و الحجاجي، والأمري، وطورها فيما بعد مع"كومبيت combettes"، ويجد أن النص الحجاجي مثل النص السردي يمر من مرحلة أولية إلى مرحلة نهائية بواسطة مسار تحويلي، يمر أيضا من مرحلة التفكير الأولى (الأطروحة، المعطاة المرفوضة) إلى مرحلة التفكير النهائي (الأطروحة المقترحة) بواسطة مسار حجاجي. ويتميز النص الحجاجي عن النصين السردي والوصفي بخاصيته الحوارية[3].

إن دراسة الحجاج في الخطاب هي شأن التداولية ؛ إذ نجد الخطاب الحجاجي يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول والتلقي ،وهذا ما يعني انتماء القول أو النص الحجاجي إلى مجال التداوليات التي تحاول الإجابة عن عدد من الأسئلة من قبيل: من يتكلم ؟ وإلى من يتكلم ؟ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟. ما مصدر التشويش والإيضاح؟.كيف نتكلم بشئ ونريد قول شئ آخر ؟.

وتستدعي الإجابة عن هذه الأسئلة استحضار مقاصد التخاطب ،وأفعال اللغة بعدها المقالي والمقامي والتداولي .ونجد ارتباط الخطاب الحجاجي بالبعد التداولي على عدة مستويات ذلك أن الحجاج يعتبر

[1]Adam (J.M). Les texte : types et prototypes .nathan, Paris, 1992 , p :103.

[2] المرجع السابق، ص:104.

[3] هاجر مدقن الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ، ص : 57 .

ظاهرة متجسدة في الخطاب ، وبه يتحقق ، فهو متلبس بألبسة لسانية وأسلوبية على أساس أننا إذا أردنا رصد الصور الأسلوبية في الخطاب الحجاجي ،أو الصور البنائية الاستدلالية ، فإننا مبدئيا سنكون بصدد أفعال كلامية لها مرجعية مقالية ومقامية مشتركة بين المتكلم والمستمع ، أو بين المخاطب والمخاطَب .

أما في السياق العربي فإن مصطلح الحجاج يضرب بجذور عميقة.فتعريفه من الناحية الاصطلاحية لا يختلف كثيرا عن معناه اللغوي ؛ مع وجود اختلافات جزئية في الجذر (ح ج ج) ؛ فهناك من يستعمل الحجاج وهناك من يفضل التحاجّ , وهناك من يفك الإدغام فيقول التحاجج , ونجد من يستعمل الحاجة ونجد أيضا من يفك الإدغام فيقول الحاججة ...وغير ذلك من التصريفات الاشتقاقية .

الحجاج لغة، من حاجّ.قال ابن منظور (ت711هـ/1311م): "حاججته أحاجة حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها(...) وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة (...) والحجة الدليل والبرهان"[1] فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج فيكون مرادفا للجدل إذ حدّ الجدل حسب ابن منظور أيضا : "مقابلة الحجة بالحجة" [2]. على أن ابن منظور يجعل الحجاج مرادفا للجدل صراحة بقوله: (هو رجل محجاج؛ أي جدل)[3]. ويؤكد هذا الترادف بين الحجاج والجدل ما نجده في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت 749 هـ)[4] وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت 911هـ)[5] من ترادف بين الجدل والحجاج وخصوصا في الفصل الذي عقداه لجدل القرآن , إذ نجدهما يستخدمان في المتن ألفاظ المحاجة والحجاج والاحتجاج على أنها ألفاظ مرادفة للفظ الجدل , وتسد مسده.

لكن فرقا دقيقا رقيقا بين معنيي اللفظين في استخدام القرآن إياهما أشار إليه محمد الطاهر ابن عاشور (ت1393هـ/1973م).

فقد قال في شأن "حاجّ" وما اشتق منه عند تفسير قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ** ﴾[6] (معنى حاجّ خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرد دالّ على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها. ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدّق للدّعوى من أنّ حاجّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة (...) وأنّ الأغلب أنه

[1] ابن منظور :لسان العرب.دار صادر بيروت.د.ت.مادة (حجج).

[2] المرجع نفسه : مادة (جد ل).

[3] المرجع نفسه: مادة (حجج).

[4] الزركشي (794 هـ)البرهان في علوم القرآن , تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . ج 2 ص :24، 27 .

[5] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، بيروت ،عالم الكتب ، ج2. ص: 135 ،137.

[6] البقرة . الآية : 258.

يفيد الخصام بباطل)[1] وقال في شأن "الجدل" عند تفسير قوله: ﴿ وَلاَ تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾[2](والمجادلة مفاعلة من الجدل ، وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك)[3] وقال في موضع آخر: (المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير كقوله يجادلنا في قوم لوط) وتكون في الشر كقوله :(ولا جدال في الحجّ) [4].

فالحجاج بحكم صيغته الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج ، وعلى مقابلة الحجة بالحجة مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهوما مهما جدا تقوم عليه نظرية L'argumentation الحديثة وهو مفهوم المناقشة والحوار . فظهر من ذلك أن الحجاج أشمل وأوسع من الاستدلال البرهاني الذي ظل رغم انتقاله بين علوم مختلفة يحافظ على حدّه المنطقي الأول ، فهو على العموم مجرد استنتاج قضية من أخرى ، استنتاج لزوم وتوقف وضرورة .

فالحجاج إذن توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه ، أو سلوكه ، أو هما معا ، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية)[5]

فالحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع ، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة التلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم ، أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة ، وعلى هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل والممكن ، والتقريبي ، والخلافي ، والمتوقع ، وغير المؤكد ... وأن ينبني على التفاعل ، والاختلاف في الرأي ، وأن يظل مفتوحا أمام النقاش والتقويم .. وأن يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعا تأثيريا لا يقين فيه ، ولا إلزام.)[6]

وبمعنى آخر هو الخطاب الذي يسعى إلى تعديل ، أو تثبيت موقف ، أو سلوك المتلقي بالتأثير فيه أي بالكلام سواء أكان ذلك الكلام يغترف من معين العقل ، أومن معين العواطف والانفعالات هذا هو المعنى الموسع للحجاج .

وقد أولى العرب قديما – ولا سيما بلاغيوهم- الكلام والتخاطب عناية كبيرة، فعمدوا إلى تقسيم وجوه الكلام ومناسباته وصفته تناسبا مع ملتقيه أيا كان، ومهما كانت طبقته، فإذا كان موضوع

---

[1] ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير. دط ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، د ت ، ج3: ص:31، 32.

[2] النساء.الآية: 107

[3] ابن عاشور: التحرير والتنوير : ج5.ص:194.

[4] المرجع نفسه: ج12:ص:6.

[5] محمد الولي : مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبيرلمان مجلة عالم الفكر ,العدد :02 الجلد:40 .2011 ص:11.

[6] حافظ إسماعيل علوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ،مجلة عالم الكتب الحديث اربد الأردن 2010 ص: 04.

الكلام على الإفهام(...) فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو(...)، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلا إلى مالا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب[1]. وصنف كل هذا ضمن البلاغة أو بلاغة الخطاب التي تضم الشعر والنثر معا.

وقد ورد الحجاج – بمعناه الحديث- قديما بتسميات اختلفت باختلاف مطلقيها وتوجيهاتهم، فنجده عند الجاحظ وهو من أكثر علماء العرب اهتماما ببلاغة الكلام والمخاطبات باسم: البيان الذي يلخصه في قوله: مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع[2]، فما خرج بقوله عن معنيين اثنين للبيان هما: الإفهام والإقناع.

أما الإفهام فإيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر، والإقناع ناتج عن مجموع مؤهلات وصفات انتقاها محمد العمري من كتاب الجاحظ البيان والتبيين.

أما ابن وهب فيجعل الاحتجاج نوعا من أنواع النثر على سبيل التصنيف: فأما المنثور فليس يخلو أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه[3]، وموضع الاحتجاج عنده في: " الاحتجاج على من زاغ من أهل الأطراف"[4]، ثم يضعه تحت اسم "الجدل"، ويوظفه ضمن تعريفه إياه: " وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتسول في الاعتذارات، ويدخل في الشعر وفي النثر"[5]. ثم يشرع في تصنيفه وتقسيمه أخلاقيا –على غرار تقسيمات"أرسطو" الخطابية – إلى جدل محمود وآخر مذموم، "فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة"[6].. وأضاف إلى هذا بيان قيمة الاحتجاج وإقامة الحجة عند ذوي الرأي العلماء، "وقد أجمعت العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته وبين عن حقه، واستنقاص من عجز عن إيضاح حقه وقصر عن القيام بحجته "[7]. وهذا لا يختلف كثيرا عن معنى البيان الذي قصد إليه" الجاحظ".

---

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص:39.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ص:82.

[3] أبو الحسن إسحاق بن وهب (ت337هـ) ، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، دط، د ت ، ص:150.

[4] المرجع نفسه، ص :150.

[5] المرجع نفسه ،ص:167.

[6] المرجع نفسه،ص:177.

[7] المرجع نفسه , ص:177.

ولا يختلف الأمر كثيرا عند "ابن خلدون" ، الذي كان دقيقا في تعريفه للجدل، بل لقد عرفه وظيفيا، وجعل الاحتجاج وجها من وجوهه في قوله: " وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب..."[1].

فعده القاعدة التي تتضمن أصول المناظرة وآدابها ، وأحوال المتناظرين والأحكام التي يجب أن يراعوها في احتجاجاتهم وأخذهم وردهم ، وصاغ له تعريفا دقيقا أخيرا: "ولذلك قيل : إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب ، في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه ، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره "[2]

كما جعل الحجاج كذلك من تقنيات علم الكلام " وهو يتضمن الحجاج عن العقائد والإيمانية بالأدلة العقلية "[3].

فنجد أن كلا من ابن وهب ، وابن خلدون يجعلان الحجاج آلة من آلات الجدل وجزءا منه، لكن آراءهم ليست بعيدة في دلالاتها عمن أوردوا الحجاج كوجه من أوجه الكلام و أجناسه،كما يذهب إلى ذلك حازم القرطاجني في قوله:"لما كان كل كلام يحتل الصدق أو الكذب إما أن يرد على جهة الإخبار أو الاقتصاص ،وإما أن يرد على جهة الاحتجاج و الاستدلال..."[4]، ومفردتا الاحتجاج والاستدلال كمفردة الإقناع.

ويصنفه أبو الهلال العسكري ضمن الأجناس الكلامية كذلك :" وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين(....)، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد الأول والحجة على صحته"[5].

فالحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم انحصر في لونين خطابيين، هما: "خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل و النحل، وفيما بين النحاة و المناطقة و فيما بين الفلاسفة و المتكلمين
و الخطابة التعليمية متمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك"[6].

---

[1] ابن خلدون، المقدمة ، ص:820.

[2] المرجع نفسه ,ص:820،821.

[3] المرجع نفسه ، ص821.

[4] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،.ص:62.

[5] أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين، ص:470.

[6] عبد المجيد، جميل البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع مصر د ط .2000 .ص:126

وتجسدت فاعليتها عموما في التأثير والإقناع وعلى النصين (الخطبة و القصيدة)، كما لم تتخط النص الثالث (القرآن الكريم)"" الذي استقطب اهتمام البلاغيين العرب كان في كثير من آياته ذا طبيعة خطابية، وخطابية جدلية على نحو خاص ، فما أكثر الوقائع الجدلية الواردة في القرآن الكريم، وما أكثر الحجج المنطقية أو المعقولة التي تقيمها لنفي ما تنفيه أو إثبات ما تثبته"[1]. فقد" سلك القرآن الكريم في محاجة الكافرين وأهل الكتاب سبيل العقل و الوجدان(...)، متخذا المشاهد الكونية والشواهد التاريخية والوقائع المألوفة براهين متنوعة تقنع وتأخذ عليهم باب العناد و المكابرة،(...)ومن ثم صاغ هذه البراهين في أساليب إخبارية وإنشائية، وتقريرية وتصويرية، فحاور وقطع بالرأي ، وأوحى وجهر بالحق، ووعد وتوعد، وربط بين الماضي البعيد والمستقبل البعيد، وجعل الزمن كله حاضرا، (...)، الفطرة حجة، والتقليد حجة، المادة دليل و الروح دليل، (...)، النفس في سموها و انحطاطها برهان، والعالم في سره وعلنه كتاب مفتوح ينطق بوحدانية الخالق سبحانه"[2].

كل الجهود العربية القديمة في حقل الدراسات البلاغية التي تدور حول قطب واحد وهو القول أو الكلام بتنوع أحواله ومقاماته وأداءاته، كلها اجتمعت على أن الحجاج كمصطلح قديم حديث، هو الجدل وهو البرهان والإقناع والتصديق، ... وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة، وهو الأمر نفسه الذي ستنطلق منه نظرية البلاغة الجديدة مع برلمان وغيره.

الحجاج عند "طه عبد الرحمن":

تمتاز نظرته للحجاج بطابعها الفلسفي،كونه أستاذا للمنطق وفلسفة اللغة من جهة، ولاتكائه على أصول تعتمد الفلسفة والمنطق كالمؤلفات العربية القديمة، والغربية القديمة والحديثة من جهة أخرى ، ولأن هذا النوع من الخطابات لا بد وأن يكون فلسفيا قبل كل شيء ما دام يتعلق بالكلام والخطاب عموما.

في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" ، يضع " طه عبد الرحمن" نظرية للحجاج انطلاقا من كونه صفة للخطابة: " إن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج "[3]، ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفا خاصا ينبني على قصدين معرفيين هما:"قصد الادعاء"

و"قصد الاعتراض".أما قصد الادعاء فهو:"الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذن فالمدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال

---

[1] المرجع السابق، ص:128.

[2] كامل علي سعفان، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1918، ص:357.

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ص:213.

التكوثر: كل تكوثر تكاثر وليس العكس، التكوثر فعل عقلي؛ أي لا يتكوثر إلا العقل، وهو فعل قصدي، فلا يتكوثر إلا الفعل القاصد (الفاعلية القصدية) وثالثا فعل نفعي، فلا يتكوثر إلا الفعل النافع، وتتجلى القصدية في طلب المنفعة، ينظر، ص:22،21.

على قوله "[1]. وقصد الاعتراض، يكون من المخاطب أو المنطوق له "وهو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي". ومن هنا يصح أن يكون المنطوق به خطابا حقا؛ أي بتوفر الادعاء والاعتراض، أو الحجاج الذي يعرفه بقوله: "إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[2]، ويسميه كذلك العلاقة الاستدلالية البانية لحقيقة الخطاب. ثم يصنف الحجاج إلى:

-**الحجاج التجريدي**: الذي ينبني على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام، وهو من المراتب الدنيا للحجاج.

-**الحجاج التوجيهي**: وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، والتوجيه هنا هو إيصال المستدل حجته إلى غيره، وهذا النوع الحجاجي تدعنه النظرية اللسانية المعروفة باسم "نظرية أفعال الكلام"، والتي ترد الأفعال إلى القصد والفعل، وهما عماد التوجيه.

– **الحجاج التقويمي**: هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، أو ما يسمى بالتشخيص (في النظرية اللسانية)؛ أي أنه بنبني أصلا على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التلقي معا على سبيل الجمع والاستلزام[3].

ويفرق "طه عبد الرحمن" بين الحجاج والبرهان، بقوله إن البرهان ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد؛أي أن الحجاج يقوم على اعتبارين: (اعتبار الواقع) أو طلب معرفة الواقع، و(اعتبار القيمة) أو معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته.

الحجاج عند "محمد العمري":

يسميه "الخطاب الإقناعي"، في كتابه: "في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية". في هذه الدراسة محاولة لتتبع الخطاب الإقناعي (الحجاج) في المتن الخطابي العربي في القرن الهجري الأول، ويعتمد كل الاعتماد على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب ، أو الخطاب عموما ، ولاسيما الحجج والبراهين الخطابية. إلا أنه ركز على عنصرين اثنين من عناصر الإقناع في البلاغة العربية القديمة، وهما :المقام، وصور الحجاج: (القياس، المثل، الشاهد). إضافة إلى عنصر الأسلوب.

صنف المقامات إلى أنواع:

1-**مقامات الخطابة السياسية**: تصنيف حسب العلاقة بين الخليفة ومحاوريه، والحوار هنا قسمان: إما بين الأنداد وإما بين الراعي والراعية. وتقل فيها الحجج، وتسود فيها المواعظ، الوعد، الوعيد....

[1] المرجع السابق، ص:225.

[2] المرجع نفسه ، ص:226..

[3] المرجع نفسه ، ص : 227،228.

2-**مقامات الخطابة الاجتماعية:** تتمثل إما في : التنظيم الاجتماعي، ويضم خطب الصلح والمخاصمات القضائية، ويعتمد الحجة المقنعة والتأثير الأسلوبي.

و أما الوجدانية، فالاعتماد على الاستمالة أكثر من الحجة غالبا.

وجعل الحجاج في صور ثلاث:

1-**القياس أو القياس الخطابي:** وهو القياس المضمر القائم على الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور ومنها : التعارض ، والتضاد، والمستقصي.

2-**المثل:** هو استقراء بلاغي أو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، ويعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير.

3-**الشاهد:** وهو من الحجج الجاهزة ، أو غير الصناعية كما يسميها "أرسطو"، ويجمع: الأمثال والأبيات الشعرية والآيات القرآنية. وكان للشواهد القرآنية ثلاثة استعمالات في الخطابة العربية القديمة، تمثلت في:

- الاحتجاج لقضية مختلف فيها.
- تمثيل حالة مشابهة.
- الاستئناس أو خلق الجو الديني.[1] في الخطبة؛ لتحقيق الإثارة وحسن الموقع في النفس.

خصائص الحجاج البلاغي:

كسب تأييد المتلقي في شان قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معا حتى يتقبل ويوافق على القضية أو الفعل[2].

لم يعد الحجاج مجرد ضرب من ضروب المنطق أو الفلسفة ،وهو بهذا المعنى ضيق المجال مرادف للبرهنة والاستدلال ، أو مجرد وسيلة من وسائل التأشير في الجدل والخطابة ، ومداره على مناقشة الآراء مناقشة عقلية بأدوات خطابية متى صار الحجاج مرادفا بمعناه الجدلي الخطابي، للبلاغة الرعاية والمخالطة ، وتحسين القبيح ، وتقبيح الحسن ، وإخراج الباطل في صورة الحق.

لقد صار الحجاج في الدراسات اللغوية والبلاغية الحديثة أوسع مجالا لايقتصر دوره على التوظيف الانتقائي باعتباره عنصرا خارجيا ثانويا يوظف فقط في مواقف تواصلية معينة ، بل تحول مع تيار التداولية المدمجة في الدراسات اللسانية إلى عنصر كامن في اللغة أن من حيث بنيته أو من حيث وظيفته، وبهذا يصير الحجاج كلاميا تجب دراسته في نطاق دراسة اللغة لا في البحث عما هو واقع خارجها وهذا ما

[1] ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص :93 .

[2] حبيب أعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي .ص:110.

يدعو إلى اعتبار اللغة مسرحا للمحاورة والتحاج بين الذوات المتواصلة وتنحصر وظيفة اللغة في دلالة الأقوال على التوجيهات الحجاجية الناتجة عنها[1].

ترتكز الحجج على ثلاث مواصفات وفق بييراو ليرون، هي

الحجج يدل في إطارها مجموعة أفراد تنتج الحجج المتكلم المتلقي.

الحجج ليست تمرينا مجردا من حيث المضمون قبل سرد حدث أو وصف شيء لها بل بطريق من خلالها يهدف المتكلم أن يمارس نوعا من التأثير في الآخر.

الحجج تنبني على تبريرات وأدلة من أجل الدفاع عن رسالة ما وللحجج علاقة مع القياس والمنطق [2] ، وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الحجاج يرتبط بفن الخطابة عند أرسطو والتي تفترض كذلك طرفي التخاطب عن طريق اللغة (يحاول احد الطرفين فيها أن يؤثر على الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يبث لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا)[3]، وباعتبار الخطاب وسيلة يتحقق بها التخاطب فانه لا يقدم بصورة واحدة بل يكون بطرق مختلفة ويتلون بصور ووجوه متنوعة ومن ثمة جاءت أقسام الخطابة على هذا النحو الأساسي [4]:

- البصر بالحجة
- ترتيب الحجج
- الأسلوب أو العبارة

فالحجاج إذن فعالية تداولية جدلية لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاءا موجها بقدر الحاجة وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات الضيقة[5].

كما أن من السمات الأساسية التي يجب أخذها بعين الاعتبار في الاستدلال الحجاجي ذي الطبيعة الخطابية والتي يتميز بها عن الاستدلال البرهاني سمة القصدية ؛ لأن معنى قول ما في سياق تواصلي معين لا يمكن وصفه دون الإحالة على بعض قصود التلفظ ، ووفق هذا التصور فمن المستحيل عزل أي جزء

---

[1] البنية المعجمية للحجاج: ص70 وما بعدها عالم الفكر ،2011 العدد02 ،المجلد 40، أكتوبر –ديسمبر.

[2] Breton (Philipe), l'argumentation dans la communication ,l'argumentation colleque saige, éd puff, Paris, 1983, p: 4.

[3] حمادي محمود ،مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،منشورات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ،تونس ،02 ص :12 .

[4] المرجع نفسه , ص: 114.

[5] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . ص: 65

كيفما كان من المعنى لم يسبق تعيينه بواسطة الوظيفة التلفظية : (إن عملية القول مسجلة في القول[1]. فالآليات الاستدلالية التي ينطوي عليها الخطاب الطبيعي العادي ليست إلا تقنيات حجاجية وجدلية وميزة كل قول حجاجي أنه يزاوج بين الصورة والمضمون لتحصيل الإقناع عكس البرهان الذي يستغني عن المحتوى ما يؤكد أن البرهان آلية استدلالية فقيرة مقارنة بالحجاج[2].

والخلاصة أن الاستدلال أنواع كثيرة أهمها: البرهان والحجاج:

إن البرهان متعلق بالأنساق الصورية الصناعية أي الأنساق الرمزية التي تمتلك مصطلحات محددة تحديدا نهائيا بواسطة نسق من المسلمات وخالية من أي التباس ودورها هو المساهمة في بناء العلوم الحقة كالرياضيات والفيزياء والإعلاميات[3]. فهو يرتبط أساسا بالمنطق الصوري

يختص الحجاج بالخطابات الطبيعية التي تتسم بالخصوبة والالتباس والتداول والتفاعل الاجتماعي وبسبب غناها النحوي والمعجمي والدلالي ، كانت الأداة المفضلة للتواصل البشري الطبيعي والعادي بكل ما يشمله هذا التواصل من أهداف ووظائف تعبيرية واجتماعية وشعرية.

الحجاج شديد الصلة بالخطاب والجدل والحوار ، ومن ثم فإن غايته ليست الحكم بالصدق أو الكذب ولا البرهنة القطعية الصارمة ، بل هي الإفحام والإقناع والتأثير في المتلقي

وبما أن الحجاج آلية تجسد الخطاب الإقناعي، فإن له عددا من الملامح إذ " يتميز الحجاج بخمسة ملامح رئيسية: 1- يتوجه إلى مستمع، 2- يعبر عنه بلغة طبيعية، 3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية ، 4- لا يفتقر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة ، 5- ليست نتائجه (خلاصاته) ملزمة)[4].

وهكذا تكمن أهمية الحجاج في كونه بديلا عمليا لكثير من وسائل الإرغام مثل القوة المادية، وبذلك فهو الأداة السلمية التي تضمن التغيير في معتقدات المرسل إليه دون خسران، (وما دام هذا التغيير يتم في هدوء ورصانة واقتناع به من لدن المنجز له له، فان الحجاج بوصفه التجلي الأساسي للبلاغة أضحى خير آلية يتسلح بها المبدعون والسياسيون وأصحاب النوايا المعاصرون من اجل تبرير مواقفهم و تمرير خطاباتهم في عصر السماوات المفتوحة حيث أصبح المعنيون – في الغالب- غائبين عن مسرح إلقاء الرسائل اللغوية

[1] Ducrot- (Oswald) , Les échelles argumentatives édition des minuit, Paris 1989 . p: 8.9.

[2] طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ص:66.

[3] Jean cavor : les régulations du discours p 27.121.

[4] أوليفي روبول : هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟ ترجمة محمد العمري ،علامات جدة .ج 22 المجلد السادس، شعبان 1417هـ ،ديسمبر 1996 ص :77 .وقد شرح كل ملمح من هذه الملامح في الصفحات التالية ص :77,83.

الموجهة إليهم لكن درجات حضورهم تظل مختلفة)[1] وهذا ما جعل الحجاج الركيزة في كثير من العمليات الثقافية.

وبعد هذا نقول : إن الحجاج مرتبط بالخطاب لا يقدم أدلة منطقية ، ولا يقوم على فروض الاستدلال التجريبي ، ومباديء الاستنتاج المنطقي ، كما أنه لا يعنيه البرهنة على صدق أمر ما ، أو إظهار صحته من وجهة نظر منطقية ؛ ومن ثم يرتبط هذا الفعل الحجاجي بمبادئ النسبية والاحتمالية ، كذلك من خصائص الخطاب الحجاجي إمكان نقضه ودحضه .

تقنيات الحجاج:

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

– الأدوات اللغوية الصرفية، مثل، ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي والتركيب الشرطي. وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل.

– الآليات البلاغية، مثل تقسيم الكل إلى أجزائه والاستعارة ، البديع، التمثيل.

– الآليات شبه منطقية. ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية ، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: (لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد)، ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية،مثل: العدية بأفعل التفضيل،والقياس ، وصيغ المبالغة.

السلم الحجاجي:

تتجلى العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة، لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما، وذلك بالرغم من أنها تتجسد، بطبيعة الحال من خلال الأدوات اللغوية ، فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها، إذ لا يثبت غالبا ، إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق. ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه.

وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي، ومن أبسط تمثيلاته ما يكتب عن الإنسان عند عرض سيرته الذاتية من التراتبيات في حياته منها نموه المعرفي وأعماله . ويمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ . كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب . كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه. وله ثلاثة قوانين، هي :

[1] محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ،ص:82.

1. قانون الخفض.

2. قانون تبديل السلم.

3. قانون القلب[1]".

فالقانون الأول هو ما يسميه طه عبد الرحمن قانون الخفض، ومقتضاه: (أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها)[2].

و(مقتضى القانون الثاني أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله)[3]. وهو ما يسميه طه عبد الرحمن قانون تبديل السلم

ومقتضى قانون القلب (أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول)[4].

ومما يذكر أن المرسل يستعمل السلم الحجاجي في المراتب الموجهة توجيها كميا، إذ يكمن السلم في ترتيب الألفاظ، من الأدنى إلى الأعلى، أو العكس مثل: الألفاظ الدالة على الأوزان والمقادير والأسعار عندما يتلفظ بها المرسل لشراء السلع في المزادات مثلا، إذ تنحو للاتجاه من الحد الأدنى نحو: قطب الزيادة حتى تبلغ السعر الذي يعتقد المرسل انه أعلى سعر تستحقه البضاعة ويكون كل سعر ملفوظ به خلال المزايدة بمثابة درجة في السلم الحجاجي لإقناع البائع .

يتحقق الحجاج بالسلم الحجاجي باستعمال أدوات لغوية، وآليات شبه منطقية كالتالي:

- الأدوات اللغوية، كالروابط الحجاجية، مثل (بل، لكن، حتى،فضلا عن، ليس كذا فحسب،) السمات الدلالية ، ودرجات التوكيد .
- الصيغ الصرفية (أفعل التفضيل، صيغ المبالغة).

---

[1] طه عبد الرحمن : . اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص: 277 ، 278.

وينظر حول السلم الحجاجي الأعمال الآتية:

. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام وقوة الكلمات ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2 .2000 ص : 105 ، 107

. شكري المبخوت . نظرية الحجاج في اللغة ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم), إشراف حمادي صمود , كلية الآداب , جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ,تونس ,ص ص :363 ، 370 .

[2] طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص : 277.

[3] المرجع نفسه، ص : 278 .

[4] المرجع نفسه ، ص : 278 .

الفصل الثاني:

الأبعاد التداولية لأحوال المسند والمسند إليه

المبحث الأول: الأبعاد التداولية لأحوال المسند إليه

أولا: الأبعاد التداولية لتعريف المسند إليه وتنكيره

ثانيا: الأبعاد التداولية لذكر المسند إليه وحذفه

ثالثا: الأبعاد التداولية لتقديم المسند إليه

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية لظاهرتي الإضمار والإظهار.

المبحث الثالث: الأبعاد التداولية لأحوال المسند

أولا: الأبعاد التداولية لتعريف المسند وتنكيره

ثانيا : الأبعاد التداولية لحذف المسند

ثالثا : الأبعاد التداولية لتقديم المسند

المبحث الأوّل:

الأبعاد التّداولية لأحوال المسند إليه

أولا: الأبعاد التداولية لتعريف المسند إليه و تنكيره :

نستطيع أن نقول بكل ثقة واطمئنان: إن دراسة المعاني لم تحظ باهتمام علماء البلاغة العربية فحسب ، بل شاركهم فيها النحاة لوعيهم التام بأهمية المعنى في الكلام وبلاغته ، والغرض في الأسلوب ومقاصده ،وبطرق وأحوال الاستعمال اللغوي وسياقاته ، وبطبيعة العلاقة بين المتكلمين والمخاطبين ، وبملابسات الخطاب ودلالته وأغراضه، ولم يكن نحوهم كله نحوا شكليا خالصا ، بمعنى أنهم لم يفهموا من اللغة أنها منظومة من القواعد المجردة فحسب، وإنما فهموا منها أيضا أنها لفظ معين يؤديه متكلم معين ، في مقام معين ، لأداء غرض تواصلي إبلاغي معين.

ولذلك جعلوا من أهداف الدراسة النحوية إفادة المخاطب معنى الخطاب ، وإيصال الرسالة الابلاغية إليه .

فقد عرف السكاكي النحو: بأنه (معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى... بمقاييس مستنبطة من كلام العرب)[1].وبيّن أن الغرض من وضع الكلم في التركيب هو حصول الفائدة لدى المخاطب[2]، وصرّح السيوطي بـ (أن صناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني، وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء وهو في المعنى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم، وكانت الفائدة في كلا الحالين واحدة)[3]، ولم يفصل جل نحاتنا القدماء بين المبنى والمعنى في التحليل النحوي (الإعراب)، بل كانوا يمارسون التحليل النحوي ولسان حالهم يقول، كما عبّر ابن هشام: (متى بني على ظاهر اللفظ ، ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد)[4]، وجعلوا من قواعدهم المنهجية المقررة قاعدة تقول: (الإعراب فرع المعنى ، وهذا ما يدل على أنهم درسوا اللغة دراسة وظيفية – تداولية.

هذا، وقد أسهم بعض النحاة في صناعة بعض مقولات ومفاهيم "علم المعاني" وتطبيقها في مجال بحثهم النحوي على مستوى الجملة، ولم ينفرد بها البلاغيون، ومن ثمّ فقد رضي النحاة العرب بالتقسيم

---

[1] السكاكي (أبو يعقوب) ، مفتاح العلوم ، ص: 75.

[2] المرجع نفسه ، ص:141.

[3] السيوطي جلال الدين(ت911ه) ، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق : محمد عبد الله، مجمع اللغة العربية دمشق،1986، ج3، ص:173.

[4] ابن هشام جمال الدين الأنصاري (ت761ه) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا_بيروت،1991، ج2، ص:607.

المشهور للكلام بأنه: إما خبرا ، وإما إنشاء، ولكنهم نقلوه من تقسيم للكلام إلى تقسيم للجملة، فصنَفوا الجملة أسلوبيا إلى صنفين: الجملة الخبرية ، والجملة الإنشائية. غير أن رضي الدين الأستراباذي أورد تقسيما ثلاثيا، ومضمونه أن الجملة غير الخبرية " إما إنشائية نحو: "بعت، وطلَقت، وأنت حر" ، وإما طلبية كالأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني[1]، وعلى هذا تكون قسمته ثلاثية.

ويفهم من هذا أن الأستراباذي يقسم الجملة أسلوبيا إلى ثلاثة أقسام:

1- جملة خبرية، وهي التي يكون الحكم فيها معلوما للمخاطب قبل النطق بها.

2- جملة إنشائية، وهي التي يكون تركيبها من ألفاظ العقود، وما شابهها.

3- جملة طلبيه، وهي التي يكون تركيبها من الإنشاء الطلبي.

ويكون الحكم في النوعين الأخيرين غير معلوم للمخاطب قبل النطق بها (أي الجملة)؛ فالنطق بالجملة هو الذي يفيد المخاطب بالحكم.

أما جمهور النحاة فقد أخذوا بالتقسيم الثنائي المشهور؛ فرأوا أن الجملة تدل على معنى أساسي واحد، هو نسبة مضمون المسند إلى المسند إليه، فإذا قصد المتكلم الكشف والإنباء عن ثبوت تلك النسبة ، أو عدم ثبوتها في الواقع كانت جملته خبرية محتملة لتطابق ذلك الإنباء مع الواقع ؛ أي تكون صادقة، أو عدم التطابق مع الواقع، فهي كاذبة. أما إذا قصد المتكلم إيجاد النسبة الخارجية وإنشاءها في الواقع – لا حكاية عنها – فجملته إنشائية[2].

وكون الجملة خبرية ، أو إنشائية يؤثر في طبيعة تركيبها وفي قواعدها ، وفي تحليلها نحويا، ولاسيما إذا اتخذت الجملة أدوارا وظيفية؛ فقد اشترط النحاة في بعض الجمل أن تكون "خبرية" واشترطوا في بعضها أن تكون "إنشائية"[3]...

وهكذا نجد كثيرا من نحاتنا يحتكمون إلى "أسلوب الجملة" وما يحمله من "معان وأغراض" في تحديد وظيفتها النحوية، أو تحديد وظائف عناصرها، ما كان الاحتكام إلى الأسلوب إجراء ضروريا.بتعبير مسعود صحراوي [4]

[1] الأستراباذي رضي الدين (ت686هـ) ، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب. ج1، ص:323.

[2] مسعود صحراوي التداولية عند علماء العرب ، ص 219 .

[3] ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،ج2 ، ص :761، 762.

[4] مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب . ص ، : 219 ، 220 .

ولهذا جعل ابن جني (ت392 هـ) "الكلام شاملا الجملة الخبرية ، والإنشائية ، فقال في تعريفه: "كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[1]، ثم مثل له بأمثلة خبرية وإنشائية منوعة التراكيب فقال: "... نحو: زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه، ورويدا... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[2]. فالأمثلة التي مثَل بها ابن جني للإسناد متنوعة بين خبرية وإنشائية.

ومن ثم فقد جعلوا كلا من "الأسلوب الخبري" و"الأسلوب الإنشائي" قرينتين تساعدان على تحليل الجملة ،ولاسيما إذا كان للجملة وظيفة نحوية.

وبناء عليه فإنّه يجوز أن نقول على رأي بعض الدارسين[3] :إنّ لـ"معاني" الأساليب أثرا واضحا في التحليل النحوي ، ومن ثم يكون النمط الأسلوبي للجملة قرينة نحوية معتبرة ، تساعد على دراستها، وتحليل الوظائف والعلاقات النحوية داخلها.

وما دام الكلام العربي يتألف بالضرورة إما من جملة خبرية ، أو من جملة إنشائية، فإنّ الجملتين كلتيهما تتألفان من عمدتين لا غنى عن إحداهما، هما المسند ، والمسند إليه. لكن الكلام لا يتألف من عمد فقط، بل قد تضاف إلى هذه العمد في أكثر الأحيان كلمات تسمى: "الفضلات" أو "التكملات"، لأنها تكمَل النسبة الكلامية الأساسية المؤتلفة من المسند والمسند إليه، وتقوم هذه "الفضلات" بدور"المقيد" أو"المخصص" للنسبة الكلامية التي تكون مطلَقة من دون هذه المخصصات.[4]

فهي فضلة في التركيب لا في المعنى

المبادئ التداولية في تحليل النحاة

عني كثير من نحاتنا القدامى بالمبادئ التي تعد عند المعاصرين أسسا تداولية، كمراعاة "قصد الكلام"، أوغرضه من الخطاب، ومراعاة " حال السامع" ضمن ما أطلقوا عليه مصطلح "الإفادة"، وهي الفائدة التي يجنيها المخاطب من الخطاب، و"السياقات" التي ينتج ضمنها الكلام، ومدى نجاح التواصل اللغوي...[5]

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) ، الخصائص،تح:محمد علي النجار، دار الكتاب العربي،بيروت، د ت، ص: 17.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] منهم على الخصوص: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص:46، 47.

[4] مسعود صحراوي التداولية عن علماء العرب . ص : 222

[5] المرجع نفسه ، ص : 230 .

وقد وجدنا النحاة العرب المهتمين بالأبعاد التداولية للخطاب يناقشون مبدأ الإفادة خصوصا في عدة ظواهر أسلوبية منها ظواهر: التعيين، والنفي والإثبات، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير. ولا تحصل "الفائدة" لدى السامع – في تصور نحاتنا وعلمائنا القدامى – إلا باستيفاء بعض الشروط التي يكون بها الكلام "كلاما"، أي خطابا متكاملا يحمل رسالة إبلاغية واضحة يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب.

ولذلك قال ابن جني في تعريف الكلام: "كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[1]، وقال في موضع آخر في تعريف الكلام: "فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه، فهو كلام"[2]، ولذلك عرَف بعض القدامى والمحدثين الجملة بأنها "اللفظ الذي يفيد فائدة يحسن السكوت عليها... والمستمع يكتفي بها"[3]، ولهذا وضع "عباس حسن" شرطا لها سماه: "الإفادة المستقلة"[4] حتى يصح تسمية التركيب "جملة".

أما بخصوص ثبوت المعنى الدلالي العام للجملة فقد اتفق نحاة العربية على أن الجملة لا تسمى "جملة" ولا "كلاما" حتى يكون لها معنى يفهمه السامع، وإلا كانت لغوا، وينبغي أن يكون هذا المعنى أمرا مشتركا بين الناطقين بذلك اللسان كلهم ، بحيث يفهمونه على حد سواء ؛ لأن فهمه هو هدف العملية التواصلية.

وقد اهتم النحاة العرب بظاهرة التعيين بوصفها عنصرا هاما في إقامة أي تواصل لغوي مفيد، يحقق مبدأ الإفادة كشرط ضروري لعملية التواصل. وبمراعاة هذا القانون اللغوي ، راحوا يربطون بين مفهوم الإفادة وبين مقولة التعريف والتنكير في ظواهر، وعلاقات نحوية كبرى كالإسناد وغيره، فقد تعرض لها سيبويه حين تحدث عن الإسناد، فاشترط في المسند إليه (المبتدأ) ألا يكون نكرة محضة، مخافة الإخلال بالإفادة التي هي غرض تواصلي هام، وذلك في مثل: كان إنسانا حليما وكان رجلا منطلقا... على اعتبار أن الجملتين غير مفيدتين للسامع شيئا ومن ثم فهما "لاحنتان"، والعرب بسلوكهم هذا المسلك في أحاديثهم، كرهوا أن يقربوا باب اللبس[5]؛ أي كرهوا أن يبدءوا بما فيه اللبس لئلا يقع تشويش على

[1] ابن جني ، الخصائص: ص17.

[2] المرجع نفسه ، ص:18.

[3] ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك (ت672هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ص 14.

[4] عباس حسن النحو الوافي ، دار المعارف. ط 12 د ت ج1،ص:15.

[5] عبد الجبار توامة ، القرائن المعنوية في النحو العربي ، ص:255.

المخاطب في تلقي الرسالة الابلاغية، ولذلك قرر سيبويه أن المعروف[1] – أي المعين- هو المبدوء به، وعليه فإنّه إذا لم تحصل إفادة لدى المخاطب لم يجز الابتداء بالنكرة، وأمّا إذا تحققت"الإفادة" في النكرة فجاز الإخبار عنها والإسناد إليها[2]، فنرى سيبويه يحمل الظاهرة على قاعدة لغوية هامة هي: قاعدة أمن اللبس، أو حصول الفائدة التواصلية لدى المخاطب ، وقرر سيبويه أنّه (أي الابتداء بما فيه اللبس أو ما يتسبب في لبس) لا يجوز إلا في الشعر ، أو في ضعف من الكلام [3].

وتأسيسا على هذا التحليل التداولي الصريح الذي بدأه سيبويه ، وضع النحاة قاعدة مشهورة مضمونها أن الأصل في المبتدإ (المسند إليه) أن يكون معرفة ؛ لأنّه هو المتحدث عنه ، فلا يجوز الابتداء بالنكرة إلاّ إذا أفادت ، وأن الأصل في الخبر (المسند) أن يكون نكرة ، ولذلك يرى أبو بكر بن السراج النحوي(ت316هـ) أن حق المبتدإ أن يكون معرفة ، أو ما قارب المعرفة من النكرات الموصوفة خاصة[4]... وصرّح بأنّه "إنّما امتنع الابتداء بالنكرة المحضة ؛ لأنّه لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه فلا معنى للمتكلم به، ألا ترى أنّك لو قلت: رجل قائم، أو رجل عالم، لم يكن في هذا الكلام فائدة ؛لأنّه لا يستنكر أن يكون في الناس رجل قائما أو عالما...[5]، وإذا اجتمع اسمان معرفة ونكرة فحق المعرفة – في رأي ابن السراج – أن تكون هي المبتدأ ، وأن تكون النكرة الخبر، لأنّك إذا ابتدأت فإنّما قصدك تنبيه السامع بذكر الاسم الذي تحدثه عنه ليتوقع الخبر بعده، فالخبر هو الذي ينكره ولا يعرفه ويستفيده[6]... والاسم لا فائدة له لمعرفته به، وإنّما ذكرته لتسند إليه الخبر[7].

وبناء على ما سبق يجدر بنا أن ننظر ابتداء إلى البعد التداولي لتعريف المسند إليه وتنكيره . فما هي الأبعاد التداولية لتعريفه، وتنكيره ؟ .

---

[1] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ), الكتاب تحقيق عبد السلام محمد هارون, الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة. ط1. 1391 هـ ، 1975 م . ج1 ص: 48 .

[2] المرجع نفسه، ص:48.

[3] المرجع نفسه ، ص :48

[4] ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل ، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996،ج1،ص59.

[5] المرجع نفسه ،ج1،ص : 59.

[6] سيبويه الكتاب ،ج1،ص:59.

[7] المرجع نفسه ،ج1، ص:59.

أ- الأبعاد التداولية لتعريف المسند إليه .

التعريف ويعني تخصيص الشيء وتعيينه، وعليه يكون المعرفة هو: ما خصَ واحدا بعينه من جنسه، كالمضمرات والأعلام وما عرّف بالألف واللام والمضاف إلى أحدهما[1].

ويكاد النحاة العرب يتفقون على أن اللفظ يدل على التعريف بنفسه أو بقرينة زائدة عليه[2].

وقد حدد سيبويه المعرفة على أساس من دلالتها على التعيين فقال معللا العلم : (...وإنّما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه يعرف به بعينه دون سائر أمته)[3].وقال معللا تعريف المضاف إلى معرفة في نحو هذا أخوك :(... وإنّما صار معرفة بالكاف التي أضيفت إليها ؛ لأنّ الكاف يراد بها الشيء بعينه دون سائر أمته)[4]، وقال معللا تعريف ما فيه الألف واللام(وإنّما صار معرفة ؛لأنّك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته)[5]، وقال معللا تعريف أسماء الإشارة : (...وإنّما صارت معرفة ؛لأنّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته .)[6]

وقال الصبان :(وقد عرّف غير واحد المعرفة بما وضع لشيء بعينه ،ولا استدراك .)[7]

أي التسليم المطلق بالتعيين ، وجعله معيارا للحكم على الكلمة بالتعريف ، وقال الخضري: (وقد عرّف كثير المعرفة بما وضع ليستعمل في شيء بعينه ،ولا اعتراض .)[8] ؛ أي لا اعتراض على أن المعرفة تدل على معين .ونستنتج من هذا كله أن المعرفة هي ما وضع لشيء بعينه ؛ أي ما دلت على معين .

وإذا نظرنا إلى الترتيب الشائع للمعارف ، فإنّنا نستأنس بقول عباس حسن في هذا الشأن حيث يقول : (إن أقواها بعد لفظ الجلالة وضميره ، هو ضمير المتكلم ، ثم المخاطب ، ثم العلم وهو درجات متفاوتة القوة في درجة التعريف، ثم ضمير الغائب الخالي من الإبهام، ثم اسم الإشارة، والمنادى (النكرة المقصودة) وهما في درجة واحدة؛ لأنّ التعريف بكل منهما ، إمّا بالقصد الذي يعينه المشار إليه ، وإمّا بالتخاطب، ثم الموصوف والمعرف بآل وهما في درجة واحدة، أمّا المضاف إلى معرفة ، فإنّه في درجة

---

[1] الجرجاني علي بن محمد المشهور بالشريف الجرجاني (ت816هـ)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت . 1995 ص:221.

[2] عبد الجبار توامة ، القرائن المعنوية في النحو العربي، ص: 255.

[3] سيبويه الكتاب، ج 1، ص: 422.

[4] المرجع نفسه ،ج 2. ص: 5.

[5] المرجع نفسه .

[6] المرجع نفسه .

[7] الصبان حاشية الصبان (ت1206هـ) على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، القاهرة ، د ت ج1 ، ص: 106.

[8] الخضري حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، القاهرة ، 1940 ج1، ص :53.

المضاف إليه إلاّ إذا كان مضافا للضمير ، فإنّه يكون في درجة العلم على الصحيح، وأقوى الأعلام أسماء الأماكن لقلة الاشتراك فيها، ثم أسماء الناس، ثم أسماء الأجناس. وأقوى أسماء الإشارة ما كان للقرب ثم ما كان للوسط، ثم ما كان للبعد"[1] .

ولم يكن نحاة العربية بعيدين عن إدراك دور المخاطب في الاتصال الكلامي، بل لقد جعله بعضهم الباعث إلى التعبير عما في نفس المتكلم قال السهيلي : (اعلم أنّ الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر المخاطب عنه بلفظ أو لحظ أو خط، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عمّا في نفس المتكلم) [2]

وعلق على هذا القول محمود محمد نحلة قائلا: (وهذا القول على إيجازه يشير إلى ثلاث قضايا أساسية : إحداها القدرة الكلامية الكامنة في نفس المتكلم ، والتي يعبر عنها تشو مسكي ومن لفّ لفه بمصطلحه المشهور compétence.

والثانية : أن التعبير عنها يكون بوسائل لغوية (لفظ) وغير لغوية (لحظ) أو قل (منطوقة) ، و(غير منطوقة) والثالثة : أن المخاطب شريك لا بد منه في الاتصال الكلامي [3]

وقد نبه عبد القاهر الجرجاني إلى أن صحة التراكيب لا يكفي فيها أن تجري على قواعد النحو ، بل لا بد فيها من مراعاة حال المخاطب .يقول :(فإذا قلت :رجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أنّ الذي جاءك رجل لا امرأة، و يكون كلامك مع من قد عرف أنّه قد أتاك آت...و كذلك إن قلت رجل طويل جاءني لم يستقم حتى يكون السامع قد ظنّ أنّه أتاك قصير ،أو نزلته منزلة من ظن ذلك)[4] .فهو يتوقف كما ترى في الحكم على الجملة بالصواب أو الخطأ ؛حتى يقف على حال المخاطب . ويقول أيضا:(اعلم أنك إذا قلت :زيد منطلق كان كلامك مع لم يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد ، ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء. وإذا قلت زيد المنطق كان كلامك مع من عرف أنّ انطلاقا كان إمّا من زيد و إمّا من عمرو، فأنت تعلمه أنّه كان من زيد دون غيره ، والنكتة أنّك تثبت في الأوّل الذي هو قولك : زيد منطلق فعلا لم يعلم السامع من أصله أنّه كان ، و تثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلا

[1] عباس حسن ، النحو الوافي ،ج1 ، ص : 21 ، 22.

[2] السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (ت 581هـ)، نتائج الفكر ،ص: 218.

[3] محمود أحمد نحلة .التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ،دار المعرفة الجامعية ،كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ،مصر ص : 82، 83

[4] الجرجاني عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز، ص:143.

قد علم السامع أنّه كان ،ولكنه لم يعلمه لزيد فأفدته ذلك)[1].و ظاهر أنّه يلفت إلى أنّ المتكلم يعمد إلى نظم كلامه على النحو الذي يقتضيه علمه بحال المخاطب ، أو السامع.

وقد تتبع النحاة المعارف جميعا، وأرجع كثير منهم تعريف كل منها إلى علم المخاطب ، إلا المنادى فقد أرجعوا تعريفه إلى قصد المتكلم، وسوف نورد الآن من أقولهم ما يؤيد ذلك :

1- **الضمير**: قال سيبويه (وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تضمر اسما بعد ما يعلم أن من يحدث قد عرف من تعني و ما تعني، و انك تريد شيئا يعلمه "[2]و قال ابن يعيش :"وإنّما صارت المضمرات معارف لأنك لا تضمر الاسم إلا وقد علم السامع على من يعود ، فلا تقول : ضربته ، ولا مررت به حتى يعرفه ويدري من هو)[3] فالضمير معرفة لكون السامع يعلم على من يعود .

2 – **العلم** : قال سيبويه :(...من قبل أنّك إذا قلت : هذا زيد فزيد اسم لمعنى قولك : هذا الرجل ، إذا أردت شيئا بعينه قد عرف المخاطب بحليته، أو بأمر قد بلغه عنه قد اختص به دون من يعرف ..)[4].

نفهم أن العلم معرفة ؛ لأنّه يدل على معين .

3- **اسم الإشارة** : قال ابن يعيش:"....و معنى التعريف فيه أن يختص واحدا ليعرفه المخاطب بحاسة البصر ، وغيره من المعارف يختص واحدا ليعرفه بالقلب "[5].

4-**المعرف بالألف واللام** :قال سيبويه : وأمّا الألف واللام فنحو الرجل والفرس والبعير وما أشبه ذلك. وإنما صار معرفة: لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته ،لأنك إذا قلت مررت برجل فإنك إنما زعمت أنك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم ،لا تريد رجلا بعينه يعرفه المخاطب.وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكره رجلا قد عرفه فتقول :الرجل الذي من أمر هكذا وكذا ليتوهم الذي كان عهده بما تذكره من أمره"[6] أي ما كان شائعا فتخصص ، وصار معرفة عند المخاطب.

---

[1] المرجع السابق ،ص: 187.

[2] سيبويه : الكتاب ، ج4 .ص :3

[3] ابن يعيش أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت643هـ) ، شرح المفصل قدم له ووضع هوامشه وفهارسه ، إميل بديع يعقوب ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت ،1422هـ- 2001م : ج5 ص: 86.

[4] سيبويه : الكتاب ج4. ص:92.

[5] ابن يعيش : شرح المفصل : ج5 ص: 86.

[6] سيبويه :الكتاب ج 2 ص: 5 .و انظر : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المقتضب (ت285هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق العظيمة عالم الكتب ج4. ص: 277 و ابن السراج :الأصول ج1 ص : 150.

5- **المضاف إلى معرفة** :قال ابن السراج: و أنت لا تقول غلام زيد فتضيف إلاّ وعندك أنّ السامع قد عرفه كما عرفته "[1].و قال ابن أبي الربيع: " ولا يتعرف الأوّل إلاّ بما يكون معلوما عند المخاطب ، نحو : غلام زيد و صاحب عمرو، فعمرو بلا شك معروف عند المخاطب ، و لولم يكن معلوما ما صح أن يتعرف الصاحب "[2]

6- **الموصول**: قال ابن يعيش:(وينبغي أن تكون الجملة التي تقع صلة معلومة عند المخاطب ؛ لأنّ الغرض منها تعريف المذكور بما يعلمه المخاطب من حاله ليصح الإخبار عنه بعد ذلك .)[3]

7- **المنادى**:لا يرجع تعريفه إلى علم المخاطب، ولا إلى علم المتكلم بل يرجعه النحاة إلى قصد المتكلم . قال سيبويه : (وذلك أنّه إذا قال: يا رجل ويا فاسق فمعناه كمعنى يا أيها الفاسق ، ويا أيّها الرجل ، وصار معرفة ؛ لأنّك أشرت إليه ، وقصدت قصده)[4]

وقال السيرافي : (... والجواب الثاني أنّ المفرد يؤثر فيه النداء حتى يكون معرفة به كقولك : يا رجل إذا قصدت واحدا بعينه صار معروفا بالنداء؛ لإقبالك عليه وقصدك إياه بحرف النداء)[5] وقال أبو علي الفارسي: (ألا ترى أنك إذا قلت: يا رجلا لم ترد واحدا بعينه مقصودا ، إنّما ناديت واحدا من هذا النوع فكل من أجابك منهم فهو الذي أردت .وأنّك في المعرفة قاصد لواحد بعينه.)[6]

وعملا بالترتيب الشائع للمعارف حسب رأي عباس حسن نبدأ بتعريف المسند إليه بالضمير .

تعريف المسند إليه بالضمير

الضمير فعيل، بمعنى اسم مفعول، من أضمرت الشيء في نفسي، إذا أخفيته وسترته فهو مضمر كالحكيم بمعنى المحكم .

---

[1] ابن السراج : الأصول .ج1 ص : 53.

[2] ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد عبيد الله (ت 688هـ) ، البسيط في شرح جمل الزجاجي تح : عياد بن عيد الثبيتي .بيروت 1986م ج1ص :173.

[3] ابن يعيش ،شرح المفصل ،ج3، ص : 154.

[4] سيبويه ، الكتاب ،ج2 ، ص : 197.

[5] السيرافي أبو سعيد (ت 368هـ) ،شرح كتاب سيبويه ،ج1 ، تحقيق رمضان عبد التواب ، ومحمود فهمي حجازي ،القاهرة 1986 وج2 ، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة 1990. ص : 154.

[6] الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد (ت 377هـ)، التعليقة على كتاب سيبويه ، تحقيق عوض بن حمد القوزي .القاهرة 1990 ،1991 ،1994 ،ج1، ص :328.

والنحاة يقولون إنّما سمي بذلك لكثرة استتاره، فإطلاقه على البارز توسع، أو لعدم صراحته كالأسماء المظهرة [1]

وهو اصطلاح بصري والكوفة يسمونه كناية ومكنيا، لأنه ليس باسم صريح والكناية تقابل الصريح .[2]

وأما ألفاظه فهي كثيرة، فهناك ضمائر الرفع المنفصلة والمتصلة ، وضمائر النصب المنفصلة ، والمتصلة وهذه الضمائر كلها منها ما هو للمتكلم ، ومنها ما هو للمخاطب ، ومنها ما هو للغائب .

ويذهب النحاة إلى أن الضمائر جميعا لا تخلو من إبهام وغموض، ولا بد من شيء يفسر إبهامها، ويزيل غموضها، فضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت التكلم، وقد ذكرنا أن المتكلم حاضر يتكلم بنفسه، وكذلك المخاطب هو أيضا حاضر، يفسر بأنه يكلمه غيره مباشرة (والحاضر لا يكون إلا معينا)، وقد يكون شاهدا أيضا. فالأصل في الخطاب إذن أن يكون لمعين مشاهدا مفردا، أو مثنى أو جمع.

ويأتي تعريف المسند إليه بالضمير عندما يكون بقرينة، وهذه القرينة تأتي في ثلاثة مقامات، لتحقيق ثلاثة أغراض بلاغية عامة، وهي كما جاءت في الإيضاح (إما لأن المقام للتكلم، نحو: أنا ضربت، أو الخطاب، نحو: أنت ضربت، أو الغيبة نحو هو ضرب.)[3].

أمّا المقام الأول: فإذا كان المقام مقام تكلم، كقوله صلى الله عليه وسلم (**وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ**)[4]، وهذا الحديث كقوله تعالى: (**إِنِّيَ أَنَا رَبُّكَ**)[5] فقد استعمل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم- ضمير التكلم " أنا " لأنّ المقام مقام تكلم .

ويأتي تعريف المسند إليه بضمير المتكلم وحده الضمير(أنا) مترددا بكثرة في الحديث النبوي سواء أكان منفصلا، أم مؤكدا بضمير متصل، ومن أمثلته منفصلا، قوله- صلى الله عليه وسلم – :

---

[1] ينظر خالد بن عبد الله الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية،ج1 ،ص :95 ،حاشية الخضري،ج1، ص 53:

[2] وينظر ابن يعيش ، شرح المفصل ،ج 3 ،ص: 48.

[3] الخطيب القزويني (ت739هـ) محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة ، حققه وعلق عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي مؤسسة المختار ، ط 2، 2003 ، القاهرة ، ج1، ص:10.

[4] صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، المجلد 4رقم :2283 ص:1766.

[5] طه، الآية: 12.

(**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب**)[1]، وقوله – صلى الله عليه وسلم: (**أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**)[2] وأما من أمثلة المتكلم وحده المؤكد بضمير متصل، كقوله صلى الله عليه وسلم: (**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**)[3]، والشاهد فيه: بعثت أنا.

ومثل ما يكون التعبير بضمير المتكلم (أنا) للمتكلم وحده، فكذلك يكون التعبير بضمير المتكلمين (نحن): (وهو للمتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره، ولكن يظل (أنا) هو الأصل، ونحن هو الفرع)[4]. نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (**نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ**)[5]

ثم تأمل لطافة التعبير بضمير المتكلمين (نا) في قوله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**)[6]، حيث ترى في التعبير بهذا الضمير بلاغة في التأكيد لا تراها في التعبير بالضمير (نحن)، فلو أنه قال: (نحن قافلون) لما كان فيه أي مزية للتأكيد، فضمير المتكلمين (نا) المتصل بأداة التأكيد (إن) أفاد الجملة تأكيدا وبيانا، واهتماما وعظمة بالخبر، قال ابن عاشور في تفسير التحرير: (وذلك، لتقرير مدلول الضمير تأكيدا لفظيا للتنبيه على عظمة ذلك الضمير، ليفضي به إلى زيادة الاهتمام بالخبر.)[7] وفي هذا فعل متضمن في القول، أو قل إن شئت : قوة إنجازية مستلزمة مقاميا بتعبير التداوليين .

والمقام الثاني: هو مقام الخطاب، كقوله صلى الله عليه وسلم : (**أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ.**)[8] وقوله صلى الله عليه وسلم :(**أَنْتُمْ أَصْحَابِي**)[9]

فقد استعمل النبي – صلى الله عليه وسلم – ضمير الرفع المنفصل " أنتم" لجماعة المخاطبين ؛ لأن المقام مقام تخاطب .

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب الجهاد والسير، المجلد 3 رقم :1876 ص :1401.

[2] المصدر نفسه ، المجلد 3 رقم : 1780 ص :1408.

[3] المصدر نفسه ،كتاب الفتن وأشراط الساعة، المجلد 4 رقم : 2951 ، ص : 2268.

[4] عباس حسن ، النحو الوافي، ج2 ، ص: 255.

[5] صحيح مسلم ،كتاب الصيام ، المجلد 2 رقم : 1130 ص : 794.

[6] المصدر نفسه ،كتاب الجهاد والسير ، المجلد 3 رقم : 1778 . ص.:1402 .

[7] ابن عاشور (محمد الطاهر) تفسير التحرير والتنوير ، ص: 402.

[8] صحيح مسلم ،كتاب الطهارة ،المجلد 1 رقم :246 ص: 216.

[9] المصدر نفسه، كتاب الطهارة ، المجلد 1 رقم :249 ، ص.218.

إنّما يؤتى بالمسند إليه ضمير خطاب إذا كان المتكلم يخاطب إنسانا آخر لكون الحديث في مقام الخطاب، والتعريف بمقام الخطاب يكون بأدوات هي ضمائر الخطاب، وهذه الضمائر منها أصول، ثم فروع، وذكرها أو حذفها يعتبر أصلا من أحوال المسند إليه بعكس المسند: (لأنّ الأصل في المسند إليه التعريف، وفي المسند التنكير)[1].

ويكون ذكر الخطاب هنا بالضمير الظاهر سواء كان منفصلا ، أم متصلا: (أولها وهو الأصل (أنت) للمفرد المذكر، ثم الفروع)[2]، وهذه تختص بمحل الرفع، كقوله تعالى: ﴿**أَنتَ مَوْلِينَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[3]، وعلى منواله قوله صلى الله عليه وسلم: (**فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**)[4]، الشاهد الضمير المنفصل (أنت)، والمتصل تاء المخاطب في (أحببت) .

وأما ما يختص بمحل النصب: (فللمخاطب المفرد (إياك) وهو الأصل،وفروعه)[5]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[6]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ** ..)[7]، والشاهد في الآية (إياك) وهو الأصل، وفي الحديث إياكم، وهو أحد الفروع.

ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ**)[8]، فالخطاب جاء بصيغة العموم، لأنّ كل من أتي منه سماع النداء من المسلمين، فيجب عليه تلبيته، لذلك فإنّ سماع النداء بالآذان أو الإقامة لا يختص به سامع دون سامع، بل يجب على جميع المسلمين القيام بذلك.

وفي ذلك تأمل استخدامه لأداة الشرط (إذا) في قوله: إذا سمعتم تجد ما لا يخفى عليك من تحقق وقوع الشرط قطعا الذي هو سماع النداء بالصلاة، وهذا مما لا شك فيه محقق وقوعه من كل مسلم، (فإذا) في الحديث لا يمكن أن تحل محلها (إن)، فيقول: (إن سمعتم)، لأن النداء حينئذ يكون كالمشكوك في حصوله فيكون من المحتمل وقوعه، وثبت أنه محقق الوقوع ، ويجيبه كل مسلم في اليوم خمس مرات.

---

[1] الأنباري (شمس الدين) ،تقرير الأنبابي على السعد ،د، ط، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، 1331هـ ، ج2 ، ص:22.

[2] عباس حسن النحو الوافي : ج1 ، ص:255.

[3] البقرة، الآية: 286.

[4] صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب ، المجلد 4، رقم: 2639 ، ص :2032.

[5] عباس حسن النحو الوافي: ج1، ص: 255.

[6] الفاتحة: الآية : 5 .

[7] صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب، المجلد 4، رقم: 2563، ص: 1985 .

[8] المصدر نفسه ،كتاب الصلاة ، المجلد 1، رقم :383، ص :288 .

ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ). قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) . قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ)** [1]

قد جاء المسند إليه "واو جماعة المخاطبين" "تدرون" معرفا بالإضمار لمناسبة مقام الخطاب ، لأنّه موجه إلى فئة خاصة معلومة فكان الضمير دالا على ذلك .

وأما المقام الثالث، فهو مقام الغيبة

يأتي المسند إليه ضمير غيبة إذا كان المتكلم، يخاطب غائبا لا حاضرا، وقد رأينا أكثر النحاة، ومنهم ابن عقيل يصنف الضمير إلى غيبة، أو حضور، ويجعل ضمير الحضور على قسمين: (أحدهما ضمير المخاطب نحو: (أنت)، والثاني ضمير المتكلم، نحو (أنا) وقد سبق الحديث عنهما، ونظم ابن مالك ذلك بقوله:

فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورٍ كَأَنْتَ، وَهُوَ سِمْ بِالضَّمِيرِ.

يشير إلى أن الضمير ما دال على غيبة، كهو، أو حضور كأنت)[2].

ولكن كون الشيء غائبا لا يستدعي الإضمار، لأن الأسماء الظاهرة كلها غيب، ولهذا ترى السكاكي قد دقق في تعريف ضمير الغيبة، فقال: (بأنه ما وضع لغائب تقدم ذكره لفظا، أو معنى، أو حكما)[3] وقوله صلى الله عليه وسلم في رده عن السؤال القائل أي الذنب أعظم؟، قال: (**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**)[4].

وكقوله صلى الله عليه وسلم: (**كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ، فَهُوَ حَرَامٌ**)[5]، وقوله صلى الله عليه وسلم (**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ،**)[6]، فالضمير (هو) في الأحاديث السابقة ضمير غيبة ، يعود على غائب متقدم عليه

[1] المصدر السابق، كتاب البر والصلة والآداب ،المجلد 4 ، رقم :2589 ص: 2001 .

[2] شرح ابن عقيل على الألفية ،ج1 ، ص:88.

[3] السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص :178.

[4] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، المجلد 1 ، رقم : 90 .ص: 91.

[5] المصدر نفسه كتاب الأشربة ، المجلد 3 رقم : 2001 .ص: 1585 ..

[6] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان المجلد 3 ، رقم : 57 ، ص: 76

وفي هذا أيضا تأمل ما جاء في شرح السعد، فقال: (إن معنى كون الأسماء الظاهرة غيب، أنها تعامل من حيث مدلولها معاملة الغائب، فتقول: (زيد قام)، وإن كان زيد عبارة عن نفسك، أو مخاطبك، ولأجل كون الأسماء الظاهرة كلها غيب عرف ضمير الغائب بهذا التعريف.)[1].

وأمّا أدوات ضمير الغيبة كما جاء: (فأولها وأصلها (هو) للمفرد الغائب، ثم فروعه، وهذه تختص بمحل الرفع، وأما ما يختص منها بمحل النصب، فللغائب المفرد (إياه)،وفروعه، إذ أن ضمير الغائب صاحبه غير معروف؛ لأنّه غير حاضر، ولا مشاهد، فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره، ويوضح المراد منه.

تعريف المسند إليه بالعلمية

يذكر النحاة أن العلم اسم خاص يؤتى به ليميز مسماه عن غيره، ولا يختلف هذا مع قول اللغويين، كقول ابن فارس: (والعلم: الراية، والجمع: أعلام، والعلم والجبل، وكل شيء معلما: خلاف الجهل، ومنه قوله تعالى: (وإنّه لعلم الساعة)، في قراءة بعض القراء وقالوا: يراد به نزول عيسى عليه السلام، وإنه بذلك يعلم قرب الساعة)[2].

وجاء في حاشية الصبان: (العلم يطلق على: الجبل، والراية ، والعلامة)[3].

ويستدل على ذلك بقول الخنساء:[4]

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ.(البسيط)

والعلم من أصناف الاسم على حد قول النحاة، من ذلك ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: (اعلم أن العلم هو الاسم الخاص الذي لا أخص منه)[5]

وقد يأتي تعريف المسند إليه بالعلمية لتحقيق أغراض إبلاغية ، وأبعاد تداولية مراعاة للمقام ومقتضى حال المخاطب ،كالتعظيم مثلا .

تأمل البعد التداولي في إحضار اسم المدينة للعلمية في قوله صلى الله عليه وسلم: (**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ، وَلَا صَرْفٌ**)[6].

---

[1] تقرير الأنبابي على السعد، ج2 ، ص: 26.

[2] ابن فارس ، مقياس اللغة ،ج1، ص:109، 110.

[3] الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني ،ج1، ص: 137.

[4] البيت في مقياس اللغة: ج4 ، ص: 109، وفي ديوان المعاني: أبي هلال العسكري (د ط مكتبة القدس، القاهرة: د.ت) ، ج1 ، ص4.

[5] الزمخشري ، المفصل ،ج1 ، ص: 93.

[6] صحيح مسلم ،كتاب الحج المجلد 2 ، رقم : 1371 .ص : 999.

فتعريف المسند إليه (المدينة) بالعلمية أفاد بعدا تداوليا هو التعظيم والتقديس اللذان هما : القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا .فإحضار المدينة للعلمية كان من أجل قديستها ، وعظمتها لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجميع المسلمين ، بوصفها حرما .

ثم تأمل في قوله – صلى الله عليه وسلم : (**هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**)[1]. لترى دلالة العدول في العلمية ؛ أي الانتقال من علم المدينة إلى طابة للإشعار بالتعظيم والمدح والتبرك.وهو الفعل المتضمن في القول والقوة الإنجازية المستلزمة بدلالة المقام .

وقد يحصل العدول من الاسم الحقيقي إلى الكناية للتعبير عن بعد تداولي منشود كالمدح والتعظيم مثلا وهذا ما نراه في قوله – صلى الله عليه وسلم: (**فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**)[2].

فقد عدل النبي صلى الله عليه وسلم من أسمائهم الحقيقية إلى الكناية عنهم بـ (نبي الله)، وكان مقتضى السياق الذي تدل عليه قرائن الأحوال أن يقول: أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.ولكنه صلى الله عليه وسلم استعمل الكناية للمدح والتعظيم ، وهما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (**أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ .. . هِيَ النَّخْلَةُ**)[3].

حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكنى بالنخلة عن المسلم دلالة على قوتها وشموخها وثباتها، وخيرها الوفير، فالكناية بالنخلة عن المسلم في الحديث الشريف، أفادت قيمة تداولية هي: الإشعار بالمدح أو التعظيم وهي القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا .

فالتعبير بالكناية المقصود هنا الكناية التي تناسب مقام العلمية من غير اشتراط شروط الكناية المخصوصة المعلومة، والتي هي أن يطلق اللفظ ويراد به لازم معناه، وقد مثل البلاغيون على ذلك باسم أبي لهب، وهي كناية أطلقت على عبد العزى ابن عبد المطلب عم النبي – صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى:﴿ **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾[4]، وفي هذا قال ابن يعقوب المغربي في مواهب الفتاح:

---

[1] المصدر السابق ،كتاب الحج 2 ، رقم :1392 ص:1011

[2] المصدر نفسه ،كتاب الفضائل ، المجلد 4 ، رقم :2378.ص: 1846 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، المجلد4 . رقم 2811 ص: 2165 .

[4] المسد، الآية: 1 .

(لأنّ أبا لهب باعتبار أصل الوضع يشعر بملابسة لهب النار كما يقال أبو الشر، وأبو الخير، وأخو الحرب، لملابس هذه الأشياء فإطلاقه إطلاقا علميا يمكن معه الشعور بملابسة النار المخصوصة مع القرائن، وهو أنه جهنمي)[1].

تعريف المسند إليه باسم الإشارة

هذا ولا يخفى على القارئ الحصيف الذي له ذوق سليم أن يدرك أن تعريف المسند إليه باسم الإشارة سواء أكان للقريب أم للبعيد ، إنما يكون للتعبير عن قيم تداولية تحددها سياقات الكلام ، ومسالك معانيه تراها تهز الكلام هزا ببعث مضمرات دلالاتها ،حين يجريها بصير بمواقع الكلمة كالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفصح العرب قاطبة .

فتعريف المسند إليه بإيراده اسم إشارة ، يكون لتمييزه أكمل تمييز؛ لأن اسم الإشارة يعنى في حد ذاته غاية التمييز والوضوح ؛ أي أن اسم الإشارة بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديدا ظاهرا ويميزه تمييزا كاشفا ، وهذا التحديد قد يكون مقصدا مهما للمتكلم ؛لأنه حين يكون معنيا بالحكم على المسند إليه بخبر ما فإن تمييز المسند إليه تمييزا واضحا يمنح الخبر مزيدا من القوة والتقرير.

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**...)[2] قال هذا في تحريم مكة المكرمة يوم الفتح. تجد الرسول- صلى الله عليه وسلم – لما أراد الإخبار على وجه التوكيد بحرمة مكة المكرمة ، ذكرها باسم الإشارة ليميزها ويحددها أكمل تمييز ؛لأن تمييزها أكمل تمييز يكون أعون على كمال الحرمة ، وأبعد من التقصير من الاعتناء بأمر البلد المحرم (مكة) ، قال هذا ولم يقل (هو) ليبرزه ويحدده ، فيقع الحكم عليه بأنه بلد حرّمه الله.مما زاد الخبر قوة وتقريرا .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**)[3] فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت الرّجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه فقال هذا الحديث .

---

[1] ابن يعقوب المغربي ، مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ، د ط ، دار السرور ، بيروت . د ، ت ،ج1ص:298.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الحج ،المجلد 2 ، رقم :1353، ص: 986 .

[3] المصدر نفسه، كتاب البر والصلة والآداب المجلد 4 .رقم: 2642 ص::2034..

تجد اسم الإشارة يميز العمل من الخير الذي يعمله الرجل الصالح ، ويحمده الناس عليه ليتقرر الحكم على هذا الفعل بأنه عاجل بشرى المؤمن ، لما في الإشارة من التمييز والوضوح ، وهذا التقرير سببه خصوصية في المذكور .

وقد يعرف المسند إليه باسم الإشارة للتخويف والتهويل من خلال تمييزه ، وتحديده ، وبيانه ووضوحه للعيان على نحو ما نراه في قوله صلى الله عليه وسلم :(**إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا، يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ**)[1]. فالتهويل والتخويف اللذان دلّ عليهما تعريف المسند إليه باسم الإشارة هما القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا .

وقد يعرف المسند إليه باسم الإشارة لإفادة التعظيم نحو قوله صلى الله عليه وسلم، وقد قدم من تبوك، وأشرف على المدينة: (**هَذِهِ طَابَةُ**)[2] وفي رواية قال وقد بدأ له أحد: (**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ**)[3] وفي رواية أخرى: (**هَذَا جَبَلٌ أُحُدٌ يُحِبُّنا وَ نُحِبُّهُ**)[4]

ففيه تلميح وتعظيم لجبل أحد، ومعناه: (هذا جبل أو جبيل يحبنا أهله ونحبهم)، وذلك على سبيل الاستعارة.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ**)[5] تجد اسم الإشارة للتوسط يفيد سمو المنزلة وعلو المقام وخير البرية ، والتعظيم هنا هو البعد التداولي المستنبط بدلالة السياق.

وقد يعرف المسند إليه باسم الإشارة الدال على التوسط ، أو البعد لإفادة معنى الاستنكار والإهانة . فاسم الإشارة كما يستعمل لقصد التعظيم والتفخيم فهو يستعمل أيضا لقصد التحقير والإهانة، فتارة يكون باستعمال اسم الإشارة القريب، وتارة يكون بالبعيد، والواقع أن السياق هو الذي يقرر ذلك)[6] (أي أنه يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة قصدا لتحقير معناه، بسبب دلالته على القرب، ووجه ذلك أن القرب من لوازمه الحقارة، يقال: هذا أمر قريب، أي هين سهل التناوب، وما كان كذلك يلزمه أن يكون

[1] المصدر السابق ، كتاب الكسوف ، المجلد 2 ، رقم: 912 ، ص:628 ، 629.

[2] المصدر نفسه كتاب الحج ، المجلد 2 ، رقم :1392 ، ص: 1011 .

[3] المصدر نفسه كتاب الحج ، المجلد 2 ، رقم :1392 ، ص:1011 .

[4] المصدر نفسه ،كتاب الحج ، المجلد 2 ، رقم :1392، ص : 1011 .

[5] المصدر نفسه ،كتاب الفضائل ، المجلد 4 ، رقم:2369. ص: 1839.

[6] الشيخ أحمد الدمنهوري، شرح عقود الجمان: د، ط ، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها :عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة د،ت.ص: 17.

حقيرا)[1]، ثم يتابع صاحب حاشية الدسوقي قوله عن التحقير بالبعد فيقول: (أي يؤتى بالمسند إليه اسم الإشارة أيضا قصدا لتحقير معناه، بسبب الدلالة على البعد نظرا إلى أن البعيد شأنه عدم الالتفات إليه، لعدم مخالطته للنفس)[2].

ومعنى هذا أن المتكلم قد يلجأ إلى تعريف المسند إليه باسم الإشارة بالبعد لغرض تحقيره حسب ما يقتضيه المقام والسياق ، ليحقق قصده التداولي ، ويمكن لنا أن نمثل لهذا بقول النبي – صلى الله عليه وسلم : (**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثاً**)[3]. فالإشارة إليه بالبعد تفيد تحقيره وذمه والتعوذ منه وبعده عن القلب والنفس، لاشمئزازها عند ذكره بسبب غوايته للعباد ، ووسوسته بالشر لهم .

وقريبا من هذا ما نجده في الحديث الشريف الذي روي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ – فِيهَا تَصَاوِيرُ – لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (**إِنَّ أُولَئِكَ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[4] .

فالإشارة في أولئك شرار الخلق...تفيد بعدهم عن الرشد ، والخيرية ، ومنازل الفائزين عند الله يوم القيامة.يفهم من استعمال اسم الإشارة أولئك الدال على البعد ، وفي هذا قيمة تداولية.

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم في رجل نام ليلة حتى أصبح: (**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**)[5]، فقد دلت الإشارة بـ (ذاك) على حرمانه من ساحة القرب، وشرف الحضور؛ لأنّ الشيطان قد تمكن من نفسه، فعقد على ناصيته، فأضاع عليه صلاة الصبح التي فيها خير كثير ، وأجر كبير، فكأنه بعيد عن أن يحرز عليه ، فجاء التعبير باسم الإشارة للبعيد ليطابق مقتضى حاله التي هو عليها من النوم الذي أبعده عن صلاة الصبح .

ومن المزايا البارزة لأسماء الإشارة أنها تعين المتكلم على التركيز والإيجاز وتفادي التكرار الذي تترهل به الأساليب وبتثاقل به وصولها إلى القلوب ، فقد تجد الباحث يعرض المسألة بتفاصيلها ، ثم يحتاج إلى

---

[1] حاشية الدسوقي على شرح السعد، دار السرور ، بيروت . د ت ، ج1 ، ص : 316.

[2] المرجع نفسه ، ج1، ص :317.

[3] صحيح مسلم ،كتاب السلام ، المجلد 4 رقم 2203 ، ص: 1728.

[4] المصدر نفسه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة المجلد 2 ، رقم: 528 ، ص:375،376.

[5] المصدر نفسه ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، المجلد 1، رقم: 774 ص: 537.

إضافة قيد أو ما يشبهه ، مما يعوزه إلى الإعادة ، وحينئذ تسعفه أسماء الإشارة ، يسلك سبيلا غير سبيل التكرار . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (**اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِى**)[1] قال هذا لما نزل قوله تعالى : ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ** ﴾[2] فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا . رضي الله عنهم . فقال: (اللهم هؤلاء أهلي).

نجد اسم الإشارة يعود على مذكور ،ويطوي هذه الأسماء (علي فاطمة حسن حسين . رضي الله عنهم . .) ويهيئ الكلام لذكر هؤلاء بأنهم أهله ، ولولا اسم الإشارة ، وما تميز به من شمول الدلالة لما أتيح للأسلوب هذا الإيجاز والتركيز .

وقد يشار بالقريب لمطابقة مقتضى الحال نحو قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ**)[3] ولم يقل هذا وذاك وذلك ويظهر أن الغرض هو الدلالة على أن أصحاب المظلمات يكونون محيطين به يوم الحساب مطالبين بحقوقهم ، فمن البلاغة الإشارة إليهم بالقريب لمطابقة مقتضى الحال .

وقد يعظم المعنى في نفس المتكلم حتى يخيل إليه أنه صار شيئا محسا يشار إليه ، فيدل عليه باسم الإشارة ، وفي هذه المعاني تظهر قيمة أخرى لهذه الخصوصية فتعطي عطاء جديدا يثري المعنى ، ويخصب التعبير. قال سعد الدين التفتازاني في التجريد: (والمميز أكمل تمييز إنّما هو الذات وهذا يقتضي أنّه أعرف من سائر المعارف من حيث إنّ فيه إشارة حسية مفسرة بإشارة الجوارح)[4].

كما قال القزويني في الإيضاح: (لصحة إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة حسا)[5] .فا (التمييز بالقلب والعين، ولا يحصل ذلك إلا باسم الإشارة)[6].

---

[1] المصدر السابق ،كتاب فضائل الصحابة ، المجلد 4 ، رقم :2404 ، ص : 1870.

[2] آل عمران الآية :6.

[3] المصدر نفسه ،كتاب البر والصلة والآداب، المجلد 4 ، رقم :2581 ، ص: 1997.

[4] التفتازاني سعد الدين . التجريد في علم المعاني ، د،ط مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، 1331هـ : ج2 ، ص: 87.

[5] القزويني ، الإيضاح، ج1 ، ص: 314.

[6] تقرير الأنبابي على السعد، ج2 ، ص : 73.

ويظهر هذا جليا في قول الرسول صلى الله عليه وسلم :(**احْتَجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الجَبَّارُونَ وَ المُتَكَبِّرُونَ** ....)[1] .فقد خيل باسم الإشارة أن النار صارت حقيقة مجسدة يشار إليها كما يشار إلى المحسوسات البينة بإبرازها في صورة محسوسة ، وهذا للتوضيح والبيان والتمييز والتعيين وهذا مالا يتحقق إلا باسم الإشارة

ومن إفادة اسم الإشارة لكمال العناية في التمييز قوله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: (...**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ** ...)[2]

فالإشارة في قوله: (هذا جبريل) جعلت جبريل عليه السلام حاضرا في الأذهان مرئيا أمام الأعين.

ومثل هذا تراه في قوله صلى الله عليه وسلم (**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**)[3] تجد الإشارة في قوله: (هذا حجر)، قد ميزت الحجر ، وحددته ، وجعلته ماثلا أمام الأعين.

تعريف المسند إليه بالألف وللام :

ترد (أل) المعرفة عند النحاة للدلالة على الجنسية وهي أنواع:

1 . لاستغراق أو شمول الأفراد والخصائص (الصفات): بأن يراد لكل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة[4]، نحو قول الله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا**﴾[5] ، وعلامتها صحة وقوع الفعل (كل) مكانها حقيقة لا مجازا [6]، وصحة الاستثناء منها [7]، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : (**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ**)[8].

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها ، المجلد 4 ، رقم : 2844 ، ص ، 2186 .

[2] المصدر نفسه ,كتاب الإيمان ، المجلد 1، رقم :9 ، ص: 39.

[3] المصدر نفسه ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، المجلد 4 ، رقم: 2844 ،ص:2184 ، 2185.

[4] الشمني تقي الدين احمد بن محمد الشمني (ت 872هـ) المنصف من الكلام على مغني ابن هشام: المشهور بحاشية الشمني على مغني اللبيب المطبعة البهية مصر 1305هـ ،ج1 ص 107.

[5] النساء: 28.

[6] جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت 672هـ) ، شرح التسهيل: – ص :277 ، 278 .

[7] أبو حيان الأندلسي أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان (ت 745هـ) ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، مصطفى أحمد النحاس مطبعة المدني ، ط 1، 1408 ، 1409هـ – 1987، 1989 ، ص 514 ،مغني اللبيب ، ج1 ، ص 50.

[8] صحيح مسلم ،كتاب الزهد والرقائق المجلد 4 ، رقم : 2982 ، ص : 2286.

2 . لاستغراق أو شمول الخصائص: نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾[1] ؛أي الكتاب الكامل في الهداية، فكأنه كل الكتب لاشتماله على ما فيها من الهداية على وجه أبلغ[2]، فيصح وقوع (كل) مكانها مجازا لا حقيقة.

3. لتعريف الماهية: وعلامتها أن لا تخلفها (كل) لا حقيقة ولا مجازا نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[3] وقول القائل: أهلك الناس الدينار والدرهم[4].

4. للاستغراق العرفي:ويقصد به أن يستغرق كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف[5] ، وهذا القسم ذكره الدماميني ومثل له بـ (جمع الأمير الصاغة) أي صاغة بلده أو مملكته، ويرى أن (كلا) تخلف الأداة فيه بتجوز، وليست لشمول الخصائص بل هي لشمول بعض ما يصلح له اللفظ مما هو في متفاهم عرف المتكلم أي صاغة بلد الأمير[6]، وفي كلام الدماميني نظر،فإنّه لا ينبغي أن يقال تخلف (كل) الأداة فيه بتجوز لأنها خلفتها حقيقة أي بالنظر إلى الحقيقة العرفية.

والحق أن (أل) عند محققي الأصوليين هي لتعريف العهد أو الحقيقة فهما نوعان فقط، والاستغراق فرع دلالتها على الحقيقة[7].

ولابد من الإشارة إلى أن بعض الأصوليين وضع ضابطا يعرف بـ(أل) الجنسية من قسيميها أعني العهدية والعموم،فقال: (إن دخلت على كلي فللجنس أو على جزئي فللعهد،أو على كل فللعموم)[8]، تقدم أن (أل) ترد استغراقية عند النحاة، وترد أيضا للعهد، و(أل) العهدية عند النحاة على أنواع[9]:

---

[1] البقرة ، الآية : 1.

[2] الدماميني بدر الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (ت 827 هـ) .تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب المشهور بشرح الدماميني على مغني اللبيب ، المطبعة البهية ، مصر، 1305هـ ، ج1 ، ص: 107.

[3] الأنبياء الآية:30.

[4] ابن جني ، سر صناعة الإعراب، تحقيق احمد فريد احمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د ت ،ج 1 ، ص:307.، ابن هشام . مغني اللبيب، ج 1 ، ص :50.

[5] الشمني تقي الدين أحمد ، المنصف من الكلام على المغني ، ج1 ، ص: .107

[6] الدماميني ، تحفة الغريب،ج1 ، ص: 107.

[7] التفتازاني سعد الدين مسعد بن عمر التفتازاني الشافعي (ت792هـ)، التلويح على التوضيح في أصول الفقه ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه ، الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، د ت ،ج1 ، ص: 234.

[8] الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر (ت 749هـ) ، البحر المحيط ، ضبطه وخرج أحاديثه محمد محمدتامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1421هـ . 2005م ،ج2 ، ص : 40 .

[9] ابن هشام مغني اللبيب،ج1 ، ص: 50.

1. العهد الذكري: المعهود الصريح هو ما تقدم فيه ذكر للمعرف بـ (أل) صراحة: (فالعهد المفاد باللام يكون لتقديم المشار إليه صريحا)[1] ؛ أي أن يشار به إلى معهود، قال في الإيضاح: (للإشارة إلى معهود بينك وبين مخاطب كما إذا قال لك قائل: جاءني رجل، فتقول: ما فعل الرجل؟)[2]

وعلى هذا النحو وردت أحاديث كثيرة تشير إلى ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِى كَانَ بَلَغَ مِنِّى . فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِىَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِى هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْراً فَقَالَ : (فِى كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[3]

وقوله صلى الله عليه وسلم: (**لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ**)[4]

فتعريف الرجل في الحديث السابق، وتعريف الصلاة في الحديث الذي تلاه بالألف واللام ، أفادت العهد أي إشارة إلى معهود صريح ،وهو الرجل والصلاة .

2. العهد الذهني: نحو قول الله تعالى: ﴿**هُمَا فِي الْغَارِ**﴾[5]، وقوله: ﴿**إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾[6].

3العهد الحضوري: نحو قول الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[7] ، ومثل (جاءني هذا الرجل)، وقولنا لمن يمدح رجلا أمامنا في حضرته: (لا تمدح الرجل فتقتله).

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**)[8].

---

[1] ابن يعقوب المغربي ، مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص، ج1 ، ص : 320.

[2] القزويني ، الإيضاح، ج1 ، ص: 320.

[3] صحيح مسلم ,كتاب السلام ، المجلد 4، رقم : 2244، ص : 1761.

[4] المصدر نفسه . كتاب المساجد ومواضع الصلاة المجلد 1 ، رقم: 649 ، ص : 460

[5] التوبة ، الآية: 40.

[6] النازعات ، الآية :16

[7] المائدة ، الآية :3.

[8] صحيح مسلم ,كتاب الإيمان المجلد 1، رقم :35. ص: 63

تحتمل (أل) في الحديث أن تكون استغراقية أي استغراق الأفراد، وأن تكون عهدية، وأن تكون لاستغراق الصفات.

الاحتمال الأول: إذا كانت (أل) لاستغراق الأفراد،فإن الإيمان يكون منحصرا في هذه الشعب، وهو ظاهر اختيار ابن حجر، فقد ذكر أن للحديث عدة روايات، ثم رجح رواية(بعض وستون) من حيث السند[1] ، فالإيمان على هذا القول محصور في هذه الشعب و(أل) هنا لاستغراق الأفراد، ومن العلماء من رجح رواية (بضع وسبعون) وقالوا: إن الحكم لمن حفظ الزيادة جازما بها[2].

الاحتمال الثاني: إذا كانت (أل) عهدية ، فإن تقدير الكلام: الإيمان الذي تعرفون، وتكون (أل) من قبيل العهد الذهني، ولعل سبب ذكر شعب الإيمان في الحديث أن الإيمان في اللغة هو التصديق، وفي الشرع تصديق القلب واللسان[3]، فجاء الحديث ليطلقه على الأعمال أيضا، فالأعمال من الإيمان، فالحديث جاء ليرفع الوهم من أن الإيمان هو التصديق القلبي واللساني .

الاحتمال الثالث: إذا كانت (أل) لاستغراق الصفات، فتكون (أل) للكمال كما ذكر عن ابن المنير من أن (أل) ترد للكمال كثيرا، فالمعنى كمال الإيمان بهذه الشعب، وإلا فإن الإيمان لا يحصر في بضعة وستين أو بضعة وسبعين عملا، ولهذا ذهب الطيبي وغيره إلى أن المقصود هو معنى الكثرة، والعرب تستعمل السبعين كثيرا في باب المبالغة[4].

ولعل الاحتمال الثالث أظهر الاحتمالات، ولهذا قال النووي: (كمال الإيمان بالأعمال وتمامه بالطاعات)[5]، فإن المقصود . والله أعلم- أن الإيمان الذي هو تصديق القلب واللسان لا يتم كماله إلا بهذه الأعمال، وأعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[6]، فالحمل على هذا التقدير لم يخرج لفظ (الإيمان) عن معناه اللغوي.

---

[1] العسقلاني ، فتح الباري ، ج1 ، ص : 73.

[2] النووي محي الدين يحي بن شرف النووي الدمشقي الشافعي (ت 676 هـ) ، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج المشهور بشرح النووي على صحيح مسلم ، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن سعد ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ط1 . 2003 م ،ج2 ، ص :87

[3] ابن عياض اليحصب أبو الفضل عياض بن موسى (ت544هـ) ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، تحقيق يحي إسماعيل، دار الوفاء (المنصورة)، ط2، 1425هـ -2002 ، ج1 ، ص : 272.

[4] العيني بدر الدين، عمدة القاري ،ج1، ص: 127.

[5] النووي ، المنهاج،ج2 ، ص: 88

[6] المرجع نفسه :ج2 ،ص: 88

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ**)[1].

وقد تباينت آراء العلماء في دلالة (أل) في قوله صلى الله عليه وسلم:"الحلف"، ومن ثم اختلفوا في فهم الحديث، فمنهم من قال (أل)عهدية، ومنهم من رأى أنها استغراقية فلها وجهان:

الوجه الأول: إذا كانت(أل) عهدية فيكون (الحلف) مرادا به الحلف الكاذب، والنهي متوجه إلى الحلف الكاذب فقط، قال أبو العباس القرطبي في شرح الحديث: "أي الحلف الفاجرة تنفق السلعة، وتمحق بسببها البركة"[2]. وإليه ذهب أكثر شراح الحديث[3]، وهو ظاهر اختيار ابن حجر الهيتمي في (الزواجر عن اقتراف الكبائر)، فإنه قيد الكبيرة بقوله: (إنفاق السلعة بالحلف الكاذب)[4]. ولعل أصحاب هذا الوجه قالوا بهذا التوجيه نظرا لوجود أحاديث تفيد الحلف الكاذب، منها عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ)**[5]، فحملوا المطلق في الحديث على المقيد والله أعلم.

الوجه الثاني: إذا كانت (أل) في الحديث استغراقية، فيكون لفظ (الحلف) عاما يشمل الكاذب والصادق، ويبدو أن مسلما ذهب هذا المذهب، فقد ترجم مسلم لحديث المسألة بقوله:(باب النهي عن الحلف في البيع)[6]، ومما يؤيد ما ذهب إليه مسلم ما أورده في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ**)[7]. وقال

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب المساقاة ، المجلد 3 ، رقم : 1606 ، ص : 1228.

[2] القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم (ت 656 هـ) ، المفهم لما أشكل من كتاب مسلم ، تح محي الدين مستو ، ويوسف علي الديوي ، وأحمد محمد السيد ،ومحمود ابراهيم بزال ، دار ابن كثير ، دمشق ،ط 2 ، 1420هـ ، 1999 ، ج4 ، ص: 5

[3] العسقلاني (ت852هـ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج4 ص: 399 . العيني .عمدة القاري: ج11، ص : 205 .

[4] أبو العباس أحمد بن محمود بن حجر المكي الهيثمي (ت974هـ) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، أخرج أحاديثه وعلق عليه، عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية (القاهرة) ، ج1، ص: 529.

[5] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، المجلد 1 ، رقم:106، ص:102، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1 ، ص :530-531.

[6] المصدر نفسه ،كتاب المساقاة ، المجلد 3 ، ص: 1228.

[7] المصدر نفسه ،كتاب المساقاة، المجلد 3، رقم : 1607 ، ص : 1228.

النووي في شرحه:"وفيه النهي عن كثرة الحلف في البيع، فإنّ الحلف من غير حاجة مكروه"[1]، فيبدو أن (أل) في حديث المسألة للاستغراق وليست للعهد.

والذي يترجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر الأمرين كلا على حدة، فمرة نهى عن الحلف الكاذب وذكر أشد الوعيد، وأخرى ذكر كثرة الحلف في البيع ونهى عنه، وإن كان الحلف الكاذب أشد نهيا والله أعلم.

تعريف المسند إليه باسم الموصول

المهم في أنواع التعريف ، التعريف بالصلة ، أو باسم الموصول ؛لأنه تكثر إشارته . فهو يتسع لكثير من أحوال المعارف ؛ لأنه مفرد متضمن جملة ، بخلاف الضمير والعلمية والكنى فإنها محددة جامدة في دلالة واحدة ،وذكر النحاة ، وتبعهم البلاغيون أن جملة الصلة يشترط فيها أن تكون معهودة ومعلومة للسامع ؛ لأنها وسيلة تعريف فيلزم أن تكون معروفة كقولك : الذي كان عندنا أمس رجل عالم ، فإنه يلزم أن يكون المخاطب عالما بهذه الصلة أو بقصتها قال في شرح السعد: (وقد يعدل عن هذا الأصل إلى الإبهام لأجل تلك النكتة، أي تعظيم المسند إليه وتهويله ، وفيه أن الذي ذكره النحاة أن الصلة يشترط فيها أن تكون معهودة إلا في مقام التعظيم والتهويل)[2]

ويمثلون على ذلك بهذه الآية: -﴿**فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَاغَشِيَهُمْ**﴾[3]، أي غشيهم من اليم أمور عظيمة مبهم أمرها.

الإيماء إلى وجه بناء الخبر.

ا- الإيماء إلى أن الخبر المبني علي اسم الموصول أمر من جنس العقاب والإذلال .

ومعنى هذا أن يذكر المتكلم شيئا في أول حديثه يستطيع أن يدرك الفطن ما سيجئ بعده،:[4]

فالإيماء أو الإشارة إلى نوع الخبر قد تكون: (مدحا أو ذما، أو عقاب أو غير ذلك فيتنبه الفطن من فاتحة الكلام إلى خاتمته، ويدرك ما تؤمي إليه من المقاصد)[5]

---

[1] النووي المنهاج، ج6 ، ص : 122 .

[2] حاشية الدسوقي على شرح السعد ،ج1، ص: 306.

[3] طه ، الآية :78.

[4] السيوطي، شرح عقود الجمان ، ص: 16.

[5] المراغي (أحمد مصطفي) ، علوم البلاغة ، ط ، 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1986. ص 117.

ننظر مثلا إلى قوله صلى الله عليه وسلم: (...**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ** ...)[1]

روي بنصب اللامين ورفعهما ، والنصب هو الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور على أنه مفعول ثان ومن رفع فعلى ما لم يسم فاعله ، ومعناه انتزع منه أهله وماله ، وهذا تفسير مالك بن أنس ، وأما على رواية النصب ، فقال الخطابي وغيره : معناه نقص هو أهله وماله وسلبه فبقي بلا أهل ولا مال فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله ، وقال عمر بن عبد البر: معناه عند أهل اللغة والفقه أنه كالذي يصاب بأهله وماله إصابة يطلب بها وترا ، والوتر الجناية التي يطلب ثأرها فيجتمع عليه غمان ; غم المصيبة ، وغم مقاساة طلب الثأر ، وقال الداودي من المالكية : معناه يتوجه عليه من الاسترجاع ما يتوجه على من فقد أهله وماله ، فيتوجه عليه الندم والأسف لتفويته الصلاة ، وقيل : معناه فاته من الثواب ما يلحقه من الأسف عليه ، كما يلحق من ذهب أهله وماله . وقال القاضي عياض رحمه الله : واختلفوا في المراد بفوات العصر في هذا الحديث . فقال ابن وهب وغير : هو فيمن لم يصلها في وقتها المختار . وقال سحنون والأصيلي : هو أن تفوته بغروب الشمس ، وقيل هو تفويتها إلى أن تصفر الشمس ، وروي عن سالم أنه قال هذا فيمن فاتته ناسيا ، وعلى قول الداودي هو في العامد ، وهذا هو الأظهر ويؤيده حديث البخاري في صحيحه (من ترك صلاة العصر حبط عمله) وهذا إنما يكون في العامد).[2] ففي الحديث السالف الذكر إيماء إلى أن الخبر المبني علي اسم الموصول (كأنما وتر أهله وماله) أمر من جنس العقاب والإذلال ؛ أي عندما ذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم –الذي تفوته صلاة العصر ، يستطيع أن يدرك الفطن ما سيجيء بعده من أمر غير محمود .

ومن ذلك قال في شرح المطول: (فإن فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس العقاب والإذلال، بخلاف ما إذا ذكرت أسماؤهم الأعلام)[3]

فإذا تأملت الموصول وصلته في هذا الحديث :(...**الَّذِى يَشْرَبُ فِى آنِيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِى بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**...)[4] وفي رواية (**أن الذي يأكل أو يشرب في آنية الفضة والذهب**) وفي رواية (**من شرب في إناء من ذهب أو فضة**).

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد 2 ، رقم : 626 ، ص: 435. .

[2] صحيح مسلم بشرح النووي (ت 676), اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحلييم مكتبة الصفا، ط1 ، 2003 ، الدار البيضاء المملكة المغربية ، ج 5 ، ص ص: 102 ، 103.

[3] عبد الرحمن الشربيني ، فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح ، ط1 ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة ، 1323هـ 1905م ،ج2 ، ص :269.

[4] صحيح مسلم ،كتاب اللباس والزينة ، المجلد 3، رقم: 2065.ص:1634.

قال النووي رحمه الله : أجمع المسلمون على تحريم الأكل والشرب في إناء الذهب، وإناء الفضة على الرجل ،وعلى المرأة [1]

كما اتفق العلماء من أهل الحديث واللغة والغريب وغيرهم على كسر الجيم الثانية من يجرجر ، واختلفوا في راء النار فنقلوا فيها النصب ، والرفع ، وهما مشهوران في الرواية وفي كتب الشارحين ، وأهل الغريب واللغة .)[2]

وأضاف قائلا : والنصب هو الصحيح المشهور الذي جزم به الأزهري ،وآخرون من المحققين ورجحه الزجاج والخطابي والأكثرون ... ويؤيده الرواية الثالثة يجرجر في جوفه نارا من جهنم فعلى رواية النصب الفاعل هو الشارب مضمر في يجرجر أي يلقيها في بطنه يجرع متتابع يسمع له جرجرة ، وهو الصوت لتردده في حلقه ، وعلى رواية الرفع تكون النار فاعله ،ومعناه تصويت النار في بطنه ، والجرجرة هي التصويت ، وسمي المشروب نارا ؛ لأنّه يؤول إليها .)[3]

وإذا نظرت إلى تعريف المسند إليه باسم الموصول ، فإنك تجد في تعريفه وجه لبناء الخبر؛ أي فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس العقاب ، وهو قوله : أنما يجرجر في بطنه نار جهنم ، وفي ذكر الصلة استهجان التصريح بالاسم المنسوب إليه هذا الفعل .

أي إشارة إلى معرفة الخبر، قال في شرح المختصر: (يعني تأتي بالموصول والصلة للإشارة إلى بناء الخبر عليه من وجه وأي طريق من الثواب والعقاب والمدح والذم وغير ذلك)[4].

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم:(**إِنَّ الَّذِى يَجُرُّ ثِيَابَهُ مِنَ الْخُيَلاَءِ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[5]

تعريف المسند إليه بالموصولية فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس العقاب والإذلال ؛ أي الذي يجر ثيابه تبخترا وكبرا وزهوا لا يرحمه الله ، ولا ينظر إليه نظر رحمة يوم القيامة ، وفي هذا تحريم جر الثوب خيلاء ، ومن يفعل ذلك ، فهو رجل خال ؛ أي صاحب كبر .

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ،ج4، ص : 24.
[2] المرجع نفسه ، ج 4 ، ص: 24 .
[3] المرجع نفسه ، ص : 24.
[4] التفتازاني ، شرح مختصر التلخيص ، ط 2 ، 1357هـ ،ج1، ص : 308.
[5] صحيح مسلم ،كتاب اللباس والزينة ،المجلد 3 ، رقم 2085 ، ص:1652.

ب – الإيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الثواب والتكريم .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :(...**وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**)[1] .

تعريف المسند إليه بالموصولية فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الثواب والتكريم وهو قوله : له أجران

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**)[2]

تعريف المسند إليه باسم الوصول فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه ينبئ عن تكريم (كل مسلم مات فألهم الله تعالى الناس أو معظمهم الثناء عليه كان ذلك دليلا على أنّه من أهل الجنة ، سواء أكانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا ، وإن لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة بل هو في خطر المشيئة فإذا ألهم الله عز وجل الناس الثناء عليه استدللنا بذلك على أنه سبحانه وتعالى قد شاء المغفرة له ، وبهذا تظهر فائدة الثناء)[3].

ج – تعريف المسند إليه باسم الموصول ذريعة إلى تحقيق الخبر.

وقد يكون في تعريف المسند إليه باسم الموصول ذريعة إلى تحقيق الخبر ؛ أي جعله محققا ثابتا ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (**أَلَيْسَ الَّذِى أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[4]

فإنّ في إمشاء الله عز وجل لعبده على رجلين في الدنيا إيماء إلى أن طريق بناء الخبر مما ينبئ عن قدرة الله عز وجل على إمشائه على وجهه يوم القيامة ، فقدرة الله عز وجل على إمشاء العبد على رجلين في الدنيا يحقق قدرته عز وجل على إمشائه على وجهه يوم القيامة ويقرره ، وفي هذا برهان ساطع ودليل قاطع على قدرته تبارك وتعالى المطلقة .

تعريف المسند إليه بالإضافة:

الإضافة هي إسناد كلمة إلى غيرها ؛ لزيادة في المعنى تفيد التعريف والتخصيص ، والكلمة التي تفيد هذا الحكم تسمى مضافا إليه .أما الكلمة الأساسية التي تقيدت بنسبة كلمة أخرى إليها فتسمى مضافا وفي مواهب المفتاح (أن مرتبة المضاف هي مرتبة ما أضيف إليه)[5]

---

[1] المصدر السابق ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها المجلد 1، رقم : 798، ص : 550

[2] المصدر نفسه ،كتاب الجنائز المجلد2 ، رقم : 949 ، ص : 655 .

[3] صحيح مسلم ،بشرح النووي (ت 676) ،ج4 ص: 35 .

[4] صحيح مسلم ،كتاب صفات المنافقين وأحكامهم المجلد 4 رقم 2806ص : 2161.

[5] مواهب المفتاح .ج1 ص : 344.

ويراد بالإضافة غالبا الاختصار إذا لم يكن للمتكلم طريق سواها أصلا (لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخصر منها .)[1]

وقد ذهب إلى ذلك صاحب المفتاح بقوله: (أنك تقول: غلام زيد ، إن لم يكن عندك منه شيء سواه أو عند سماعك ، أو طريق سواها أخصر، والمقام مقام اختصار.)[2]

يعني أن الاختصار في الإضافة مقيد بالمقام . وهو ماجاء في قول عروس الأفراح : وينبغي أن يقيد – أي المسند إليه المراد اختصاره بالإضافة – بما أذا كان المقام مقام اختصار كما صنع في المفتاح[3]

فتعريف المسند إليه بالإضافة يفيد توخي أخصر طريق لإحضاره في ذهن السامع ؛ لأنه ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره في ذهن السامع أخصر منه ؛ أي يقصد إليه رغبة في الإيجاز .

ننظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (**هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ**)[4] ردا عما قيل له لو أن خيلا أغارت من الليل فأصابت من أبناء المشركين؟ قال : هم من آبائهم .

فقوله :(آبائهم) أخصر من قوله: الأبناء الذين هم للمشركين إذ لوعرَفها بغير الإضافة ما جاءت بأخصر الطريق للإحضار في ذهن السامع، وإن أفادت غرض المتكلم.

وقد تكون الإضافة مغنية عن تفصيل متعذر وفي هذا يقول صاحب كتاب علم المعاني: (أن يكون التعريف بالإضافة مغنيا عن تفصيل يتعذر، أو عن تفصيل تركه أرجح لاعتبار ما ، فمن الأول، قولك: أهل مصر كرام، إذ يتعذر عليك ذكرهم والإحاطة بهم.)[5]

قال صلى الله عليه في باب تفاضل أهل الإيمان فيه ، ورجحان أهل اليمن فيه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ**)[6] .

جاء المسند إليه معرفا بالإضافة (أهل اليمن) التي تفيد هنا الإغناء عن تفصيل متعذر ؛ أي يتعذر ذكر أسماء أهل اليمن كلهم .قال النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث لا مانع من إجراء

---

[1] التفتازاني ، شرح مختصر التلخيص ج2 ص: 127.

[2] السكاكي (أبو يعقوب)، مفتاح العلوم . ص :186.

[3] السبكي (بهاء الدين) ، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ، د،ط دار السرور ،بيروت ، د.ت .ج1 ص: 345.

[4] صحيح مسلم ،كتاب الجهاد والسير ، المجلد 3 . رقم :1745. ص: 1364.

[5] بسيوني عبد الفتاح فيود علم المعاني ، ط، 21 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1988م. ج1، ص: 134.

[6] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، المجلد 1، رقم :52 ،ص:73.

الكلام على ظاهره ، وحمله على أهل اليمن حقيقة ؛ لأن من اتصف بشيء ، وقوي قيامه به وتأكد اطلاعه منه ينسب ذلك الشيء إليه أشعارا بتميزه به وكمال حاله فيه ، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان وحال الوافدين منه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي أعقاب موته كأويس القرني ، وأبي مسلم الخولاني رضي الله عنهما وشبههما ممن سلم قلبه ، وقوي إيمانه ، فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك إشعارا بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم ، فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم (الإيمان في أهل الحجاز) المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ ، لا كل أهل اليمن في كل زمان)[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**)[2].

سب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة وفاعله فاسق كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرا يخرج به من الملة إلا إذا استحله ، فإذا تقرر هذا قيل : في تأويل الحديث أقوال : أحدها في المستحل ، والثاني أن المراد كفر الإحسان والنعمة ، وأخوة الإسلام لا كفر الجحود ، والثالث أنه يؤل الكفر بشؤمه ، والرابع أنه كفعل الكفار والله أعلم)[3]

وقد جاء تعريف المسند إليه (سباب المسلم) معرفا بالإضافة لتعظيم شأن المضاف إليه لأن المسلم له حرمة عند الله تعالى والله أعلم . فالتعظيم فعل كلامي متضمن في القول ، أو قوة إنجازية مستلزمة مقاميا.

ونلحظ تعظيم المضاف إليه في قوله صلى الله عليه وسلم :(يمين الله ملأى) في باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : **قال الله تبارك وتعالى : (يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ " وَقَالَ (يَمِينُ اللهِ مَلْأَى – وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ مَلْآنُ – سَحَّاءُ لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)**[4] .

يتضمن الحديث الشريف الحث على الإنفاق في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى... وخاطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يفهمونه، وأراد الإخبار بأن الله تعالى لا ينقصه الإنفاق،

[1] صحيح مسلم ,بشرح النووي ،ج2 ، ص: 27.
[2] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، المجلد 1 ، رقم : 64 ، ص :81 .
[3] صحيح مسلم بشرح النووي ،ج2 ، ص : 44.
[4] صحيح مسلم ،كتاب الزكاة ، المجلد 2، رقم :993 ، ص :690،691.

ولا يمسك خشية الإملاق جلّ الله عن ذلك، وعبر صلى الله عليه وسلم عن توالي النعم بسح اليمين؛ لأن الباذل منا يفعل ذلك بيمينه، قال : ويحتمل أن يريد بذلك أن قدرة الله سبحانه وتعالى على الاستياح على وجه واحد لا يختلف ضعفا وقوة ، وأن المقدورات تقع بها على جهة واحدة، ولا تختلف قوة وضعفا ،كما يختلف فعلنا باليمين والشمال تعالى الله على صفات المخلوقين ومشابهة المحدثين[1]

ومثله أيضا تعظيم المضاف إليه نجده في قوله صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق بالقضاء في باب قضاء الصوم عن الميت فعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر فقال:أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه قالت:نعم قال: **(فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ)**[2].

وقد يقصد بالإضافة تحقير شأن المضاف، أو المضاف إليه على ما جاء في المختصر: (لتضمنها _أي الإضافة تحقيرا للمضاف، نحو: ولد الحجام جليس زيد)[3]

والمعنى أي تحقير شأن الولد لأبيه، أي نسبته إلى أبيه الحجام.

كما لا يخفى عليك بالاضافة في أهل الشقاوة توبيخا لهم على أعمالهم الشنيعة التي يفعلونها في حقوق أنفسهم في قوله صلى الله عليه وسلم: (**وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**)[4]

وقد اجتمع التحقير والتعظيم في قوله صلى الله عليه وسلم: (**وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَداً**)[5]

فالإضافة في قوله: (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيها تشريف وتعظيم للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وأما الإضافة في قوله: (بنت عدو الله)، فقد أفادت تحقير بنت أبي جهل.

والحديث فيه دلالة على عدم المكافأة بين البنتين، أي أن السيدة فاطمة رضي الله عنها لا تقاس بأي امرأة ما، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**)[6].

---

[1] صحيح مسلم، شرح النووي ،ج7، ص :87.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الصيام ، رقم: 1148 ، ص :804 .

[3] مختصر التفتازاني ، ج2 ، ص128.

[4] صحيح مسلم ،كتاب القدر المجلد 4 ، رقم :2647 ، ص :2039.

[5] وفي الحديث أن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل فذكر الحديث بتمامه، وقد أخرجه مسلم.في صحيحه كتاب فضائل الصحابة المجلد 4 .رقم: 2449 ، ص:1904.

[6] صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، المجلد 4 ، رقم:2449 ، ص : 1902

وقد توحي الكلمة المضافة إلى ما يثير في النفس كوامن العطف والوجدان، فيوقظ الفطرة، ويحث على الرحمة والشفقة، وقد كان الزمخشري هو أول من تنبه إلى هذا المعنى الدقيق.

وعليه يمكن التعرف على ما توحي به الإضافة في الحديث الآتي .:

قال صلى الله عليه وسلم في رده على سؤال أم سلمة رضي الله عنها، قالت يا رسول الله أو تحتلم المرأة ؟ قال: (**نَعَمْ تَرِبَتْ يَدَاكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا؟**)[1]

فقد أضيف الولد إلى الأم فكلمة الولد المضافة تشير إلى ما يثير في النفس كوامن العطف والوجدان، فيوقظ الفطرة، ويحث على الرحمة والشفقة، ، فالولد قطعة من أمه فيأخذ منها ما يجعله شبيها بها إنّه تدفق روح في روح، وانسكاب نفس في نفس مما يجعلها رحيمة به شفوق عليه .

ب- الأبعاد التداولية لتنكير المسند إليه .

يوظف أسلوب التنكير في أنساق أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم- ليكشف بأغراضه ودواعيه عن المضامين الشريفة التي قصدها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وأراد إبلاغها اعتمادا على مهمته الإبلاغية ووظيفته النبوية في دعوة الناس أجمع إلى التمسك والعمل بها ؛ لكونها الأسس والدعائم العظام للشريعة التي اعتنقها المبلغون بطريق الوحي المتلو وغير المتلو،فهذه الدواعي والأغراض الناتجة عن تنكير المسند إليه في الخطاب النبوي الشريف هي ما يمكن أن يسمي عند التداوليين بالأفعال الإنجازية المتضمنة في القول .وقبل أن نتعرف عليها من خلال النظر في بعض الأحاديث الشريفة نعرج على تعريف التنكير لغة واصطلاحا .

التنكير لغة:

جاء في اللسان نكر: النُّكْرُ والنَّكْرَاءُ: الدَّهَاءُ والفطْنَةُ. ورَجُلٌ نَكِرٌ ونَكُرٌ ونُكُرٌ ومُنْكَرٌ من قوم مناكير: داه فَطِنٌ، والنُّكْرُ والنُّكُرُ: الأمر الشديد... وقد نَكُر الأمر، بالضم، أي صعُب واشتد...والنّكرةُ، إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة. والنَّكرَة: خلاف المعرفة ونَكر الأمر نكيرا وأنكره إنكارا ونُكْرا: جهله... ويقال أُنكرتُ الشيء وأنا أُنكره إنكارا ونكرته مثله.. والإنكار: الاستفهام عما ينكره... والاستنكار استفهامك أمرا تنكره... والتنكر: التغيُرُ: عن حال تسرك إلى حال تكرهها منه، والنكير،

[1] المصدر السابق ، كتاب الحيض ، المجلد 1 ، رقم:313 ، ص :251 .

اسم الإنكار الذي معناه التغيير. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[1] ؛ أي إنكاري. وقد نكره فتنكر أي غيره فتغير إلى مجهول... والتناكر: التجاهل.[2].

التنكير اصطلاحا:

لم يغفل النحاة العرب عن ظاهرتي التعريف والتنكير ، والدليل على ذلك أنهم عرفوا التنكير بـ الشيوع[3] وعليه فالنكرة هي ما دلّ على ما هو شائع في جنسه وعام [4] وأشار سيبويه إلى تحديد النكرة على أساس من دلالتها على الشيوع فقال في معرض حديثه عن النعت الجاري على المنعوت : (... وإنما كان نكرة لأنه من أمة كلها له مثل اسمه.)[5] وقال المبرد : (وذلك الاسم المنكر هو الواقع على كل شيء من أمته لا يخص واحدا من الجنس دون سائره وذلك نحو : رجل وفرس وحائط وأرض .)[6] وقال ابن مالك: (... ما كان شائعا في جنسه كحيوان أو في نوعه كإنسان فهو نكرة.)[7] وقال ابن هشام : (فأما النكرة فهي عبارة عما شاع في جنس موجود أو مقدر فالأول كرجل فأنه موضوع لما كان حيوانا ناطقا ذكرا ، فكلما وجد من هذا الجنس واحد فهذا الاسم صادق عليه ، والثاني كشمس ، فإنها موضوعة لما كان كوكبا نهاريا ينسخ ظهوره وجود الليل فحقها أن يصدق على متعدد كما أن رجلا كذلك ،وإنما تخلف ذلك من عدم وجود أفراد لها في الخارج ، ولو وجدت لكان هذا اللفظ صالحا لها ، فإنه لم يوضع على أنه يكون خاصا كزيد وعمرو ، وإنما وضع أسماء الأجناس .)[8]

---

[1] الحج، الآية: 44

[2] ابن منظور الأنصاري ، لسان العرب مادة (نكر) . ج14 .

[3] الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكليات تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ط 2 1993 ص :229.

[4] المرجع نفسه, ص:229.

[5] سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ،ج1 ، ص: 422.

[6] المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 ه) ، المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخلق عضيمة ، 1399،1386هـ. ج3 ، ص :32.

[7] ابن مالك أبو عبد الله محمد جمال الدين (ت 672ه) ، شرح الكافية الشافية ،تحقيق عبد المنعم هريدي ، مكة المكرمة ، 1982 ص: 222.

[8] ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت 761ه) ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1966، ص :128.

درجات التنكير :

ذكر النحاة درجات للتنكير تبدأ بالأشيع ، وتنتهي بالأقل شيوعا ، وتلتقي قمة التدرج الهرمي للتنكير بقاعدة التدرج الهرمي للتعريف عند نقطة يطلق عليها النحاة التخصيص . فقل إن شئت : إنه هرم واحد يبدأ بأشيع درجات التنكير، وينتهي بأرفع درجات التعريف .)[1]

وقال مصطفى الغلاييني: (كل اسم دل على غير معين)[2]، وله دواع متعددة ومتنوعة يدل عليها المسند والسند إله وهي مغايرة لدواعي الألفاظ المعرفة بحسب ما يستبان من مقولة ابن الزملكاني: وقد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق خصوصا في موارد الوعد والوعيد ، والمدح والذم اللذين من شأنهما التشديد، وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد، والنكرة متكثرة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها إلى غاربها فيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة. وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة فإنه لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه[3]، ويفصح البلاغيون القدامى والمحدثين عن المبررات البلاغية لتنكير المسند إليه وهي:

الإفراد: إذا كان القصد أن المسند إليه فرد غير معين من أفراد جنسه كما في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّومِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ**﴾[4]

النوعية: إذا كان القصد أن المسند إليه ذو نوع متميز خاص مختلف عن الأنواع المعروفة المعهودة نحو قوله تعالى:﴿**وَالله خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ**﴾[5].

التعظيم والتفخيم: إذا كان القصد تعظيم المسند إليه وتفخيمه كقوله تعالى:﴿**ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**﴾[6].

---

[1] محمود أحمد نحلة ، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ، ص ص:64،65.

[2] ينظر مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ج1 ، ص : 152 .

[3] الزملكاني كمال الدين ، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، تح خديجة الحديثي ، وأحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد .136.

[4] غافر، الآية : 28 ، وينظر، الإيضاح ، ج1، ص: 46 .

[5] النور من الآية: 45 ، وينظر ،شروح التلخيص ،ج1 ، ص : 347 .

[6] هود الآية : 103 وينظر، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي 1983، م .ج2 ص : 272.

التحقير: إذا كان القصد تحقير المسند إليه نحو قوله تعالى:﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[1].

التكثير:كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[2]. أي كثير غير منقطع .

والقصد حسبما يقتضي المقام في السياق القرآني تكثير المسند إليه.

التقليل: والقصد إرادة معنى تقليل المسند إليه نحو قوله تعالى:﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3].

وفي الحديث النبوي الشريف تبدو أغراض التنكير ، وفوائده البلاغية الآنفة الذكر فضلا عن أغراض ومبررات بلاغية أخرى ، يدل عليها اللفظ النبوي الشريف المنكر في سياقه، وبما يستفاد من المقام ومقتضى الحال اللذين يحددان المعاني البلاغية لألفاظ التنكير النبوية ، فهذه الأغراض البلاغية هي التي يمكن لنا أن نعبر عنها بالأبعاد التداولية من وجهة نظر الدراسة اللسانية الحديثة ، وهذا ما سيبدو جليا من خلال تحليل متون من الحديث النبوي الشريف

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ**) . **قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ . فَقَالَ (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ)**[4].

تأمل هداك الله كيف يتواصل الرسول – صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بطريقة تعليمية حوارية حكيمة وعجيبة ، يسألهم عن معرفة حقيقة المفلس – أعاذنا الله من الإفلاس – ثم يجيب : إنه ليس كما يفهم المخاطب أن المفلس هو من ليس له درهم ، ولا متاع ، وإنما هو من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، يأتي وقد كان يمارس الظلم والأذى على أخيه بالشتم، والقذف، وأكل المال بالباطل، والضرب،وسفك الدماء بغير حق ، فيأخذ كل مظلوم ظلمه من حسناته حتى إن فنيت قبل أن يقضى ما

[1] البقرة من الآية :96 وينظر، علم المعاني تأليف بسيوني عبد الفتاح فيود ط1 مطبعة السعادة القاهرة 1988م .ص 125.

[2] القلم، الآية4: .وينظر، ومعاني النحو فاضل صالح السامرائي معاني النحو ، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 2 1423هـ – 2003م ،ج1 ، ص : 43 .

[3] التوبة، من الآية :72 وينظر، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص :234.

[4] صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب ، المجلد 4، رقم: 2581 ، ص: 1997.

عليه ، أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار. جاء المسند إليه نكرة في لفظي (درهم) و(متاع) اللذين كونا الدلالة الوهمية ذلك أن الإفلاس بحسب عرف الناس هو كل ما انتفى به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها[1]، ومن منطلق ذلك يكون داعي التنكير التقليل[2]، ومما يتسق مع دلالة تنكير الاسمين مجيء لفظ الدرهم على سبيل المجاز المرسل بعلاقة الكلية ؛لأنه- صلى الله عليه وسلم- ذكر البعض وأراد الكل فعبر بالدرهم عن كل ما يملكه المرء من الأموال ، ولعل ما يساند دلالة الإفلاس الوهمي التي دل عليها التنكير، تكرار النفي بـ (لا) ليكنى بالدالين المنفيين عن الخسران الظني الوهمي وهو في حقيقة أمره ليس خسرانا أو إفلاسا لإمكانية زواله ، وانقطاعه بموت المفلس ، وربما يزول وينقطع بيسار يحصل للمفلس في حياته[3]، ويبرع الأسلوب البلاغي في تبيان دلالة الإفلاس الحقيقية التي أنبأ بها نبي الرحمن – صلى الله عليه وسلم- إذ ينظر إلى الإفلاس من منظار شرعي أوغل وأعمق ؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – يهتم بالواقع لا بالمظهر، ويدعو أتباعه من أمته إلى التفكير والتدبر في حقيقة الخسران ، فالمفلس الحقيقي هو من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، وقد ضاعت حسناتها ، وذهب ثوابها للمجني عليهم والمغرر بهم الذين لاقوا أعتى أنواع الأذى من المفلس الحقيقي .

ونحو قوله صلى الله عليه وسلم : (**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَّاءِ هِرَّةٍ لَهَا – أَوْ هِرٍّ – رَبَطَتْهَا فَلاَ هي أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هي أَرْسَلَتْهَا تُرَمِّمُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً**)[4]

هذا الخطاب النبوي الشريف تركيب فعلي خال من القرائن اللفظية متعدد ؛ لأنه اشتمل على أكثر من جملتين تربطهما وحدة معنوية تشكل النواة التي تتمحور حولها بقية الأجزاء[5] وهي جملة (دخلت امرأة) وبقية الجمل تعليل للحدث المتصور للحديث من باب السببية في حصوله ،كما أن هذا الخطاب تقرير نبوي يتضمن قاعدة أخلاقية سامية تتمثل في الرفق بالحيوان في كل زمان ومكان بدلالة الفعل دخلت فزمنه مطلق يستوجب حضوره لدى كل موقف مشابه وأثره ممتد أفقيا بالمفهوم الزمني . ونلاحظ أن المسند إليه (امرأة) جاء اسما ظاهرا نكرة محددا بجنسه دون استغراق لجميع أفراد الجنس[6] لأنه لم

---

[1] ينظر الصابوني محمد علي من كنوز السنة مكتبة رحاب الجزائر ط2 1986 .ص: 179

[2] ينظر ، العلوي يحي بن حمزة (ت 745 هـ) ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تحقيق الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، 2010 ، ج2 ، ص : 12 .

[3] ينظر:شرح صحيح مسلم ،ج8 ، ص : 189 .

[4] صحيح مسلم ،كتاب التوبة ، المجلد 4 ، رقم : 2619 ، ص : 2110 .

[5] عزيزة فوال بابتي ، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ، 1992 . ج1 ،ص: 352

[6] جعفر دك الباب ، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني ، دمشق ، ط1 ، ت 1980 ، ص : 127.

يذكر من قبل ، وتنكير المسند إليه يخدم الموقف بما يثيره من تشويق ، وأخذ العبرة . فهذه المرأة لما أساءت المعاملة تجاه الحيوان دخلت بسببه النار فهي أقل من أن تعرف وأنكر من المنكر الذي فعلته .

وقد يأتي المسند إليه نكرة لإفادة النوع ؛ أي الجنس المخصص بالوصف .نحو قوله – صلى الله عليه وسلم : **عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَقَالَ: (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟) قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟) فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَاكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ.)**[1]

نلاحظ المسند إليه (نفس) جاء نكرة لإفادة النوع ؛ أي الجنس المخصص بالوصف

وقد ينكر المسند إليه لإفادة تفخيم معنى الدعاء والتحقير نحو قوله صلى الله عليه وسلم : عن أنس بن مالك ؛ قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح على رعل وذكوان و هو يقول : (**عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ**)[2] . فالمسند إليه (عصية) جاء نكرة لإفادة التحقير والتصغير من شأن عصية موصوفة بالصغار والعصيان. فالتحقير إذن هو الفعل الإنجازي المتضمن في القول .

وقد يفيد تنكير المسند إليه معنى التقليل والتشريف نحو قوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : (**فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**)[3] فقد جاء المبتدأ نكرة (ساعة) لإفادة قيمة تداولية المذكورة أعلاه، أي التقليل والتشريف .

ثانيا: الأبعاد التداولية لذكر المسند إليه وحذفه.

أ- الأبعاد التداولية لذكر المسند إليه .

من المعلوم أن للحذف أغراضه التي لا يغني الذكر عنها، وأن للذكر أغراضه التي لا يغني الحذف عنها، وأن البلاغة مراعاة المقامات والأحوال، فالذكر في موطنه بليغ مطابق، والحذف في موطنه بليغ مطابق .

[1] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، المجلد 1، رقم : 221. ص : 200.

[2] المصدر نفسه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد 1 ، رقم : 677 ، ص : 468 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب الجمعة (الصلاة) ، المجلد 2 ، رقم : 852 ، ص : 583 ..

على أنّه لا تكون المنافاة بين الذكر والإيجاز ؛لأن وراء ذكر المسند إليه في هذه الحالة دافعا نفسيا ومغزى يحرص المتكلم عليه، فالذكر يحقق قيمة معنوية في الأسلوب، وفوات هذه القيمة عيب في الكلام وإخلال بالمطابقة، وقد يكون الكلام مع الذكر مبنيا على غاية الإيجاز، فليس الذكر الذي نتحدث عنه هو ما يتمدد به الأسلوب حتى يفيض عن المعنى فيصير التعبير فارغا في بعض جوانبه، وإنما هو الذكر الموجز البليغ . وقد يذكر المسند إليه للاحتياط لضعف التعويل على القرينة ، والتنبيه على غباوة السامع وزيادة الإيضاح والتقرير، والتبرك بذكره ، وبسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب ، وإظهار تعظيم المسند إليه أو تحقيره كما في بعض الأسامي المحمودة ، أو المذمومة [1]

ومن الأبعاد التداولية المستفادة مقاميا من الخطاب النبوي الشريف التي يمكن لنا أن نستشفها ما يأتي :

قد يذكر المسند إليه تفاديا من ذكر الضمير الذي يربط الجملة بالكلام السابق قصد استقلالها لتصير كأنها مثل. نحو قوله – صلى الله عليه وسلم: عن سفيان بن أبي زهير قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: (**يُفْتَحُ الْيَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.**)[2].

يخبر النبي —صلى الله عليه وسلم –" عمن خرج من المدينة متحملا بأهله ، باسا في سيره مسرعا إلى الرخاء في الأمصار التي أخبر النبي — صلى الله عليه وسلم بفتحها . قال العلماء في هذا الحديث معجزات لرسول الله – صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم ، وأن الناس يتحملون بأهليهم ويتركون المدينة ، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب : (اليمن ، الشام ، العراق) ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله ، وفيه : فضيلة سكنى المدينة ، والصبر على شدتها ، وضيق العيش بها . والله أعلم"[3].

تجد المسند إليه (المدينة) قد ذكر أكثر من مرة – مع أنه يمكن إقامة الضمير مقامه – تفاديا من ذكر الضمير الذي يربط الجملة بالكلام السابق ؛لأن القصد إلى استقلالها لتصير كأنها مثَل ، فهذه الجمل (

[1] القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 43 ،44.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الحج ، المجلد 2 ، رقم :1388 . ص : 1008 ، 1009.

[3] النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ،ج 9 ، ص : 126 .

المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .... المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .... المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) من الممكن أن تقطع من سياقها ، وأن تستقل بإفادة معناها ، ولذلك يشيع بعضها شيوع الأمثال ، والذي أتاح ذلك هو ذكر المسند إليه .ولو كان المذكور هو الضمير لارتبط بالكلام السابق ؛ لأن فيه مرجعه .

وقد يذكر المسند إليه ؛ لأن المتكلم يحرص على أن يضيف إليه الخبر (المسند) في صورة واضحة ومؤكدة نحو قوله: صلى الله عليه وسلم : (**أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ**) [1]

فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المسند إليه في خطابه المتمثل في ضمير الخطاب (أنتم) ؛لأنه صلى الله عليه وسلم يحرص على إبراز ذواتهم، ليضيف إليهم هذا الخبر المهم في صورة واضحة ومقررة .

ومثله ما نجده في الحديث الذي روي عَنْ عَمْرٍو عَنْ جَابِرٍ قَالَ كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفاً وَأَرْبَعَمِائَةٍ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (**أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**)[2]. وَقَالَ جَابِرٌ لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لأَرَيْتُكُمْ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ.

ذكر المسند إليه المتمثل في ضمير الخطاب "أنتم " قصد إبراز ذواتهم ، ليضيف إليهم خبرا مهما في صورة واضحة ومقررة ، وهو أنهم خير أهل الأرض .

ومنه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : (**أَنْتَ آدَمُ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ** ...) [3]

ذكر المسند إليه المتمثل في الضمير " أنت " قصد إبراز ذاته ليضيف إليه خبرا مهما وهو الذي خلقه الله

وقد يذكر المسند إليه لإفادة قصدا تداوليا ، وهو الرغبة في التقرير والإيضاح ، فإن هناك بعض المعاني تكون أشد علقة بالنفس، فيحرص المتكلم على إظهارها وإذاعتها في معرض كلامه، نحو قوله صلى الله عليه وسلم : (**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**)[4]

نلاحظ تكرير كلمة الغنى في قوله (ولكن الغنى) وأذاعها وكان يمكن الاكتفاء بضميرها للغرض السالف الذكر ،وهو الرغبة في التقرير والإيضاح . فالتصريح يعمل في النفوس مالا تعمله الضمائر

[1] صحيح مسلم ،كتاب الطهارة ، المجلد 1، رقم : 246 ، ص: 216 .
[2] .المصدر نفسه ،كتاب الإمارة ، المجلد 3 ، رقم : 1856 ، ص :1484 .
[3] المصدر نفسه ،كتاب القدر، المجلد 4 رقم : 2652 ، ص: 2042.
[4] المصدر السابق ،كتاب الزكاة ، رقم : 1051، ص: 726.

وقد يذكر المسند إليه لتحقيق الحال وتمكينها .

قال عبد القاهر إن جئت بمثل هذا في صلة كلام ، ووضعته بعد واو الحال حسن حينئذ ، وذلك قولك : جئته وهو قد ركب ، وذاك أن الحكم يتغير إذا صارت الجملة في هذا الموضع ، ويصير الأمر بمعرض الشك ، وذاك أنه إنما يقول هذا من ظن أنه يصادفه في منزله ، وأن يصل إليه من قبل أن يركب فإن قلت : فإنك قد تقول : جئته وقد ركب بهذا المعنى ، ومع هذا الشك فإن الشك لا يقوى حينئذ قوته في الوجه الأول ، أفلا ترى أنك إذا استبطأت إنسانا فقلت : أتانا والشمس قد طلعت ، كان ذلك أبلغ في استبطائك له من أن تقول : أتانا وقد طلعت الشمس، وعكس هذا أنك إذا قلت : أتى والشمس لم تطلع ،كان أقوى في وصفك له بالعجلة ، والمجيء قبل الوقت الذي ظن أنه يجيء فيه من أن تقول : أتى ولم تطلع الشمس بعد ، هذا وهو كلام لا يكاد يجيء إلا نابيا ، وإنما الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم ثم تبني الفعل عليه [1]

نستطيع أن نمثل له بقوله – صلى الله عليه وسلم : (**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ**)[2]

وقوله–صلى الله عليه وسلم – في باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما:(**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ،كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ.**)[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم :(**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا،كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**)[4].

أي إذا أنفق الرجل أية نفقة كانت صغيرة أم كبيرة على أهله يريد بها وجه الله تعالى طلبا للثواب يثاب عليها ،كما يثاب على الصدقة .

فقد ذكر المسند إليه في المثال الأول (هو) في قوله : "وهو يعلمه" ، وفي الثاني (هم) في قوله : "وهم يصلون "وفي الثالث (هو) في قوله : "وهو يحتسبها " لتحقيق الحال وتمكينها .

وقد يذكر المسند إليه لتوكيد نفي حصول الفعل من الفاعل المحول إلى مبتدإ (مسند إليه)

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 97 ، 98 .

[2] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، المجلد 1 ، رقم: 61 ص :79 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة، المجلد 1 ، رقم 632 ص: 439.

[4] المصدر السابق ،كتاب الزكاة ، المجلد 2 رقم : 1002 ، ص : 695 .

وذلك إذا كان الفعل منفيا قال عبد القاهر : (واعلم أن هذا الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت ، فإذا قلت : أنت لا تحسن هذا كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول : لا تحسن هذا ، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجابا بنفسه ، وأعرض دعوى في أنه يحسن حتى أنك لو أتيت بـ أنت فيما بعد تحسن فقلت : لا تحسن أنت ،لم يكن له تلك القوة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿**وَالذِين هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ**﴾[1] يفيد من التوكيد في نفي الإشراك عنهم ما لو قيل : والذين لا يشركون بربهم ، أو بربهم لا يشركون لم يفد ذلك .) [2]

ويمكن لنا أن نمثل له بقوله – صلى الله عليه وسلم : (**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**)[3].

نلاحظ توكيد نفي حصول فعل التوبة للنائحة إذا لم تتب قبل موتها ، وفي هذا قيمة تداولية ملحوظة بدلالة السياق .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**النَّذْرُ لاَ يُقَدِّمُ شَيْئاً ، وَلاَ يُؤَخِّرُهُ ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**) [4]

فذكر المسند إليه (النذر) ونفي الفعل عنه بعده ، يفيد توكيد نفي حصول الفعل من الفاعل المحول إلى مبتدإ .أي توكيد نفي حصول فعل التقديم والتأخير من النذر .

وقد يذكر المسند إليه لإفادة التشويق إلى الخبر، وذلك إذا كان المبتدأ المحول عن الفاعل مما يهم المخاطب أمره كقوله – صلى الله عليه وسلم : (**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ**).[5]

فإن المخاطب بعد سماعه صلاة الرجل في جماعة يكون متشوقا إلى معرفة الخبر وهو: (تزيد على صلاته وحده سبعا وعشرين) ، وكلما طال الكلام بين المبتدإ المحول عن الفاعل والخبر ، ازداد شوق السامع ولهفته إلى تلقي الخبر .فالبعد التداولي المراد ، أو القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا هي التشويق .

وقد يذكر المسند إليه لتفخيم مفعول الفعل المخبر به عن المبتدإ المحول .

---

[1] المؤمنون، الآية : 59 .

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 99.

[3] صحيح مسلم ،كتاب الجنائز ، المجلد 2 ، رقم 934 ، ص : 644.

[4]. المصدر نفسه ،كتاب النذر المجلد 3 رقم: 1639 ص: 1261.

[5] المصدر السابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد 1، رقم : 650 ، ص: 450 .

وذلك إذا كان المبتدأ المحول ذا عظمة وجلالة ، نحو قوله – صلى الله عليه وسلم : عن شداد بن أوس قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)**[1] فإيقاع اسم الله عز وجل (لفظ الجلالة) مسندا إليه ، وبناء (كتب الإحسان) عليه فيه تفخيم للإحسان ورفع منه وتوكيد لاستناده إلى الله عز وجل ، وأنه من عنده ، وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه ، وتنبيه على أنه وحي. فهذا التفخيم هو القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا ، والفعل الإنجازي المتضمن في القول .

ونحو قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثاً وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثاً فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**)[2].

فإيقاع لفظ الجلالة (الله) مسندا إليه مذكورا ، وبناء الفعل(يرضى) لكم عليه ، فيه تفخيم لعبادته عز وجل، وعدم الشرك به ، والاعتصام بحبله .

ونحو قوله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] : (**إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلاَةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ﴾**[4] .

فذكر المسند إليه لفظ الجلالة (الله) وبناء الفعل : (يقول) عليه ؛أي إن الله يقول ، فيه تفخيم لقضاء الصلاة الفائتة ،واستحباب تعجيل قضائها فور تذكرها ؛ لأن إقامة الصلاة تؤدى لذكر الله تعالى كما ذكر المسند إليه في قوله : (أحدكم) للإيضاح والتقرير معرفا بإضافة الضمير لتمام الفائدة .

---

[1] المصدر السابق ،كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ، المجلد 3، رقم : 1955.ص: 1548.

[2] المصدر نفسه ،كتاب الأقضية المجلد 3 ، رقم :1715 ص: 1340.

[3] المصدر نفسه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد 1، رقم : 684 ص : 477.

[4] طه ، الآية :14 .

ب– الأبعاد التداولية لحذف المسند إليه .

لقد استعمل النحويون مصطلحي الحذف والإضمار– أي الافتراض المسبق أو الإضمارات التداولية بتعبير التداوليين– أحدهما مرادفا للآخر، في حين استعمل البلاغيون مصطلح الحذف وحده ، وقد بيّن محمد عيد نتيجة استقرائه لاستعمال هذين المصطلحين عند النحويين بقوله: كلمتا "مضمر،محذوف"، و"إضمار وحذف" تتبادلان التعبير عما يفهم من موضوع الحذف لدى النحاة"[1] وتابعه طاهر سليمان حمودة حيث قال: "الواقع أن المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النحاة ابتداءا من سيبويه، ولا توجد تفرقة دقيقة تراعى في استعمالها، باستثناء إضمار الفاعل الذي لا يسمونه حذفا"[2].

ولكن هذا لايمنعنا من طرح التساؤل الآتي : ما الفرق بين الإضمار والحذف؟

الإضمار لغة: الإخفاء، وأضمر في نفسه شيئا: أخفاه[3].

وتقول: أضمرته في قلبي؟ إذا غيبته فيه[4].

وقال ابن منظور:(وهوى مضمر، وضمر، كأنه اعتقد مصدرا على حذف الزيادة مخفي وأضمرته الأرض: غيّبته، غمّا بموت أو سفر[5].

الإضمار اصطلاحا: قال الشريف الجرجاني (ت816 ه): الإضمار: (إسقاط الشيء لفظا لا معنى، وترك الشيء مع بقاء أثره[6]

الحذف لغة: قال ابن منظور: " حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعة من طرفه[7]

إذن الحذف هو القطع من الطرف.

والحذف اصطلاحا: يعني: إسقاط جزء الكلام ، أو كله لدليل[1]

---

[1] محمد عيد ، أصول النحو العربي ، عالم الكتب ، القاهرة،1973م،ص200.

[2] طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر، 1982م 1403ه.ص:18.

[3] الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت:721ه)، مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، بيروت 1415ه – 1995م مادة (ضمر) ، ص:161.

[4] الزمخشري محمود بن عمر الزمخشري (ت:538ه) ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ط2 ، دار المعرفة، بيروت ، ج2 ، ص: 348.

[5] ابن منظور، لسان العرب ، مادة (ضمر) ، ج4 ، ص: 492.

[6] الشريف الجرجاني (علي بن محمد السيد)، التعريفات ،تحقيق محمد صديق المستشاري ، دار الفضيلة، القاهرة 2004، ص :2.

[7] ابن منظور، لسان العرب. مادة حذف ، ج 9 ، ص :40.

وهذا الجزء الذي اسقط من الكلام قد يكون اسما أو فعلا أو حرفا، وقد يكون جملة كما الحال في ظرف جملة جواب الشرط ، أو جملة جواب القسم عند اجتماعها.

ويعرّف في الدرس التوكيدي التحويلي بأنه: نوع من القوانين النحوية التحويلية، يتم بموجة حذف كلمة أو عبارة ، ويرمز لهذا القانون جبريا كما يلي: س +ص = س + صفر[2]

ويعرفه علماء النص بأنّه: " استعباد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ، أو أن يوسع ، أو أن يعدّل بواسطة العبارات الناقصة.[3]

و قد حاول الزركشي (ت: 794هـ) بيان الفرق بين الإضمار والحذف فقال: " إن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ... ولابد في الإضمار من ملاحظة القدر من الاشتقاق، فإنّه من أضمرت الشيء أخفيته، وأمّا الحذف فمن حذفت الشيء: قطعته، وهو يشعر بالطرح بخلاف الإضمار، ولذلك قالوا: أن تنصب ظاهره ومضمره[4].

وذهب الدكتور عبد الفتاح الحموز إلى القول: بأن الحذف أعم من الإضمار ، وأنه قد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر[5].

وقال حيدر حسين عبيد: " والذي أميل إليه هو التفريق بين المصطلحين استنادا إلى أصل الاشتقاق اللغوي فقولنا: أضمرت الأمل في كذا غير قولنا: قطعت الأمل، فكأن الإضمار يشعرنا بأننا ننظر إلى المعنى من وراء ستر رقيق، فهو كالموجود الظاهر بخلاف المحذوف إذ نلاحظ خلو موضعه منه، وكذلك فإنّنا في الإضمار لا نحتاج إلى أي جهد في معرفة المضمر، بخلاف المحذوف الذي يحتاج تقديره في كثير من الأحيان إلى شيء من التأمل فيما جاء لغاية بلاغية،وكان له أثر في تسميته حذفا وما كان –لغير ذلك– كالذي تقتضيه الصناعة النحوية – نسميه إضمارا[6].

إذن الفرق بين الحذف والإضمار حسب رأيه هو أن الإضمار كالموجود لا نحتاج إلى أي جهد في معرفته بينما الحذف فهو في حكم غير الموجود ، نحتاج إلى جهد في تقديره مع وجود الدليل .

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص: 102.

[2] محمد علي الخولي ،معجم علم اللغة النظري ، مكتبة لبنان، ط1، 1982، ص: 68.

[3] روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1990، ص: 301

[4] الزركشي محمد بن بهار بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ص: 134.

[5] عبد الفتاح الجوز التأويل النحوي في القرآن الكريم مكتبة الرشد الرياض ط1 ،1404هـ- 1984م.ج1ص:134.

[6] حسين عبيد الحذف بين النحويين والبلاغيين، دراسة تطبيقية دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ط1 ت ص41-42. حيدر

ويرى طه عبد الرحمن أنه (يصح أن يقال : "إن كل مضمر محذوف" ، باعتبار أن الحذف هو اسقاط الكلام ، إن جزءا أو كلا ، لكن لا يصح أن يقال : "إن كل محذوف مضمر" ، لكون الأول أعم من الثاني، فقد يحذف المتكلم من كلامه ما لا علم له به ، فلا يكون مطالَبا بتقدير ما حذف ولا بتصديقه لثبوت جهله به ، بينما مقتضى الإضمار أن يكون حذفا لما هو معلوم للمستدل ، فيستحق أن يسأل عما أضمر، ويؤاخذ ببيان الحجة عليه ، أو قل يطالب به ، فالإضمار إذن حذف لا عن جهل ، بل حذف يطالَب فاعله بإثباته[1] .أي على خلاف الحذف لا يطالَب فاعله بإثباته .

أسباب الحذف وأغراضه:

ذكر سيبويه أن الكلام قد يحذف اختصارا ؛ لأن في الإطالة ملالة للسامع ثمن ذلك أنه عقد بابا قال فيه "هذا باب ما يكون فيه المصدر حينا لسعة فمن ذلك أنه عقد بابا قال فيه:" هذا باب ما يكون فيه المصدر حينا لسعة الكلام والاختصار وذلك قولك: من سير عليه؟ فتقول: مقدم الحاج وخلافة فلان، وصلاة العصر، فإنما هو: زمن مقدم الحاج ، وخلافة فلان، وصلاة العصر. فإنما هو: زمن مقدم الحاج ، وحين خفوق النجم ، ولكنه على سعة الكلام والاختصار[2].

كما ذكر حذف الفعل لدلالة الحال، إذا كان الفاعل له مباشرا إياه أو متلبسا بالفعل: (فقال هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره ، إذا علمت أن الرجل مستغني عن لفظك بالفعل ، وذلك قولك: زيدا، وعمرا، ورأسه، وذلك أنك رأيت رجلا يضرب ، أو يشتم أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله، فقلت: زيدا أي أوقع عملك بزيد[3].

وأشار إلى حذف الفعل لتقاصر الزمان عن الإتيان به، للخوف منه أو عليه فقال: (وأما النهي فإنه التحذير كقولك الأسد الأسد، والجدار الجدار، والصبي الصبي ، وإنما نهيته أن يقرب الجدار المخوف المائل، أو يقرب الأسد ، أو يوطئ الصبي[4].

ويؤكد ثعلب (ت291 هـ) أن من أسباب الحذف ظهوره بدلائل القرائن عليه فيقول: وحكى الكسائي: نزلنا المنزل الذي البارحة، والمنزل الذي آنفا، والمنزل الذي أمسى، فيقولون في كل وقت شاهدوه من قرب، ويحذفون الفعل معه كأنهم يقولون: نزلنا المنزل الذي نزلنا أمس، والذي نزلناه اليوم،

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص :146

[2] سيبويه الكتاب،ج1، ص :222.

[3] المرجع نفسه ،ج1 ، ص: 253 .

[4] المرجع نفسه . ج1، ص: 151 .

اكتفوا بالوقت من الفعل إذ كان الوقت يدل على الفعل وهو قريب، ولا يقولون: الذي يوم الخميس، ولا الذي يوم الجمعة، وكذا يقولون، لا كاليوم رجلا، ولا كالعشية رجلا ولا كالساعة رجلا فيحذفون مع الأوقات التي هم فيها... وكل ما كان منه الوقت فجائز أن يحذف الفعل منه، لأن الوقت القريب يدل على الفعل لقربه أو الفعل يدل على الوقت[1].

أما البلاغيون فإنهم تابعوا النحويين، فمنهم من وقف عند ما قالوا كابن هلال العسكري (ت 395هـ) في الصناعتين ، ومنهم من زاد عليه ، وخطا خطوات نحو التحليل والتعليل كابن رشيق القيرواني (ت 456هـ).

أما شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني فقد قال في الحذف هو: (باب رقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر ،فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الفائدة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن). ولم يكتف بهذا الكلام النظري، وإنّما شفعه بكثير من التطبيقات الملأى بالتحليلات التي تنم عن ذوق عال في إدراك النكت البلاغية ، واللمسات الجمالية التي أدتها المحذوفات في تلك النصوص، وبعد أن كان من المنتظر من لاحقيه أن يتموا خطوات عبد القاهر في التحليل والتعليل، إذ بهم يرددون ما قاله باختصار محولين التنظيرات الذوقية إلى قواعد تسرد، فمثلا نجد القزويني حين يدرس أحوال المسند إليه يبدأ بالحذف ويشرع في سرد الغايات التي يخرج إليها قائلا: (أما حذفه إما لمجرد الاختصار الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، وإما لذلك مع ضيق المقام ، وإما التخبيل أن في تركه تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وإما لاختيار تنبه السامع له عند القرينة ، أو مقدار تنبهه، والإبهام أن في تركه تطهيرا له عن لسانك، أو تطهيرا للسانك عنه، وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة- وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء، وإما لاعتبار أخر مناسب لا يهدي إلى مثله إلا العقل السليم والطبع المستقيم[2].

[1] ثعلب أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون .ط5 دار المعارف .القاهرة 1400هـ 1980م ج1 ص : 45 .

[2] القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص37:

شروط الحذف وأدلته:

لما كان الحذف اقتطاعا من الجملة العربية، وتغييبا لبعض أجزائها التي لا يتم المعنى إلا بها ، فإن ذلك الاقتطاع ينبغي ألا يكون كيفما اتفق، وإلا عاد تشويها للجمع ، ونقصا في أداء المعنى ، وإخلالا في الكلام، ولذلك فقد وضح العلماء قواعد لذلك الحذف وهي شروطه وقد حاول ابن هشام جمع تلك الشروط في ثمانية[1].

أحدها: وجود دليل حالي، كقولك لمن رفع سوطا: زيدا بإضمار أضرب ، أو مقالي كقولك لمن قال: من أضرب؟ زيدا ، وإذا كان المحذوف فضلة ، فلا يشترط لحذفه وجدان الدليل، ولكن يشترط ألا يكون في حذفه ضرر معنوي كما في قولك: ما ضربت إلا زيدا أو صناعي كما في قولك: زيد ضربته وقولك ضربني وضربته زيد.

وثانيها: أن لا يكون ما يحذف كالجزء، فلا يحذف الفاعل ، ولا نائبه ، ولعله يريد إذا لم يتحقق فيه الشرط الأول.

وثالثها: ألا يكون مؤكدا؛لأن المؤكد مريد للطول، والحذف مريد للاختصار.

ورابعها : ألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر .

وخامسها: ألا يكون عاملا ضعيفا ، فلا يحذف الجار والجازم والناصب للفعل إلا في مواضع قويت فيها الدلالة و،كثر فيها استعمال تلك العوامل ، ولا يجوز القياس عليها.

وسادسها: ألا يكون عرضا عن شيء فلا تحذف "ما" في أما أنت منطلقا انطلقت ولا كلمة "لا" من قولهم افعل هذا ما لا.

وسابعها وثامنها: أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القوي.

ولكن عباس حسن يرى أن للحذف شرطين بينهما بقوله:(إن الحذف جائز في كل ما يدل الدليل عليه، بشرط ألا يتأثر المعنى بحذفه، ويريدون بالدليل القرينة الحسية، ومنها اللفظية أو العقلية التي ترشد إلى لفظ المحذوف ومعناه وإلى مكانه في جملته، ويريدون بعدم تأثر المعنى بقاءه على حاله قبل الحذف، فلا ينقص ولا يصيبه لبس أو خطأ[2] .

[1] ابن هشام ، مغني اللبيب ج 2ص، ص: 259-265.

[2] عباس حسن النحو الوافي ، دار المعارف، مصر ج1ص:46.

وذهب طاهر سليمان حمودة إلى ما ذهب إليه عباس حسن (لابد عند وقوع الحذف من دليل يدل على المحذوف يتمثل في قرينة ، أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية ، فالقرينة الدالة تعد أهم شروط الحذف، يليها في الأهمية أن لا يؤدي الحذف إلى لبس في المعنى)[1].

وأما البلاغيون فإن شرطهم الوحيد هو وجود دليل على الحذف .وذكر عبد القاهر الجرجاني ما يمكن أن نعدهما دليلين للحذف أحدهما: المعنى الذي يريده المتكلم، والآخر الصناعة النحوية فقال: (إن الكلام إذا امتنع جملة على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف ،أو إسقاط مذكور كان على وجهين:

أحدهما : أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم كقوله تعالى:﴿**وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ**﴾[2] ألا ترى أنك لو رأيت (سل القرية) في غير التنزيل لم تقطع بأن ها هنا محذوفا، لا يجوز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خرجت وباد أهلها ، فأراد أن يقول لصاحبه واعظا ومذكرا ، أو لنفسه متعظا ومعتبرا : سل القرية عن أهلها ،وقل لهم ما صنعوا.

والوجه الثاني: أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره، ولزوم الحكم بحذف أو زيادة من أجل الكلام نفسه ، لا من حيث غرض المتكلم به ، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة كالمبتدأ في نحو قوله تعالى: ﴿**مَتَٰعٌ قَلِيلٌ**﴾[3] لا بد من تقدير محذوف، ولا سبيل إلى أن يكون له معنى دونه[4] وأكد ابن الأثير (ت637هـ) على أهمية الدليل، مصرحا بأن الحذف بدونه لغو من الكلام لا يصح فقال: (والأصل في المحذوفات جميعا على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف ، فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ، ولا سبب[5] وصرح بدليل الصناعة النحوية ودليل المعنى على المحذوف حين قال: (وقد يظهر المحذوف (إعراب) كقولنا: أهلا وسهلا، فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف ، وليس هذا من الحسن من الذي لا يظهر بالإعراب ،

[1] طاهر سليمان حمودة ،ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ص:103.

[2] يوسف من الآية: 82.

[3] آل عمران من الآية :197.

[4] الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . أسرار البلاغة، تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر. ط1 دار المدني. جدة 1422هـ 1991م. ص ص:421 ،422.

[5] ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الدين محمد بن الأثير (637هـ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت 1995م 2ج ص: 77.

وإنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، كقولنا: فلان يحل ويعقد فإن ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالإعراب، وإنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى أي : إنه يحل الأمور ويعقدها[1].

وممن فصل القول في أدلة الحذف القزويني قال: وأدلته كثيرة منها أن يدل العقل عليه والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[2] ومنها أن يدل العقل عليها نحو: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[3] أي أمر أو عذاب ، ومنها أن يدل العقل أو العادة على التعيين نحو:﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[4] فإنّه يحتمل في حبه لقوله:(﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[5] في مراودته لقوله: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[6] وفي شأنه حتى يشملها والعادة دلت على الثاني ؛ لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه في العادة لقهره إياه، ومنها الشروع في الفعل نحو: باسم الله فيقدر ما حصلت التسمية مبدءا له ومنها الاقتران كقولهم لمعرس : بالرفاء والبنين أي : أعرست[7]، وسار جل من جاء بعد القزويني على نهجه في سرد هذه الأدلة ومنهم بعض المحدثين.

والخلاصة :

أنه يرجع الجمال الفني في العبارة في كثير من التراكيب إلى ما يعمد إليه المتكلم من حذف لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراءه القصد، وإنما هو تصرف ، يقوى به حبك العبارة ، ويتكاثر إيحاؤها ويمتلئ مبناها ،وتصير أشبه بالكلام الجيد ، وأقرب إلى كلام أهل الطبع ، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس، وقدرة البيان ، وصحة الذكاء ، وصدق الفطرة. شرط أن يدل على هذا الساقط من الكلام غيره ويرشد إليه السياق ، أو الحال ، وهذا ما يدعو القارئ أو السامع في هذا الإيجاز إلى أن يعتمد على ذكائه ، وبعث خياله حتى يفهم بالقرينة ، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير. لأنك حين تذكر المسند إليه، أو المسند، تكون قد عولت في الدلالة على اللفظ المذكور، وحين تحذف أحدهما تكون قد

---

[1] المرجع السابق ، ج2 ص 77.

[2] المائدة من الآية : 3.

[3] الفجر من الآية : 22 .

[4] يوسف من الآية 32.

[5] يوسف من الآية 30.

[6] يوسف من الآية 30.

[7] الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، التلخيص شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي بيروت، ط2 ، 1350هـ ص 220-221.

عولت في الدلالة على العقل؛ لأنه ليس هناك لفظ يدل عليه، ودلالة العقل أقوى وأمكن من دلالة اللفظ.

والقول ما قال عبد القاهر الجرجاني : وخير الكلام ما يدفعك إلى التفكير، ويستفز حسك وملكاتك، وكلما كان أقدر على تنشيط هذه القدرات كان أدخل في القلب ، وبذلك يجد متعة نفسه حيث يتحرك وينشط ليكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرموز ، وحين يدرك مراده، ويقع على طلبته من المعنى يكون ذلك أمكن في نفسه ، وأملك لها من المعاني التي يجدها مبذولة في حق اللفظ، وهذا هو ما نجده وراء قول عبد القاهر: "إنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما يكون بيان إذا لم تبن."[1]

ونصل إلى أن الحذف يكون لتصفية العبارة من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها، أي للاختصار والإيجاز ، وصيانة الجملة من الثقل الذي يحدث من ذكر ما تدل عليه القرينة، وإثارة الفكر والحس بالتعويل على النفس في إدراك المعنى.

أما أحوال حذف المسند إليه ومقاماته الداعية إلى ذلك فمن الواضح أنه ليس من الممكن أبدا أن تستقصى، لأن الدواعي كما أشرنا أحوال تنبعث في دواخل النفوس، ولا يمكن التعرض لحصرها، وإنما تتناول منها صورا تهدينا إلى طريقة النظر في هذا الباب (الحذف) .

ولذلك نرى عبد القاهر يحرص كما سنبين بأن هذا المحذوف يجب ألا يخطر بالبال؛ لأن وروده في النفس يذهب بالمغزى منه، وإن كان يقرر وجوب تقديره.

قد يحذف المسند إليه (المبتدأ) إذا وقع جواب استفهام لإفادة تعجيل المسرة بالخبر، والتشويق إلى معرفته.نحو قوله – صلى الله عليه وسلم : عن حارثة بن وهب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ) . قَالُوا بَلَى . قَال (كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ)**[2] .

فالمخاطبون من الصحابة في حضرته صلى الله عليه وسلم تشوقوا إلى معرفة الخبر بعد هذا العرض فاختصر لهم النبي صلى الله عليه وسلم الكلام لتعجيل المسرة بالمسند ، وهو بعد تداولي ملحوظ.

وقد يحذف المسند إليه للاختصار وتعجيل المسرة بالمسند أيضا.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص:146.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،رقم :2853. المجلد 4 ، ص: 2190 .

نحو قوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ) ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: (مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ.)**[1]

حذف المسند إليه (المبتدأ) لتحقيق قصد تداولي : وهو الاختصار، وتعجيل المسرة بالمسند ؛ لأنه دل عليه دليل من السياق والتقدير: القيراطان مثل الجبلين العظيمين .

وقد يحف المسند إليه للاختصار ،والتركيز على الخبر؛ لأنه محل الفائدة

ونحو قوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ) . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ) . قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ : (غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأذى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)**[2].

نلاحظ في هذا الخطاب النبوي الشريف قد حذف المسند إليه وتقديره : حق الطريق غض البصر وكف الأذى ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والسر في هذا الحذف هو التركيز على الخبر الذي هو: غض البصر، وكف الأذى ،والأمر بالمعروف، والنهي عن النكر.فهذه الأخبار هي محل الفائدة .

ويحذف المسند إليه إذا كان الخبر مخصوصا بالمدح للبيان بعد الإبهام.

نحو ما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي روي عن ابن عمر قال كان الرّجل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنّيت أن أرى رؤيا أقصّها على النبىّ صلى الله عليه وسلم - قال وكنت غلاما شابّا عزبا وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم- فرأيت فى النّوم كأنّ ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النّار فإذا هى مطوِيّة كطىّ البئر وإذا لها قرنان كقرنى البئر وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النّار أعوذ بالله من النّار أعوذ بالله من النّار - قال - فلقيهما ملك فقال لى لم ترع . فقصصتها على حفصة فقصّتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال النّبىّ صلى الله عليه وسلم- (**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ)**[3] قال سالم فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من اللّيل إلاّ قليلا

[1] المصدر السابق ،كتاب الجنائز ، المجلد 2 ، رقم :945 ، ص : 652.

[2] المصدر نفسه ،كتاب اللباس والزينة ، المجلد 3 ، رقم : 2121 ص: 1675

[3] المصدر نفسه ،كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، المجلد 4 رقم: 2479 ، ص: 1928 .

البعد التداولي من حذف المسند إليه في هذا الخطاب النبوي هو البيان بعد الإبهام ؛لأن السامع بعد تلقي تركيب المدح يكون طالبا لمعرفة المخصوص بالمدح ؛ أي من هو هذا الرجل الممدوح من بين جنس الرجال ؟، فإذا وقف على المخصوص بالمدح بهذا الأسلوب تحقق عنده ما كان يبحث عنه فيكون ذلك أروح له من أن يعلم به ابتداء.

ويحذف المسند إليه إذا كان الخبر مخصوصا بالذم للبيان بعد الإبهام أيضا . نحو قوله صلى الله عليه وسلم عن عدي بن حاتم أن رجلا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ** .)[1] **قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: فَقَدْ غَوِيَ** . فالبعد التداولي من حذف المسند إليه في هذا الخطاب النبوي هو البيان بعد الإبهام ؛ لأن السامع بعد تلقي تركيب الذم يكون طالبا لمعرفة المخصوص بالذم ؛ أي من هو الخطيب المذموم من بين جنس الخطباء ؟، فإذا وقف على المخصوص بالذم بهذا الأسلوب تحقق عنده ما كان يبحث عنه ، فيكون ذلك أروح له من أن يعلم به ابتداء.

وقد يحذف المسند إليه ؛ أي حذف الفاعل فيما بني فعله للمعلوم لظهور الفاعل ظهورا لا لبس فيه ،أو للاستخفاف به نحو قوله صلى الله عليه وسلم : في باب لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد روي عنه – صلى الله عليه وسلم قوله : (**سُبْحَانَ اللَّهِ بِئْسَمَا جَزَتْهَا نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِى مَعْصِيَةٍ وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ**) . **وَفِى رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ (لاَ نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ**)[2]

فلو نظرنا إلى عبارة : (نذرت) الواردة في سياق الحديث لوجدنا أن الفاعل محذوف فيما بني فعله للمعلوم لملاءمة الحذف دلالة الكلام ؛ لأنها نذرت فيما لا تملك وأساءت إلى الناقة التي نجاها الله عليها فكان هذا الفعل مذموما . وقريب منه قوله صلى الله عليه وسلم : عن معقل بن يسار ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**لَا يَسْتَرْعِي اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً، يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.**)[3].

[1] المصدر السابق،كتاب الجمعة ، المجلد 2 ، رقم 870 ص: 594 .

[2] المصدر نفسه ،كتاب النذر، المجلد 3 رقم : 1641 ، ص : 1263.

[3] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان المجلد1 رقم : 142 ص : 125 .

فلو نظرنا إلى عبارة يموت يوم يموت لوجدنا أن الفاعل محذوفا فيما بني فعله للمعلوم لقوة الدلالة عليه فكل عبد على وجه العموم استرعاه الله على رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ، فحذف الفاعل جاء لملاءمة دلالة الفعل يموت كأنه في حكم غير الموجود لحقارته واستصغار شأنه. والله أعلى وأعلم .

ثالثا: الأبعاد التداولية لتقديم المسند إليه

يمثل التقديم والتأخير مظهرا من مظاهر الخروج عن النسق، والابتعاد عن السنن النمطية للأسلوب؛ لتجسيد أغراض فنية مقصودة سياقيا لا تكون بغيره...كما أنّه يفصح عن مدى مرونة الاستعمال اللغوي الذي يفسح مجالا رحبا من الخيارات ،والبدائل بما يوفر من قيم فنية ما كان للخطاب أن يفيد منها لولا عدوله عن الأنماط المعيارية ؛ولأجل ذلك وصفه عبد القاهر بأنه باب واسع التصرف بعيد الغاية [1].

فالعدول عن النسق والخروج عن المألوف ، يكون أكثر تعبيرية وفنية في تقرير المعنى وترسيخه ، وأشد تأثيرا في المتلقي.وهذا الأسلوب يكتسب قيمته الفنية بحسب توظيفه داخل السياق ،إذ أن طاقات الإيحاء ومستويات الدلالة تتماوج مع حركة اللفظ من ناحية تقدمه ، أوتأخره وفق حركة المعنى في السياق وحالة استقراره في النص ؛ وبذلك ترتبط بلاغته بأثرها الفني على المعنى.

التقديم لغة: من قدم الشيء ؛أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك[2] ، وهو يروم بناء صورة جديدة للتركيب ، لا شك أنّها تحمل دلالة محددة لتحقيق غرض معين.

ولأهمية التقديم و التأخير يقول شيخ البلاغة عبد القادر الجرجاني: هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن ، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، و يلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ،وحول اللفظ عن مكان إلى مكان[3].

وتقديم الشيء يكون على قسمين: تقديم على نية التأخير،وتقديم لا على نية التأخير[4]. ومن الأبعاد التأثيرية لهذه الظاهرة الأسلوبية البلاغية[5]:

التوكيد بإثارة التشويق لمعرفة الحكم المتأخر.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز . ص: 106.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان طبعة جديدة ، 2000،ص:404.

[3] الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، ،ص 106.

[4] لمزيد تفصيل ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع مذكور،ص:106.110.

[5] مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت،لبنان،ط1.98،ص:115.

يعول في هذا البعد على مسلمة أن الشيء إذا حصل على خلاف عادته ، وعلى غير ما كانت تتوقعه النفس، فإنه يكون مدعاة للفت انتباهها[1]، ففي تقديم الفاعل على فعله مثلا يقول عبد القادر الجرجاني: إنه لا يأتى بالاسم معرى من العوامل إلا حديث قد نوى إسناده إليه .وإذا كان كذلك، فإذا قلت: عبد الله، فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه. فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا: قام، أو قلت: خرج، أو قلت: قدم، فقد علم ما جئت به، وقد وطأت له وقدمت الإعلام فيه فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المتهيئ له المطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوته وأنفى للشبهة وأمنع للشك وأدخل في التحقيق. وجملة الأمر: أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التأكيد والإحكام[2].

إذن فتقديم الفاعل يجعل النفس تتشوق لتلقي الحكم الذي نثبته له، فإذا ذكر الحكم كان ذلك مدعاة لتوكيده، وترسيخه في الذهن.

1 – تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية :

عرفنا أن الجملة في العربية تتكون من المسند إليه والمسند، والجملة الاسمية هي الجملة التي تبدأ بالاسم لا بالفعل كقولنا (زيد أخوك) أوهي التي يتقدم فيها الاسم على الفعل، مثل (زيد يقاتل) و(المسند وصف والمسند إليه موصوف، والعادة أن يتقدم الموصوف ثم تتلوهُ صفته)[3]،فالجملة الاسمية هي التي تبتدئ باسم بدءا أصيلا ، بحيث يكون الاسم هو الركن الأوّل فيها .

ويتقدم المسند إليه لأسباب معينة ، وهذه الأسباب هي:

(أن تقديمهُ هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه ؛ لكونه محكوماً عليه ، أو مخبراً عنه فيأتي مقدماً في الذهن)[4].

وقد يكون تقديم المسند إليه سبباً إلى معرفة المسند المتأخر ؛لأنّه يتصف بصفة غريبة تجعل النفس تتشوق إلى ذكر المتأخر[5] ، فمن ذلك ما ورد في الحديث الشريف (**الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا**

---

[1] المرجع السابق ، ص: 116.

[2] الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز،ص:132.

[3] أحمد عبد الستار الجواري ، نحو المعاني مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1987 : ص :86 .

[4] السكاكي ، مفتاح العلوم : 388 .

[5] ينظر المرجع نفسه ، ص : 388 .

وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَه) [1] فتقديم المسند إليه (المبتدأ) يحدث تشويقاً لمعرفة الخبر الذي يحذر من فواتها (فكأنما وُتِرَ وهو الذي فاتتهُ صلاة العصر نقص، أو سلب أهله ومالهُ ، وترك فرداً منهما ، فبقي بلا أهل، ولا مال ، فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهلهِ ومالهِ)[2] .

فقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المسند إليه **الَّذِي** مما أحدث تشويقاً لدى السامع ؛ لأنّ المسند إليه فيه بعض الغرابة ،مما يجعل السامع يتساءل عن هذا الذي تفوته صلاة العصر ، فيأتي المسند ليجيب على هذا التساؤل ، فيقول (كأنما هو وتر أهله وماله)

وكون المسند إليه لا يزول عن الخاطر كقولهم (الله ربي)[3]، فالله لا يزول عن الخاطر بأي حالٍ كان المؤمن، وكقولهِ – صلى الله عليه وسلم : (**الْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْراً**)[4] ؛ أي غيرة.

(وإما لتعجيل المسرة أو المساءة لكونهِ صالحاً للتفاؤل أو التطير)[5] ، ومثلهُ قوله صلى الله عليه وسلم : (**...لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)[6] يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا.

فقد يكون تقديم اللعنة كي يعجل المساءة لليهود والنصارى، فكأنه يريد التعجيل بإنزال اللعنة من الله على اليهود والنصارى تحذيرا مما صنعوا ، وهو اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد .

ومن دواعي تقديم المسند إليه التعظيم، أو المدح والثناء كقوله صلى الله عليه وسلم:

(**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**)[7] ، فتقديمهُ لـ(خير) المسند إليه للمدح والثناء على مريم ابنة عمران .

ويأتي المسند إليه مقدماً لغرض الحط من شأنه وتحقيرهُ ، كقوله – صلى الله عليه وسلم: (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**)[8].

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد 1، رقم : 626 ص : 435.

[2] القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ضبطهُ وصححهُ محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1996 : ج2ص 02 2.

[3] ينظر مفتاح العلوم ، ص : 388 ، والإيضاح للقزويني : ج1 ، ص : 136 . .

[4] صحيح مسلم كتاب التوبة رقم : 2761 المجلد 4، ص : 2115 .

[5] القزويني الإيضاح، ص: 135 .

[6] صحيح مسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة المجلد 1 ، رقم :531. ص: 377. .

[7] المصدر نفسه ،كتاب فضائل الصحابة ، المجلد 4 ، رقم: 2430.ص:1836.

[8] المصدر نفسه، كتاب اللباس والزينة المجلد 3، رقم :2088.ص: 1653 .

قدم الحديث الشريف المسند إليه " رجل "على الفعل يمشي؛ أي تقديم الفاعل على الفعل على رأي الكوفيين لتحقيق بعدا تداوليا ، وهو تحقير هذا الرجل الذي أعجبته نفسه ، وهو يمشي في خيلاء ، ولزيادة التحقير جعلهُ نكرة أيضاً .

2 – تقديم المسند إليه في الخبر الفعلي المثبت :

يقدم المسند إليه في الخبر الفعلي المثبت ،كقولك أنا فعلتُ ، أنت فعلت ، فالخبر هو الفعل المثبت ، غير أن تقديم المسند إليه على خبره الفعلي المثبت له أغراض معينة قد بينها الجرجاني بشكل لم يسبقهُ إليه أحد ، يقول : (أن يكون الفعل قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعلهُ لهُ ، وتزعم أنّهُ فاعلهُ دون واحد آخر ، أو دون كل واحد ومثال ذلك إن تقول : أنا كتبت في معنى فلان ، وأنا شفعتُ في بابهِ)[1] ، نفهم من كلام الجرجاني أننا إذا أردنا أن نجعل الفعل لفاعل واحد دون إشراك أحد في الفعل فما علينا إلا أن نقوم بتقديم المسند إليه في الخبر الفعلي المثبت ، فهو يقول (لا تريد أن تدّعي الانفراد بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك قد كتب فيه كما كتبت)[2]

لكن لكل من عبد القاهر الجرجاني والخطيب القزويني مذهب في إفادة التقديم للتخصيص ، فالجرجاني يقسم التقديم في الخبر المثبت إلى قسمين : (أحدهما ما يفيد تخصيصه بالمسند للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه مثل قولك : أنا كتبتُ في معنى فلان ، والثاني ما لا يفيد إلا تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع وتمكنه كقولك (هو يعطي الجزيل)[3] .

ويرى الجرجاني أن سبب التقوية هو (أن المبتدأ يستدعي أن يستند إليه شيء ، فإذا جاء بعدهُ ما يصلح أن يستند إليه صرفهُ إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم سواء كان خالياً عن ضميرهِ نحو (زيد غلامك) ، أم متضمناً له ، نحو (أنا عرفت وأنت عرفت) ، ثم إذا كان متضمناً لضميره صرفهُ ذلك الضمير إليه ثانياً فيكتسي الحكم قوة)[4]، فالجرجاني لا يشترط أن يكون الفاعل مضمراً أو مظهراً كي يقدم ، وأعطى الجرجاني أدلة على إفادة التقديم للتأكيد أن هذا الضرب من الكلام يأتي إذا كان هناك

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ص : 95 .
[2] المرجع نفسه والصفحة .
[3] القزويني الإيضاح ص : 138 .
[4] المرجع نفسه ص : 139 .

سبق فيه إنكار من منكر ، أو فيما اعترضهُ شك ، أو تكذيب لمدعٍ ، أو فيما يقتضي الدليل أن لا يكون ، وفيما يستغرب ، وفي الوعد ، والضمان ، والمدح ، والافتخار[1] .

أما السكاكي فانه اشترط في إفادة التقديم للاختصاص أن يكون المسند إليه فاعلاً في المعنى ، مثل أنا قمتُ ، فانك تقدر أصله قمت أنا ، فيكون أنا تأكيد الفعل الذي هو التاء ، فقدمت (أنا) وجعلتهُ مبتدأ ، (كما أنَّ تأخير هذا الضمير المنفصل يصح العطف عليه بالمشاركة ، والعطف يقتضي مشاركة الغير بالفعل فقدم لأجل نفي تلك المشاركة، وهذه الصورة مما أتفق عليها الجرجاني والسكاكي)[2]، لكنهما اختلفا ، فالجرجاني ذكر تقديم المسند إليه في الخبر المثبت بأنه (يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً مُعرفاً أو منكراً من غير شرط غير أنه لم يمثل إلا بالمضمر ، أما السكاكي فقد اشترط أنه لا يفيدهُ إلا إذا كان مضمراً أو منكراً بشرط تقدير التأخير على الأصل)[3] .

وقولنا (زيد قام) يفيد الاختصاص على قول الجرجاني ولا يغيرهُ ، على قول السكاكي وقولنا هو عرف (وعند السكاكي لتقوية الحكم لا التخصيص)[4] .

ويرى حميد أحمد عيسى العامري (أن السكاكي قد حصر مفهوم التقديم المفيد للاختصاص بشروط معينة إذ فرق بين الفاعل اللفظي والمعنوي فلم يكن من داعٍ إلى هذا التحليل المنطقي ، بل إن السياق هو الذي يحدد الغرض من التقديم)[5] .

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف هذا النوع من التقديم (تقديم المسند إليه على خبره الفعلي) للتخصيص ، في قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**[6] .

يتبين لنا من الحديث الشريف أن تقديم (الله) المسند إليه على خبره الفعلي المثبت (المسند) لتخصيص الله بتعذيب الذين يعذبون الناس في الدنيا لا غيره ، فقدمه لنفي أي شك قد يساور غيره من الناس ، فالله هو الخالق ، وهو الجدير بتعذيب عبادهِ على أعمالهم .

---

[1] ينظر ،دلائل الإعجاز : 95 و 96 و 97 و 98 .

[2] حميد أحمد عيسى العامري التقديم والتأخير في القرآن ، وزارة الثقافة والإعلام دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، 1996، ط1 ص 65:

[3] القزويني ،الإيضاح ص : 144 .

[4] المرجع نفسه، ص : 145 .

[5] حميد أحمد، عيسى العامري التقديم والتأخير في القرآن الكريم،ص : 66 .

[6] صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب، المجلد 4 ،رقم : 2613 ص: 2018.

وقد يأتي تقديم المسند إليه محاولة إثبات الفعل للشخص فيقدمهُ ليؤكد حصولهُ لنفسهِ، والتقديم أحد طرق التوكيد والتي منها (التكرار والحصر والقصر)[1]، والتأكيد بالتقديم (يكون بإخراج أحد عناصر الجملة من المكان المخصص له ، وتثبيته في غير مكانه ، إذ من أراد أن يخص شيئاً باهتمام السامع أو القارئ قدمه ، وفاجأهُ به ليقع ذلك في نفس سامعه أو قارئه موقعاً ثابتاً)[2] . ودليل ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف في مقتل أبي جهلٍ (ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرَاهُ . فَقَالَ:(**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ**) فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُه . فَقَالَ (**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا**). قَالاَ: لاَ.فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ (**كِلاَكُمَا قَتَلَهُ**)[3]

إنَّ الغلامين المسلمين اللذين قتلا أبا جهل في الوقت ذاته ، إنّما كانا قد غضبا مما يفعلهُ ويقولهُ أبو جهل عن النبي– صلى الله عليه وسلم– فأرادا الانتقام للنبي– صلى الله عليه وسلم – ولما سألهما النبي صلى الله عليه سلم كان جوابهما بأن قال كل واحد منهما : (أنا قتلته) ، فكأن كل واحد منهما أراد إثبات الفعل له، والاعتراف بقتله إرضاء لله تعالى، وللنبيه– صلى الله عليه وسلم – وعندما نظر إلى سيفهما قال : كلاكما قتله نلاحظ أن المسند إليه (أنا) قدم على خبره الفعلي (قتلتهُ) .لإثبات فعل القتل لأنفسهما على وجه التوكيد .

ومما جاء في المعنى نفسه في قوله – صلى الله عليه وسلم : (**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ**) .**قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ** : (**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ**)[4] ، فقدّم الرسول الضمير (أنا) وهو المسند إليه ، للتوكيد والتخصيص فالرسول يريد توكيد الأمر وهو أنه– صلى الله عليه وسلم – أقرب الناس إلى عيسى ، وأنه أولاهم بهِ ، وزاد تأكيدهُ أنه قال في الدنيا والآخرة ، فكان التقديم للتوكيد ، ونفي الشك عند السامع .

ويتساءل الجرجاني عن سبب جعل المسند إليه المتقدم على الخبر الفعلي آكدا لإثبات الفعل ، ويجيب على ذلك بقوله : (وان يكن قوله (هما يلبسان المجد) أبلغ من جعلهما يلبسانهُ من أن يقال

[1] ينظر ريمون طحان ، الألسنة العربية ، تصدر بإشراف د. أنيس فريحة ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1981 ص: 86 .
[2] المرجع نفسه ،ص : 86 .
[3] صحيح مسلم،كتاب الجهاد والسير المجلد 3 رقم :1752. ص: 1372.
[4] المصدر نفسه : كتاب الفضائل المجلد 4 رقم :2365 ص : 1837..

يلبسان المجد ، فأن ذلك من أجل أنه لا يؤتى الاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نوي إسناده إليه وإذا كان كذلك ، فإذا قلت : عبد الله فقد أشعرت قلبهُ بذلك أنك قد أردت الحديث عنهُ)[1] .

فالجرجاني يرى أن تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أبلغ من تقديم الفعل فإن تقديم الاسم يهيئ السامع ويشعرهُ قبل ذكر الحديث كما أنهُ يرى أن إبلاغ الأمر فجأة غير الإبلاغ به بعد التنبيه ، والتقديم له (لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والأحكام)[2] .

ومن حالات تقديم المسند إليه على خبره الفعلي في الوعد والضمان ، فإنك إذا أردت أن تعد شخصاً وتضمن له قيامك بما يريدهُ ، وأردت أن تجعل المقابل يقتنع بأنك أهل لهذا الوعد وباستطاعتك تنفيذه فبحال تقديم المسند إليه يعطي هذا الانطباع ، وتطمئن نفس السامع على أن المتكلم قادر على القيام بما وعد به ، ومثال ذلك قولهم : (أنا أعطيتك ، أنا أكفيك) ، يقول الجرجاني : (أن من شأن من تعدهُ وتضمن له أن يعترض الشك في تمام الوعد ، وفي الوفاء به ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد)[3] .

ويمكن لنا أن نمثل لهذا بقوله صلى الله عليه وسلم : (**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**)[4] .

يجازي الله سبحانه وتعالى الصائم في هذا الحديث القدسي ، ويعده بالجزاء الحسن ، ويضمن له ذلك . فسبحانه وتعالى إذا وعد عبده بحسن الجزاء كان ذلك محققاً لا محالة ، ولإعطاء الوعد قدَّم المسند إليه (أنا) على الخبر الفعلي ليوضح لعبادهِ أنه هو تعالى يتكفل بالجزاء ، ومن غيره يفعل ذلك (وقد علم أن الكريم إذا تولى العطاء بنفسه كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء ، وتفخيمه ، ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب)[5] ، فضلاً عن الغرض المذكور (الوعد والضمان) نراه يمتزج بغرض ثانٍ وهو تعظيم العطاء وتفخيمه عن طريق التصريح بالعطاء بكلمة (أنا) فهو يعد بالعطاء ، ويعظم هذا العطاء بمضاعفته للعبد الصائم ، وكل ذلك بسبب تأدية المسلم لفريضة الصوم إيمانا واحتسابا.

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، ص: 97 .

[2] ينظر المرجع نفسه ص : 97 .

[3] المرجع نفسه ص: 98 ، وينظر الإيضاح : ج1 ص 140 .

[4] صحيح مسلم ،كتاب الصيام المجلد 2، رقم : 1151 ص: 807. .

[5] القسطلاني ، إرشاد الساري ج4 ، ص : 443 . .

وقد يكون تقديم المسند إليه على خبره الفعلي لغرض بلاغي آخر وهو الحذر والخوف على شخص ما ، فإذا أراد المتكلم إظهار خوفهِ على شخص ما ، فيقدم المسند إليه ، ليظهر ذلك ، ومثلهُ قول الرسول – صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي وَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا**)[1] . فالرسول صلى الله عليه وسلم يخاف على فاطمة (رضي الله عنها) بعدهُ ، فهو يخاف عليها من الفتنة[2] في دينها ففاطمة ابنته ، وهي عزيزة عليه وقد أخذت منه الدين ، والرسول صلى الله عليه وسلم حريص على الدين وعلى فاطمة ، فخاف عليها أن تمتحن في دينها ، فكان تقديم المسند إليه موفٍ بالغرض الذي قدم المسند إليه لأجله .

ويقدم المسند إليه على خبره الفعلي في المدح ، قال الجرجاني :(وكذلك يكثر في المرح كقولك ، أنت تعطي الجزيل ، أنت تقري في المحل ، وأنت تجود حين لا يجود أحد)[3] ، فأنت عندما تمدح شخصاً ما تقدم اسمهُ أو ما يدل عليه (وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويباعدهم من الشبهة)[4] ، فهو بتقديمه للمسند إليه (الشخص الممدوح) يجعل السامعين يقتنعون بما يمتدح به ذلك الشخص ، فلا يساوره أي شك في الممدوح .

ومنه قول الرسول– صلى الله عليه وسلم : (**قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ . قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِى بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ**)[5].

في هذا الحديث يمدح موسى عليه السلام نفسه بتقديم المسند إليه (أنا) عندما قال: (أنا أعلم) فهو ينسب العلم إليه وأنهُ أعلم الناس ، والعلم (المعرفة)[6] . ولكونه قال ذلك فهو مادح لنفسه ، فليس لأحدٍ من البشر علم مثل علمهِ ، فهو أعلم الناس ، وفي مكان آخر من الحديث نجد هذا أيضاً في قول الله سبحانه وتعالى لموسى :عبد من عبادهِ (هو أعلم منك) رداً على نسب العلم لنفسه ، وكلامه تعالى مدح لهذا العبد الصالح لكن علم هذا العبد ليس علماً مطلقاً ، فالعلم المطلق لله تعالى، فهو أعلم من

[1] صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، رقم :2449 ، 4 ص: 1903.

[2] الفتنة : الاختبار والامتحان ، ينظر الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، 1982 ص : 490 .

[3] الجرجاني عبد القاهر ،دلائل الإعجاز : 99/98 .

[4] المرجع نفسه ، ص : 99 .

[5] صحيح مسلم ،كتاب الفضائل المجلد 4 ، رقم 1280 ص : 1847. .

[6] الرازي مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطر القاهرة د ت ص: 452 باب علم .

عبادهِ لكنه أعلم من موسى بشيء مخصوص لا يعلمهُ موسى ، لكن موسى (عليه السلام) وقع في نفسه انه أعلم الناس ولم يؤتَ أحد بقدر ما أُتيَ هو من علم ، فعَلِمَ الله ما حدثتهُ نفسه فأرسل العبد الصالح لامتحان موسى ليعتبر[1] ، فكان تقديم (هو) مدحاً للعبد الصالح بما لديه من علم.

فأنت بذكرك الممدوح في بدء كلامك تكون قد ميزته ، ونبهت السامعين عن فعلك للشخص قبل مدحك إياه (فإيقاع المسند إليه في أول الكلام يجعل السامع متلهفاً إلى سماع الخبر ، ويكون مهيئاً لقبولهُ فإذا ذكر ازداد قوة وتمكناً)[2] .

3 – تقديم المسند إليه في الخبر المنفي :

يقدم المسند إليه على الخبر المنفي لإعطاء معنى بلاغيا جديدا، كتوكيد نفي حصول الفعل من الفاعل وهو ما عرض له عبد القاهر في قوله : فإذا قلت : أنت لا تحسن هذا كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول : لا تحسن هذا[3] ، فلا نجد ذلك الجزم بنفي الحسن كما في المثال الأول ، فالأول أشد إثباتاً للنفي ، وأكثر قوة في الكلام .

ونجد هذا النوع من التقديم في الحديث الشريف : (**الْمُحْرِمُ لَا يَنْكِحُ، وَلَا يَخْطُبُ**)[4]. فقوله (المحرم لا ينكح، ولا يخطب) أبلغ وأشد قوة ، وأكثر إقناعاً للسامع ، وأثبت في نفي فعل النكاح والخطبة عنه فكان تقديم المسند إليه على الخبر المنفي مؤدياً للمعنى المطلوب ،والذي لا نجدهُ إذا لم يقدم المسند إليه، ففيه تقوية حكم المنفي وتقريره لما فيه من تكرار الإسناد المقصود في عبارة لا ينكح ، ولا يخطب .

4– تقديم المسند إليه النكرة :

وقد يقدم المسند إليه النكرة لغرض التحذير من الويل والهلاك بتقديمهِ للكلمة الدالة على الويل ، كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**)[5].

لقد قدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) كلمة ويل وهي ضد خير فهو بتقديمه لهذه الكلمة التي تبعث الرعب لدى السامع ، والتي تحمل معنى العذاب والهلاك فالويل (وادٍ في جهنم لو أرسلت فيه

[1] ينظر القسطلاني ،إرشاد الساري : ج1 ص :202

[2] حميد أحمد عيسى العامري ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم ص : 77 .

[3] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 99 .

[4] صحيح مسلم ،كتاب النكاح ، المجلد 2 رقم :1409.ص: 1031.

[5] المصدر نفسه ،كتاب الفتن وأشراط الساعة ، المجلد 4، رقم : 2880 ص : 2207.

الجبال لماعت من حرهِ)[1]. وخص العرب بالذكر (لأنّهم أول من دخل في الإسلام وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم)[2].

5- تقديم مثل وغير :

ومن تقديم المسند إليه تقديم (مثل وغير) وهما اسمان يرى أنهما من اللازم تقديمهما ، قال الجرجاني : (ومما يرى تقديم الاسم فيه كاللازم (مثل) و(غير)[3] وفي (مثل وغير) مذهبان في التقديم والتأخير :

الأول : يوجب تقدمهما إذا خرجتا عن معناهما الظاهر (كإثبات الشيء لك لا لغيرك)

والثاني : جواز تقدمهما أو تأخرهما إذا كانا على المعنى الظاهر)[4] .

بمعنى أن هذين الاسمين يقدمان لتقوية الكلام وتثبيته ، يقول عبد القاهر : (فأنت الآن إذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين يقدمان أبدا على الفعل ... وترى هذا المعنى لا يستقيم فيهما إذا لم يقدما أفلا ترى لو أنك قلت : يثني المزن عن صوبه مثلك [5]... لرأيت كلاماً مقلوباً عن جهته ومغيراً عن صورته ، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه)[6] .

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لاَ تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ وَلاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلاَءُ**)[7] . فقد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم بتقديمه لـ(مثل) راغباً بإثبات الصفات الجيدة للمؤمن مشبها له بالزرع .فالمؤمن كثيرا ما يصاب إما في بدنه أو أهله أو ماله ، وأمره في ذلك خير ، إن هو صبر واحتسب ؛ لأن ذلك الابتلاء مكفر لسيئاته ، ورافع لدرجاته، فهو شبيه بالزرع الذي تميله الريح ، لكن لا تجتثه من قراره،فجاء تقديم المسند إليه (مثل) لتقوية الكلام وتثبيته .

6- تقديم (كل) وتأخيرها :

تقع (كل) مسندا إليه في حال تقدمها على الاسم . فتفيد الشمول نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**)[8].

---

[1] الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح .ص : 739.

[2] العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج13 ص :14 .

[3] الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، ص: 101 .

[4] ينظر فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، دار الفرقان ، الطبعة الثانية ، 1989 : 226 ، 227 ، 228 .

[5] إشارة إلى بيت شعري سابق وهو : مثلك يثني المزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه .

[6] المرجع نفسه ، ص: 102 .

[7] صحيح مسلم ،كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، المجلد 4 ، رقم : 2809. ص: 2163.

[8] المصدر نفسه، كتاب الزكاة ، المجلد 2 رقم: 1005 ص : 697..

فقد يكون المعروف الذي قصده الرسول هو ما عُرف بأدلة الشرع أنهُ من أعمال البر سواء جرت به العادة أم لا والمعروف (يطلق على ما عُرف بأدلة الشرع أنهُ من أعمال البر سواء جرت به العادة أم لا ... والصدقة لا تنحصر قي الأمر المحسوس ، فلا تختص بأهل اليسار مثلاً بل بكل واحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال بغير مشقة ... وأصل الصدقة ما يخرجهُ المرء من مالهِ متطوعاً)[1] .

ومثلهُ قوله صلى الله عليه وسلم : (**كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ**)[2].

حرّم الله على عباده شرب المسكر لما فيه من ضرر جسدي ونفسي، واجتماعي على النفس والأهل والناس جميعاً ، والشراب المسكر هو كل ما أسكر، والسكر (نقيض الصحو ، والسكر ثلاثة : سكر الشراب، وسكر المال ، وسكر السلطان)[3] والذي عناهُ صلى الله عليه وسلم – النوع الأول : سكر الشراب ، فالتحريم في الحديث النبوي تحريم شامل عام يشمل كل شراب يسكر قليلهُ أو كثيره ، وقد يكون سبب تأكيد الرسول – صلى لله عليه وسلم– على تحريم الشراب هو خوفهُ من اعتقاد بعضهم في عدم تحريم تناول القليل منه إن لم يُسكر[4].

ودليل التحريم في القرآن الكريم قوله تعالى:(**إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ**)[5] ، فتحريمه سبحانه وتعالى للخمر المسكر لم يكن لشربها فقط ، بل يشمل تصنيعها وبيعها (وتحريمها دليل إهانتها)[6] ، وقد ذكر الرسول– صلى الله عليه وسلم – تحريم الخمر قليلهُ.

فكل ما ذكر آنفاً يحرم الشراب المسكر سواء كان قليلاً أم كثيراً ، فاقتضت الحاجة إلى أن يبتدئ كلامه– صلى الله عليه وسلم بلفظة كل كي يصل إلى ما يريد بأقصر الطرق فقولهُ : (كل شراب اسكر

---

[1] العسقلاني فتح الباري ،ج1 ص 549 وينظر محمد بن إسماعيل الصاغان ، سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للإمام ي ، دار الفكر، بيروت (د.ت) : ج4 ص 164.

[2] صحيح مسلم كتاب الأشربة رقم :2001 المجلد3 ص: 1585.

[3] الفراهيدي (الخليل بن احمد الفراهيدي) (ت175هـ) ، العين . تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، 1985. ج5 ، ص :309 .

[4] ينظر القسطلاني، إرشاد الساري : ج1 ص 477.

[5] المائدة ، الآية : 90 .

[6] عبد الله بن محمود بن مورود الحنفي الاختيار في تعليل المختار، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، الطبعة الثانية ،1951 : ج 4 ص: 99.

فهو حرام) كلمات قليلة فيها أحكام كثيرة اختصرها بكلمة (كل) التي دلت على تأكيد عموم التحريم لهذا المشروب .

7. تقديم الفاعل :

الفاعل : (هو ما كان المسند إليه فعل على طريقة فعل أو شبهه وحكمه الرفع)[1] واشترط ابن الحاجب إن يتقدم الفعل أو شبهه أبدا[2] ، والأصل تقديم الفاعل، وتأخير المفعول) [3] .

وتقديم الفاعل على فعله ليس مستحسناً عند بعض النحاة لعدم أمن اللبس بينهُ وبين المبتدأ [4] .

وقد اختلف النحاة في أمر جواز أو امتناع تقدم الفاعل على فعله ، فكانت نتيجة الاختلاف أن منع بعضهم تقدمه وجوزه بعضهم .

فالفاعل عند البصريين لا يتقدم على الفعل، وان تقدم أعربوه مبتدأ .كقولهم : زيد قام . فزيد عندهم مبتدأ ، والفعل بعدهُ رافع لضمير مستتر، والتقدير (زيد قام هو) ، أمّا مذهب الكوفيين فهو جواز تقديم الفاعل على الفعل ؛ لأنّ الأصل في الفاعل أن يلي الفعل ؛لأنّه كالجزء منه ؛ ولأن تقديمه يوقع في اللبس بينهُ وبين المبتدأ [5] .

وينصب اهتمام أهل البلاغة بتقديم الفاعل على فعله بالدرجة الأولى؛ لأنّهم يبحثون عن معانٍ غير المعاني الأولية التي تدل عليها الألفاظ [6] .

إن تقديم الفعل والفاعل وتأخيرهما يكونان تبعاً لترتيب معانيهما في النفس ، فالمعاني هي التي توجب التقديم أو التأخير في الأسماء والأفعال ، وهذا الكلام لا يتماشى مع منع البصريين لتقديم الفاعل على الفعل أبدا [7] .

---

[1] شرح ابن عقيل : ج 1 ص462 ، وينظر الإيضاح في شرح المفصل : أبي عمرو عثمان ابن الحاجب النحوي ، تحقيق وتقديم: د. موسى بيناي العليلي ، الكتاب الخمسون مطبعة العاني ، بغداد ، 1982: ج1 ص 157: .

[2] ينظر ابن الحاجب (ت646هـ) ،الإيضاح في شرح المفصل : ج 1 ص:157 .

[3] السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، راجعهُ وقدم لهُ : د. فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1984 . ج2 ص: 82

[4] أحمد مطلوب، بحوث بلاغية ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1987 . ص : 43 .

[5] المبرد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق العظيمة ، عالم الكتب .ج1 ص :16 ج4 ص128 ، ينظر اللمع في العربية : لابن جني ، تحقيق : د. سميع أبو مغلي ، دار مجد لاوي للنشر ط1 ، 1988 ، ص : 31 شرح المفصل : ج1ص:157 ، وشرح ابن عقيل : ج 1 ص:465 .

[6] ينظر ،شرح ابن عقيل : ج 1 ص:465 .

[7] ينظر، أحمد مطلوب بحوث بلاغية : 43 .

وإن هذا النمط من التقديم موجود في الحديث النبوي الشريف مثل قوله صلى الله عليه وسلم: **(الْمُؤْمِنُ يَغَارُ)** [1] .

فقدم (المؤمن) وهو الفاعل (المسند إليه) – أي المبتدأ المحول عن الفاعل – على فعله (يغار) وهو فاعل عند الكوفيين ومبتدأ عند البصريين، ولكن هذا ليس هو المهم بل الأهم عندنا هو الغرض من تقديم الفاعل على الفعل هذا الغرض الذي أدى إلى تغيير تركيب الجملة بهذا الشكل ، وغرض التقديم هو العناية والاهتمام بالمؤمن فهو محور الحديث ، فالحديث يدور حول غيرة المؤمن فكان من الطبيعي أن يقدم الاسم الذي دار حولهُ كل ذلك الكلام .

وقد يقدم المسند إليه (المبتدأ) المحول عن الفاعل على الفعل لغرض بلاغي آخر، وهو التعظيم فإذا ذكر اسم (الله) أولاً كان تعظيماً له سبحانه ؛ولأنه لا يليق بالمسلم التكلم عن الذات الإلهية كتكلمه عن أي شخص آخر بل إن من المستحب تقديم اسم (الله) تعالى إن لم يؤثر في التركيب سلباً أو يحدث خللاً لدى المتكلم.

وقد ورد ذلك في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ)** [2] .

فتقديم (الله) في الحديث لتعظيمه عز وجل ، فهو الذي حرّم الخمر ، والتحريم مختصّ بالله تعالى لا بالبشر ، فهو سبحانه وحده الذي يحرّم الحرام .والتعظيم قوة إنجازية مستلزمة مقاميا .

[1] صحيح مسلم ،كتاب التوبة ، المجلد 4 ، رقم 2761 ص: 2115.

[2] المصدر نفسه ،كتاب المساقاة المجلد 4، رقم: 1578 ص : 1205. .

المبحث الثّاني:

الأبعاد التّداوليّة لظاهرتي الإضمار والإظهار

أ – الأبعاد التداولية لوضع المضمر موضع المظهر.

قد يخرج الكلام الذي يتوجه به المتكلم إلى المخاطب عن مقتضى في صور مختلفة فيتفاجأ بهذا العدول الذي يقتضيه ظاهر الحال مما يهز نفسه ، ويزيد انتباهه لما يلقى إليه من الكلام فيتقرر المعنى ويثبت.كأن يوضع المضمر موضع المظهر قصد تحقيق أبعاد تداولية يقتضيها المقام ، وحال المخاطب ، ويكون ذلك مع ضمير الشأن أو القصة الذي عرفته تراكيب اللغة العربية ، وقد ألف أن يسبق هذا الضمير مرجعه، فمرجعه الشأن والقصة التي تذكر بعده، والأصل في ضمير الغائب أن يعود على مرجع متقدم عليه، ليساعد هذا الترتيب على المبادرة بفهم مدلوله. أما إذا حدث العكس فسبق الضمير. وذلك بأن لا يدل عليه شيء مما ذكر، ولكن قدم لنكتة، وهي البيان بعد الإبهام، وهذا معناه أن السامع إذا لم يفهم من الضمير معنى انتظر ما يعقب الضمير ليفهم منه، فهو إذن ما يدل على غرابة، وما تتشوق النفس لتعرف ما بعده.فضلا على أنه صور بواسطة التكرار، فذكر مرة على. على الإبهام في لفظ الضمير، وأخرى على البيان والشرح في الكلام المفسر الذي يخبر به عنه، والبيان بعد الإبهام دعم لما سبق من التوجيه، والحديث الشريف يدق فيه هذا الصنيع ويلطف، وسنرى أنواعا منه في الأمثلة الآتية تدل على ما تمتع به الأسلوب النبوي من لطائف الاعتبارات لكريم المقاصد.

كقوله صلى الله عليه وسلم – عندما قيل له ألا تتزوج ابنة حمزة؟-: (**إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَيَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الرَّحِمِ)**[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم في المدينة: **(إِنَّهَا طَيْبَةُ – يَعْنِي – الْمَدِينَةَ–، وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ)**[2].

فالمسند إليه في هذين الحديثين الشريفين هو ضمير الغيبة، والأصل فيه أن يتقدمه مرجع، أو تدل عليه قرينة، ولكن لم يوجد واحد منهما، فكان مقتضى الظاهر أن يؤتى بالمسند إليه اسما ظاهرا، لفقدان شرط الإضمار، فيقال: الشأن أو القصّة (ابنة أخي من الرضاعة) ، وإنّ الشأن أو القصّة (طيبة تنفي الخبث).

والشأن والقصّة مبتدأ، أو اسم إنّ، أو اسم كان، وهي في جميع ذلك اسم ظاهر، ولكن خولف فيه مقتضى الظاهر، فوضع المضمر موضع المظهر. والقصد بهذا الإبهام ، ثم التفسير؛ تعظيم وتفخيم الشأن وهو البعد التداولي المراد ، والفعل الإنجازي المتضمن في القول بتعبير التداوليين .أي تعظيم وتفخيم شأن

[1] صحيح مسلم ،كتاب الرضاع ،المجلد 2 ،رقم : 1446. ص: 1071.

[2] المصدر نفسه،كتاب الحج ،المجلد 2 ، رقم : 1384،ص :1007.

ابنة حمزة التي لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها ؛ لأنها ابنه أخيه من الرضاعة ، ويحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم في الحديث الأول ، وتعظيم وتفخيم شأن المدينة المنورة التي تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة في الحديث الثاني.

ومنه ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**)[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف إخبار بالغيب عما يحدث لأمته صلى الله عليه وسلم من بعده ، ومن بعد حواريه وأصحابه من وجود المنافقين والمرائين، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لم يؤمروا به، ثم بيان واجب المجتمع نحو هذه الخلوف الزائغة من الناس، وهو مجاهدتهم باليد واللسان والقلب على حال من الإيمان ، وبيان أن أدنى المنازل في جهادهم إنكار القلب الذي ليس أدنى منه إلا الخلو عن شبه حبة الخردل قلة وضآلة من جنس الإيمان، جاء المسند إليه ضمير غيبة " ها " في قوله صلى الله عليه وسلم: (إنها تخلف من بعدهم خلوف...) معرفا بضمير الشأن للإبهام وطلب البيان،ولهذا التعريف وجه بلاغي هو إيقاظ النفس ، وحفزها إلى تلقي الجملة التي تفسر هذا الضمير، والغرض من ذلك إعلاء شأن الخبر المتمثل في الخلوف المنحرفة ، وهذا معناه أن السامع إذا لم يفهم من الضمير معنى انتظر ما يعقب الضمير ليفهم منه، فهو إذن ما يدل على غرابة، وما تتشوق النفس لتعرف ما بعده.فضلا على أنه صور بواسطة التكرار، فذكر مرة على الإبهام في لفظ الضمير، وأخرى على البيان والشرح في الكلام المفسر الذي يخبر به عنه، قصد التوكيد الذي هو بعد تداولي.

قال عبد القاهر: وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التشبيه عليه والتقدمة له لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والأحكام ومن هنا قالوا: أن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار[2] .

[1] المصدر السابق،كتاب الإيمان،المجلد1. رقم : 50. ص : 70.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. ص:95.

وقال الرضي: "فبات لك بهذا أن الجملة بعد الضمير لم يؤت بها لمجرد التفسير بل هي كسائر أخبار المبتدآت لكن سميت تفسيرا لما بينته ، والقصد بهذا الإبهام ثم التفسير تعظيم وتفخيم الشأن فعلى هذا لا بد أن يكون مضمون الجملة المضمرة عظيما يعنى به: فلا يقال هو الذباب يطير".[1]

" لأن الضمير حين يطرقه النفس من غير أن يكون له عائد يعود عليه يصيرها إلى حالة من الغموض والإبهام لا قرار لها معها فستشرف إلى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المشير فإذا جاءت الجملة المفسرة تمكن معناها ووقع في القلب موقع القبول.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :عن الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**)[2].

قيل في شرح هذا الحديث النبوي الشريف كما ذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم : قال القاضي : قيل : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه ، فإذا أفتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبا ، واستغفر منه ، قال : وقيل هو همه بسبب أمته ؛ وما اطلع عليه من أحوالها بعده ، فيستغفر لهم ، وقيل : سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ، ومحاربة العدو ومداراته ، وتأليف المؤلفة ، ونحو ذلك فيشتغل بذلك من عظيم مقامه ، فيراه ذنبا بالنسبة إلى عظيم منزلته ، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات ، وأفضل الأعمال ، فهي نزول عن عالي درجته ، ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه ، فيستغفر لذلك ...وقيل: يحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ، ويكون استغفاره شكرا . وقيل : هو شيء يعتري القلوب الصافية مما تتحدث به النفس فيهوشها والله أعلم .[3]

كما يدل هذا الحديث على حمل المؤمنين الذين بينهم وبين منزلة النبوة البون الشاسع، على أن تسهر أعينهم لهدم السدود والحجب، التي بناهما الشيطان بين قلوبهم وبين الحق، فإذا استغفر المعصوم في اليوم مائة مرة لما يغان على قلبه من أمر لا يخل بالعصمة، استغفر المحجوب بالذنب عشرات المئات، لعل الله يعينه على نفث عدوه وكيده، والله المستعان. فالضمير الذي دخل عليه حرف التأكيد سبق مرجعه، وهو الشأن المذكور بعده، فهو من وضع المضمر موضع المظهر، لتحريك النفس بطلب ما يزيل الإبهام .

[1] الأستراباذي. شرح الكافية .ج 2 .ص:27.

[2] صحيح مسلم ،كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،المجلد 4 رقم : 2702. ص : 2075.

[3] النووي، صحيح مسلم بشرح النووي خرج أحاديثه محمد بن عيادي بن عبد الحليم.ج17 ص : 22.

ب – الأبعاد التداولية لوضع المظهر موضع المضمر:

قد يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر الذي ينتظره المخاطب من المتكلم في صور مختلفة فيتفاجأ بهذا العدول الذي يقتضيه ظاهر الحال مما يهز نفسه ، ويزيد انتباهه لما يلقى إليه من الكلام فيتقرر المعنى ويثبت.كأن يوضع المظهر موضع المضمر قصد تحقيق أبعاد تداولية يقتضيها المقام ، وحال المخاطب، وهذا ما نلاحظه من خلال الأحاديث الآتية :

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال: (**عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ) . فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى فَقَالَ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا . قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ لاَ تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ)**[1].

فعندما ننظر إلى هذا الحديث النبوي الشريف ، نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم – يتحدث عن نفسه الشريفة الطاهرة ، ولكنه لم يقل : إن الله خيرني ، بل قال : (عبد خيره الله) بوضع لفظ (عبد) المظهر موضع المضمر أي ضمير المتكلم ، ثم أعاد عليه الضمير غائبا في قوله : (فاختار) . فما السر في هذا العدول ؟ . والجواب على نحو ما يقول عز الدين علي السيد : (وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ضمير المتكلم إلى هذا الاسم المظهر، له من شرف المعنى ، ونبل القصد ، وكمال التواضع ما ليس للضمير، لما للاسم من المعنى الوصفي، الذي يقرر مقام الرسول الكريم من الرب المعبود العظيم في أخر مراحل الرسالة، ومن أولى منه عليه الصلاة و السلام بأن يجعل تواضعه لله جزاء من جزاء تشريف الله له،إنه قمة التواضع الذي تمحى فيه كلمة أنا ، وعلامته أن وضع صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم – المظهر (عبد) نكرة موضع المضمر حتى عجب الصحابة مع سلامة الفطرة من بكاء أبي بكر، الذي كان أدراهم حينئذ بخصيصة وضع المظهر موضع المضمر)[2].

علم الرب المعبود المنعم فضل العبد العابد الشاكر فأكرمه و كرّمه بتخييره بين زهرة الدنيا الفانية ، وبين ما عند الله من النعيم الخالد الذي لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على بال بشر وعرف

[1] المصدر السابق ،كتاب فضائل الصحابة ،المجلد 4 . رقم : 2382. ص : 1854.

[2] عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار اقرأ ط 2 ، 1406 هـ – 1986 م بيروت ، لبنان ص : 40

العبد المصطفى المختار نعمة ربه السابغة وإكرامه، فتواضع له شكرا واعترافا بعبوديته له، فاختار ما عنده.

ونمضي بعد ذلك فنرى اسم أبي بكر رضي الله عنه قد ذكر ثلاث مرات ، وكان ظاهر السياق يقتضي في المرتين الأخريين أن يكتفي عن هذه الكنية بذكر ضمير الغائب لسبق المرجع، ولكن خولف هذا لأن في تكرار الاسم المظهر ما ليس في تكرار الضمير من التنويه بشأن أبي بكر رضي الله عنه ، وتقرير اسمه في الأذهان تأكيدا لتعظيمه فيها، وتعريفا بقدره في مقام ترشيحه لأول إمارة للمؤمنين ، وخلافة للمسلمين بعد النبوة.بتعبير عز الين علي السيد [1]

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الذي روي عن أبي هريرة : (**لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا وَلاَ تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيْئاً**)[2] .

ظاهر السياق يقتضي أن يكتفي عن كلمة السنة الثانية بذكر ضمير الغائب لسبق المرجع، ولكن خولف هذا فوضع المظهر موضع المضمر لداع بلاغي وبعد تداولي بدلالة السياق ، وهو توضيح وبيان المراد من السنة الذي هو القحط بإظهاره كعلامة بارزة مشعرة بنوع من العقاب ليتقرر في ذهن المخاطب أن القحط ليس بأن لا تمطروا ، ولكنه أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئا . إنه غياب المسبب رغم وجود السبب ، وهو ما يدل على حال محيرة ،حال عدم الأمن والرضا ، ورفع البركة بانتفاء أسبابها . والله أعلم

[1] المرجع السابق ، ص : 341 .

[2] صحيح مسلم ،كتاب الفتن وأشراط الساعة ، المجلد 4 رقم: 2904 ص : 2228.

المبحث الثالث:

الأبعاد التداولية لأحوال المسند

أولا : الأبعاد التداولية لتعريف المسند وتنكيره

أ – الأبعاد التداولية لتعريف المسند

وقد يفيد تعريف المسند قصر المسند على المسند إليه لقصد المبالغة، تقول: زيد الجواد وعمرو الشجاع فتفيد قصر جنس الجود على زيد، ،وقصر جنس الشجاعة على عمرو، ولكنك لا تقصد القصر الحقيقي وأنّ الجود لا يتصف بها أحد إلاّ زيد على وجه الحقيقة ،وأن الشجاعة لا يتصف بها أحد إلا عمرو، وإنما تقصد المبالغة في وصف زيد بالجود وعمرو بالشجاعة ، وأنك لم تعتد بهذه الصفات في غيرهم، وتقول: زيد الشاعر على معنى أنه بالغ في الشاعرية مبلغا صير غيره كأنّه ليس شاعرا ، وتقول: زيد العالم لا تقصد أنّه وحده العالم على الحقيقة ، وإنّما تقصد أنّه بالغ في العلم مبلغ الكمال حتى صار غيره كأنّه ليس بعالم، وهذا لا يجوز فيه العطف ، فلا تقول: زيد الشاعر وعمرو ، وإنّما تقول : زيد الشاعر، فإنّ أردت أن تشرك عمرا في هذه الصفة ، وأنّه بالغ فيها مبلغ زيد فالعبارة عن ذلك أنّك تقول زيد وعمرو الشاعران على معنى أنّك لا تعتد بشعر غيرهما كما قلنا.

ولنا أن نمثل له بقوله – صلى الله عليه وسلم– : عن تميم الداري أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**)[1].

فقد جاء المسند في هذا الحديث النبوي الشريف (النصيحة) معرفا بأل لإفادة قصره على المسند إليه (الدين) إلى درجة أنّ الدين بلغ مبلغ الكمال في النصيحة حتى صار مصطبغا بها والله أعلم.

وقد يفيد تعريف المسند تقريره للمسند إليه ، وبيان أن ثبوته له أمر مقرر لا يشك فيه أحد، وأنه ظاهر ظهورا لا يخفى ، وذلك كقول حسّان: (من الطويل)

وَإِنَّ سَنَامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِم بَنُو بِنْتِ مَخْزُوم وَوَالِدُكَ العَبْدُ .(الطويل)

أراد أن يقرر صفة العبودية لوالده ، ويثبتها له ، ثم يجعله ظاهر الأمر في العبودية ومعروفا بها، قال عبد القاهر: (ولو قال: ووالدك عبد لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفة) ، ومعلوم أن حسان لم يقصد قصر العبودية على والده حقيقة ولا ادّعاء ، وإنما أراد ظهور أمره في العبودية ؛ أي ووالدك العبد الذي عرف الناس جميعا أنه عبد، وأنّ سنام المجد وذراه فهو لبني هاشم بني بنت مخزوم ، أراد عبد الله بن عبد المطلب.

[1] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان .المجلد 1 ، رقم 55 ص : 74 .

عن أبي موسى قال : **سُئِلَ النَّبِيُّ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : (سَلُونِي عَمَّ شِئْتُمْ) . فَقَالَ رَجُلٌ مَنْ أَبِي قَالَ (أَبُوكَ حُذَافَةُ) . فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ (أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ)**[1]

ننظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (أبوك حذافة) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (أبوك سالم)

قد جاء فيهما المسند معرفة ، لا شك أن السائل الأول يعرف أن له أبا ، ولكنه لم يعرف أنّ حذافة أبوه فأجابه النبي – صلى الله عليه وسلم – إجابة يقتضيها المقام بتعيين أبيه ، وهو حذافة ، فقال صلى الله عليه وسلم : (أبوك حذافة) ولو أجابه – صلى الله عليه وسلم– بقوله : (حذافة أبوك) لاختلف المعنى باختلاف الغرض ، وفهم أنّ السائل عرف حذافة بعينه ، ولكنه لايعرف اتصافه بأنّه أبوه ، ولكن السائل لا يريد هذا ، وإنما يريد أن يعرف اسم أبيه ، ولذلك كانت إجابة النبي – صلى الله عليه وسلم – دقيقة جدا عندما قال : أبوك حذافة ،ولم يقل حذافة أبوك ، ومثل هذا ينطبق على إجابة السائل الثاني : (أبوك سالم).

جاء في التصريح : (ويختلف المعنى باختلاف الغرض ، فإذا عرف السامع زيدا بعينه ، ولا يعرف المخاطب اتصافه بأنّه أخو المخاطب ، وأردت أن تعرفه ذلك قلت (زيد أخوك) ، ولا يصح لك أن تقول : (أخوك زيد) وإذا عرف أخاله ، ولا يعرفه على التعيين باسمه ، وأردت أن تعينه عنده قلت : (أخوك زيد) ، ولا يصح لك أن تقول :(زيد أخوك)[2]

إضافة إلى هذا أن إجابة النبي بقوله : (أبوك حذافة) فيها تعريف للاسم ينفي أن يكون له أب غيره لأنه أخبر بالخاص عن العام .فأفاد تعريف المسند القصر ؛ أي قصر المسند على المسند إليه .

وذكر أبن الخباز أن الفرق بين قولنا : زيد أخوك ، وأخوك زيد من وجهتين : (أحدهما أن (زيد أخوك)تعريف للقرابة و(أخوك زيد) تعريف للاسم ، والثاني : أن زيد أخوك لا ينفي أن يكون له أخ غيره ، لأنك أخبرت عن العام بالخاص ، وأخوك زيد ينفي أن يكون له أخ غيره ، لأنك أخبرت بالخاص عن العام [3].

[1] صحيح مسلم ،كتاب الفضائل المجلد 4 رقم : 2360 ص: 1834

[2] التصريح. ج1 ص ص:171،172

[3] السيوطي، الأشباه والنظائر ج 2 ص 236:.

وقد يكون تعريف المسند للإشارة إلى بلوغ المسند إليه في الصفة مبلغ الكمال ، أو أنّه بلغ فيها حقيقتها المتصورة في الذهن ؛ أي التي يتصورها الذهن في أنقى وأكمل وأتم صورها ، كما تقول : هو الرجل ، أي الذي احتاز الصفات والشمائل والخلال ،وكل ما تدلّ عليه الرجولة في صورة نقية متكاملة وكأنّه احتاز المثال الأفلاطوني لهذه الكلمة . وهكذا تقول: هو الصادق ، أو هو الصاحب ، أو هو الأخ إلى آخر هذا ، مما تجد آثاره لا تزال عالقة في الفطرة . ويقول عبد القاهر في هذا الوجه : (إنّ للخبر فيه مسلكا دقيقا ولمحة كالخلس يكون المتأمل عنده كما يقال : يعرف وينكر .)[1] ويقول فيه أيضا : (وهذا فن عجيب الشأن ، وله مكان من الفخامة والنبل ، وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه والمعول فيه على مراجعة النفس ، واستقصاء التأمل .)[2]

وقد يفيد تعريف المسند باسم الموصول الاختصاص نحو قوله صلى الله عليه وسلم :

عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان فجئت فقمت إلى جنبه ، وجاء رجل آخر فقام أيضا حتى كنا رهطا ، فلما حس النبي – صلى الله عليه وسلم – أناّ خلفه جعل يتجوز في الصلاة ، ثم دخل رحله فصلى صلاة لايصليها عندنا قال : قلنا له حين أصبحنا : أفطنت لنا الليلة ؟ قال، فقال : (**نَعَمْ، ذَاكَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى الَّذِي صَنَعْتُ**)[3]

جاء المسند في هذا الحديث معرفا باسم الموصول يفيد في السياق الاختصاص ، وهذه الدلالة الهامة تكمن في طبيعة التعريف بالصلة ؛ لأنّها لابد أن تكون معلومة للسامع.

عن رافع بن خديج قال : قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (**شَرُّ الْكَسْبِ مَهْرُ الْبَغِيِّ ، وَثَمَنُ الْكَلْبِ ، وَكَسْبُ الْحَجَّامِ**)[4]

ورد المسند معرفا بالإضافة لإفادة التحقير والذم والتشنيع .

عن جابر بن عبد الله قال : سمعته يقول : **نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ (لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**)[5]

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 182

[2] المرجع نفسه .ص : 183 .

[3] صحيح مسلم ،كتاب الصيام ، المجلد 1 رقم :1104 ، ص :775.

[4] المصدر نفسه ،كتاب المساقاة ، المجلد 3 رقم: 1568.ص: 1199.

[5] المصدر نفسه ،كتاب فضائل الصحابة .المجلد 4 ، رقم:2415.ص: 1879.

نلاحظ أنّ المسند قد أتى معرفا بالعلمية لإفادة التعظيم في هذا المقام .عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يجيء قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**). **لَمْ يَذْكُرْ هَنَّادٌ الْقَرْنَ فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ قُتَيْبَةُ (ثُمَّ يجيء أَقْوَامٌ)**[1].

جاء تعريف المسند (القرن) معرفا بالألف واللام لإفادة القصر؛ أي قصر المسند على المسند إليه لبيان الوصف أكثر بالخيرية والأفضلية للقرن الذين يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن النواس بن سمعان الأنصاري قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: (**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)[2].

نجد في هذا الخطاب النبوي الشريف أن المسند (حسن الخلق) قد ورد معرفا بالإضافة لإفادة الاختصار ووجازة العبارة والقصر؛ أي قصر المسند على المسند إليه للتركيز على أهمية حسن الخلق ، والحث على التحلي به ؛ لأنه هو كل البر .

[1] المصدر السابق ،كتاب فضائل الصحابة. المجلد 4 ، رقم :2533 ص : 1962، 1963.

[2] المصدر نفسه ،كتاب البر والصلة والآداب .المجلد 4 ، رقم : 2553 ص: 1980.

ب – الأبعاد التداولية لتنكير المسند

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**)[1].

في هذا الخطاب النبوي الشريف نجد المسند (بضع) الدال على العدد من ثلاث إلى تسع قد ورد نكرة ، وبانضمامه إلى العدد (سبعون) أو (ستون) ينجلي داعي التنكير ، وهو تكثير شعب الإيمان ليكون الداعي ذاته في تنكير لفظ (شعبة) المنبثق من مدخله اللغوي الدال على (القطعة)[2] وهو مستعار للدلالة على الخصلة الإيمانية[3]، وبذلك يبرع المدلول التنكيري في بيان ثمرات الإيمان ، وخصاله المتكثرة المتنوعة الشاملة لأبواب الشريعة ، ولأعمالها الشرعية[4]، وتفضل الدلال التنكيرية لإيمائها إلى كمال الإيمان بأداء أعماله كاملة ، وتنفيذ الطاعات تامة، والحث والحض على ضرورة التزام الطاعات في ضم الشعبة إلى الشعبة من جملة التصديق بالقلب واللسان الذي هو حقيقة الإيمان[5]، وقد تفصح دلالة تنكير اللفظين عن فائدة بلاغية مكمنها تعظيم شعب الإيمان وخصاله ، وتعظيم المتصف بها ذلك ترجع إلى أصل شرعي واحد ،وهو تكميل النفس بصلاح المعاش المؤدي إلى تحسين المعاد ،واعتقاد الحق والاستقامة في العمل[6]، ولذا أنبأ خير الأولين والآخرين – صلى الله عليه وسلم – بأفضالها وأعلاها (قول لا إله إلا الله) وما تشعر به الخصلة من توحيد الله ، وهو دعامة الإسلام الأولى التي لا تصح شعب الإيمان كلها إلا بعد صحة الشعبة الفضلى المتعينة على كل مكلف[7]، وأدنى مراتب الإيمان إزالة الأذى عن طريق المسلمين ، ونبي الآداب صلى الله عليه وسلم يجعلها – وإن دنت – من تمام العقيدة ومكارم الأخلاق وإن خف المؤذي وحقر ؛كشوك أو خبث أو حجر، ومن هذا المنطلق يستبان الوجه الشرعي لدنوها[8]،

---

[1] المصدر السابق ،كتاب الإيمان . المجلد 1 رقم 35 المجلد 1 ص: 63.

[2] حامد عبد القادر وآخرون المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية قام بإخراجه ابراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر. القاهرة (ج1 .1960 . ج2 . 1961 م) مادة (شعب) ج1ص: 486.

[3] ينظر علي محمد الصابوني . من كنوز السنة ص : 87.

[4] ينظر شرح صحيح مسلم. ج2 ص: 88.

[5] ينظر المرجع السابق . ج 2 ص: 88 .

[6] ينظر محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. دار الكتاب العربي بيروت ، ج1 ، ص : 356.

[7] ينظر المرجع نفسه . ج1ص: 358.

[8] ينظر المرجع نفسه. ج 1 ص: 358.

والحياء متوسط المرتبة بدلالة السياق الشريف ، وقد جعله نبي الخلق العظيم– صلى الله عليه وسلم – بين المرتبة الأعلى،والأدنى ليبلغ في تنكير شعبته المستأثرة الفضلى ، ولعل توسطها ما بين خصلتي التوحيد ، وإماطة الأذى مكمنة أنها شعبة الطهر من الرجس والآثام ، وأنها شعبة عظيمة لتخصصها بجملة الجار والمجرور (من الإيمان) الدالة على أن الحياء هو الإيمان بعينه ، والإيمان هو الحياء، وقد يدل الدال التنكيري على انفراد الخصلة الإيمانية بالذكر لتكون المتميزة في نوعها التي يستحصل بتحققها ثواب المسلم ، والدلالة التنكيرية تجعل ثواب الاستحياء عظيما مفاضلة مع غيره من الثواب المتأتي من تأدية خصال الإيمان المتفاوتة[1]. ذلك أن الاستحياء يعصم من ارتكاب المعاصي[2] ؛ لأنّه دال في أصل وضعه في اللغة على تغير وانكسار[3] يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ، ويذم عليه أو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح ، وتبلغ دلالة الحياء في شريعة الرحمن لكونها شعبة وخلق باعث على اجتناب المنكر مانع من التقصير في حق ذي الحق، ومما يزيد الخصلة عظمة إيمان الحي أن يخاف فضيحة الدارين، وتعظيم رتبة الحياء ورفعتها وتميزها وانفرادها بالغ تمام البلاغة، إذا ما تحقق الحياء من الله عز وجل الناشئ من مراقبة ثابتة للحق، والمعرفة به سبحانه، وتلك هي أجل مقامات الحياء[4]،. ونخلص إلى القيمة التداولية لتنكير المسند في الحديث الشريف هي: التكثير والتعظيم بدلالة السياق.

[1] ينظر من بلاغة القرآن ص :128.

[2] ينظر المازري أبو عبد الله محمد بنعلي بن عمر (ت 536هـ) المعلم بفوائد مسلم ، تح . محمد الشاذلي النيفر دار الغرب الاسلامي ط2 1992م .ج1ص: 196.

[3] ينظر حامد عبد القادر، المعجم الوسيط مادة (حي) ،ج1 ، ص :354.

[4] ينظر دليل الفالحين ، ج1، ص : 358.

ثانيا : الأبعاد التداولية لحذف المسند.

يشكل الحذف عدولا عن نمطية التركيب ، وهو ظاهرة لغوية من أدق موضوعات البلاغة مسلكا، وأدعاها لإعمال الفكر بما تضفيه من فجوات دلالية تعرف بالمسكوت عنه من القول الذي يتولى المتلقي ملأه ؛ وفي ذلك دفع غير مباشر للمتلقي ليسهم في تصور المعنى ، والوقوف على ما يمكن أن ينتجه العدول من ظلال دلالية.

وهذه الظاهرة تنطوي . غالبا . على خصوصيات يكون مبناها على إثارة الحس والشعور ، ويعول فيها على الذوق ،وسعة أفق الخيال ، وتلك الخصوصيات تختلف بحسب السياق الوارد فيه الكلام ، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى شيء من هذا في قوله: (هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ،وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن،وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر) .[1]

وسماه ابن جني شجاعة العربية، وقال: (قد حذفت العربية الجملة والمفرد والحرف والحركة ، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكلف علم الغيب في معرفته .) [2]

وهذا معناه أن جماليات الحذف تتأسس تبعا لنظرية لغوية مهمة تظل تشكل مرجعية عند الحديث عن العدول وظواهره في مختلف التراكيب ،وهي نظرية "أمن اللبس "إذ يكون للحذف قرائن عدة منها دلالة الحال ، ودلالة المقال ، ودلالة العقل ، وغيرها من الدلالات .

كما لا يخفى أن لحذف المسند أبعادا تداولية تظهر بدلالة السياق المقامي ، ومراعاة مقتضى حال المخاطب أثناء عملية التخاطب ، يمكن التعبير عنها بـ : وجازة العبارة وامتلاؤها وقوة دلالتها . وتكاثر المعنى لكثرة الوجوه التي تصلح لتقدير المحذوف ، وذلك لتقوية الحكم .وترك المسند وازدراؤه والضن عليه بالذكر. والإشعار بتعظيم المحذوف ، أو القصد أن يتجه الهم كله إلى المذكور. وإظهار أناقة العبارة وقوة لمح المتكلم وحسن اقتداره . ويجدر بنا أن نلحظ هذه الأبعاد – ما أمكن – في الخطاب النبوي الشريف من خلال الأمثلة الآتية:

[1] الجرجاني عبد القاهر،دلائل الإعجاز ص :146 .

[2] ابن جني الخصائص، ج2 .ص:362.

نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لأَهْلِهِ إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فَوَ اللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ . فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ**)[1]، والتقدير فعلت ذلك من خشيتك[2].

ويبدو أن حذف الفعل هنا صور لنا بدقة الحالة النفسية لذلك الرجل، فذلك الرجل لشدة خوفه من لقاء الله، وخجله من مواجهته، وشعوره القوي بالذنب قرر أن يختفي من الوجود، لا شكا منه بقدرة الله، ولكن خوفا من عتاب الله ، لما اجترحه من المخالفات، وأسفا على ما اكتسبه من الفرطات، فحاول الفرار من اللقاء لا كرها للقائه ، ولكن خجلا مما قدمته يداه، فأوصى بنيه بأقصى شيء يتصوره العقل البشري لأجل ذلك الاختفاء، وهو حرقه ، ثم طحنه ، ثم تذريته مع الريح، فلما حصل ذلك ، وفعلوا ما أوصاهم به ،إذا به ماثلا بين يدي الله العظيم ، ولطالما حاول الاختباء من ذلك اللقاء، فإذا بالله العظيم يوجه له ذلك السؤال: لم فعلت ذلك؟ فليس أمامه إلا الإجابة السريعة ، فليس هو في موقف المتمكن ليتكلم من موقف قوة ، وينسب الفعل لنفسه، فيقول: فعلت ذلك لكذا ، وكذا ، ولذلك حذف الفعل. لأن القصد أن يتوجه الهم كله للمذكور وهو الخشية .الذي يقتضيه المقام .

وقد يحذف الفعل لكونه معلوما نحو ما جاء في الحديث الآتي : (**فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ الَّذي قُلْتَ لَهُ آنِفًا:(إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِلَى النَّارِ**)[3]، أي: ذهب إلى النار، أو مات إلى النار[4]. لعله حذف الفعل لأنه معلوم طلبا للاختصار أو لتوجيه كله للمذكور وهو إلى النار . .

ومنه ما روي أن سيدنا جابرا – رضي الله عنه – قال: تزوجتُ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**يَا جَابِرُ تَزَوَّجْتَ ؟) . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ (بِكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ) . قُلْتُ ثَيِّبٌ . قَالَ (فَهَلاَّ بِكْراً تُلاَعِبُهَا**)[5]، فبكرا: منصوب بفعل محذوف، أي: هلا نكحت بكرا، أو تزوجت بكرا[6].

---

[1] صحيح مسلم: كتاب التوبة المجلد 4 رقم 2756. ص :2110.

[2] عودة خليل أبو عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين: ، ط2، دار البشير عمان، 1414م: ص:321.

[3] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان المجلد1 رقم: 111 ص 105 .

[4] بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف ص:123.

[5] صحيح مسلم: الرضاع :المجلد 2 رقم :715.ص : 1087

[6] العسقلاني، فتح الباري:ج9 ص 122، وطرح التثريب في شرح التقريب: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي (ت:806هـ)، تحقيق، عبد القادر محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 مج7ص : 11.

ولعل السبب في ذلك أن الكلام منصب على صفة المرأة ؛ أي كونها بكرا أم ثيبا، وليس على التزوج، أي: ليس على الفعل ، ولذلك لم يذكر، أو يكون النبي – صلى الله عليه وسلم – قد عجب من تزوجه الثيب، ولذلك اختصر وأوجز، وكون الفعل معلوما من قول جابر رضي الله عنه. فالغرض من حذف المسند (الفعل) هو وجازة العبارة وامتلاؤها ، وقوة دلالتها.

ومن حذف المضارع في الحديث الشريف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ**)[1] قال العيني: (متعلقها محذوف والتقدير: إنما الأعمال تحصل بالنيات ، وتوجد بها)[2] . ويبدو أنه حذف الفعل كي لا يفرق بين "الأعمال" والنيات بشيء، ليوحي بشدة التصاق أحدهما بالآخر، ويحث على تصحيح النية.

وعن حرام بنت ملحان: (...**فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : (نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ...)[3]. التقدير يضحكني ناس من أمتي[4].

ولعل السبب في ذلك أن الفعل قد تقدم ذكره في السؤال، فكان في إعادته نوع من الإطالة والتكرير، لا داعي لهما، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم عموما غاية في الإيجاز والإفادة.

ومنه ما جاء في الحديث **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (اللهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ) قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (اللهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ) قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (وَالْمُقَصِّرِينَ)**[5]. قال ابن حجر: (والمقصرين معطوفة على شيء محذوف، تقديره: قل والمقصرين، أو قل: وارحم المقصرين، وهو يسمى العطف التلقيني)[6] ،تضمن هذا الخطاب النبوي الشريف دعاء للمحلقين بالرحمة أكثر من مرة ، إشارة منه – صلى الله عليه وسلم – إلى أفضلية الحلق ، فما إن سمعه الصحابة رضي الله عنهم حتى أسرعوا بالنطق بالمقصرين أمامه عساهم أن يكونوا من المرحومين ، إذا نطق بها لهم الرسول – صلى الله عيه وسلم دون ذكر الفعل : قل المشعر بالأمر ، وهذا مالا ينبغي أن يخاطب

[1] صحيح مسلم ،كتاب الإمارة ،المجلد 3 رقم .1907 ص : 1515، 1516 .

[2] العيني عمدة القاري، ج1ص: 24.

[3] صحيح مسلم، كتاب الإمارة ، المجلد 3 رقم: 1912. ص: 1518 .

[4] عودة خليل أبو عودة ، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين ، ص: 646.

[5] صحيح مسلم، كتاب الحج، المجلد 2 ، رقم 1301. ص : 945 .

[6] العسقلاني فتح الباري، ج3 ، ص: 562.

به النبي – صلى الله عليه وسلم – إجلالا، وتعظيما وتوقيرا له ،كما أن استعمالهم هذه الصيغة (والمقصرين) فيه إيماء بمحاولة استعطافهم النبي وتوسلهم به لشمول المقصرين بالرحمة ، فأنت ترى أن الفعل قد حذف ؛ لأنه دل عليه دليل من السياق ، فلا داعي لذكره ، فحذفه أفاد تأدب الصحابة – رضي الله عنهم – مع النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم ؛ لا ن في ذكره إشعار بالأمر وهذا ما لا ينبغي أن يخاطب به الرسول – صلى الله عليه وسلم.

ومن حذف الأمر في سوى ما تقدم، ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفت استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: (**اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**)[1].

ها هو ذا النبي الرسول – صلى الله عليه وسلم – والزوج الوفي يهش لمجيء هالة بنت خويلد ، ويبش بشاشة الألفة ، ويرف رفيف القرابة ، ويسر لقدومها ويرتاح لاستئذانها ؛ لأنها تذكره بصوت خديجة رضي الله عنها زوجته الطاهرة الشريفة التي رأى منها الإحسان ، ورزق منها الولد ، وواسته بمالها إذ حرمه الناس ، ووقفت معه في دعوته إذ عاداه الأقارب، لم يجد لها بديلا .قال النووي: (فارتاح لذلك، أي هش لمجيئها ، وسر بها لتذكره بها خديجة، وأيامها، وفي هذا كله دليل لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته، ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب)[2].إنه الوفاء الكامل،والحب الصادق ، والخلق العظيم ، وسر حذف الفعل وتقديره كما قال ابن حجر (اجعلها هالة)[3] .هو الإسراع في الكلام واختصاره سعيا للذكر المقصود ؛ إذ ليس المقام دعاء ليقول: اللهم اجعلها، ولكنه – صلى الله عليه وسلم– علم يقينا أنها هالة رضي الله عنها، فأثار ذلك فيه تلك التركيبة العجيبة من الذكريات الجميلة.

[1] صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة .المجلد 4 رقم : 2437. المجلد 4 ص : 1889 .

[2] شرح النووي على صحيح مسلم،ج15.ص:202.

[3] العسقلاني، فتح الباري،ج7ص: 140.

ثالثا : الأبعاد التداولية لتقديم المسند

يقدم المسند لأغراض بلاغية تضفي على الجملة روعة وجمالاً، فأنت لا ترى تلك الروعة، وذلك الجمال بين طرفي الجملة فيما لو أخرت المسند، وحين تقول المسند نعني به الخبر والفعل واسم الفعل... الخ .

1 – تقديم الخبر:

يتقدم الخبر على المبتدأ في بعض الحالات ، ليحقق معنى جديداً ، أو يؤكد معنى سابقاً في الجملة ، أو ليعجل في مسرة ، أو مساءة وغيرها من الأغراض التي يقتضيها المقام . فمن هذه الأغراض البلاغية التي هي أبعاد تداولية بتعبير التداوليين ما يأتي :

قد يقدم المسند (الخبر) لإفادة التخصيص: أي تخصيص الخبر بالمبتدأ ، فإنك إذا قدمت الخبر خصصتهُ به ، أما إذا بقي الخبر متأخراً كقولنا (زيد قائم) فإنك لم تخصص شيئاً لزيد ، لكنه يريد أن يثبت أنَّ زيداً قائم لا قاعد فتقديمه لـ(زيد) توكيد وإثبات لا تخصيص ، أما إذا قدمنا (قائم) على (زيد) كقولك (قائم زيد) قد أثبت له القيام دون غيره من الناس، فقدم الخبر.(فقولك (قائم زيد) قد اثبت له القيام دون غيره من الناس ، وقولك (زيد قائم) أنت بالخيار في إثبات القيام له ونفيه عنه)[1] .

والتخصيص بتقديم الخبر موجود في الحديث النبوي الشريف ،كقوله – صلى الله عليه وسلم :(**إِنَّ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاء : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ،وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ**)[2].

فالرسول صلى الله عليه وسلم يخصص الأسماء الخمسة له دون غيره ، فمعنى قوله ذاك (أن لي خمسة أسماء أختص بها أو خمسة أسماء مشهورة عند الأمم السابقة)[3] ، فهو صلى الله عليه وسلم مختص بهذه الأسماء ودلالتها .فقدم الخبر (المسند) شبه الجملة للتخصيص .

وقد يُقدم المسند (الخبر، شبه الجملة) للدلالة على العموم، وذلك إذا كانت شبه الجملة محتوية على لفظة (كل) كقوله– صلّى الله عليه وسلّم : (**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**)[4] .

---

[1] ابن الأثير المثل السائر : ج2 ص 38 ، وينظر الطراز للعلوي ، ج25 ص:31 .

[2] صحيح مسلم ،كتاب الفضائل. المجلد 4 ، رقم :2354 . ص : 1828.، و العاقب من يخلف السيد وفي الحديث (أنا السيد و العاقب) يعني آخر الأنبياء عليهم الصلاة ، ينظر مختار الصحاح ، ص : 443 .

[3] القسطلاني، إرشاد الساري : ج8 ص 37 .

[4] صحيح مسلم،كتاب الزكاة ،المجلد 2 ، رقم 1008: ص :699 .

إن تقديم المسند على المسند إليه وبوجود لفظة (كل) جعل معنى الحديث يدل على الشمول والعموم[1] .

ولعل السامع لهذا الحديث يعتقد بوجوب الصدقة لوجود حرف الجر على الذي يوحي بوجوب الأمر ، غير أنّها ليست واجبة ، وإنما هي من النوافل، ولمن أراد تأديتها دون إجبار ، وما تقديمه للمسند (إلا على سبيل الاستحباب المتأكد ولا حق في المال سوى الزكاة إلا على سبيل الندب ومكارم الأخلاق)[2].

وقد نلحظ في الحديث الشريف فضلاً عن العموم شيئاً من التخصيص فهو بتقديمه لشبه الجملة (على كل مسلم) نرى عدم إمكانية غير المسلم لإعطاء الصدقة ، وإن أعطى فهي ليست صدقة ، لكنه حين قدمهُ خصص أن المسلم هو الذي يتصدق، وعليه ذلك لا غيره .

وقد يُقدم المسند على المسند عليه للتشويق.

نحو قوله – صلّى الله عليه وسلّم: (**عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ**)[3] .

إن كلامهُ – صلى الله عليه وسلم يدل على أهمية المدينة ، وان كلامهُ يدور حولها ، فكان من البديهي تقديم المسند (على أنقاب المدينة)[4] .

فالانقاب هي الفتحات أو الثغور أو طرفها وفجاجها التي يمكن أن ينفذ منها نافذ لا يريد الدخول من أبواب المدينة المعلنة لسبب من الأسباب ، وهذه المنافذ غير محروسة من المسلمين ، فوضع الله ملائكة تحرس هذه المنافذ وتحميها من الطاعون ، وتمنع الدجال من التسلل إليها ، والسيطرة عليها فقدم (على أنقاب المدينة) المسند بسبب الاهتمام بالمدينة وحمايتها ، (والانقاب جمع قلة والنقاب جمع كثرة ... وقد عدُّ عدم دخول الطاعون من خصائصها وهو من لازم دعائهُ – صلى الله عليه وسلم – لها بالصحة)[5] ، وقيل عدم دخول الطاعون ، والدجال إلى المدينة ، وقيل : جواز دخول الطاعون المدينة، وقيل: وإن الطاعون يدخل المدينة ومكة لكنهُ لا يتفشى فيهما كما يتفشى في غيرهما[6] .

وهكذا نرى أن الخطر الذي ينتظر المدينة كبير (فالطاعون والدجال) مما يتجنبهُ المسلم لما لكل منهما من مخاطر ، فالطاعون هو ذلك المرض الخطير الذي إن أصاب أحدهم فني فيه ، كما أن الدجال يُخاف شرهُ

---

[1] ينظر الجرجاني عبد القاهر ،دلائل الإعجاز ، ص :191 .

[2] القسطلاني ، إرشاد الساري ، ج3 ، ص: 566 .

[3] صحيح مسلم ،كتاب الحج ، رقم : 1379 ، المجلد 2 ، ص :1005. .

[4] أنقاب : (جمع نقب ، وهو النقب في الحائط يخلص فيهِ إلى ما وراءهُ) ، ينظر العين : ج5 ص 179 ، والقاموس المحيط : ج1 ص :138 .

[5] القسطلاني ، إرشاد الساري ، ج15 ص: 81 .

[6] ينظر المرجع نفسه ، ج12ص :454 .

قبل قيام الساعة ، ولأنّهما خطران يهددان أي منطقة يحلان فيها ، ومدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لها أهمية كبيرة عند النبي– صلى الله عليه وسلم – وفي نفوس المسلمين ، لذلك كانت محمية لا يدخلها الطاعون والدجال ، بفضلهِ سبحانه وتعالى .

وقيل: إن المدينة لم تكن كذلك قبل الهجرة إليها ، فقد اشتكى بعض الصحابة بعد الهجرة إلى المدينة أنّها وبيئة فدعا الرسول – صلى الله عليه وسلم : (**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**)[1]. وكان دعاء النبي هذا بعدما أصيب أبو بكر ، وبلال (رضي الله عنهما) بالحمى مما يدل على صحة قولنا : بأنّها كانت وبيئة ، فنقل الرسول الحمى بدعائه من المدينة إلى الجحفة (وهي مسكن اليهود وهي الآن ميقات مصر، وفيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والهلاك ، والدعاء للمسلمين بالصحة ، وإظهار معجزتهِ – صلى الله عليه وسلم – فإن الجحفة من يومئذ لا يشرب أحد من مائها إلا حمم)[2] .

(فالمدينة لم تكن محروسة الطرقات من الطاعون، ولم تكن آمنة من الدجال قبل قدوم النبي – صلى الله عليه وسلم – والمهاجرين معهُ إليها)[(3)]، فكيف انتقلت المدينة من حالٍ إلى حال (من طور صحي إلى طور آخر، جعل النبي صلى الله عليه وسلم يُقرر أمانها من المرضين: مرض الجسد الذي عبر عنه بالطاعون، ومرض الروح الذي عبر عنه بالدجال ؟)[4].

إن المدينة انتقلت إلى طور آخر بدعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – (فدعاؤهُ : رجاء – ودعوة وفي الرجاء والدعوة صارت المدينة مدينة جديدة ، لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال ؛ لأن على أنقابها ملائكة يحرسونها على مستوى الحس ، وعلى مستوى النفس)[5] .

فدعاؤه خلّص المدينة من الوباء فصارت البركة في أرضها ، ومنبتها فبارك الله لهم في ما يزرعون ، ولم تكن هجرة الرسول وصحابته من مكة بسبب سوء طبيعتها ، وفقرها المادي بل بسبب سوء المعاملة ، فمكة أفضل

[1] صحيح مسلم ،كتاب الحج. المجلد 2 ، رقمً : 1376 .ص 1003.

[2] القسطلاني ، إرشاد الساري : ج8 ص :400 .

[3] اسعد أحمد علي ، تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 1987 ص : 292 .

[4] المرجع نفسه ، ص: 292.

[5] المرجع نفسه ، ص : 293 .

طبيعة وصحة من المدينة (لأنها كانت موبوءة عندما هاجروا (إليها) وعلى الرغم من ذلك هاجروا إلى المدينة التي أُصبحت بدعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – محروسة من قبل الملائكة إلى يوم يبعثون[1] .

ويقدم المسند على المسند إليه للتفاؤل وتعجيل المسرة إلى نفس السامع ، كقوله – صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم – : (**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً** .)[2] .

إنَّ تقديم المسند (الخبر) الذي جاء شبه جملة مكونة من الجار والمجرور (في الجنة) في هذا الحديث فيه بشرى وأمل، إن بمجرد ورود هذه اللفظة (الجنة) في الحديث فهي بمثابة دعوة للتفاؤل بالفوز بها ، فكأن الرسول يريد أن يعجل الفرحة والسرور إلى قلوب المؤمنين بقوله : ذاك ، والذي ألحقه بوصفٍ جميل للجنة ، وخيمها ، مما يدخل الراحة والسرور في النفوس .

بهذا البيان النبوي الساحر والأسلوب المؤثر يدل المؤمن على طريق الفلاح والنجاة ويرغبه في دخول الجنة ، بالتزامه بتعاليم الله – عز وجل – والعمل على تكريس حياته لآخرته .

ومثله قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ، أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**)[3] .

لا شك أن الجنة عنوان النعيم الأبدي فبمجرد ذكرها يثير في نفس السامع التفاؤل والسرور ورجاء دخولها وجاء تقديم خبر إنَّ (في الجنة) ليمتزج التشويق بغرض التفاؤل ، فنحن لا ننكر ما في الخير من التفاؤل غير أن في الخبر تشويق إلى معرفة ما يكون من شأن الجنة ، وماذا فيها يقول القسطلاني : (إنما قال في الجنة ، ولم يقل الجنة ليشعر أنَّ في الباب المذكور من النعم والراحة ما في الجنة ، فيكون أبلغ في التشويق إليه ، وقيل إن من دخل شرب، ومن شرب لا يظمأ أبداً)[4] .

يدور الحديث النبوي على محاور أربعة (الجنة ، القيامة ، الري ، طريقة البحث) ، فالإنسان باحث عن السعادة والخلود ونعيمها ، وإنّما بحثهِ عن هذا النعيم الذي في الآخرة ، فكيف يحصل عليه ؟

---

[1] ينظر تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية ، ص: 293 .

[2] صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، المجلد 4 ، رقم: 2838. ص : 2182 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب الصيام المجلد 2 ، رقم :1152. ص: 808.

[4] القسطلاني ، إرشاد الساري ، ج4 ، ص : 445 .

يمكن للمسلم الحصول على النعمة والخلود في الجنة ، فالله سبحانه وتعالى مكن الإنسان من ذلك، إن أتبع مناهج معينة في الحياة ، واحد هذه المناهج (الصوم فهو منهج من مناهج البحث عن هذه المنافذ المبشرة بالإقامة الدائمة في الجنة الخالدة ؛ لأن غاية الصيام تصفية القلب، وهذه التصفية تُدخل الصائم في مناخ الشفافية الذي يرى به ما لا يراهُ في الحياة العادية)[1]

فالمسلم يدخل الجنة من باب الريان إذا كان صائماً ، لا يدخل من هذا الباب أحد غيرهُ ، فتسمية هذا الباب بالريان تكشف لنا (أنّ الصيام غذاء روحي ، يتلذذ به الصائمون دون سواهم ؛ لأن سواهم لم يجرب هذا المذاق الصومي المنعش)[2] .

2 – تقديم الفعل :

والفعل : (هو حركة الإنسان أو كناية عن كل عمل متعدٍ)[3]. كما أنه : (أساس التعبير ، وهو من أهم مقومات الجملة ، ومن الأركان الرئيسية في تأليف الكلام)[4] .

(وقد اعتاد العرب تنبيه السامع إلى الاهتمام بالحدث قبل الاهتمام بفاعل الحدث ، وأهتم النحويون بصدر الجملة ، واعتبروا الجملة فعلية إذا صدرت بفعل)[5] ، وقد لا يتصدر الفعل بل يكون في سياق الجملة (وكثيراً ما يتصدر الفعل الجملة في معظم الأحوال العادية)[6] ؛ لأن الفعل أو الحدث هو محط اهتمام المتكلم نظراً ؛لأنه يدل على الحدث والزمان معاً ؛ ولأن الفعل (يقوم بعمليتي المسند والإسناد الضمنية ، وهو من القوة بحيث يعمل متقدماً أو متأخراً في عنصر واحد أو أكثر (المتعدي)[7]. فالفعل دالّ على التجدد والاستمرار لذلك فإنّ له أهمية كبيرة في التأثير في معنى الجملة، فإذا ما تقدم الفعل أدى معنى معيناً في الجملة ، وإذا ما تأخر فإنه يعطي معنى آخر .

ولتقدم الفعل أغراض معينة أدت إلى تقدمه ، وأضافت معاني جديدة ، وفيما يأتي عرض لهذه الأغراض :

---

[1] أسعد أحمد علي ، تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية ص : 195 .

[2] المرجع نفسه ،ص : 195 .

[3] الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج4 ص: 32.

[4] الألسنية العربية : 54 ، وينظر القطوف الدواني من علم المعاني د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي ، دار الأنبار للطباعة والنشر ، الأنبار ، 1997 ص : 71 .

[5] المرجع نفسه، ص : 25 .

[6] المرجع نفسه، ص : 54 .

[7] أحمد عبد الستار الجواري ، نحو المعاني مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1987 .ص : 86.

الاهتمام بالفعل : فللفعل خصوصية إذا ورد بعد أداة الاستفهام (هل وكيف والهمزة) إذ من الأولى تقديم الفعل على الاسم ، قال سيبويه : (وأعلم أنه إذا أجتمع بعد حرف الاستفهام نحو: هل ، وكيف ، ومن ،اسم وفعل كان الفعل بأن يلي حرف الاستفهام أولى ، لأنها عندهم في الأصل من الحروف التي يذكر بعدها الفعل)[1] .(وسيبويه كان شديد الملاحظة حين لم يقل بفساد ذكر الاسم بعد هذه الأدوات وإنما اكتفى بالإشارة إلى أن ذكر الفعل بعدها أولى بمعنى انه يصح ذكر الاسم بعدها وان لم يكن وجيهاً)[2]

فالأولى تقديم الفعل ألا ترى أنك إذا قلت :(هل زيداً ضربت) وهذا قبيح ؛ لأن زيداً منصوب بفعل محذوف يفسدهُ ما بعدهُ ، فالاسم يعيق الفعل عن العمل ، أما إذا قلت : (هل ضربت زيداً ؟) كان كلاماً سليماً مقبولاً،فأنت إذا قدمت الفعل كان اهتمامك بالفعل لا الاسم ، ويتأتى هذا الاهتمام من كونك شاكاً بالفعل فقدمته للسؤال عنه ، أو أنك أردت أن تقرر الفعل فإذا قلت : أفعلت ؟ . فهو يقرر بأن الفعل كان منه ، وقد تكون الهمزة للإنكار فأنت تنكر الفعل إن كان تالياً للهمزة ومنكر للاسم إن كان بعد الهمزة [3]

ومن تقدّم الفعل بعد الهمزة ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله مر بالسوق داخلا من بعض العالية ، والناس كنفته (جانبه) فمر بجدي أسك(صغير الاذنين) ميت فتناوله فأخذ بأذنه .ثم قال (**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ** ؟) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء. وما نصنع به؟ قال(قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه؛ لأنه أسك . فكيف وهو ميت ؟ فقال : (**فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**)[4] .

لقد تقدم الفعل بعد الاستفهام في قوله – صلى الله عليه وسلم – (أيكم يحب أن هذا له بدرهم) وذلك للدلالة على أهمية الفعل لا الاسم، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يريد منهم أن يعترفوا بعدم حبهم لامتلاك هذا الجدي الأسك الميت الذي لا قيمة له حتى إذا أقروا بذلك ، يؤكد لهم بالقسم واللام لإزالة أدنى الشكوك من أذهانهم أن الدنيا أهون على الله من هذا الجدي عليهم ، لذلك قدم الفعل لأهميته ؛لأن من أحب الشيء طلبه واجتهد في الحصول عليه والظفر به ، فكل محبوب مرغوب فيه.

[1] سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص : 29.

[2] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر بالفجالة ، (د.ت) ص : 88 .

[3] ينظر، عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز : 87 ، 88 .

[4] صحيح مسلم .كتاب الزهد والرقائق. المجلد 4 ، رقم 2957 ، ص :2272.

الفصل الثالث:

خصائص البنى التركيبية للأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف

المبحث الأوّل : الإخباريات

أ – جريان الخبر على مقتضى الظاهر

ب – جريان الخبر على خلاف مقتضى الظاهر

ج – خروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية وإنشائية

المبحث الثاني: الطلبيات

أوّلا : الأمر

ثانيا : النهي

ثالثا : الاستفهام

رابعا : النداء

المبحث الأوّل:

الإخباريات أو التقريرات Assertives

توطئة :

يكاد يجمع الدارسون المحدثون على أن ما قدمه العرب في باب (الخبر والإنشاء) سواء أكانوا لغويين أم أصوليين، لا يختلف عما تعرضه نظرية الأفعال الكلامية الحديثة التي قدمها أوستين، وطورها سورل ذلك أن البلاغيين مثلا تناولوا في باب المعاني (الخبر والإنشاء) ،وعلاقتهما بالخارج؛ فالخبر ما احتمل الصدق أو الكذب بالنظر إلى درجة مطابقته للخارج أو مخالفته.

أما الإنشاء ، فهو يتميز بأن مدلوله يتحقق بمجرد النطق به ، والطلب منه أي "ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع طلب الحاصل[1] .وهذا الأمر يتقاطع مع قام به أوستين حين ميز بين نوعين من الأفعال : التقريرية والإنجازية من حيث درجة تحققها في الخارج ، وموقف المتكلم. وهذا ما جعل أحمد المتوكل يقول في ذلك " من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية " الخبر /الإنشاء" التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية " الوصف/ الإنجاز" كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء"[2]

وإذا كان البلاغيون واللغويون العرب، قد حصروا علم المعاني في ثنائية الخبر والإنشاء ، فإن هناك كثيرا منهم تجاوزوا هذين المعنيين إلى معان أخرى ، منهم ابن فارس في باب (معنى الكلام) في الصاحبي يقول: "وهي عند أهل العلم عشرة : خبر واستخبار وأمر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض وتحضيض ، وتمن وتعجب "[3]

وحصر الخبر في الإعلام[4] ، والاستخبار في الاستفهام[5] والأمر في " ما إذا لم يفعله المأمور به سمي عاصيا .[6]

واقترح غيره عشرة أخرى هي: "نداء ، ومسألة ، وأمر ، وتشفع ، وتعجب ، وقسم ، وشرط ، ووضع ، وشكر ، واستفهام "[7]

---

[1] السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت. لبنان،د.ت، ص:48.

[2] أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ الرباط 1985ص:3.

[3] ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويني ، مؤسسة بدران للطباعة .بيروت، 1964، ص: 179 .

[4] المرجع نفسه ، ص: 179 .

[5] المرجع نفسه ص ،181 .

[6] المرجع نفسه ،ص: 184 .

[7] ذكرها الزركشي برهان الدين: البرهان في علوم القرآن ص: 316 دار المعرفة ب.يروت ،ط.1972 .

والواقع أن تقسيم الكلام إلى هذه المعاني والأغراض ، قائم على الأحوال المختلفة للكلام بحسب المتكلم ومقاصده ، والسامع وتأويله ، والمقام وسياقاته . وهذه كلها شروط تداولية للخطاب ، اهتم بها كثيرا البلاغيون العرب ، واحتفى بها اللسانيون التداوليون المحدثون

وإذا التفتنا إلى الغزالي وجدناه يقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام[1]:

- خبر يجب تصديقه ، نحو ما أخبر عنه ، وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأئمة
- خبر يعلم كذبه ، نحو ما خالف العقل أو النظر أو الحس أو المشاهدة ، أو الأخبار المتواترة ، أو ما يخالف النص القاطع من الكتاب والسنة والإجماع .
- خبر لا يعلم صدقه ، ولا كذبه فيجب التوقف فيه .

كما أن الإنشاء نفسه ميزه بعضهم عن الطلب ؛ لأن الطلب ينحصر في الأفعال التي تقرن دلالتها بألفاظها نحو طلب الضرب مقترن بلفظه في الوجود وميزوا بين الإنشاء الطلبي الذي " يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب "[2] وأنواعه كثيرة منها [3]

الأمر،النهي،النداء،التمني،الاستفهام. أما غير الطلبي فما لايستدعي ذلك ،نحو : التعجب والذم،والمدح،و القيم وغيرها.وميز السكاكي في الطلب نوعين[4]:

-لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول.

-يستدعي فيه إمكان الحصول.

وفصلوا أيضا مواضع التداخل بينهما ،فقد يقع الخبر موقع الإنشاء،ومن أغراضه التي ذكرها القزويني :" للتفاؤل،أو لإظهار الحرص في وقوعه (....)والدعاء بصيغة الماضي من التبليغ يحتمل الوجهين ،أو للاحتراز عن صورة الأمر (...) أو لحمل المخاطب على المطلوب..."[5]

ومما أوردوه أيضا في هذا الباب أن يعبر بالأمر لكن الدلالة ماض ،نحو مدلول (اعملوا) في نص الحديث الشريف(**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**)[6]

---

[1] الغزالي أبو حامد ،. المستصفى .ج 2 ص : 162 .

[2] القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ,ص : 48.

[3] المرجع نفسه ص ، : 227-245

[4] السكاكي أبو يعقوب:مفتاح العلوم ،ص:302.وما يليها.

[5] القزويني :الإيضاح في علوم البلاغة ،ص:245.

[6] صحيح مسلم ,كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ,المجلد 4 رقم : 2494 ص :1941.

إشارة إلى حاطب بن أبي بلتعة الذي قام ببعث رسالة إلى ناس من المشركين من أهل مكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ....

فلا يمكن أن يفهم من (اعملوا) الإباحة بان يفعلوا أي شيء،وهي ليست للاستقبال، بقدر ما هي للماضي،وتقديره " أي عمل كان لكم قد غفرته"[1]

وقد يكون القصد إدخال الروعة و المهابة في ضمير السامع ،لما سبق عرضه،نحو قول المدير مثلا لأحد العمال :مدير المؤسسة يأمرك بكذا ،بدلا من أمرك بكّذا ،بالخروج عن الأصل.

ومن أمثلته أيضا "مجيء الخبر بمعنى الأمر في القرآن في نحو قوله :والوالدات يرضعن ،والمطلقات يتربصن،ونظائره[2]. والدعاء: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ [3]

إلى جانب ذلك فصلوا أغراض الأساليب البلاغية؛ حين تخرج العبارة خبرية كانت أو إنشائية عن معناها الحقيقي والمفهوم من الصيغة إلى غرض آخر، وقد جمع (تمام حسان) آراء القدماء، في تقسيم الجملة وما استقروا عليه من الخبرية والإنشائية، وجعل الإنشائية طلبية وشرطية وإفصاحية، حسب البيان[4].

وإلى جانب خروج الخبر إلى الإنشاء ، قد يخرج إلى أغراض أخرى، نحو: الوعيد : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[5]، والتعظيم، نحو ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ)﴾[6] والتحقير والتبكيت نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[7]... وغيرها.

وكذلك مختلف الأساليب الإنشائية؛ حيث تتعدد الأغراض البلاغية التي تخرج إليها، وتستفاد من قصد المتكلم وأحوال السياق. فقد يخرج الاستفهام (الاستخبار) عن معناه الحقيقي (طلب الفهم، أو طلب الخبر)، إلى الخبر الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى : ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

[1] ابن القيم الجوزية (751هـ) : بدائع الفوائد ،المكتبة الثقافية ،لبنان،1993،ص:14-15

[2] المرجع نفسه ,ج1ص:104.

[3] الذاريات ، الآية :10.

[4] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط1998،3، ص244.

[5] فصلت/ بعض الآية:53.

[6] الصافات/ بعض الآية: 159.

[7] الدخان الآية : 49 .

﴿ٱلْمُبْسِفُونَ﴾[1] والاستفهام التقريري نحو: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2] وقد يخرج إلى التكثير نحو: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[3]، وإلى التوبيخ نحو : ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[4].

وكذلك الأمر والنهي والنداء ... وغيرها، كل منها يخرج إلى أغراض بلاغية فصلتها كتب المتقدمين والمتأخرين، نحو أغراض : النصح والإرشاد، الكراهة، الدعاء، اليأس ، الالتماس التهديد، التعجيز،... فمعاني الخبر والإنشاء ، وأغراضهما البلاغية تمثل نظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي وفي هذا الشأن يقول مسعود صحراوي ولذلك يصح أن تعد تلك المعاني والمقاصد التواصلية في منظورنا ، باعتبارنا لا ننظر إليها على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية ، وإنما هي فوق ذلك " إنجازات وأغراض تواصلية " ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات ، والتأثير في المخاطب : بحمله على فعل أو ترك ، أو دعوته إلى ذلك ، أو تقرير حكم من الأحكام ، أو توكيده ، أو التشكيك فيه ، أو نفيه ، أو وعد المتكلم للمخاطب ، أو وعيده ، أو سؤاله واستخباره عن شيء ...أو إبرام عقد من العقود ، أو فسخه ... أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة ... فمن منظور " نظرية الفعل الكلامي " لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية ، أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التحويلية ، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصناعة أحداثه والتأثير فيه[5]. ولذا يمكن أن نستأنس بالتقسيم الذي جاء به أوستين في نظرية الأفعال الكلامية وطوره سورل في دراسة معاني الخبر والإنشاء إلى إخباريات وطلبيات ،وإقاعيات والتزاميات ، وتعبيريا

3- الإخباريات:

تشمل الأفعال التي تصف الوقائع والأحداث في العالم الخارجي، وتنقل أحوالها نقلا أمينا.

[1] الأحقاف/ بعض الآية 35.
[2] الأعراف/ بعض الآية 172.
[3] الأعراف/ بعض الآية 04.
[4] الصف الآية : 2
[5] مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ص : 9 .

2 –الطلبيات:

تشمل كل الأفعال الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغها، نحو: أمرتك، أوجبت عليك، فرضت، قضيت.. وعدها (الغزالي) أوامر، بقوله : " وهذه الألفاظ الدالة على معنى الأمر تسمى أمرا"[1]. وأمثلتها في القرآن الكريم كثيرة، نحو: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[2] و ﴿قَد فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾[3]، و ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰناً﴾[4].

ويذكر أن هذه الأفعال لها شروط لاستعمالها، أهمها أن تصدر ممن يمكنه إصدار الأوامر، وممن تكون له ظروف و مواصفات تخول له إصدارها، وهي مرتبطة بالمخاطب.

3–الإيقاعيات:

وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنا للفظه في الوجود، وتشمل أفعال البيع، والشراء، والهبة، والوصية، والوقف، والتنازل عن الحقن والزواج، والطلاق والإقرار، والقذف، والوكالة... وهذه كلها يقع الفعل بمجرد النطق بها.

وقد سماها ابن القيم " الانشاءات التي صيغها أخبار كبعت وأعتقت"[5]، واختلف الحنفية الذين يعدونها أخبارا مع الحنابلة و الشافعية الذين يعدونها إنشاءات. وبعد تحقيق ابن القيم فيها، ذكر " أن لهذه الصيغ نسبتين؛ نسبة إلى متعلقاتها الخارجية، فهي من هذه الجهة إنشاءات محضة كما قالت الحنابلة والشافعية، ونسبة إلى قصد المتكلم وإرادته، وهي من هذه الجهة خبر عما قصد إنشاءه كما قالت الحنفية؛ فهي إخبارات بالنظر إلى معانيها الذهنية، إنشاءات بالنظر إلى متعلقاتها الخارجية"[6].

---

[1] الغزالي أبو حامد ، المستصفى .ج 3 ، ص : 21 .

[2] المائدة، بعض الآية 45.

[3] التحريم ، بعض الآية: 2.

[4] الإسراء ، بعض الآية : 23.

[5] ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ص:09.

[6] المرجع نفسه ص : 11 .

ولقد وضع الفقهاء شروطا صارمة لصحة مثل هذه الأفعال، لا تكاد تختلف عن شروطها الموضوعة حديثا.

4-الالتزاميات:

هي أفعال يقصد بها المتكلم الالتزام طوعا بفعل شيء، نحو أفعال الوعد، الوعيد، المعاهدة، الضمان الإنذار، وغيرها، فهي مرتبطة بالمتكلم.

5-التعبيريات:

تشمل الأفعال التي يعبر بها المتكلم عن وجدانه ومشاعره، في حالاته النفسية المختلفة من سرور و رضا وغضب وحزن...، إلى جانب أفعال الشكر والإعتذار والمواساة، والحسرة والشوق...الخ.

ولا يذكر تقسيم هذه الأفعال، استنادا إلى ما قسمه (أوستين) و (سورل)، من باب محاججتها، بقدر ما تذكر للاستئناس، بأن في المدونة العربية القديمة على اختلاف مصادرها، كثيرا من المسائل التي تحتاج إلى إعادة قراءتها في ضوء ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، وليس لتقريبها منها، بل للتقريب بين مجهودات إنسانية في دراسة اللغة.

ولعل أهم ما يمكن تسجيله بشأن هذا العرض أن ما تقدمه نظرية الأفعال الكلامية في اللسانيات التداولية، وما يقدمه موضوع الخبر والإنشاء في الدرس البلاغي العربي، يؤكد أن الملفوظات والجمل لا يعتد بشكل صياغتها بقدر ما تستفاد دلالتها من السياق، وأحوال الحديث، ومواقف أدائها.

ونصل إلى أن البلاغة العربية بمباحثها العديدة، تقدم نظرية كاملة للاتصال، والمقاربة بينها وبين اللسانيات التداولية أكثر من ممكنة. ويمكن القول بأن التداولية وجه من وجوه البلاغة. وقد عرض هذا المبحث إلى العلاقة بين البلاغة والاتصال، واتضح أن الدرس البلاغي العربي القديم قد عرف نظرية بلاغية متطورة جدا، وهي نظرية للتواصل عند كثير من الدارسين، لا تختلف عما تعرضه اللسانيات التداولية الحديثة.

وهي من ناحية أخرى ذات صلة وثيقة بالتداول اللغوي، حيث إنها تطرقت إلى العملية التواصلية التي تعد أساس الدرس التداولي الحديث.

وكما تبين، فإن كلا من مباحث الإنشاء والخبر وأغراض الأساليب البلاغية، والصدق والكذب، لها علاقة بنظرية أفعال الكلام؛ أحد مفاهيم اللسانيات التداولية.

وإذا كانت البلاغة العربية في أوجز تعريفاتها هي مطابقة المقال لمقتضى الحال، فهي لا تختلف عن اهتمامات اللسانيات التداولية التي هي دراسة اللغة حال الاستعمال؛ أي الكلام، بما يكتنفه من أحوال

المتكلمين، وعناصر المقام وكل ملابسات التواصل. وبذلك فهما متداخلان، لاشتراكهما في هذه القضايا وغيرها.

وبعد هذا كله نسمح لأنفسنا أن ننظر إلى خصائص البنى التركيبية للأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف

لأن الأفعال الكلامية تعد من أهم المرتكزات في التحليل التداولي وتعرف بأنها أصغر وحدة تحقق فعلا عن طريق الكلام بإصدار أمر أو توكيد أو وعد... والذي من شأنه إحداث تغيير في وضعية أو موقع المتكلمين، بحيث يتوقف فك شفرته على إدراك المتلقي للطابع القصدي لفعل المتكلم،وهذا يعني أنه بمجرد النطق بأفعال الكلام تتحول هذه الأفعال إلى إنجاز للفعل، لأنه لا يوجد من وسيلة أخرى يمكن أن يقوم بها الشخص مثلا بفعل الأمر، أو التوكيد أو الطلب سوى أن ينطق بصيغته الأمر أو التوكيد أو الطلب، فكلما أدى الفرد فعلا كلاميا فإنه يعبر بذلك عن حالة نفسية تجاه القضية المعبر عنها، فمن يقرر فهو يعبر عن اعتقاد..، ومن يعد فهو يعبر عن نية... ومن يصدر أمرا فهو يعبر عن رغبة أو إرادة...[1].

ومن خلال هذا جاء السعي لإدراك الدور الذي تؤديه هذه الأفعال الكلامية في إحداث الوظيفة التأثيرية الاقناعية،وذلك من خلال الوقوف على مجموعة من الأحاديث النبوية التي تمتاز بسمو غاياتها وشريف مقاصدها مع محاولة تصنيفها وفق تقسيمات سيرل، مع الإشارة تارة إلى الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة ، انطلاقا من خصائص بناها التركيبية .

أ – جريان الخبر على مقتضى الظاهر

من خلال ما سبق ذكره أن الغرض من الإخباريات هو نقل المتكلم لواقعة ما من خلال قضية محددة يعبر بها عن هذه الواقعة، والغرض الإنجازي العام هو التقرير، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف يكون من الكلمات في العالمwords to world وشرط الإخلاص يتمثل في النقل الأمين للواقعة،والتعبير الصادق عنها...وبعبارة أخرى فأفعال هذا المجال تنتقل أو تصف الواقع وصفا أو نقلا أمنيا، فإذا تحققت الأمانة في النقل أو الوصف تنجز إنجازا ناجحا وتاما، وبذلك تكون أفعال هذا المجال عرضة للتقييم المستمر في مدى صدقها أو كذبها، وذلك للتيقن من أمانة الوصف والنقل.

[1] بلخير عمر،التناول التداولي للخطاب الأدبي، مجلة القصة، ع1999/02،ص: 70.

ويدخل تحت الإخباريات كل الجمل الإخبارية سواء كانت منفية أم مثبتة أو مؤكدة ، لذلك تراها تساق عادة لإفادة السامع أمرا يجهله ، وهو ما يسمى فائدة الخبر، وتثبيت ما يعرفه في نفسه وتذكيره به، يسمى لازم الفائدة، فيقول (الخطيب القزويني): (من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما بنفس الحكم كقولك زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم،ويسمى فائدة الخبر، وإما كون المخبر عالما بالحكم كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك: زيد عندك ويسمى هذا لازم الفائدة لازم فائدة الخبر.)[1]

كثيرا ما تختلف الإخباريات في درجة قوتها الإنجازية بحسب تجردها من علامات النفي والتوكيد أو عدمها، وذلك بحسب حال المخاطب (خالي الذهن، متردد،منكر) ، وغرضها الإنجازي العام هو التقرير وهذه الأفعال إنجازاتها تتم من خلال خطوتين:

الأولى: تتمثل في أن الإنجاز يتحقق من خلال نطق الكلام وأدائه لها.

الثانية: من خلال الإخبار أو الوصف: باعتبار أن الوصف والإخبار غرضان إنجازيان، شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول...[2]

لكن هذا الإنجاز قد يظهر في البنية السطحية من خلا استخدام ألفاظ إنجازية يعينها مثل: أقسم، أعد...، أو من خلال كونها متضمنة في البنية العميقة للمنطوق لتدل بمعناها العام على إنجاز الإخبار أو الوصف...[3]

وتكون الإخباريات أفعالا كلامية مباشرة متى جرى استخدامها على أصل استعمالها، بحيث يكون الجانب الإنجازي الأبرز فيها هو التقرير، فمتى عبرت عن معان مغايرة خرجت من صورتها المباشرة إلى أخرى غير مباشرة. ومن مواطن الإخباريات في الحديث النبوي الشريف ، والتي راعى من خلالها الرسول – صلى الله عليه وسلم– أقوال المخاطب في تلقيه للخبر والتعامل معه ما يأتي :

1– إلقاء الخبر من غير توكيد إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم

يتمثل الخبر الابتدائي في تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي قالها الرسول– صلى الله عليه وسلم – في شتى المناسبات ، والأغراض لتعليم أصحابه أحكام الشريعة الإسلامية التي يجهلونها ، فيقبلونها من

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح غي علوم البلاغة، ص:215.

[2] الصراف علي محمد، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية، مكتبة الأدب القاهرة، ط2010/1،ص:61.

[3] المرجع نفسه، ، ص : 61 .

غير تردد ولا إنكار ؛لأن أذهانهم خالية من حكم الخبر فلاحاجة لتوكيده لهم ، ومن ذلك الحديث الذي روي عنِ **ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ)**[1]

ألقى النبي- صلى الله عليه وسلم- الخبر في هذا الحديث الشريف على المخاطب من غير توكيده له ؛ لأن المخاطب الأول خالي الذهن من الخبر؛ أي لا علم له بأركان الإسلام الخمسة ، فهو يجهلها تماما حتى إذا علمها قبلها من غير تردد مادام أنه رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد – صلى الله عليه وسلم- نبيا ورسولا . فاقتضى المقام أن يكون الخبر من الضرب الابتدائي .لأنه يبتدأ به المعنى في النفس فلا تردد يواجه ولا إنكار .

2- إلقاء الخبرِ مؤكدا استحسانا إذا كان المخاطب مترددا في الحكم

قد يلجأ المتكلم إلى تأكيد الخبر استحسانا،إن كان المخاطب مترددا في الحكم طالبا أن يصل إلى اليقين في معرفته ، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه ، ويسمى هذا الضرب طلبيا . فالنفس حين تتردد تصير في حاجة إلى قدر من التوثيق ، وإن كان الحكم على وفق ظنها ؛ لأن ما تظنه وتميل إليه هي أيضا في حاجة إلى توكيده ، وهذا ملحظ نفسي دقيق ، فوجود التردد يقتضي هذا الضرب من الصياغة المؤكدة ، ويخاطب به من يبدو وعليه التساؤل والتعجب أو التردد والظن، أو هو ما يحتاج متلقيه إلى تأكيد من قائله: بأحد أدوات التوكيد، مثل اللام، أو إنّ ، حتى يقضي على حيرة وشك المتلقي، ومن أمثلة هذا النوع في الحديث النبوي الشريف ما روي عن أنس بن مالك ؛ في باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ، أن أناسا من الأنصار قالوا ، يوم حنين ، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ، فطفق رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يعطي رجالا من قريش ، المائة من الإبل ، فقالوا يغفر الله لرسول الله ، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم .

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ قَوْلِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟) فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، قَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ

[1] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ،المجلد1 رقم : 16 ص : 45.

يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ؟ فَوَ اللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ) فَقَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ رَضِينَا، قَالَ: (فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ) قَالُوا: سَنَصْبِرُ[1].

فلو نظرنا إلى قوله- صلى الله عليه وسلم : " **فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم** " لوجدناه قد أكد الخبر استحسانا لمواجهة تردد المخاطب ، وللقضاء على حيرة وشك المتلقي.وما قيل هنا يقال في قوله- صلى الله عليه وسلم : " فإنكم ستجدون أثرة شديدة ." فهذا التأكيد من مستلزمات المقام ، ومقتضياته ومراعاة حال المخاطب .

3- إلقاء الخبر مؤكدا وجوبا بأكثر من مؤكد إذا كان المخاطب منكرا له

وقد يلجأ المتكلم إلى تأكيد الخبر إذا كان المخاطب منكرا له ، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا ، فإن كان إنكاره إنكارا غير مستحكم في نفسه أكد بمؤكد واحد ، وإن كان مستحكما تضاعفت عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار ؛ لأن وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النفس الرافضة له ، فلا مفر من أن تكون قوة العبارة ووثاقتها ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع .

ويسمى هذا النوع من الخبر إنكاريا...، بمعنى أنه إذا كان المخاطب عالما بالخبر، ولكنه ينكره، فيجب إلقاء الخبر عليه بمؤكدين أو أكثر، تبعا لدرجة الإنكار قوة وضعفا، لذلك يخاطب بمثل هذا النوع من الخبر من غلب عليه التكذيب، أو من يبدو عليه علامات الإنكار ، فيؤكد وجوبا بأدوات التوكيد بحسب المقام.

ومنه الحديث النبوي الشريف الذي روي عن جابر- في باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر – قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال : (**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ.**)[2]

لما كان الموقف موقف إخبار وإنكار، والأخبار تختلف في درجة قوتها وشدتها الإنجازية بحسب أحوال المخاطب أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم مراده بأدوات التوكيد حتى لا يبقى في ذهن المخاطب أدنى شك وإنكار مشيرا إلى ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر.

[1] المصدر السابق .كتاب الزكاة ،المجلد 2 .رقم : 1059 ص : 733.

[2] صحيح مسلم .كتاب الإمارة، المجلد 3. رقم : 1911 ص : 1518.

ب – جريان الخبر على خلاف مقتضى الظاهر

إذا ألقي الخبر خاليا من التوكيد لخالي الذهن، ومؤكدا استحسانا للسائل المتردد، ومؤكَّدا وجوبا للمنكر، كان ذلك الخبر جاريا على مقتضى الظاهر.

وقد يجري الخبر على خلاف ما يقتضيه الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلم ومن ذلك ما يأتي:

1- **تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر .**

ومنه الحديث الذي روي **عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً)**[1]

فلو نظرنا إلى الحديث لوجدنا أن المخاطب خالي الذهن من الحكم الخاص بحلول البركة في السحور، وكان مقتضى الظاهر على هذا أن يلقى إليه الخبر غير مؤكد ، ولكن الخبر جاء مؤكدا . فما سبب خروجه عن مقتضى الظاهر ؟. السبب أنه تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر، فالجملة السابقة تضمنت إشارات وإيماءات تثير في النفس المتلقية تساؤلا ، فلما كان هذا الحكم مسبوقا بجملة أخرى وهي : قوله صلى الله عليه وسلم : "تسحروا " تشير إلى أن السحور محكوم عليه بشيء محبوب، وهو البركة ، فأسعفتها الجملة الثانية بما يزيل التردد ، فأدخل قدرا من التوكيد في بناء العبارة ليواجه هذا التردد

ومنه أيضا الحديث الذي روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (**لاَ يَسُبُّ أَحَدُكُمُ الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ وَلاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمَ . فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ.**)[2].

فلو نظرنا إلى الحديث لوجدنا أن المخاطب خالي الذهن من الحكم الخاص بأن الله هو الدهر ، وأن الكرم هو الرجل المسلم ، وكان مقتضى الظاهر على هذا أن يلقى إليه الخبر غير مؤكد ، ولكن الخبر جاء مؤكدا . فما سبب خروجه عن مقتضى الظاهر ؟ . السبب أنه تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم حيث أصبح المخاطب متطلعا إليه فنزل منزلة السائل المتردد ، واستحسن إلقاء الخبر إليه مؤكدا جريا على خلاف مقتضى الظاهر .

[1] صحيح مسلم ،كتاب الصيام ،المجلد 2 رقم : 1095 ص: 770.

[2] المصدر نفسه ،كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، المجلد 4 رقم :2247 .ص : 1763.

2 – جعل غير المنكر كالمنكر لظهر أمارات الإنكار عليه

ومنه الحديث الشريف الذي روي **عن جابر، قال: سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلَّم، يقول:** (**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**)[1]

انظر إلى هذا الحديث الشريف تجد المخاطب غير منكر الحكم الذي تضمنه الخطاب النبوي وهو : أن في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء . فما السبب في إلقاء الخبر إليه مؤكدا ؟ . السبب هو ظهور علامات الإنكار عليه ، فإن غفلته وتقصيره عن القيام والاجتهاد في إدراك الساعة المستجاب فيها الدعاء وعدم الاستعداد لها بالاستغفار ورفع مسألته إلى الله ، يعد من علامات الإنكار ، ومن أجل ذلك نزل منزلة المنكرين ، وألقى إليه الخبر مؤكدا بمؤكدين .

3- جعل المنكر كغير المنكر إن كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع عن إنكاره .

ومنه هذا الحديث الذي روي عن ابن عباس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (**الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**)[2]

فلو تأملنا هذا الحديث لوجدنا أنه يخاطب المنكرين الذين يجحدون تأثير العين وأثرها ، ولكنه ألقي إليهم الخبر خاليا من التوكيد كما يلقى لغير المنكرين فقال : (العين حق ...). فما سبب ذلك ؟ السبب أن بين أيدي هؤلاء من البراهين الساطعة ، والحجج الدامغة ما لو تأملوه لوجدوا فيه نهاية الإقناع ، ولارتدعوا عن إنكاره ، وليس أدل من ذلك من وجود ضحايا العين وما فعلت بهم ،ولهذا لم يقم الحديث الشريف لهذا الإنكار وزنا ، ولم يعتد به في توجيه الخطاب إليهم . والله أعلم .

[1] المصدر السابق ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،المجلد1 رقم : 757 ص : 521.

[2] المصدر نفسه ،كتاب السلام المجلد، 4 رقم : 2188ص : 1719.

ج – خروج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية وإنشائية

أ – خروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية

1- خروج الخبر عن معناه الحقيقي إلى الترغيب:

ومنه الحديث الذي روي **عن** أبي هريرة، أنَ رسول الله صلَى الله عليه وسلّم، قال: (**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**)[1]

هذا الخطاب النبوي الشريف تركيب إسنادي فعلي، تمثل في جملة فعلية شرطية دلت صيغتها الخبرية على فعل كلامي مباشر هو الإخبار بأن من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، تضمنت الجملة فعلا كلاميا غير مباشر مستلزم مقاميا هو الترغيب ، فبنية الفعل الكلامي مكونة من قوة إنجازية حرفية ، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميا متمثلة في الترغيب ،أوهي الفعل المتضمن في القول ، ويكون الفعل التأثيري في مدى الاستجابة لهذا الخطاب ، وظهور أثره في تغيير سلوك المسلم الذي ينهض بسرعة إلى تقويم نفسه وإصلاح حاله .

2 – خروج الخبر عن معناه الحقيقي إلى الترهيب:

ومنه الحديث الذي روي عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:(**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**).[2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف ترهيب للمخاطب من شدة نار جهنم ، وهو فعل كلامي غير مباشر؛ أي فعل متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم : (ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم) . فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن النار التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الترهيب.

[1] صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،المجلد 1 .رقم : 759 ص : 523.

[2] المصدر نفسه ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،المجلد4 . رقم : 2843 ص : 2184.

ب – خروج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معان إنشائية

أ – خروج الخبر إلى الأمر:

1– أن يكون الأمر بعبارة صريحة في الخبر

ومنه الحديث الذي عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)**.[1]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف أمر للمخاطب بقراءة الفاتحة في الصلاة ،جاء بعبارة صريحة في الخبر؛ أي اقرؤوا الفاتحة في الصلاة ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب . فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ،ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الأمر.

2 – أن يكون الأمر بعبارة صريحة في الخبر لإغراء المخاطب به ويخلص إلى القيام بما يحققه له.

ومنه الحديث الذي روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **(إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)**[2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف أمر للمخاطب بتعاهد القرآن الكريم ، جاء بعبارة صريحة في الخبر لإغراء المخاطب به ويخلص إلى القيام بما يحققه له ، أي تعاهدوا هذا القرآن ، وهو فعل انجازي متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم : (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها امسكها وإن أطلقها ذهبت) فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت ،ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الأمر.

3 – أن يكون الأمر بعبارة صريحة في الخبر تتضمن مثالا أو عبرة أو إحالة تاريخية مما يثير في نفس المخاطب القياس على المثال أو العبرة والقيام بالفعل المطلوب ، أو استنتاج ما في الإحالة التاريخية من تكليف.

ومنه الحديث الذي روي عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:(**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى**

[1] المصدر السابق ،كتاب الصلاة، المجلد 1. رقم : 394 ص : 295.

[2] المصدر نفسه ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،المجلد1 .رقم 789 ص : 543.

مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِى كَانَ بَلَغَ مِنِّى فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِىَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ).[1]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف أمر للمخاطب بالرفق بالحيوان ،جاء بعبارة صريحة في الخبر تضمنت مثالا للعبرة مما يثير في نفس المخاطب القياس على المثال والقيام بالفعل المطلوب أو استنتاج ما في سوق المثال من تكليف ، وكأني به قال: ارفقوا بالحيوان وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في متن الحديث المذكور أعلاه . أي قوته الإنجازية المستلزمة مقاميا .

ب – خروج الخبر إلى الدعاء:

1– أن يدعو المتكلم بعبارة صريحة في الخبر للمخاطب (رحمك الله، رعاك الله،...)

ومنه الحديث الذي روي عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله– صلى الله عليه وسلم – : **ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ "**.[2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف دعاء للمخاطب ، جاء بعبارة صريحة في الخبر وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم : (ائت قومك فقل : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله)، فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ،ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الدعاء لغفار وأسلم . ومنه الحديث الذي روي عن ابْن عمر، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: **(رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ)** [3]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف دعاء للمخاطب ، جاء بعبارة صريحة في الخبر وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم : (رحم الله المحلقين) . فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن الله يرحم المحلقين، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الدعاء للمحلقين بالرحمة .

2 – أن يدعو المتكلم بعبارة صريحة في الخبر على المخاطب . (ويل ، قاتل ..)

[1] صحيح مسلم ،كتاب السلام، المجلد رقم : 2244 ص : 1761.

[2] المصدر نفسه ،كتاب المجلد، 4 .رقم : 2473 ص : 1922.

[3] المصدر نفسه ، كتاب الحج ،المجلد2. رقم 1301 ص : 954.

ومنه قوله– صلى الله عليه وسلم :(**قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**).[1]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف دعاء على المخاطب ، جاء بعبارة صريحة في الخبر وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم : (قاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه) ،فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن الله عز وجل يقاتل اليهود لما حرم عليهم شحومها أجملوه ثم باعوه فأكلوا ،ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الدعاء على اليهود.

ج – خروج الخبر إلى النهي:

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : (**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِى كُفَّاراً – أَوْ ضُلاَّلاً – يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ**)[2].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف نهي للمخاطب عن سفك الماء بغير حق ،وأكل أموال الناس بالباطل ، جاء بعبارة صريحة في الخبر وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم : (فإن دماءكم و أموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم) ،فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن سفك دماء المسلمين بغير حق ، وأن أكل أموالهم بالباطل حرام ، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي النهي .

د – خروج الخبر إلى التمني:

عن ميمونة بنت الحارث، أنّها أعتقت وليدة في زمان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فذكرت ذلك لسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: (**لوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ، كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ**)[3]

---

[1] المصدر نفسه ،كتاب المساقاة ، المجلد. 3 رقم 1581 ص : 1207

[2] المصدر نفسه ،كتاب القيامة والمحاربين والديات، المجلد3. رقم : 1676 ص : 1305

[3] المصدر نفسه،كتاب الزكاة ،المجلد 2 .رقم : 999 ص : 694

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف تمن ، جاء بعبارة صريحة في الخبر وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله – صلى الله عليه وسلم : (لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك)،فالقوة الإنجازية الحرفية للصيغة الخبرية تبين أن ميمونة بنت الحارث لو أعطت الوليدة أخوالها ،كان أعظم لأجرها ، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي التمني .

ومن خلال معالجة قسم الإخباريات نخلص إلى ما يلي

–الغرض الإنجازي العام: هو الإخبار، لذلك كثيرا ما تكون المطابقة في أفعال هذا الصنف من الكلمات إلى العالم، فيأتي الخبر ناقلا للواقعة معبرا عنها واصفا إياها وصفا ونقلا أمينا.

–كان التعبير عن الإخباريات في الأمثلة المقدمة بجمل خبرية تراوحت بين الاسمية والفعلية ، ماضية، مضارعة، مثبتة، منفية، أو مؤكدة، سيقت كلها لإفادة السامع ، وتأكيده لما يريده المتكلم في ذهن مخاطبه.

–تختلف الإخباريات في درجة قوتها الإنجازية بحسب أدوات التوكيد التي استعملها الرسول –صلى الله عليه وسلم – لذلك جاءت متراوحة بين الطلبي والإنكاري، وقبلها كان الابتدائي.

– قد تخرج الأساليب الخبرية عن معناها الحقيقي إلى معان إخباريةكا الترغيب ، والترهيب أو إنشائية كالأمر و الدعاء و النهي و التمني وهي أفعال كلامية إنجازية غير مباشرة.

–تنحصر القوى الإنجازية المباشرة للإخباريات في: الوصف، الإخبار، التقرير، بينما القوى الإنجازية المستلزمة فكانت: الترغيب، الترهيب...

إذا ألقي الخبر خاليا من التوكيد لخالي الذهن ، ومؤكدا استحسانا للسائل المتردد ومؤكَّدا وجوبا للمنكر ، كان ذلك الخبر جاريا على مقتضى الظاهر . وقد يجري الخبر على خلاف ما يقتضيه الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلم .

المبحث الثاني:

الطلبيات

توطئة:

الغرض من الطلبيات حمل المخاطب على أداة عمل معين، فهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها ليتمثل غرضها الإنجازي في التأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو ينجز شيئا...[1] ، فالغرض الإنجازي لهذه الأفعال يتمثل في محاولة المتكلم التأثير على المتلقي ليفعل شيئا ما، ويقوم بأداء عمل من الأعمال، والمسؤول عن إحداث المطابقة بين العالم والقول هو المتلقي (المخاطب)، والشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب كما يعبر عن ذلك سيرل.

يضم هذا المجال في الحديث النبوي مجموعة كبيرة من الأفعال الإنجازية (وهي لب الدراسة) والتي تتدرج في قوتها الإنجازية باختلاف السلطة بين المتكلم والمخاطب لننجز من خلال منطوقات إنجازية مباشرة، أو من خلال منطوقات إنجازية غير مباشرة، بناء على سياقات ومقامات مختلفة،وبذلك تتعدد الدلالات والإنجازات للمنطوق الواحد بحسب السياق الذي يستعمل فيه المنطوق، والذي يحدد دلاليا لا بالمدلول الموضوع له، وإنما بقصد المتكلم والمقام، ويدخل في هذا الباب كل الجمل الطلبية سواء كانت: استفهاما،أم نهيا، أم نداء،أم عرضا، أم تحضيضا..

وقبل أن نقف عند هذه الأساليب في الحديث النبوي الشريف محددين الفعل الكلامي المباشر (الغرض الإنجازي المباشر وغير المباشر) حري أن نوضح مدلول:

أ-الحمولة الإنجازية: يقصد بها ما يواكب عبارة لغوية ما من قوى إنجازية.باعتبار الطبقات المقامية التي يمكن أن ترد فيها هذه العبارة.

ب- قوة إنجازية حرفية/ قوة إنجازية مستلزمة: لنتأمل الجملتين التاليتين:ج1: من هذا البيت؟، ج2: هل تصاحبني إلى المسرح؟.فعند قراءة الجملتين تداوليا نجد أن ج1 وارد في مقام تحميل فيه كقوة إنجازية مجرد سؤال، في حين أن الجملة ج2 مقصود بها استدراج المخاطب إلى مصاحبة المتكلم إلى المسرح لذلك:

-تنحصر حمولة الجملة الأولى الإنجازية في مجرد قوتها الإنجازية الحرفية السؤال الاستفهام، في حين أن الجملة الثانية ج2 تحمل إضافة إلى السؤال قوة إنجازية مستلزمة مقاميا يمكن اعتبارها التماسا...

-فيما يتعلق بالتمييز بين القوانين الإنجازيتين الحرفية والمستلزمة مقاميا يمكن إيراد الفرقين الأساسيين التاليين:

[1] صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة، لبنان، ط1 1993، ص:233.

أ-تظل القوة الإنجازية ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي مربوطة مقاميا لا يتم تولدها إلا في طبقات مقامية معينة،مثال ذلك أن الجملة ج2 يمكن أن تدل في جميع المقامات على السؤال، إلا أنها لا ترد حاملة الالتماس إلا بمقتضى شروط مقامية.

ب-تأخذ القوة المستلزمة نتيجة لخاصية أ وضعا ثانويا بالنظر إلى القوة الحرفية من خلال حالتين اثنتين.

يمكن أن تلغى إلغاء تاما، كما هو شأن القوة الالتماس بالنسبة للجملة ج2، التي يمكن أن تؤول على أساس أنها دالة على السؤال المحض، إذا وردت مقصودا بها مجرد الاستفسار عن إمكان مصاحبة المخاطب المتكلم للمسرح.

لا نتوصل إلى القوة المستلزمة إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، في حين أن القوة الحرفية تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها، مثال ذلك أن القوة الإنجازية السؤال في الجملة (2) دون واسطة من خلال الوسائط الصورية البنية السطحية: أداة استفهام هل +تنغيم؟ بيد أن القوة المستلزمة الالتماس تستوجب من المخاطب القيام بسلسلة من الاستدلالات كي يستنتج أنها من مقصود المتكلم.

يعرف أحمد المتوكل القوة الإنجازية المستلزمة بقوله:و يقصد بالقوة الإنجازية الحرفية القوة الإنجازية المعبر عنها في الجملة بالتنغيم أو بأداة الاستفهام أو بصيغة الفعل، أو بفعل من زمرة الأفعال الإنجازية سأل، قال، وعد...[1]

في حين عرف القوة الإنجازية المستلزمة قائلا: ويقصد بالقوة الإنجازية المستلزمة: القوة الإنجازية التي تستلزمها الجملة في طبقات مقامية معينة. ونوضح ما سبق ذكره بالمثال التالي[2]: هل إلى خروج من سبيل المعنى الصريح لهذه الجملة مشكل من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية، فالمحتوى القضوي ناتج عن ضم معاني مكوناتها وهي الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بعد الموت، في حين كانت قوتها الإنجازية الحرفية، والمؤشر لها بالأداة هل: هي الاستفهام، ويكون بذلك:

-**المعنى الصريح**: المحتوى القضوي للجملة + القوة الإنجازية الحرفية.

أما **المعنى الضمني**: لهذه الجملة، فيتألف من معنيين جزئيين هما:

المعنى العرفي: وهو الاقتضاء: أي اقتضاء حالهم "الرجوع إلى الحياة الدنيا"

[1] المتوكل أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص:106.

[2] مسعود صحراوي،: التداولية عند العلماء العرب،دار دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية. ص:35.

معنى حواري استلزامي: هي تمني المتكلمين من المخاطب (الله) في هذا المقام أن يردهم إلى الحياة الدنيا.

ويبقى الحديث عن دلالات القوة الإنجازية لا يخرج عن نطاق تداولية أفعال الكلام، قوة المنطوق الإنجازية تعد جزءا من بنيته الدلالية، وقد تم تحديد القوة الإنجازية للفعل الإنجازي على أنها: الشدة أو الضعف اللذان يعبر بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي معين، أيا كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة.[1]

وتتجلى القيمة الإنجازية للجمل عندما يؤدي استعمال فعل لغوي إلى حصول فعل إنجازي معين،وهذا الفعل هو النتيجة البسيطة لدلالة هذه التعابير اللغوية دلالة طبيعية... كالجمل الاستفهامية التي تعد جملا إنجازية سواء كان مصرحا بفعلها الإنجازي،أو لم يصرح به، فالصيغة اللغوية لها قيمة إنجازية إذا كان استعمالها يؤدي إلى إنجاز فعل السؤال، أو لأنها تملك قوة تداولية pragmatic force خاصة بها، على حد تعبير ديكرو.

فالقوة الإنجازية هي القيمة التي تعطي للأقوال عند الاستعمال، مراد بها فعل من الأفعال، إنها نوع الفعل الكلامي الذي ينجزه المتكلم عند التلفظ به في ظروف معينة.

إن تعدد الدلالات الإنجازية للمنطوق الواحد حسب السياق الذي يراد فيه يجعل من الأفعال التوجيهية أو الطلبية تتعدد في هذا الباب لتشمل: الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والنداء ..

[1] الصراف علي محمد، في البراغماتية، الأفعال الإنجليزية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الأدب القاهرة، ط1، 2010م، ص:267.

أوّلا : الأمر:

الأمر: هو القسم الثالث للفعل على مذهب البصريين ؛ لأن صيغته عندهم مأخوذة من صيغة المضارع بعد حذف حرف المضارعة [1]

يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب ، وعند الكوفيين لا يشكل قسما متميزا بل مقتطع من الفعل المضارع وليس مبنيا ؛ لأنه مجزوم بإضمار اللام المحذوفة لكثرة الاستعمال ، كما احتج الكوفيون بقولهم : إن فعل الأمر معرب مجزوم ؛ لأن أصل الأمر للمخاطب ليفعل كقولهم في الأمر للغائب : ليفعل أي أن صيغة الأمر : افعل عندهم تكون باللام لتفعل ، وقد حذفت مع حرف المضارعة لكثرة الاستعمال . ويرى جمهور النحاة المتأخرين على أن الأمر قسم ثالث في الفعل إضافة إلى الماضي والمضارع ؛ لأن ذلك أقرب إلى الواقع اللغوي ، وقد أخذ بهذا الاتجاه الأنباري النحوي في كتابه الأنصاف في مسائل الخلاف [2].ومن ثمة فعل الأمر قائم بذاته وهو ثالث ثلاثة [3] لوقوعه مسندا ذلك أنه يدل على معنى وحدث مقترن بزمن إضافة إلى الوظيفتين الدلالية والصرفية وهو فعل انجازي [4] ؛ لأنه يرتبط بالقيمة الصرفية للكلام الذي يعزى إلى نية المرسل ، والقصد من حصول عمل على وجه الاستعلاء وهو الأمر عند الأصوليين ، وقد يخرج إلى أغراض بلاغية أخرى تستفاد من الأمر في التراكيب الوارد فيها وسميت كلها أمر في اصطلاح النحاة ؛ لأن هذه الصيغة يطلب بها الفعل على وجه الاستعلاء حقيقة [5] وذلك من باب التغليب ؛ لأن المأمور المخاطب هو الواقع كثيرا.

وعلامة الفعل الأمر أن يدل على الطلب وقبوله ياء المخاطبة المؤنثة أما صيغه فهي :

صيغة الأمر المباشرة " افعل " – المصدر المنصوب النائب عن عامله المحذوف وجوبا في أساليب إنشائية طلبية ،أو غير طلبية ، أو في أساليب خبرية محضة – والفعل المضارع المقترن بلام الأمر " ليفعل " وهي

---

[1] ينظر الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ) ،شرح كافية ابن الحاجب ، ،دار الكتب العلمية .بيروت 1405هـ ، 1985م . ج 4 ص : 128

[2] الأنباري أبو البركات النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،د.ت، ج 2 ص : 540 ، 541 .

[3] سعود بن غازي أبو تاكي، صور الأمر في العربية بين التنظير والاستعمال ، دار غريب ،القاهرة . ط 1 / 2005 ص : 74 ، 75 .

[4] نعيمة الزهري ، الأمر والنهي في اللغة العربية، جامعة حسن الثاني، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،د.ت، د.ط، ص : 147.

[5] الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب .ج 4 ص : 128 .

صيغة مستقلة يطلب بها حصول الفعل ، وتدخل معها اللام على الفعل المسند للغائب كثيرا ظاهرا كان أم مضمرا فتكون بمنزلة فعل الأمر للمخاطب [1]

الأمر باسم الفعل وهو اسم ناب عن الفعل معنى واستعمالا ، وتتمثل في صيغ مخصوصة تقوم مقام الفعل ، والدلالة على معناه ولا تقبل علامته ولا إعرابه [2]

ويقوم على عمليتين أساسيتين : أولهما : عملية التلفظ والنطق بالأمر. وثانيهما : عملية استجابة المأمور والقيام بالفعل المأمور به ، وعادة ما يؤدى الفعل بصيغة " افعل " ولام الأمر الداخلة على الفعل المضارع " لتفعل " واسم الفعل ، وبالمصدر الذي يؤتى به بدلا على التلفظ بفعله "[3]

كما يؤدى الأمر باشتقاقات مادة أمر " المعجمية " أو أفعال أخرى معجمية مثل " يجب " ، ... وعلو درجة الآمر شرط في بقاء التركيب على دلالته ، لأن الأمر قد يخرج إلى دلالات أخرى تفهم من السياق وقرائن المقام ، وعليه يتولد مقاميا بامتناع إجراء الأمر على أصله : " التعجيز التحدي الالتماس، ..." والاختلاف بين هذه الأفعال هو في درجة قوتها الإنجازية " فالأمر مثلا أقوى في الأداء الإنجازي من الالتماس ، ولهذا يعد أقوى المجالات الفرعية مجال التوجيهات " إذا فالقضية ليست قضية لغوية صرفة ، بل لغوية تداولية ، فليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد ، بل يلزم إدراك مكانة المتكلم أو الآمر ؛ لأنها هي التي تحول دلالة الصياغة من صورتها المباشرة الدالة على الأمر إلى صورة أخرى مغايرة " [4]

ليكون بناء الموقف اللغوي لتركيب الأمر على الوضع الآتي :

- الآمر : هو المتكلم ، وعلو درجته شرط في بقاء التركيب على دلالته .
- المأمور : وهو المتلقي الذي يوجه إليه الأمر ، وانخفاض درجته شرط بقاء الأمر على أصله .
- المأمور به : وهو الفعل الذي يطلب حصوله ، وقد يكون معللا لإقناع المأمور .

ولأهمية الأمر في الحديث النبوي الشريف لاسيما حين يتعلق باستنباط الأحكام الشرعية ، نقارب هذا الأسلوب تداوليا ، وذلك لمعرفة الدلالات التي توخاها الرسول – صلى الله عليه وسلم – خاصة وأنه يمثل شيوعا كبيرا في الخطاب النبوي بصفة عامة . وهذا يعني أن الغرض الأصلي للأمر الحقيقي هو طلب القيام بالفعل على وجه اللزوم والاستعلاء . وقد يخرج عن معناه الحقيقي إلى الدعاء ، أو الالتماس أو

[1] ياسين جاسم المحيمد ، الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .ط1 / 2001 ص : 48.

[2] سعود بن غازي أبو تاكي ، صور الأمر في العربية بين التنظير والاستعمال، ص : 157 .

[3] دفة بلقاسم ، بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية، دار الهدى للطباعة والنشر. الجزائر د ، ت 2008 ص : 28 .

[4] الصراف علي محمد في البراغماتية ... الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ,دراسة دلالية .ص: 111.

النصح أو الترغيب والترهيب والتعجيز ... وغيرها تستفاد من سياق الكلام . ولذلك ينظر إلى فعل الأمر الكلامي من جهة كونه فعلا مباشرا أو قوة إنجازية حرفية ، ومن جهة كونه فعلا غير مباشر أو قوة إنجازية مستلزمة مقاميا . فما الأمر الحقيقي ؟ .

الأمر الحقيقي :

يقول السكاكي في المفتاح : " الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو " انزل لينزل نزال ، وصه " على سبيل الاستعلاء "[1] ، ويرى أن هذه الصور والتي من قبيلها هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء ، فالأظهر أنها موضوعة لذلك ، وهي حقيقة فيه ، ليتبادر الفهم عند الاستماع نحو : " قم ، ليقم زيد " وتوقف ما سواء من الدعاء ، والالتماس والندب ، والإباحة والتهديد على اعتبار القرائن ... فالمتكلم هو المسؤول على أن يعبر على ما يقوله عن الأمر حيث إذا فشل أن يكون كلامه أمرا ، لم يعدّ أن يكون التماسا أو دعاء ...الخ .[2]

ويشترط في جريان الأمر إلى أصل معناه ، أن يكون الآمر أعلى مرتبة من المأمور ويقول السكاكي : " لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ومن ثم كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور، استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلا لا تفد غير الطلب، ثم إنها حينئذ تولد حسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام..."[3].

شروط العدة لفعل الأمر:

قواعد تداولية: كثيرا ما ترتبط بوضعية المتخاطبين.

أن يتوفر شرط الاستعلاء والسلطة،على الأمر أن يكون في مرتبة أعلى من المأمور.

الإرادة: إرادة المتكلم في إصدار الأمر.

الإقناع : أو القصد.[4]

فمن أجل ذلك تحمل "القصدية المباشرة" ضمن الصيغ اللغوية ، والبلاغية التي اتفقت عليها القدماء والمحدثون، فهي قسمان، أساليب حقيقية، وأخرى مجازية.

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم ص : 428 .

[2] المرجع نفسهً ، ص:428 .

[3] المرجع نفسه، ص :429.

[4] بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف. ط2003/1ص :174.

ومن الأسلوب المباشر لأسلوب الأمر كفعل كلامي تجسد فيه طلب الفعل من جهة الاستعلاء من الأعلى إلى الأدنى على جهة الحقيقة والإلزام بفعله، ما روي **عن ابن عمر**، أنه طلّق امرأته، وهي حائض في عهد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم، فسأل عمر بن الْخطّاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم عن ذلك، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: **(مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيَتْرُكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ)**[1].

فيظهر الفعل الكلامي ليراجعها في شكل أمر على صيغة (ليفعل) في صورة المضارع المجزوم بلام الأمر ، وهو أمر لابن عمر- رضي الله عنهما- لمراجعة زوجته بعد أن طلقها طلقة واحدة وهي حائض فأمره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يراجعها حتى تطهر ، ثم تحيض عنده حيضة أخرى ، ثم يمهلها حتى تطهر من حيضتها ، فإن أراد أن يطلقها ، فليطلقها قبل أن يجامعها ، فتلك العدة التي أمر الله بها أن تطلق لها النساء كما علمه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهذا هو الفعل الدلالي لمضمون الفعل الكلامي " فليراجعها " تتكون الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي من :

قوة إنجازية حرفية : تتمثل في : الوجوب لأن الأمر على حقيقته ، فينتقض الوجوب بقرينة مراجعة ابن عمر زوجته ؛ إذ لو كان التعبير على غير صورة الأمر الحقيقي لتوهم ابن عمر أو حتى عمر نفسه أن الحكم ليس على سبيل الوجوب والإلزام ، بل لا يفهم معنى الوجوب من الصنيع " أرى أن يراجعها ، ليته يراجعها ، كان الأفضل أن يراجعها " ، . ولتأسس عليها عدم العصيان فيمن طلق امرأته وهي حائض " .ويظهر تطابق القوتين الإنجازيتين في مقام الأمر الذي يفيد الوجوب على اعتباره عند الأصوليين " ما يستحق تاركه العقاب على تركه ، بمعنى لو أن تاركه لو عوقب على تركه لكان ذلك ملائما لنظر الشارع ، ولابد في معنى الوجوب من ترجيح الفعل على الترك بما يتعلق به من الذم أو الثواب الخاص ..."[2]

ومن أمثلة الأمر الحقيقي الذي يقتضي الوجوب في صورة الأمر الصريح دائما لكن بصيغة " افعل " بسبب ارتباط هذه الصيغة في الأصل للمخاطَب الحاضر ، إذ كان الغالب في حديثه – صلى الله عليه وسلم- توجيهه لمتلقين حاضرين أمامه ، فينشأ ذلك التفاعل بين المنشئ " الرسول صلى الله عليه وسلم

[1] صحيح مسلم ،كتاب الطلاق ، المجلد 2 رقم : 1471 ص : 1093 .

[2] الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام. ج1 ص :138، 139.

" و المستقبل "الصحابة"، ومن أمثلتها: ما رواه عن أبي موسى قال : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: (**بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا**)[1].

فجاء الأمر على صورة القصد لمعناه الأصلي، بمعنى وجوب التنفيذ في الفعل الكلامي : (بشروا ، يسروا) على سبيل الوجوب والحتم ، تطابقت فيه القوة الإنجازية الحرفية الأمر على صيغة "افعل" مع قوتها الإنجازية المستلزمة التي تقتضي وجوب البشير والتيسير .

وهو الفعل الدلالي لمضمون الأفعال الكلامية (بشروا ، يسروا) وقوتاها الإنجازيتان تتكون حمولتهما الدلالية من :

قوة إنجازية حرفية :"الأمر الصريح بصيغة "افعل"، بشروا ، يسروا "

قوة إنجازية مستلزمة مقاميا : تتمثل في الوجوب على صورة القصد لمعناها الأصلي.

ومن الأحاديث التي استوجب فيها الأمر وجوب التنفيذ لصدوره منه "صلى الله عليه وسلم " على سبيل الوجوب لأن مخالفته تترتب عليها العقوبة في الحديث الذي روي عن ابن عباس أنه قال: استفتى سعد بن عبادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نذر كان على أمه توفيت قبل أن تقضيه قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (**فَاقْضِهِ عَنْهَا**.)[2]

فصيغة الأمر الصريح اقضه على صيغة افعل تشكل فعلا كلاميا يقتضي دلاليا وجوب الأمر بقضاء النذر وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي في:

قوة إنجازية حرفية: أمر بصيغة افعل اقضه. والمتضمن على محمول الفعل ، والمتمثل في الهاء في اقضه .

قوة إنجازية مستلزمة مقاميا : تتمثل في وجوب تطبيق الفعل، فهو أمر وجوب يتحتم فعله، وهذا ما فهمه الصحابي سعد بن عبادة ، وهو وجوب قضاء النذر الذي كان على أمه

ومن الأمر الدال على (الوجوب) الحديث الذي روي عن جابر ابن عبد الله يقول: أمرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقتل الكلاب حتى إن المرأة تقدَم من البادية بكلبها فنقتله ثم نهى النبي– صلى الله عليه وسلم – عن قتلها وقال: (**عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ الْبَهِيم ذِى النُّقْطَتَيْنِ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ**.)[3]

[1] صحيح مسلم ،كتاب الجهاد والسير ، المجلد 3 ، رقم : 1732 ص :1358.

[2] المصدر نفسه ،كتاب النذر ، المجلد 3 رقم : 1638 ص : 1260.

[3] المصدر نفسه ،كتاب المساقاة ، المجلد 3 رقم : 1572 ص : 200 .

فالقوة الإنجازية الحرفية: هي أمر بصيغة اسم فعل أمر (عليكم) معدول عن الجار والمجرور، وهذه الصيغة أقوى من فعل الأمر في الدلالة على الطلب .تتكون الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي من قوة إنجازية حرفية: هي أمر بصيغة اسم فعل أمر(عليكم) معدول عن الجار والمجرور، وهذه الصيغة أقوى من فعل الأمر في الدلالة على الطلب وقوة إنجازية مستلزمة ، تتمثل في وجوب تطبيق الفعل، فهو أمر وجوب يتحتم فعله، وهذا ما فهمه الصحابي ، وهو وجوب قتل الكلب الأسود البهيم ذي النقطتين ؛ لأنه شيطان .

أ – خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الإنشاء .

1 – خروج الأمر إلى الدعاء :

الدعاء : اسم ومصدر ومثله (الدعوى)، وفعله دعا، يدعو... وقد سماه ابن فارس المسألة[1]. ويتجه الآمر بكلامه إلى من هو أعلى منه على صيغة التضرع والضعف والابتهال، والرجاء والاستكانة والاستعطاف... فمن التضرع قوله تعالى:(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ)[2].

﴿..رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلاَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلاَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[3] كما وقع الدعاء بالانتقام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[4] وذلك لأنهم كفروا وظلوا، ولا مطمع في إيمانهم..

فكثيرا ما يرد الأمر للدعاء إذا كان متوجها من العبد إلى ربه عز وجل، أو ممن هو أدنى مرتبة ممن يأمره، فيكون أمره حينئذ على سبيل الدعاء.

وقد ذكر البلاغيون أن الدعاء من المعاني التي تستعمل في صيغة الأمر لغير طلب على سبيل الاستعلاء تكليفا وإلزاما، لذلك حفل الخطاب النبوي بصيغ الأمر التي وردت، وكان القصد منها الدعاء

[1] ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة، ص:184.

[2] الأحقاف الآية : 15 .

[3] البقرة .الآية :201 .

[4] يونس الآية : 88 .

كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إذا كبّر في الصّلاة، سكت هنيهة قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي أرأيت سكوتك بين التّكبير والقراءة، ما تقول؟ قال : (**أَقُولُ: اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ**)[1].

تتكون الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي من :

قوة إنجازية حرفية : تتمثل في الأمر الصريح : " باعد، نقني ، اغسلني " و محموله الفاعل المستتر وجوبا في فعل الأمر العائد على المأمور مجازا هو الله عزّ وجلّ ؛ لأن الأمر من أدنى منزلة إلى أعلى منزلة .

قوة إنجازية مستلزمة : تتمثل في الدعاء " لأن الخطاب من أسفل إلى أعلى .

يظهر الحديث تداوليا صورة الأمر عند خروجه من صورته الحقيقية إلى صورة مجازية تفيد الدعاء ، لأنه من أقل منزلة إلى أعلى منزلة ، دليل على عدم تطابق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا مع القوة الإنجازية الحرفية للأمر : " باعد، نقني ، اغسلني " بصيغة الأمر الصريح والذي يتضمن فعلا إنجازيا يتمثل في الأمر الصريح بصيغة " افعل " من أدنى منزلة إلى أعلى.

ب – خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية .

قد يخرج الأمر عن المعنى الحقيقي الذي هو طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ليدل على أغراض بلاغية يقتضيها السياق والمقام وقرائن الأحوال ، وبالتالي تتسع دائرة المعاني من ذلك :

1 – خروج الأمر إلى الاستحباب :

ومنه الحديث الذي روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ غَفَلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**) ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14][2].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر ، وهو استحباب التعجيل بقضاء الصلاة الفائتة وقت تذكرها ، وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها ، فليصلها إذا ذكرها) ، وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل

[1] صحيح مسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد 1 رقم : 598 ص : 419 .

[2] المصدر نفسه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد 1 رقم :684 ص : 477 .

الكلامي الإنجازي (فليصلها) في : قوة إنجازية حرفية في صيغة الأمر المتمثلة في المضارع المقرون بلام الأمر (فليفعل) ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الاستحباب .

ومنه أيضا الحديث الذي روي عن أبي هريرة، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: (**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**)[1]

وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (فاظفر) في:

قوة إنجازية حرفية: أمر بصيغة الأمر الصريح (افعل) اظفر

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في استحباب نكاح ذات الدين لأن في ذلك خير

عن عبد الله، قال: قال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**).[2]

وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (فليتزوج) في:

قوة إنجازية حرفية: أمر بصيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر فليتزوج

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه والنصح باشتغال من عجز عن المؤن بالصوم .

2 – خروج الأمر إلى الإباحة والتخيير :

الإباحة في عرف اللغة : مصدر فعله " أباح " ونقول : أبحتك الشيء :أحللته لك ، وأباح الشيء : أطلقه أي أظهره وأعلنه ، ومنه يقال : باح بسره ، إذا أظهره ، وأباح الرجل ماله : أذن في الأخذ والترك وجعله مطلق الطرفين ، واستباحه الناس : بمعنى : أقدموا عليه[3] .

أما معناه عند علماء الأصول ، فهو أن يكون طلب الفعل ، وتركه على السوية بينهما ، وفي هذا يقول الشوكاني : " إن الحكم الشرعي إذا كان غير جازم في الطلب أو الترك ، فإما أن يكون طلب الفعل وتركه على السوية بينهما ، وهذه هي الإباحة ، وإما أن يقترن بترجح جانب وجود الفعل فيكون الندب وإما أن يترجح جانب الترك فتكون الكراهة ..."[4]

[1] المصدر السابق ،كتاب الرضاع ،المجلد 2 رقم : 1466 ص : 1086 .

[2] المصدر نفسه ،كتاب النكاح ،المجلد 2 رقم : 1400 ص : 1018.

[3] الفيومي أحمد بن محمد علي ، المصباح المنير، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت. ط1 1999، ص : 39 .

[4] الشوكاني محمد بن علي ، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد سعيد البدري ،دار الفكر، بيروت .ط1 ، 1992 ص :23 .

ومعنى هذا أن الآمر يأمر المخاطب على سبيل الإباحة ليعلمه أو ليأذن له فيه ، وبهذا المعنى يلتقي المعنى الشرعي بالمعنى اللغوي للإباحة . والإباحة قد تتعلق بفعل مباح كقوله تعالى :(وكلوا واشربوا)[1] أو تتعلق بالتخيير بين فعلين يجوز الجمع بينهما دون تعيين ، وهما على السواء ، أو تتعلق بالتخيير بين أمرين دون تعيين غير أن أحدهما أولى من الآخر بالاختيار : " فيقول صاحب اللسان : خيرته بين شيئين أي فوضت إليه الخيار " [2] فهو يختار أفضلهما .

وجاء التعبير عن الإباحة بصيغة الأمر في الخطاب النبوي في مواضع عدة منها:

حديث عمر بن الخطاب قال: قَدْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي العطاء، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**خُذْهُ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا، فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**).[3]

تضمن هذا الحديث فعلا كلاميا يتمثل في صيغة الأمر الصريح "خذه" تتكون حمولته الدلالية من:

قوة إنجازية حرفية: فعل الأمر (خذ)، وموضوعه فاعل مستتر وجوبا تقديره أنت.

قوة إنجازية مستلزمة مقاميا : تتمثل في الإباحة .

3 – خروج الأمر إلى التخيير :

ومنه الحديث الذي روي عن أبي حميد، قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك، وساق الحديث وفيه، ثمّ أقبلنا حتّى قدمنا وادي القرى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ**).[4]

ففي هذا الحديث النبوي الشريف يخير النبي صلى الله عليه وسلم صحابته الكرام بين الإسراع والمكوث . فهذا الفعل الكلامي تشكل في تركيب إسنادي فعلي يتمثل في فعل الأمر (فليسرع) بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر ، وبالتالي فالحمولة الدلالية للفعل الإنجازي مكونة من قوتين:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر الصريح. فليسرع ، فليمكث .

---

[1] البقرة ،الآية : 187 .

[2] ابن منظور ، أحمد بن مكرم ، لسان العرب . مادة (خ ي ر) .

[3] صحيح مسلم ،كتاب الزكاة ،المجلد 2 رقم : 1045 ص : 723 .

[4] المصدر نفسه ، كتاب الحج ،المجلد 2 رقم : 1392 ص : 1011 .

قوة إنجازية مستلزمة: أفرزها المقام وسياق الحال، ممثلة في التخيير وفيه الدليل على عدم تطابق القوتين الإنجازيتين لفعلي الأمر: فليسرع ، فليمكث .

4 – خروج الأمر إلى النصح والإرشاد:

كثيرا ما يدور النصح في العربية حول طلب ما ، لا إلزام فيه[1]، ويقتضي ضمنا حث المنصوح على الأخذ بالنصيحة، وذلك إذا أراد الآمر من مأموره تقديم النصيحة، ولا يلزم المخاطب على الالتزام بها والمقيد بها إلا على سبيل أن فيها الخير له، لذلك توجه إليه بصيغة الأمر على اعتقاد المنشئ للنصيحة أن منصوحه يستجيب له فيما ينصحه به، ويرشده به.

وقد ورد الأمر في الخطاب النبوي في مواطن عدة، وبصيغ الأمر المختلفة مقصود بها النصح والإرشاد والحث، كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟) ، قَالَ: لَا، قَالَ: (فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا)**[2]

يتضمن "الفعل الكلامي": فاذهب فانظر إليها المركب إسناديا من الفعل الصريح مع موضوعه الفاعل المستتر وجوبا تقديره"أنت" و فعلا إنجازيا تتكون حمولته الدلالية من :

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر الصريح بصيغة"افعل".

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في النصح و الإرشاد للرجل الذي أتاه وأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار بأن ينظر إليها .

ومنه الحديث الذي روي عن أنس بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **(لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ.)**[3]

وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (كونوا) في:

قوة إنجازية حرفية: أمر صريح بصيغة (افعل) .

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في النصح لهم بالأخوة .

---

[1] عتيق عبد العزيز، في البلاغة العربية، علم المعان، دار النهضة للطباعة و النشر 1970،.،ص:84 .

[2] صحيح مسلم ،كتاب النكاح ،المجلد 2 رقم : 1424 ص : 1040 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب البر والصلة والآداب ،المجلد 4 رقم : 2563 ص : 1985 .

5 – خروج الأمر إلى الحث :

ومنه الحديث الذي روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**)[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف حث ابن آدم على الإنفاق وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : قال الله تبارك و تعالى : يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك ، وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (انفق) في : قوة إنجازية حرفية في صيغة الأمر الصريح (افعل) ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي الحث على النفقة .

ومنه أيضا الحديث الذي روي عن عدي بن حاتم قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم)– يقول: "من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل.."

وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (فليفعل) في:

قوة إنجازية حرفية: أمر بصيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر فليفعل

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الحث على الصدقة.

6 – خروج الأمر إلى التعجيز:

يرتبط هذا الغرض من أسلوب الأمر المتضمن في القول بالمخاطب ومدى قدرته على القيام بالفعل" وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه إظهارا لعجزه وضعفه وعدم قدرته ". وذلك من قبيل التحدي وإظهار العجز.

ومن المواطن التي ظهر فيها الأمر المراد منه التعجيز الحديث الذي ترويه عائشة أنها اشترت نُمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قام على الباب فلم يدخل فعرفت أو فعُرفت في وجه الكراهية فقالت : يا رسول الله أتوب إلى الله و إلى رسوله فماذا أذنبت؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما بال النُمرقة؟ فقالت: اشتريتها لك تقعد عليها و توسدها فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:(**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ.**)[2].

[1] صحيح مسلم ،كتاب الزكاة ، المجلد 2 رقم : 993 ص :690.

[2] المصدر نفسه ،كتاب اللباس والزينة ، المجلد 3 رقم : 2107 ص : 1669.

اشتمل هذا الحديث على فعل كلامي "أحيوا"، أمر من الله تعالى للمصورين بإحياء ما يصورون بنفخ الروح في ما كانوا يصورون إن استطاعوا ، ولن يستطيعوا ،إنما هو أمر تعجيزي لثبات العجز عن القيام بالفعل لدى المخاطب؛ أي اجعلوه ذا روح كما قدرتموه وصورتموه، وهذا هو **الفعل الدلالي** للفعل الكلامي "أحيوا".

يشمل هذا الفعل **فعلا إسناديا** مكونا من الجملة الفعلية الأمرية "أحيوا" و موضوع الفعل المتمثل في الضمير المتصل المعبر عنه بواو الجماعة والدال على المصورين. وتتشكل الحمولة الدلالية لهذا **الفعل الإنجازي** فعل الأمر من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر الصريح: "أحيوا" على صيغة" أفعل".

قوة إنجازية مستلزمة: يقتضيها المقام بسياق الحال و هي التعجيز، رغم أن زمن الأمر هو "يوم القيامة" فيقال لهم و " هم يعذبون" و أحوج ما يكونون إلى عفو الله و غفرانه. فيتعدى التعجيز إلى نوع من التقريع و التوبيخ بقرينه نسبة الخلق إليهم، كما عبر عن ذلك الإمام "ابن حجر":... فإنما نسب خلقها إليهم تقريعا لهم بمضاهاتهم الله تعالى في خلقه، فبكتهم بأن قال إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى، فأحيوها كما أحيا هو من خلق..."[1]، ليظهر عدم تطابق القوتين الإنجازيتين، بدلالة المستلزمة مقاميا على "التعجيز" لأنه لا يطالب "بالإحياء" إلا من يقدر على الخلق وهذا فقط من قدرته عز وجل.

7 – خروج الأمر إلى التأديب:

جاء في "منجد اللغة والأعلام" أن الأدب من أدّب، أدبا بمعنى هذبه وراض أخلاقه، فهو مؤدب، ومن تأدب بمعنى تعلم الأدب..."[2]، وزاد " صاحب المصباح"... أدبته، بمعنى علمته رياض النفس ومحاسن الأخلاق وأدبته تأديبا: مبالغة وتكثير، ومنه قيل: أدبته تأديبا، إذا عاقبته على إساءته، لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب"[3] .والمتأمل في السيرة النبوية عامة يلحظ كيف كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – حريصا على أن يعلم أصحابه الآداب السامية ، والأخلاق النبيلة بالحكمة والأسوة والموعظة الحسنة حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس في شكل " إستراتيجية تخاطبية" تراعي أحوال المخاطبين ، ومقامات الكلام .

---

[1] العسقلاني ابن حجر، فتح الباري على شرح صحيح البخاري ، ج13،ص : 648.

[2] المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ط ،1997 م مادة (أدب)، ص : 36 .

[3] الفيومي أحمد بن علي ، المصباح المنير مادة (أدب)ص : 10 .

ومنه الحديث الذي روي عن أبي برزة قال : قلت : يا نبي الله علمني شيئا انتفع به قال : (**اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ**)[1].

هذا الحديث النبوي الشريف تركيب إسنادي فعلي يتكون من محمول الفعل (اعزل)و موضوعه الفاعل المستتر وجوبا تقديره أنت، والمتضمن قضية تعليم و تأديب الرسول – صلى الله عليه وسلم– لأحد أصحابه شيئا ينتفع به ، وهو عزل الأذى عن طريق المسلمين. تشكلت الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الأمر بصيغة "اعزل"

قوة إنجازية مستلزمة مقاميا: تتمثل في تأديب الرسول "صلى الله عليه وسلم " لأحد أصحابه بتعليمه شيئا ينتفع به .

نخلص إلى أن للأمر قوى إنجازية مباشرة تتمثل في القوة الإنجازية الحرفية : الأمر الحقيقي وصيغه : الأمر الصريح ، (افعل ، ليفعل) ، اسم الفعل ، المصدر النائب عن الفعل . وقوة إنجازية مستلزمة مقامية تتمثل في:خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معان إنشائية : كالدعاء ، أو خروجه إلى معان إخبارية : كالاستحباب ، والإباحة والتخيير والنصح والإرشاد ، والتعجيز ، والتأديب ....

[1] صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب ،المجلد 4. رقم: 2618 ص : 2021 .

ثانيا: النهي:

النهي هو طلب الكف على وجه الاستعلاء ، أو طلب الترك ، وله صيغة واحدة هي : الفعل المضارع المسبوق بـ " لا الناهية " التي تفيد وجوب الامتناع عن الفعل وتركه استعلاء ، فالطلب من النهي بمنزلته من الأمر."[1]، أو هو طلب ، القصد منه المنع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة[2]

ويتضح من ذلك أن النهي يكون للمخاطب وللغائب على السواء[3] ، ولا يختص بالغائب فقط كما هو الشأن مع لام الأمر " ، وقد جاء مع المتكلم قليلا . وذلك قولهم " لا أرينك هنا "[4] ؛ لأن النهي في الحقيقة هنا هو المخاطب وتقدير الكلام السابق هو : لا تكن ههنا حتى لا أراك . وحرف النهي هو " لا "، والفعل بعده مجزوم وقد عملت لا الناهية في المضارع حملا على الأمر ؛ لأن هذا الأخير ضد النهي فهو محمول على ضده ، والأمر مبني على الوقف ، وقد حمل عليه النهي وجعل نظيرا له في اللفظ وإن كان أحدهما وقفا والآخر جزما[5]. فالصيغة الصريحة للنهي هي الفعل المضارع المسبوق بـ " لا الطلب[6]" "النهي "كما يمكن استعمال ألفاظ معجمية للدلالة على النهي كمادة : (حرم ، حظر، منع ، ونهى ومشتقاتها أو الألفاظ الدالة على الترك وإن كانت بصيغة الأمر مثل : دع ، وذر ، وكف ، وكذلك الألفاظ الدالة على عدم " الحل " بأسلوب النفي " لا يحل " ، لا يجوز)[7]

ولا يختلف النهي عن الأمر من حيث شروط جريانه على الأصل يقول السكاكي : " ... والنهي محذو به حذو الأمر ، في أن أصل الاستعمال : " لا تفعل " أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادق ذلك أفاد الوجوب ، وإلا أفاد طلب الترك فحسب " [8]

والشروط المعَدَّة لإجراء النهي على أصله هي : " شرط الاستعلاء " ، " إلزام المخاطب به " وإذا اختل أحد الشرطين اللازمين لإجراء النهي على أصله ، خرج إلى أغراض تواصلية يفرضها السياق ، فيها يقول السكاكي : " ... ثم إن استعمل على سبيل التضرع ... سمي دعاء ، وإن استعمل في حق

---

[1] ياسين عبد العزيز ، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية ،مطبعة السعادة .ط1 ، 1989 ص : 313 .

[2] ابن الشجري ضياء الدين، الآمال الشجرية ،دار المعرفة .بيروت د.ت، ج1 ص : 271 .

[33] شرح كافية ابن الحاجب .ج4 ص : 89 .

[4] المرجع نفسه .

[5]الأنباري .أبو البركات (ت 577هـ) ,أسرار العربية ص : 236 .

[6] السيوطي جلال الدين. الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق محمد عبد الله مجمع اللغة العربية دمشق، 1986، ج 4 ص : 173 .

[7]عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتجيات الخطاب مقاربة تداولية ص : 351 .

[8] السكاكي . مفتاح العلوم ،ص: 429 .

المساوي في الرتبة سمي التماسا ، وإن استعمل في حق المستأذن سمي إباحة ... وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي : تهديدا.[1]

النهي الحقيقي :

و قد استعمل النبي – صلى الله عليه وسلم – النهي بمعنى التحريم ، ومن أمثلة ذلك : ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى لله عليه وسلم – قال:(**لاَ يُتَلَقَّى الرُّكْبَانُ**[2] **لِبَيْعٍ ، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَلاَ تَنَاجَشُوا** [3] **وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ ، وَلاَ تُصَرُّوا** [4] **الإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، فَمَنِ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا ، فَإِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعاً مِنْ تَمْرٍ.**)[5]

فلو نظرنا إلى التراكيب الإسنادية الفعلية الدالة على النهي في ا الحديث الشريف الآتية : (لا يبع بعضكم على بيع بعض ، ولا تناجشوا ، ولا يبع حاضر لباد ، ولا تصروا)، لوجدناها قد اشتملت على صيغ نهي صريحة مكونة من " المضارع مع لا الناهية" ، كلها أفعال كلامية قوتها الإنجازية الحرفية النهي الصريح: "لا تفعل"، المتمثل في العبارات : (لا تناجشوا ، لا بيع، لا تصروا .) و قوتها الإنجازية المستلزمة: هي التحريم ؛ إذ لا يجوز للمسلم أن يسمع بالسلعة قادمة إلى البلد ، فيخرج يتلقاها من الركبان خارج البلد، فيشتريها من هناك ثم يدخلها فيبيعها كما يشاء، لما في ذلك من التغرير بأصحاب السلعة و الإضرار بأهل البلد من تجار وغيرهم...[6] ، مما يعكس أن النهي لصالح العباد و ليس لمجرد الرغبة في التحريم أو التشديد على الناس، لذلك جاء التحريم مطابقا للقوة الإنجازية الحرفية "النهي"

---

[1] المرجع السابق، ص: 429 .

[2] يتلقى الركبان هو أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصله إلى البلد و يخبره بكساد ما معه، كذبا، ليشتري منه سلعته بالوكس، وأقل من ثمن المثل.(لا يتبقى الركبان لبيع).

[3] (ولا تناجشوا) أصل النجش الاستشارة. ومنه : نجشت الصيد أنجشه، بضم الجيم، نجشا إذ استترته. سمي الناجش في السلعة ناجشا لأنه يثير الرغبة فيها ويرفع ثمنها: وقال ابن قتيبة: أصل النجش الختل، وهو الخداع. ومنه قيل للصائد: ناجش لأنه يختل الصيد ويحتال له وكل من استشار شيئا فهو ناجش.

[4] (ولاتصرموا الإبل والغنم) من التصرية وهي الجمع ، ويقال صرى يصري تصرية ، وصراها يصريها تصرية فهي مصراة كغشاها يغشيها تغشية فهي مغشاة ومعناها لا تجمعوا اللبن في ضرعها عند إرادة بيعها حتى يعظم ضرعها فيظن المشتري أن كثرة لبنها عادة لها مستمرة ، ومنه قول العرب صريت الماء في الحوض أي جمعته .

[5] صحيح مسلم ،كتاب البيوع ،المجلد 3 رقم : 1515 ص : 1155.

[6] أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، دار الفكر، ط08،1976، ص:321.

باعتباره فعلا كلاميا مباشرا، وبذلك يضمن للمجتمع بناءه الاجتماعي السليم بإقامة دعائمه الاقتصادية وتوضيحها.

ولعل هذه القوة الإنجازية المستلزمة هي التي أقر بها علماء الأصول حيث يكون الغرض الأساسي للنهي هو التحريم و الفعل المنهي عنه هو المحرم فيقول الجويني:" هو ما زجر الشارع عنه ، و لام على الإقدام عليه"[1] ، وعرفه الآمدي:"... هو ما ينتهض فعله سببا لذم شرعا بوجه ما من حيث هو فعل له، ومن أسمائه أنه محرم و معصية وذنب[2].

فالنهي الذي يقتضي التحريم هو الذي يدل على أن الشارع يطلب الكف عن فعله طلبا حتما...[3] ، أي الذنب الذي يجب معه اجتناب ما نهى عنه القرآن الكريم، أو نهى عنه الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن مخالفة نهيه عليه الصلاة و السلام يترتب عليها العقاب شرعا سواء أكان دنيويا أم أخرويا أو فيهما معا.

خروج النهي عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية ومن ذلك

1 – خروج النهي إلى النصح والإرشاد:

قد يخرج النهي في هذا الغرض فيكون للتوجيه في أمر من الأمور، أو للتنبيه عليه على سبيل النصح والإرشاد، ومن ذلك حديثه – صلى الله عليه وسلم – عن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال : رسول الله – صلى الله عليه وسلم : (**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ .**)[4].

في هذا الحديث فعل كلامي يتمثل في النهي " لا تنظروا " إلى من هو فوقكم ؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا ، طلبت نفسه مثل ذلك ، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى ، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه ، هذا هو الموجود في غالب الناس ، وأما إذا ما نظر في أمر الدنيا إلى من هو دونه فيها ، ظهرت له نعمة الله تعالى عليه ، فشكرها وتواضع ، وفعل فيه الخير.يتكون هذا الفعل الكلامي من:

[1] الجويني، البرهان في أصول الفقه، تح:عبد العظيم محمود، دار الوفاء، مصر، ط1418،04هـ، ج01، ص:216.

[2] الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج01،ص:156.

[3] خلاف عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القاهرة،ط3 ، د.ت ، ص:113.

[4] صحيح مسلم ،كتاب الزهد والرقائق، المجلد 4 .رقم :2963 ص : 2275

فعل دلالي: مضمونه القضية التي أرادها رسول الله: صلى الله عليه وسلم من مدلول لا تنظروا إلى من هو فوقكم

فعل إسنادي: يتمثل في الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية " لا تنظروا " ، وموضوعه الفاعل " واو الجماعة"

يواكب هذا الفعل فعلا إنجازيا تتكون حمولته الدلالية من :

– قوة إنجازية حرفية: تتمثل في النهي الصريح "لا تنظروا" بصيغة " لا تفعل".

– قوة إنجازية مستلزمة : دل عليها المقام و السياق " وهو النصح"، مما يعكس عدم تطابق القوتين الإنجازيتين لأن النصح هو الغرض المتوخى، بيانا منه "صلى الله عليه وسلم" من قوله: " لاتنظروا " من الحكمة و استجلاب المصلحة في درء المفسدة ، مما يتعذر إصلاحه والوقوف على نهايته.

2 – خروج النهي إلى الكراهة:

وقد يخرج النهي عن أصل معناه الحقيقي إلى الكراهة ، ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – :

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَ جَلَبَةً، فَقَالَ: (**مَا شَأْنُكُمْ؟**) **قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: (فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا سَبَقَكُمْ فَأَتِمُّوا)**[1].

فقد اشتمل الحديث على فعل كلامي : لا تفعلوا في صورة نهي صريح، كراهية منه – صلى الله عليه وسلم –لصنيع ذلك الوفد من الصحابة، رغم كون المخاطب وهم الصحابة كانوا حريصين على إدراك الصلاة بالإسراع إليها حتى لا يفوتهم شيء منها... فكان النبي "صلى الله عليه وسلم" موضحا العلة من ذلك بأسلوب "الشرط وجوابه"إذا أتيتم ـــــ فعليكم بالسكينة.الذي يفيد تحقق الوقوع منهم.

وقد اشتمل الفعل الكلامي على :

فعل دلالي: يتمثل في مضمون الفعل "لا تفعلوا"، ومن القضية التي تتمثل في نهي الرسول– صلى الله عليه وسلم– للصحابة عن فعلتهم حين أحدثوا الجلبة ، فأفسدوا على الناس خشوعهم، لا سيما وأن الإسناد كان مكونا من محمول الفعل: تفعلوا المجزوم بلا الناهية، وموضوعه: الفاعل الضمير المتصل المعبر عنه بواو الجماعة إشارة إلى الصحابة رضوان الله عليهم.

[1] المصدر السابق ,كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد.1. رقم : 603 ص :421.

تتشكل القضية في فعلها الدلالي من اقتضاء مرده علم الرسول – صلى الله عليه وسلم– بما في هذا الصنيع من أثر خاصة حين تعلق بالخشوع في الصلاة من جهة، وكونه كان مفاجئا بدليل سبق الحديث بـ بينما المتعلق بالظرف إذ الدلالة على الفجائية من جهة أخرى، مما يستلزم من الصحابة العمل على ترك صنيعهم اقتداء بنهي رسول الله– صلى الله عليه وسلم – . أما الفعل الإنجازي لهذا الفعل الكلامي فتشكلت حمولته الدلالية من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في النهي لا تفعل.

قوة إنجازية مستلزمة: اقتضاها المقام ودل عليها السياق وحتمتها وظيفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين قومه تعليما وتهذيبا، يتمثل في الكراهة خاصة حين اعتمد الرسول – صلى الله عليه وسلم– أسلوب الشرط وجوابه تعقيبا على هذا النهي ، وتعليلا له متمثلا في:(إذا أتيتم فعليكم بالسكينة، ما أدركتم فصلّوا، وما سبقكم فأتمّوا.) .

وذلك ما أكده الإمام الشوكاني أنه تستفاد الكراهية إذا نص النبي صلى الله عليه وسلم عن فعل هو له غير محبب، وترجح فيه جانب الترك على الإتيان...[1]

ومنه الحديث الذي روي عن عطاء، عن ابن عباس. قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – **(إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَّعَاما فَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا)**. [2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو الكراهة ، وهو فعل كلامي إنجازي متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا أكل أحدكم طعاما، فلا يمسح يده حتى يلعقها، أو يلعقها.) وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (لا يمسح) في : قوة إنجازية حرفية في صيغة النهي المتمثلة في المضارع المقرون بـ . لا الناهية (لا يمسح) ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي:كراهة مسح اليد قبل لعقها .

3 – خروج النهي إلى الإنكار:

الإنكار أن يظهر المتكلم عدم قبول ما يصدر من مخاطبه لعلة أو لأخرى خاصة إذا تعلق الأمر بأمور العقيدة ، أو المعاملات بين المسلمين ، ومن النهي في مقام الإنكار ما نجده في الحديث الذي روي عن

[1] الشوكاني علي بن محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، ج، ص:23.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الأشربة ، المجلد 3. رقم :2031 ص : 1605.

أنس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ**)[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو الإنكار ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (اعتدلوا في السجود ، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب) وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (لا يبسط) في : قوة إنجازية حرفية في صيغة النهي المتمثلة في المضارع المقرون بـ. لا الناهية (لا يبسط) ، ووراء هذه القوة الانجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي إنكار بسط الذراعين في الصلاة انبساط الكلب .

4 – خروج النهي إلى النفي :

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: (**يُنَادِى مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَداً وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدا...**)[2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو النفي ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (..إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا...) وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (لاتسقموا ، لا تموتوا) في : قوة إنجازية حرفية في صيغة النهي المتمثلة في المضارع المقرون بـ. لا الناهية (لا تسقموا ، لا تموتوا)، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي نفي السقم والموت .

ونخلص بعد الحديث عن النهي إلى أنه كثيرا ما كان مرتبطا بالغرض الأصلي منه و هو التحريم، بسبب ارتباطه بالميدان التشريعي وذلك ما تعبر عنه القوة الإنجازية الحرفية غالبا حين تطابقها مع ما يقتضيه المقام إلا أنه قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية ومن ذلك : النصح والإرشاد ، والكراهة ، والإنكار والنفي .

[1] المصدر السابق ،كتاب الصلاة ,المجلد 1 .رقم : 493 ص : 355 .

[2] المصدر نفسه ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،المجلد 4. رقم : 2837،ص : 2182.

ثالثا: الاستفهام:

إن اعتماد الأساليب الإنشائية الطلبية من أهم الخصائص التداولية البارزة في الحديث النبوي الشريف لأنها تمنح حرية وجمالا واسعا للتعبير والإقناع والتأثير، وأيضا لأنها تشغل حيزا كبيرا في نظرية الأفعال الكلامية التي تمثل الجانب المادي في النظرية التداولية ؛ ولأن من أبرز ما يؤطر العملية التواصلية هو إنجاز فعل ما، فالمتكلم ؛ إذ يتفوه بملفوظ تراه ينجز فعلا تتحدد طبيعته من خلال السياق الذي ورد فيه، كما يرتبط الفعل الإنجازي بمقاصد المتكلم، وهذه المقاصد لها دور مركزي في نظرية الفعل الكلامي[1].

لذلك يرى **فان ديك** أن أفعال الكلام غرض رئيسي للتداولية، وفي حال تكلمنا فإننا ننجز شيئا ما،كما يرى بأن الأمر أكبر من مجرد المتكلم، إذ أن استعمال اللغة ليس إنجاز فعل مخصص فقط، وإنما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي[2].

يعد الاستفهام أحد الأساليب الإنشائية التي تدخل باب علم المعاني، وهذا الأسلوب يخرج عن معناه الأصلي إلى معان سياقية مختلفة، كما يجعل ثراءه الدلالي واضحا، وبذلك يتم فهم دلالته على عدة اعتبارات تدخل جميعا تحت مصطلح السياق، سواء كان لغويا أم مقاميا، أو حتى لفظيا، من حيث البناء اللغوي بمستوياته الصوتية والصرفية والتركيبية، لا سيما طريقة نطق الجمل، وظواهر التطريز الصوتي، المصاحبة لهذا النطق،ومنها النبر،التنغيم، الفواصل الصوتية...[3]

أضف إلى ذلك دور السياق المقامي، وكذا الظروف المحيطة بأسلوب الاستفهام والتي تتصل بالأسلوب وتساعد على فهمه، وبذلك نقارب هذا الأسلوب تداوليا من خلال:

-معرفة طريقة النظم ، أو الصياغة التي صيغ بها أسلوب الاستفهام.

-الإلمام الشامل بالسياق الكلي للاستفهام: أي سياق الحديث وعلاقة الرسول – صلى الله عليه وسلم- بالمسؤول، وطريقة نطقه –صلى الله عليه وسلم – للاستفهام، الظروف والملابسات التي ألقي فيها أسلوب الاستفهام.

-الوقوف على مكانة النص باعتباره نصا مقدسا بعد القرآن الكريم، وباعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي..، فكيف كان الاستفهام النبوي؟ كيف وظف الإسلام لتأدية ما أريد التعبير عنه من معان ودلالات؟ وما الأغراض المتوخاة من وراء الاستفهام؟

---

[1] محمود أحمد نحلة ، آفاق البحث اللغوي ، ص:54.

[2] فان ديك، النص والسياق، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحري القاهرة .مصر ط1،2001 ص:277.

[3] حبلص محمد يوسف، البحث الدلالي عند الأصوليين، عالم الكتب، القاهرة، ط01،1991ص:31.

-ما القوى الإنجازية المختلفة في أسلوب الاستفهام؟ وما المواطن التي كان فيها الاستفهام مباشرا، وما المواطن التي خرج فيها الاستفهام إلى قوة إنجازية مستلزمة مقاميا؟.

1- الاستفهام الحقيقي:

وهو الاستفهام الذي يقصد به طلب معرفة أمر تجهله، كما عبر ذلك (ابن فارس): إن الاستفهام نوعان: الأول قائم على الأصل اللغوي، وهو الاستفهام الحقيقي ، والذي يكون ظاهره موافقا لباطنه، كسؤالنا عما لا نعلمه، فنقول ما عندك؟ وما رأيت؟، والثاني الاستفهام المجازي، وأشار إلى خروجه عن الأصل اللغوي إلى معان مجازية، وهذه المعاني كثيرة أطال في استقصائها حتى أوصلها إلى خمسة عشر معنى[1].

ومن أمثلة الاستفهام الحقيقي الحديث الذي روي عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبَيْنَ النَّاسِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنِ الْوَفْدُ؟ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ؟**) ، قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: (**مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا النَّدَامَى**) ، قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، قَالَ: «**أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ**» ، وقَالَ: (**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟**) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ**) ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ – قَالَ شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ – النَّقِيرِ، **قَالَ** شُعْبَةُ: وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُقَيَّرِ، وَقَالَ: (**احْفَظُوهُ، وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ**) **وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ**: «**مَنْ وَرَاءَكُمْ**) ، وَلَيْسَ فِي رِوَايَتِهِ الْمُقَيَّرُ.[2].

الحديث أورده مسلم في باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله- صلى الله عليه وسلم- وشرائع الدين والدعاء إليه ، والسؤال عنه ، وتبليغه من لم يبلغه . تعليم الوفد القادم من حي ربيعة يسألون رسول الله —صلى الله عليه وسلم – عن أمور دينهم ودنياهم، تضمن لهم دخول الجنة ، ويجيرون أقوامهم إذا رجعوا إليهم.

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص:289.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ،المجلد 1 .رقم: 17 ص:47.

يظهر الفعل الكلامي في الاستفهام : من الوفد؟ من القوم؟، بدلالة الحرف من .

الفعل الدلالي: المتكون من القضية التي جاء من أجلها الوفد لمساءلة النبي– صلى الله عليه وسلم – جعله يستفهم لعدم علمه بهم.

الفعل الإنجازي: يتمثل في جملة الاستفهام، من الوفد؟ والتي تتكون حمولته الدلالية من:

–قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام (السؤال) بوجود الأداة من + (التنغيم) +؟.

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الاستفسار، لأن الرسول–صلى اله عليه وسلم – لا يعلم حقيقة الوفد، وبذلك يستفسر عنه ، ولعل الاستفسار هو الذي كان سببا في شرح مراد أسئلة الوفد فيما بعد (يراجع تتمة الحديث)، والذي وضح من خلاله الرسول–صلى الله عليه وسلم – ما يجب القيام به، وما يجب تركه، ليظهر فعل إنجازي آخر في قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا من المغنم الخمس. (تتمة الحديث).

فيكون الفعل الكلامي: هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ متكونا من:

فعل دلالي: يتمثل في القضية التي يريدها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من وراء تحديد الأوامر، والنواهي التي تحتم دخول الجنة.

فعل إنجازي: يتكون من الجملة الاستفهامية: لوجود الأداة: الهمزة+ جملة الاستفهام، والتي تتكون من:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام أتدرون؟.

قوة إنجازية مستلزمة: المتمثلة في الاستفسار المصاحب بعنصر التشويق الذي رسم من خلاله_رسول الله –صلى الله عليه وسلم – معالم سؤاله، وحثهم على الاحتفاظ بأوامره ونواهيه، وختم بها حديثه (أحفظوهن، وأخبروا بهن من ورائكم...).

فنلاحظ من خلال النموذجين تطابق القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة في الاستفهام مع القوة الإنجازية المستلزمة الاستفسار، لأن السياق يقضي التطلع إلى معرفة المجهول والرغبة فيه، علما أن الفعل الإسنادي للنموذج الأول يتكون من الجملة الاسمية مبتدأ وخبر من الوفد: خبر مقدم (اسم الاستفهام، ومبتدأ مؤخر معرفة) أما الثاني فصدر بحرف الاستفهام هل لا محل لها من الإعراب هل تدرون...، بعدها مضارع يفيد التجدد، مرفوع بثبوت النون.. وموضوعه (فاعله) واو الجماعة التي يقصد بها رسول الله –صلى الله عليه مسلم – القوم الوافدين.

وما يميز أسلوب الاستفهام هو قدرته العالية على تنبيه النفس ، وإثارة الذهن واستمالة المخاطب للنظر والتدبر والتأمل، ولعل منشأ ذلك أن الاستفهام أصلا يصدر عن نفس ثائرة راغبة حريصة في طلب الفهم والمعرفة، فيخرج الاستفهام، ليثير الوجدان وينبه الأذهان، فهو يهيئ النفس لتتلقي من السياق ما يجيش به من خواطر ومشاعر وصور هي التي جاشت في نفس ملقيه...[1]

2 – خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان إنشائية :

قد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معان إنشائية ، أو إلى أفعال كلامية إنجازية متضمنة في القول بتعبير التداوليين .ومن ذلك خروجه إلى النهي ، والأمر ، والتمني ، والتعجب ، وهذا ما سنراه من خلال النظر في بعض النماذج من الخطاب النبوي الشريف .

1 – خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى النهي:

ومنه الحديث الذي روي عن جابر بن سمرة، قال: صلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكنّا إذا سلّمنا قلنا بأيدينا: السّلام عليكم، السّلام عليكم، فنظر إلينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: (**مَا شَأْنُكُمْ تُشِيرُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيَلْتَفِتْ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَا يُومِئْ بِيَدِهِ**)[2].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو النهي عن الإشارة باليد ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (ما شأنكم تشيرون بأيديكم كأنها أذناب خيل شُمس؟ إذا سلم أحدكم فليلتفت إلى صاحبه ، ولا يومىء بيده) وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (ما شأنكم تشيرون بأيديكم كأنها أذناب خيل شُمس؟) في : قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : النهي عن الإشارة باليد.

عن أبي هريرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:(**أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ**)[3].

[1] محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2،1408هـ،ص:244،بتصرف.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الصلاة ،المجلد 1.رقم : 431 ص : 323.

[3] المصدر نفسه ،كتاب السلام ،المجلد4 . رقم : 2241 ص : 1759 .

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو النهي عن قتل النمل ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (أفي أن قرصَتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟) ، وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (أفي أن قرصَتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : النهي عن قتل النمل .

2 – خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التمني :

عن النعمان بن بشير قال: انطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله اشهد أني قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالي فقال: (**أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ**) . **قَالَ لاَ . قَالَ (فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِى – ثُمَّ قَالَ – أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِى الْبِرِّ سَوَاءً**) . **قَالَ بَلَى . قَالَ (فَلاَ إِذاً)**[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر ، وهو التمني أن يكونوا إليه في البر سواء ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم :(أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟) وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : التمني .

3 – خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الأمر:

ومنه الحديث الذي روي عن جابر يقول: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ**)[2].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر، وهو الأمر بقتل كعب بن الأشرف ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (من لكعب بن الأشرف ؟، فإنه قد آذى الله ورسوله وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (من لكعب بن الأشرف ؟) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : الأمر.

[1] المصدر السابق ،كتاب الهبات ،المجلد .3 رقم 1623 ص : 1244.

[2] المصدر نفسه ،كتاب الجهاد والسير، المجلد .3 رقم : 1801 ص : 1425.

4 – خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التعجب :

ومنه الحديث الذي روي عن عائشة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خرج من عندها ليلا قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: (**مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ**)[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو التعجب من غيرة عائشة وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (مالك يا عائشة أغرت ؟) ، وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (مالك يا عائشة أغرت ؟) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : التعجب

3–خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية :

قد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية تفهم من سياق الكلام كخروجه إلى التقرير والنفي ، والإنكار ، والتشويق والكراهة ... وغيرها . ولعل السبب في خروج الاستفهام عن الأصل في أحاديث المصطفى –صلى الله عليه وسلم – يرجع إلى أن: الاستفهام أكثر أساليب الكلام تعبيرا عن المعاني في المواقف والمواطن التي يراد بها التأثير في الناس، وتهييج مشاعرهم، وإلهاب أحاسيسهم، وحملهم على التزام أحكام الله، وردعا لهم عن الوقوع في محارمه، ولذلك كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يستعمل الاستفهام ليمكن في نفوسهم المعاني التي يريدها من وراء دعوته للناس.

ا – خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التقرير:

يدخل التقرير في طلب الإقرار بمضمون الكلام وحمل المخاطب على الاعتراف بأمر قد استقر عنده، حتى لكأن مضمون الكلام المراد تقريره أصبح عند المخاطب مستقرا ثابتا، فتقرير الإنسان الشيء: جعله في قراره، وقررت عنده الخبر حتى استقر، ويقال: أقررت الكلام لفلان إقرارا، أي بينته حتى عرفه...[2]، وأصل مادة قرر دائر على دلالة الاستقرار، فنقول: قرره واقره في مكانه فاستقر[3]. ومنه أخذ معنى التقرير، فهو طلب السائل من المسؤول أن يقر بثبوت أو نفي مضمون الاستفهام، ويعترف بها اعترافا مستقرا، يشبه استقرار الماء في الأرض، بحيث لا يتأتى للسامع أو المسؤول بعد الإنكار، لك عرفه أهل البلاغة بأنه: استفهام غايته حمل السامع على الإقرار[4]، والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه.

---

[1] المصدر السابق، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، المجلد 4 .رقم :2815 ص : 2168 .

[2] ابن منظور أحمد بن مكرم: لسان العرب، مادة (ق.ر.ر) .

[3] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[4] الزناد الأزهر، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، ط،1992، ص:112.

ويمكن لنا أن نمثل لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى التقرير بالخطاب النبوي الآتي :

عن أنس بن مالك أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال (**أَلَيْسَ الَّذِى أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِى الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1].

هذا الخطاب النبوي الشريف إجابة عما استفسر عنه الرجل و المتمثل في حشر الكافر على وجهه يوم القيامة فأجابه النبي- صلى الله عليه وسلم - مقرا بقدرة الله - عز وجل- المطلقة بقوله : الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ، اشتمل على :

فعل إنجازي: يتمثل في جملة الاستفهام المصدرة بهمزة الاستفهام الداخلة على النفي (ليس) والتي تتكون حمولتها الدلالية من:

-قوة إنجازية حرفية: يمثلها الاستفهام: أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا ؟ ....

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في التقرير، المتوخى من مراد الاستفهام بطريقة غير مباشرة،

ومنه الحديث الذي روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**)[2].

وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحابتم؟) في:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام (أولا أدلكم ....) .

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في غرض التقرير المستفاد من المقام .وهو الفعل المتضمن في القول .

ومنه الحديث الذي روي عن أبي هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَلَمْ تَرَوُا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ؟**) **قَالُ**وا: بَلَى، قَالَ: (**فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ**)[3].

وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره؟) في:

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام ألم تروا الإنسان .. ....

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في غرض التقرير المستفاد من المقام .وهو الفعل المتضمن في القول .

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب صفة القيامة والجنة والنار، المجلد 4 رقم : 2806 ص : 2161 .

[2] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان ،ج 1 رقم : 54 ص: 74 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب الجنائز، المجلد 2 رقم : 921 ص : 635 .

فكل التراكيب الإسنادية المصدرة بأداة الاستفهام الداخلة على النفي الواردة في الأحاديث السابقة تفيد التقرير الذي هو قوة إنجازية مستلزمة مقاميا .

ب- خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى النفي:

يدور مدلول كلمة النفي في معاجم اللغة كثيرا حول الطرد والإبعاد، فتقول العرب: نفيت الرجل وغيره ، أنفيه نفيا: إذا طردته...ونفي الشيء نفيا: جحده، وفي الحديث: المدينة كالكير تنفي خبثها..أي تخرجه عنها.[1]

فكثيرا ما يخرج الاستفهام إلى النفي في الكلام النبوي لأن أسلوب الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تنكير، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير ورؤية من هذه المسألة بالنفي كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من النفي ابتداء...[2]، وشرط دلالة الاستفهام على النفي أن يصح حلول أداة النفي محل أداة الاستفهام.[3]

ومنه الحديث الذي روي عن أبي الدّرداء، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: (**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**) قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**)[4].

يحمل هذا الفعل الكلامي فعلا إنجازيا يتمثل في جملة الاستفهام: (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟) مصدّر بحرف الاستفهام الهمزة الداخلة على الفعل المضارع القابل للتجديد، والدال على نفي العجز عن قراءة ثلث القرآن في ليلة، والجواب المنتظر يكون بالنفي ، وهو البعد التداولي المقصود والمستلزم مقاميا . وبالتالي نجد حمولة الفعل الكلامي الدلالية تتكون من:

قوة إنجازية حرفية: استفهام الهمزة +يعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن +؟.

قوة إنجازية مستلزمة: وهي النفي، ويمكن أن نقدر وجه البلاغة في عدول الرسول-صلى الله عليه مسلم عن النفي الصريح الذي هو أسلوب خبري إلى أسلوب الاستفهام الإنشائي الطلبي أن نفي العجز عن قراءة ثلث القرآن في ليلة حقيقة لا تحتمل الصدق أو الكذب ، فهذا التعبير بالإنشاء أبلغ وأنفذ وأكثر تأثيرا في نفس المخاطب ،علما أن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة .

---

[1] ابن منظور، لسان العرب،مادة "ن ف ي".

[2] لاشين عبد الفتاح،المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، مصر، ط01،1976، ص:159.

[3] عرفة عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، ط02،1984ص:124.

[4] صحيح مسلم ,كتاب صلاة المسافرين وقصرها ,المجلد 1. رقم : 811 ص : 556 .

ج- خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التشويق:

قد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى التشويق لتحريك مشاعر المتلقي ، وتوجيهها نحو أمر محبوب يرغب فيه السائل بقصد استمالته نحو ما سيلقيه إليه بعد الاستفهام، لذلك عمد الرسول "ص" إلى استخدام "الحوار" والتحفيز والتشويق إلى ما بعده، في أسلوب: الاستفهام التشويقي، من خلال:

-أن يستفهم الرسول- صلى الله عليه وسلم - عن الشيء الذي لا يعرفه الصحابة تشويقا إلى معرفته والتساؤل عنه.

-أن يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم - الصحابة عن الشيء المعلوم دلالته عندهم، ليضيف إليه دلالة جديدة، وهي أولى من الدلالة المعهودة، ويشعر الصحابة رضوان الله عليهم أن النبي — صلى الله عليه وسلم -سيضيف شيئا، لذا تراهم يحترسون في الجواب.

-أن يستثير النبي - صلى الله عليه وسلم- رغبة الصحابة في التعلم والمعرفة حين يستفهم عن ترك إخبارهم بالعلم.

ومن الاستفهام التشويقي ما نلاحظه في الخطاب النبوي الشريف المتمثل في قوله صلى الله عليه وسلم : عن حارثة بن وهب أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم — قال: (**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ**). **قَالُوا بَلَى** . **قَالَ** (**كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ**)[1].

كثيرا ما ورد هذا النوع من الاستفهام في الحديث النبوي الشريف مصدرا بهمزة الاستفهام الداخلة على " لا "، التي تفيد التنبيه والتشويق والاستفتاح حسب المقام 'ألا أخبركم " المتضمن **فعلا دلاليا** يعكس معناه "**القضوي**" الإخبار بأهل الجنة ، وما هم فيه من سعادة أبدية ورضوان الله أكبر بأسلوب الاستفهام 'ألا أخبركم..."، وهو الفعل الكلامي الذي مهد إلى شوق المخاطبين عامتهم إلى معرفة أهل الجنة ، لتتكون **حمولته الدلالية** من:

-قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام: 'أ+لا+أخبركم+؟'.

-قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في التشويق الذي أراده الرسول'صلى الله عليه وسلم' من الاستفهام، و الذي انعكس في تلهفهم شوقا لمعرفة المراد منه، بدليل الإجابة بحرف الجواب، "بلى" رغبة منهم وشوقا لمعرفة ما أراده الرسول - صلى الله عليه وسلم - من سؤاله.

[1] صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،المجلد 4. رقم : 2853 .ص : 2190.

وقد آثر الرسول – صلى الله عليه وسلم– أسلوب الاستفهام للتعبير عن هذه المعاني بدلا من الخبر مثلا:(أهل الجنة كذا وكذا...) ،لأن مقام الإثارة والتشويق بلغ حده حين استولى الرسول – صلى الله عليه وسلم– على نفوس جميع سامعيه، كما أن الخبر قد لا تتحقق معه هذه الغاية، إضافة إلى أن صيغة الاستفهام فيها جذب للانتباه، فإذا اجتمع جذب الانتباه مع التشويق فقد بلغت الإثارة غايتها، وهذه هي الغاية من سؤاله – صلى الله عليه وسلم – .

ومنه الحديث الذي روي عن أبي سعيد الخدري أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ وَأَىُّ شَىْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِى فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً**)[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو : تشويق أهل الجنة إلى إعطائهم أفضل مما أعطاهم ، مما زاد تلهفهم شوقا لمعرفة الأفضل ، وهو إحلال الرضوان عليهم فلا يسخط عليهم بعده أبدا ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟" ، وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (ألا أعطيكم من ذلك) في : قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي تشويق أهل الجنة إلى إحلال رضوان الله عليهم ، ولا يسخط عليهم بعده أبدا ، وهو العطاء الأفضل .

خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الترغيب :

ومنه الحديث الذي روي عن أبي سعيد، وأبي هريرة، قالا: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**)[2].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو الترغيب في الاستغفار والتوبة ....بعد ذهاب ثلث الليل ، ونزول الله إلى السماء الدنيا ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله

[1] المصدر السابق ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،المجلد 4 .رقم : 2829 ص : 2176.

[2] المصدر نفسه ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،المجلد 1. رقم : 758 ص : 522.

صلى الله عليه وسلم : " هل من مستغفر ، هل من تائب، هل من سائل ، هل من داع حتى ينفجر الفجر؟" ، وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (هل من مستغفر ، هل من تائب، هل من سائل ، هل من داع حتى ينفجر الفجر؟) في : قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : الترغيب في الاستغفار .

خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الكراهة :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: (**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ – أَوْ – يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟**) قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: (**صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ، فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ**)[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو كراهة تأخير الصلاة عن وقتها وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : " كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها؟" ، وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها؟) في : قوة إنجازية حرفية تتمثل في الاستفهام: ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : كراهة تأخير الصلاة عن وقتها .

– خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الإنكـــار:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر عرفا أو شرعا...[2]، وجاء في اللسان: الاستنكار: استفهامك أمرا تنكره[3]. هذا الاستفهام كما يراه الجرجاني يكون ليتنبّه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب،... إمّا لأنه قد ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه،... وإمّا لأنه هم بأن يفعل ما لا يستحق فعله، فإذا رجوع تنبّه وعرف الخطأ، وإمّا لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله...[4]، والاستفهام الإنكاري يكون على أوجه:

الأول: إما أن يكون إنكارا للتوبيخ على أمر قد وقع في الماضي، أو في الحال أو خيف وقوعه في المستقبل.

---

[1] المصدر السابق ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، المجلد .1 رقم : 648 ص : 448 .

[2] عتيق عبد العزيز، في البلاغة العربية، ص:98.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مادة (نكر).

[4] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ،ص:85.

الثاني: إما أن يكون إنكارا للتكذيب:بمعنى 'لم يكن': أي أن المخاطب إن أدعى وقوع فيما مضى بمعنى لم يكن، أوتي بالاستفهام الإنكاري تكذيبا له في دعواه، وأما إنكار التكذيب في الحال أو المستقبل بمعنى لا يكون نحو قوله تعالى: ﴿**أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ**﴾[1]، بمعنى لا يكون الإلزام ويسمى هذا النوع : الإنكار التكذيبي[2].

ويسمى الإنكار التوبيخي إنكار الواقع، وذلك لأن الأفعال المنكرة واقعة، والمراد تقبيحها والتعجب منها، وتوبيخ فاعلها، لأنه لم يكن ينبغي أن يقع، ويسمى الإنكار التكذيبي إنكار الوقوع لأن الأفعال المنكرة غير واقعة، والمراد نفي وقوعها حتى لا يظن ظان أنها يمكن أن تقع...[3].

ومن مواطن الاستفهام الإنكاري أو قل: الإنكار التوبيخي ما روي عن صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ، فَقَالَ: تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: (**لِمَ قَتَلْتَهُ؟**) قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَقَتَلْتَهُ؟**) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**) **قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: (وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)** قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: (**كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[4].

---

[1] هود الآية :28.

[2] عتيق عبد العزيز،علم المعاني البيان البديع ،ص:100.

[3] قطبي الطاهر، بحوث في اللغة (الاستفهام البلاغي)،د،م، ج ابن عكنون ,الجزائر, جويلية 1994.ص:34.

[4] صحيح مسلم ,كتاب الإيمان .المجلد 1 .رقم 97 ص: 98.

ففي قوله – صلى الله عليه وسلم – : (أقتلته ؟) ينكر النبي – صلى الله عليه وسلم صنيع أسامة بن زيد حين قتل الرجل بعد نطقه بشهادة التوحيد ، وكم من لوم وعتاب في هذا حتى لا يجرؤ أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد ، وهذا هو المحمل التداولي من جهة الفعل الدلالي لأسلوب الاستفهام في مضمونه القضوي وتتكون حمولته الدلالية من:

–قوة إنجازية حرفية: تتمثل في أسلوب الاستفهام بفعل الإسناد العائد على أسامة، والمكون من الهمزة والفعل أقتلته (التاء فاعل)، والمفعول به (الهاء المتصلة به).

–قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الإنكار والتوبيخ: وهو الغرض الذي خرج إليه أسلوب الاستفهام لما فيه من زجر وإنكار على صنيع أسامة بن زيد على الإقدام على فعل ذلك[1]. ومنه يظهر عدم تطابق القوة الإنجازية الحرفية مع القوة المستلزمة مقاميا.

نموذج آخر من نماذج أحاديث المصطفى– صلى الله عليه وسلم – في إنكار صنيع بعض أفعال صحابته رضي الله عنهم كموقف إنكاره على أسامة صنيعه مع المرأة المخزومية التي سرقت، في الحديث الذي روي **عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ . فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ). فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَاخْتَطَبَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)**[2].

ينكر النبي – صلى الله عليه وسلم بنوع من التعجب على أسامة في موقف الشفاعة من أن يأتي هذا الأمر، وما لبث أسامة حتى التمس من الرسول – صلى الله عليه وسلم – على سبيل التوسل أن يستغفر له الله ، فالإنكار مستفاد من كون المطلوب الشفاعة فيه حدا من حدود الله ، هكذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم لا يقبل العذر والشفاعة ، إذا تعلق المر بحدود الله وهو الفعل الدلالي المتضمن للقضية التي ورد فيها أسلوب الاستفهام كفعل كلامي،أما الفعل الإنجازي فتشكل من :

[1] العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، ج12، ص:224.

[2] صحيح مسلم ،كتاب الحدود ،المجلد :رقم: 1688، ص:.1315.

قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الاستفهام: (أ+تشفع في حد...+؟) والمكونة من الهمزة للاستفهام، الداخلة على المضارع المرفوع القابل للتجديد.

قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل في الإنكار، حيث قال "ابن حجر" : وهو استفهام إنكاري توبيخي لأنه كان سبق له منع الشفاعة في الحد قبل ذلك..."[1]، وقد جاء الإنكار من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باعتباره تناول الأمر من جهة أنه حد من حدود الله المنصوص عليها، فلا يمكن التجاوز بطلب الشفاعة فيه؟ فشدد في إنكاره رغم العلاقة التي كانت بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأسامة، وهي علاقة "الحب"، فبين الحديث درجة الإنكار لأن المراد من استفهام الإنكار " أن يفيد موقفا هو للمتكلم من سامعه، يتمثل في أنه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام، وهذا الموقف على درجات أقصاها الإنكار أو التقريع، وأدناها العتاب واللوم، وما بينهما درجات يحددها السياق..."[2].

يبقى الاستفهام ثريا غنيا بالدلالات التي يخرج إليها وفق المقام والسياق ، وما يمليه كل واحد منهما ، جعلت من الخطاب النبوي يبتكر أساليب تواصلية فعالة ، حرص من خلالها الرسول صلى الله عليه وسلم على أن تتجاوب معها النفس البشرية بأبعادها المختلفة المجسدة في خطاب العقل مرة ، والنفس مرة أخرى ، شوقا وتطلعا ومرة أخرى استنتاجا وعتابا لوما وتقريعا وغيرها ، ووكلها تجعل من شأن أسلوب الاستفهام حلقة تواصلية بين المتكلم وسامعه تسعى إلى التأثير في النفس مع إقناعها .

[1] العسقلاني ابن حجر: فتح الباري، ج12، ص: 106.

[2] الزناد الأزهر، دروس في البلاغة العربية ص:115.

رابعا: النداء:

النداء هو : طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو .

وأدواته : الهمزة ، وأي ، ويا ، وا ، وآي ، وأيا ، وهيا ، و وا .الهمزة وأي لنداء القريب ، وغيرهما لنداء البعيد .قد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة وأي ، إشارة إلى قربه من القلب ، وحضوره في الذهن وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي ، إشارة إلى علو مرتبته ، أو انحطاط منزلته أو غفلته وشرود ذهنه ." يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من القرائن ، كالزجر والتحسر والإغراء"[1].

النداء تركيب طلبي يقصد به تنبيه المخاطب (المنادى)، ودعوته للإقبال على المتكلم لإبلاغه أمرا يريده بأدوات تسمى أدوات النداء .فالنداء فعل كلامي يعتبر مدخلا لأفعال كلامية أخرى هي الهدف المقصود مباشرة من تنبيه المنادى و دعوته للإقبال على الداعي،(لا يطلب لذاته إنما يطلب لتحقيق غرض آخر أو أغراض أخرى و عمل النداء من قبيل خاص فهو ممهد لسائر الأعمال اللغوية أو قل لسائر الأعمال اللغوية أو قل لسائر المعاني و المقاصد و ليس من قبيله[2]).

لذلك فالنداء ليس مقصودا لذاته ، بل هو لتنبيه المخاطب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له و منه ، تكون القوة الإنجازية للنداء هي التنبيه (أداة النداء + منادى) وطلب إقبال المدعو على الداعي ،أما القوة الإنجازية في جواب النداء فتكون أمرا أو نهيا أو صفا أو دعاء... و مثال ذلك الحديث الذي روي عن جابر بن عبد الله، قال: جاء سليك الغطفانيّ يوم الجمعة، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يخطب، فجلس، فقال له: (**يَا سُلَيْكُ قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا**).[3]

تتجلى أول صورة من صور النداء المكونة من : أداة النداء + المنادى المفرد + مضمون النداء .

هذا المضمون تنبيه لسليك بأن يقوم ويركع ركعتين ، ويتجوز فيهما يوم الجمعة ، والرسول – صلى الله عليه وسلم يخطب ، تتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي في:

–قوة إنجازية حرفية: تتمثل في النداء يا سليك .

–قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي : التنبيه.

---

[1] علي الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع . مكتبة النور الإسلامية ص: 176 ، 177 .

[2] محمد الشاوش أصول تحليل الخطاب المؤسسة العربية بيروت ط1 ، ص : 2001 ج 2 ، ص : 681 .

[3] صحيح مسلم ،كتاب الجمعة (الصلاة) المجلد 2 . رقم : 875 ص : 597

ومنه ما روي عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحد عن الدجال أكثر مما سألته عنه فقال لي: (**أي بُنَيَّ وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ**).[1]

وقد استعملت أداة النداء في نداء القريب جريا على الأصل. فالقوة الإنجازية الحرفية هي النداء (أي بني) ، والقوة الإنجازية المستلزمة هي التنبيه .

قد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي ، إشارة إلى علو مرتبته .

ومنه ما روي عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر، فقال: (**يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**).[2]

جاء النداء للإكبار والتبجيل وعلو منزلتها عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد نزلها منزلة البعيد فناداها بيا النداء الموضوعة لنداء البعيد ، وهي قريبة منه قربا حسيا ومعنويا ، إشارة إلى علو مرتبتها وسمو شأنها.

ومنه أيضا قوله – صلى الله عليه وسلم – : (**أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**).[3]

نزلها منزلة البعيد فناداها بيا النداء الموضوعة لنداء البعيد ، وهي قريبة منه قربا حسيا ومعنويا إشارة إلى علو مرتبتها وعظيم شأنها.

ومنه الحديث الذي روي عن معاذ بن جبل، قال: كنت ردف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليس بيني وبينه إلاّ مؤخرة الرّحل، فقال: (**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**)[4].

نزله منزلة البعيد فناداه بيا النداء الموضوعة لنداء البعيد وهو قريب منه قربا حسيا ومعنويا إشارة إلى علو مرتبته وعظيم شانه.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**)[5].

نزله منزلة البعيد فناداه بيا النداء الموضوعة لنداء البعيد ، وهو قريب منه قربا حسيا ومعنويا إشارة إلى علو مرتبته وعظيم شانه.

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب الآداب، المجلد رقم : 2152 ص : 1693.

[2] المصدر نفسه ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،المجلد رقم : 738 ص : .509 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب التوبة ،المجلد رقم : 2770 ص : 2129.

[4] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان، المجلد 1 رقم : 30 ص : 58.

[5] المصدر نفسه ، كتاب الإيمان، المجلد 1 رقم : 114 ص : 108.

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي ، إشارة إلى انحطاط منزلته .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (**يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا فَإِنِّ قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِىَ اللَّهُ حَقًّا**).[1]

نزلهم منزلة البعيد فناداهم بياء الموضوعة لنداء البعيد إشارة إلى انحطاط منزلتهم لبعد هم من قلب النبي صلى الله عليه وسلم بسبب شركهم وعداوتهم له .

أداة النداء غير ظاهرة + منادى (الله) + مضمون النداء .

هذا النموذج الذي كثيرا ما اقترن بصيغة النداء (اللهم)، والتي تشكل شيوعا كبيرا في الخطابات النبوية والتي حذف فيها الأداة مع لفظ الجلالة وذلك لشعور المنادى بقربه من المولى عز وجل، فتحذف الأداة في البنية السطحية للنداء، كما في الحديث النبوي الذي يرويه أبو هريرة أ ن النبي – صلى الله عليه وسلم – قنت بعد الركعة في صلاة شهرا إذا قال: سمع الله لمن حمده، يقول في قنوته:(**اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيد**).[2]

جاء النداء في هذا الحديث بأداة محذوفة في مقام دعوة النبي– صلى الله عليه وسلم – لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه، استعمل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم صيغة (اللهم): تضرعا وطلبا من الله عز وجل ليقبل مضمون ندائه، فمضمون النداء جملة طلبية أمرية تجسد فيها الأمر كقوة إنجازية حرفية، متمثلة في أفعاله الصريحة: انج بغرض الدعاء، لينجز هذا المضمون أفعالا كلامية هي:

–اللهم ـ نداء ــ للتعظيم والابتهال.

–انج الوليد ـ أمر ــ الدعاء.

وقد جاء مضمون النداء جملة طلبية أمرية، تجسد فيها الأمر كقوة إنجازية حرفية بصيغة (افعل)، لكن قوتها الإنجازية المستلزمة ولدها المقام، وهو مقام الدعاء والابتهال ليجازي الله ما قام به الصحابي في حياته، خدمة للرسول عليه الصلاة والسلام.

[1] المصدر السابق،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،المجلد رقم : 2873 ص : 2202.

[2] المصدر نفسه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة، المجلد 1 رقم: 675 ص : 466 .

خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية :

1 – خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى الإنكار:

يأتي النداء النبوي في مقام الإنكار والعتاب كما وجدناه في الأمر والنهي، إلا أن المصطفى– صلى الله عليه وسلم وظّف أداة واحدة هي " يا " لما فيها من قوة تنبيه المخاطب إلى خطئه، وإشعارا بأهمية الأمر المنكر من قبله –صلى الله عليه وسلم – ومن ذلك ما أنكره الرسول صلى الله عليه وسلم على صاحب الطعام المبلل في الحديث الذي روي عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرَ على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: (**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**) قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**)[1].

ورد في هذا الحديث الشريف فعل كلامي إنجازي ، وهو النداء المكون من أداة النداء مع المنادى المضاف إلى الطعام ، تتمثل حمولته الدلالية في:

–قوة إنجازية حرفية: هي النداء يا صاحب الطعام .

–قوة إنجازية مستلزمة: هي الإنكار

خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى المدح والثناء:

أورد الرسول صلى الله عليه وسلم في مواطن النداء، النداء بغرض المدح والثناء إبرازا للقيمة وإظهارا للشأن،ومن ذلك ما نلاحظه في هذا الحديث الشريف قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ...**)[2]

ورد في هذا الحديث الشريف فعل كلامي إنجازي ، وهو النداء المكون من أداة النداء مع المنادى المضاف إلى الأنصار تتمثل حمولته الدلالية في:

قوة إنجازية حرفية: هي : النداء. (يا معشر الأنصار).

قوة إنجازية مستلزمة: هي:مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته معشر الأنصار وثناؤه عليهم باعتبارهم نالوا شرف النصرة له .

[1] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، ج 1 رقم : 102 ص : 99.

[2] المصدر نفسه ،كتاب الجهاد والسير ،المجلد رقم : 1780 ص : 1405.

2 – خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى التحسر :

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (**تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**).[1]

ورد في هذا الحديث الشريف فعل كلامي إنجازي ، وهو النداء المكون من أداة النداء مع المنادى المضاف إلى الأنصار تتمثل حمولته الدلالية في:

قوة إنجازية حرفية: هي : النداء. يا إبراهيم .

قوة إنجازية مستلزمة: هي : التحسر على فقدان ابنه وفلذة كبده إبراهيم.

3 – خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى الإشفاق :

... فانطلقت أنا و أبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة. يا رسول الله نكون عندك: تذكرنا بالنار والجنة. حتى كأنا رأى عين. فإذا خرجنا من عندك،عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. نسينا كثيرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**) [2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو الإشفاق وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : " يا حنظلة ساعة وساعة ،وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (يا حنظلة ساعة وساعة) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في النداء ياحنظلة ، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي: الإشفاق على حنظلة ، وجواز ترك دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ، والمراقبة في بعض الأوقات ، والاشتغال بالدنيا .

4 – خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى الزجر :

قال رسول الله (صلى الله عليه ويسلم): (**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا**) .[3]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر، وهو الزجر فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : " يا حاطب ما هذا ؟ ،وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي

[1] المصدر السابق ،كتاب الفضائل، المجلد 4 رقم : 2315 ص : 1808.

[2] المصدر نفسه،كتاب التوبة ،المجلد 4 رقم : 2750 ص :2106.

[3] المصدر نفسه ،كتاب فضائل الصحابة، المجلد رقم : 2494 ص : 1941.

(يا حاطب ما هذا؟) في : قوة إنجازية حرفية هي : النداء ياحاطب ، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : الزجر.

5 – خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى النصح والإرشاد .

عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: (**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**)[1]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو النصح والإرشاد وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار. وتتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (: يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في النداء يا معشر النساء ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : النصح و الإرشاد لمعشر النساء بالتصدق والإكثار من الاستغفار، لأنه رآهن أكثر أهل النار .

ومنه أيضا الحديث الذي روي عن عائشة، أَنَها قالت: كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم حصير، وكان يحجّره من اللّيل فيصلّي فيه، فجعل النَاس يصلّون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة، فقال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ**).[2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو النصح والإرشاد للناس المقصودين بالنداء بالملازمة من الأعمال قدر الطاقة والمستطاع ، وأن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا و إن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه و إن قل"، تتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في النداء يا أيها الناس ، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : النصح والإرشاد .

[1] المصدر السابق ،كتاب الإيمان ،المجلد 1 رقم : 79 ص : 86.

[2] المصدر نفسه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،المجلد رقم : 782 ص : 540.

6 – خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى الكراهة :

ومنه الحديث الذي روي عن أبي ذر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:(**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**)[1].

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو الكراهة وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذر إني أراك ضعيفا و إني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين و لا تولين مال يتيم." تتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (يا أبا ذر إني أراك ضعيفا .) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في النداء يا أبا ذر، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي :كراهة الإمارة له لغير ضرورة إشفاقا عليه ورحمة به .

وقد يخرج النداء إلى أغراض إنشائية أخرى تستفاد من السياق ومن ذلك :

1 – **خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى النهي .**

ومنه الحديث الذي روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم :(**يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَائْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ**).[2]

ففي هذا الخطاب النبوي الشريف فعل كلامي غير مباشر وهو النهي ، وهو فعل متضمن في القول وارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها.) ، تتمثل الحمولة الدلالية لهذا الفعل الكلامي الإنجازي (يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة ....) في: قوة إنجازية حرفية تتمثل في النداء يا عبد الرحمن ، ووراء هذه القوة الإنجازية الحرفية قوة إنجازية مدركة مستلزمة مقاميا هي : النهي عن مسألة الإمارة ؛ لأنه إن أعطيها عن مسألة وكل إليها .

نخلص أخيرا إلى أن أسلوب النداء واحد من الأساليب الطلبية التي وردت في البيان النبوي ، وتراوحت صورته الإنجازية بين الإنجازية الحرفية بغرض لفت الانتباه، وبين الإنجازية المستلزمة التي ولدها السياق والمقام، وخرج فيها النداء عن معناه الأصلي إلى معاني أخرى.

---

[1] المصدر السابق ،كتاب الإمارة ،المجلد 3 رقم : 1826 ص ص : 1457، 1458 .

[2] المصدر نفسه ،كتاب الإمارة ،المجلد : 3 رقم : 1652 ص : 1273.

-بالنظر لمحتوى جملة النداء: يتراوح مضمونها بين الجمل الخبرية تقريرا ووصفا وتأكيدا، وبين الجملة الطلبية استفهاما، نداء نهيا، أمرا.... وتختلف أغراضها من جملة إلى أخرى حسب السياق وطبيعة الخطاب.

-طبيعة المنادى كانت حسب حال المخاطب، فربما نادى بالاسم، وربما بالكنية، وربما نادى بالصفة فكان في نداء أقربائه وأصحابه يستخدم الاسم مثل: يا فاطمة يا معاذ في مواقف التخاطب العادي، وهو العرف الشائع في خطابه –عليه الصلاة والسلام– إلى هؤلاء.قد يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه العادة باستخدام الاسم الكامل، يا معاذ بن جبل.أو الاسم يا عبد الرحمن ، يا حاطب....إذا اقتضى المقام إلى ذلك.

والخلاصة : أن هذه جملة من الخصائص التركيبية للأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف كشف عنها البحث في هذا الفصل تعلقت بالخبر والإنشاء أو الخبريات والطلبيات بتعبير التداوليين. تمثلت في قسم الخبريات في

- جريان الخبر على مقتضى الظاهر كإلقاء الخبر من غير توكيد على المخاطب خالي الذهن من الحكم . وإلقاء الخبر مؤكدا استحسانا على المخاطب المتردد .وإلقاء الخبر مؤكدا وجوبا بأكثر من مؤكد على المخاطب المنكر) .
- جريان الخبر على خلاف مقتضى الظاهر كتنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر. وجعل غير المنكر كالمنكر لظهر أمارات الإنكار عليه. وجعل المنكر كغير المنكر إن كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع عن إنكاره.
- خروج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية .(خروج الخبر إلى الترغيب. خروج الخبر إلى الترهيب
- خروج الخبر عن معناه الحقيقي إلى معان إنشائية. (خروج الخبر إلى الأمر.خروج الخبر إلى الدعاء. خروج الخبر إلى النهي.خروج الخبر إلى التمني .)

وتمثلت في قسم الطلبيات في :

- خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الإنشاء.(خروج الأمر إلى الدعاء.)
- خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية.(خروج الأمر إلى الاستحباب. خروج الأمر إلى الإباحة.خروج الأمر إلى التخيير .خروج الأمر إلى النصح والإرشاد . خروج الأمر إلى التعجيز. خروج الأمر إلى التأديب) .

- خروج النهي عن معناه الحقيقي إلى معان إنشائية. (خروج النهي من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية.خروج النهي إلى النصح والإرشاد . خروج النهي إلى الكراهة .خروج النهي إلى الإنكار.خروج النهي إلى النفي)

- خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان إنشائية. (خروج الاستفهام إلى النهي. خروج الاستفهام إلى التمني .خروج الاستفهام إلى التعجب .)

- خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية.(خروج الاستفهام إلى التقرير.خروج الاستفهام إلى النفي . خروج الاستفهام إلى التشويق .خروج الاستفهام إلى الترغيب .خروج الاستفهام إلى الكراهة خروج الاستفهام إلى الإنكار .

- خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى معان إنشائية.(خروج النداء إلى النهي .)

- خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى معان إخبارية.(خروج النداء إلى التعظيم .خروج النداء إلى الإنكار .خروج النداء إلى المدح والثناء .خروج النداء إلى التحسر .خروج النداء إلى الإشفاق . خروج النداء إلى الزجر. خروج النداء إلى النصح والإرشاد .خروج النداء إلى الكراهة.)

فكل هذه الأغراض البلاغية التي خرج إليها الخبر والإنشاء الناتجة عن ظروف إنتاج الخطاب في مقامات معينة ، وسياقات محددة ، هي مقاصد تداولية بتعبير التداوليين ، مما يسمح لنا بالقول : إن البلاغة العربية تتقاطع مع التداولية في كثير من النقاط إن لم نقل هي التداولية .

الفصل الرابع:

خصائص البنى التركيبية للحجاج في الخطاب النبوي الشريف

المبحث الأول: الحجج الجاهزة

المبحث الثاني: الحجج الاصطناعية

أولا : العدول الكمي بالزيادة داخل التركيب وأبعاده الحجاجية

1 – التوكيد بالأداة

2 – التوكيد بالصفة

3 – التوكيد بالبدل

4 – التوكيد بالعطف

5 – التوكيد بالمفعول المطلق

ثانيا : العدول الكمي بالنقصان داخل التركيب وأبعاده الحجاجية (الحذف)

ثالثا : العدول النوعي داخل التركيب وأبعاده الحجاجية

1– العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في جواب الشرط

2– العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الصورة البيانية :(التشبيه ، الاستعارة ، الكناية)

المبحث الأول:

الحجج الجاهزة

الحديث الشريف خطاب، وكونه خطابا ، يقتضي أنه إقناع وتأثير، فقد حدّ بنفنيست الخطاب بقوله:"الخطاب في أعم مفاهيمه.كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع"[1].ومما يثبت أنه خطاب كثرة مخاطباته ، والمخاطبون فيه نوعان على الأقل: نوع يذكر داخل نص الحديث وهذا بدوره قسمان : قسم مذكور معيّن باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعينه ، ويمثلون ما يمكن أن يسمى في اصطلاح الحجاج "الجمهور الخاص أو الضيق" . وقسم مذكور في الحديث لكنّه غير معيّن ولا محدد. فالمخاطبون ههنا ليسوا بأعيانهم. والصورة النحوية التي جعلت لهم هي ضمير المخاطب المفرد. عادة.

أما النوع الآخر من المخاطبين فواقع خارج نص الحديث غير مذكور فيه. ولكنه مع ذلك معني بخطاب الحديث . وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم. إنه بعبارة "الحجاجيين" "الجمهور الكوني" ، معنيا بالحجاج من خلال الجمهور الضيق أو الخاص[2].

والخطاب في ذلك كله أنواع فهو حسب الزركشي: " خطاب تهييج وإغضاب ، وتشجيع وتحريض ، وتنفير ، وتحبيب وتعجيز ، وتحسير وتكذيب ، وتشريف"[3] وغير ذلك.

وعلى هذا يكون الحديث منهج "إصلاح" بمعنى أنه يرمي إلى تغيير وضع قائم. فإذا كان ذلك كذلك كان الحديث حجاجا ولا مراء. إذ من تعريفات الحجاج ؛ أنّه "عمل غرضه دائما أن يغير وضعا قائما"[4].

يظهر من هذا كله مدى تهيؤ الحديث لكي يكون حجاجا في إقناع أصناف مخاطبيه. ولكن اعتبار معاني الحديث معاني حجاجية تترتب عليه مسألة مهمة جدا وهي: كيف يمكن تحديد هذه المعاني الحجاجية ؟ وبم ينبغي للمرء أن يستعين حتى يتمكن من الوقوع على هذه المعاني؟ وبتعبير آخر نقول: كيف يمكن توجيه معاني الحديث توجيها حجاجيا ؟ .

والظاهر أن لغة الخطاب تكون، بداهة، ذات بعد حجاجي. ولكن من شأن كل خطاب خصوصا إذا كان خطابا فنيا، أن تحمل الحجاج فيه خصائص تركيبية تسمه بسمات خاصة وتطبعه بطابع مميز لا يكاد يشاركه فيه غيره. إنّ تلك الخصائص هي التي نروم ضبطها لنتبين وجوه الحجاج فيها.

---

[1] Emile Benveniste : Problèmes de linguistique générale 1. Editions Gallimard 1966 :p246.

[2] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ، ص : 45

[3] الزركشي: بدر الدين البرهان في علوم القرآن ج2 ص ص 217 ، 253.

[4] Perelman (Chaïm) et tyteca : Traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique. Editions de l'université de Bruxelles 5em édition 1992 op cit ; p73.

الحجج الجاهزة أو حجج السلطة :

فالحجج الجاهزة حسب محمد العمري تكتسب قوتها من مصدرها ، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها [1]، وإذا كان الشاهد سلطة تحظى بنفوذ ومصداقية ، فالقرآن الكريم أعلى ، وأكبر وسائل الاستشهاد في الثقافة العربية الإسلامية ، وهذا التفوق الدرجي يجعل منه "الحجة العليا " بتعبير طه عبد الرحمن مما يجعل الفعل الحجي الذي يتم به أكثر إقناعا.

وإذا كان ببرلمان ينتهي إلى أن الاستشهاد يمنح المصداقية [2] .فإن الشاهد القرآني يتجاوز ذلك ليمنح الرأي الخاص صبغة الإجماع العام أو النهائي ، فالإحالة إلى القول الإلهي تقطع الشك باليقين وتمنح الإقرارات صفة الجزمية ، والاقتباس من القران الكريم يفتح الطريق سالكا نحو الإفحام.

وهكذا كان الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– يحرص على تعليم أمته أمر دينها الحنيف، وتعاليم شريعتها السمحة بالحجة القوية والدليل القاطع ، والبرهان الساطع في غير إكراه ولا إجبار.ويظهر هذا في قوله — صلى الله عليه وسلم ؛ عن أنس، قال: ابن مالك، أنّ رسول الله صلّى الله **قال** : **(إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ غَفَلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا)** ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ:﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيَ**﴾[3]][4].

هذا الحديث خطاب نبوي شريف موجه إلى كل مسلم مكلّف شرعا ، بيّن النبي – صلى الله عليه وسلم – من خلاله حكما فقهيا في باب قضاء الصلاة الفائتة ، واستحباب تعجيل قضائها فور تذكرها مفصحا بوجوب قضاء الفريضة الفائتة سواء تركها بعذر كنوم وغفلة نسيان أم بغير عذر، وإنما قيد في الحديث بالنسيان لخروجه على السبب ؛ لأنه إذا وجب القضاء على المعذور فغيره أولى بالوجوب ، وهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (فليصلها إذا ذكرها) فمحمول على الاستحباب ؛ فإنه يجوز تأخير قضاء الفائتة بعذر على الصحيح . [5]

---

[1] محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا ، ص: 90.

[2] Chaïm perlemenan l emprie rhétorique et argumentation op cit p 121.

[3] طه . الآية :14.

[4] صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة المجلد 1 رقم: 684، ص: 477.

[5] صحيح مسلم، بشرح النووي للإمام أبي زكريا (ت 631 676 هـ) اعتنى به محمد عيادي بن عبد الحميد مكتبة الصفا القاهرة ط 1 ج5 ص :.154

ولما كان النسيان والغفلة أمرين يتكرر وقوعهما بكثرة جاء التركيب الإسنادي الفعلي موسوما بالشرط مستعملا فيه إذا الظرفية الشرطية ، الذي يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه ؛ ولأنها تستعمل في الأمور المحققة التي يكثر حصولها ، جاء بعدها الفعل الماضي لكونه أدل على الوقوع باعتبار لفظه . وجملة جواب الشرط مقيدة (فليصلها) مرتبطة بالفاء الواقعة في جواب شرط غير جازم جاء بصيغة أمر مكونة من لام الأمر الجازمة للفعل المستقبل لمأمور الغائب وهو حالها ههنا ، فالأمر النبوي موجه إلى غائب على وجه الإلزام والوجوب ؛ أي وجوب قضاء الفائتة إذا ذكرها الناسي أو الغافل بغير عذر، وذكر المسند إليه أحدكم للإيضاح والتقرير، وتعريفه بالإضمار لتمام الفائدة .

ثم يؤكد الرسول– صلى الله عليه وسلم – كلامه السابق بشأن قضاء الصلاة الفائتة ،واستحباب تعجيل قضائها بحجة جاهزة ، تمثلت في الشاهد القرآني:(أقم الصلاة لذكري) وقد وضعه في الموضع المناسب ، ووظفه بحسب ما يقتضيه السياق والمقام .

وهذه الحجة الجاهزة يمكن تصنيفها في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية ، فهي ليست من إنتاج المخاطب بقدر ما هي منقولة على لسانه ، ونقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية، وبهذا فهي الأقدس والأعلى درجة مما يجعلها في قمة السلم الحجاجي ،كما تسهم هذه الآلية في رفع ذات المخاطب إلى درجة أعلى ، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب ؛عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله ،عندها يتبوأ المخاطب بخطابه مكانة عليا ، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه فقط ، وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المخاطب وراءه .

وروي عن أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها :(**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ . الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**)[1] ، قالت :بلى يا رسول الله فانتهرها ، فقالت حفصة : ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾[2].فقال النبي صلى الله عليه وسلم:قد قال الله عز وجل : ﴿**ثُم نُنَجِّي ٱلذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً**﴾[3]

قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها). تركيب إسنادي فعلي سيق لإفادة المخاطب بحكم الخبر على وجه العموم من غير تأكيده له ؛

[1] صحيح مسلم، كتاب فضاءل الصحابة المجلد 4 رقم : 2496 : ص 1942.

[2] مريم الآية : 71 .

[3] مريم الآية: 72 .

لأن المخاطب خالي الذهن منه فهو يجهله ، فيه نفي قاطع دخول النار من أصحاب الشجرة من الذين بايعوا تحتها . قال العلماء : معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا ، صرح به في الحديث عن أبي الزبير عن جابر؛ أن عبدا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله :(كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرا والحديبية .) وإنما قال : إن شاء الله للتبرك ، لا للشك.

وأما قول حفصة بلى، وانتهار النبي – صلى الله عليه وسلم – لها ، فقالت : (وإن منكم إلا واردها) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقد قال:(ثم ننجي الذين اتقوا) فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد ، وهو مقصود حفصة ، لا أنها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم ، والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط ، وهو جسر منصوب على جهنم ، فيقع فيها أهلها ، وينجو الآخرون الذين اتقوا.

فجاء النبي صلى الله عليه بالشاهد القرآني في هذه المحاورة التي جرت بينه وبين حفصة رضي الله عنها في شأن عدم دخول النار من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها لتكون حجته الأقوى والأقنع.

كما يظهر هذا الاحتجاج بالقرآن الكريم أيضا في باب صلة الرحم ، وتحريم قطيعتها وتعظيم شأنها، وفضيلة واصليها، وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم لكون صلتها واجبة وقطيعتها معصية كبيرة .

عن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ . قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى . قَالَ فَذَاكَ لَكِ**) .ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (**اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** [1] ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾[2] .

قوله صلى الله عيه وسلم: (قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة؟ ، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك) وفي رواية أخرى: (الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله) قال القاضي عياض: الرحم التي

[1] صحيح مسلم، البر والصلة والآداب المجلد 4 رقم: 2554 ص: 1981.

[2] محمد الآية : 24.

توصل وتقطع وتبر، إنما هي معنى من المعاني، ليست بجسم، وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة، ويتصل بعضه ببعض، فسمي ذلك الاتصال رحما.

والمعنى لا يأتي منه القيام ولا الكلام،فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل، وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك، والمراد: تعظيم شأنها، وفضيلة واصليها، وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم، لهذا سمي العقوق قطعا، والعق والشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل. قال: ويجوز أن يكون المراد قام ملك من الملائكة وتعلق بالعرش ، وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله تعالى. هذا كلام القاضي.

و(العائذ) : المستعيذ، وهو المعتصم بالشيء الملتجئ إليه المستجير به. قال العلماء: وحقيقة الصلة العطف والرحمة، فصلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم، ورحمته إياهم، وعطفه بإحسانه ونعمه، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى، وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته. قال القاضي عياض: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة. قال: والأحاديث في الباب تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات، بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة لم يصل غايتها لا يسمى قطعا، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلا. قال: اختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها، فقيل: هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما. فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه، وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال. وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث، يستوي المحرم وغيره، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم أدناك أدناك). هذا كلام القاضي. وهذا القول الثاني هو الصواب، ومما يدل عليه الحديث السابق في أهل مصر: (فإن لهم ذمة ورحما) وحديث (إن أبر البر أن يصل أهل ود أبيه) مع أنه لا محرمية. والله أعلم.[1]

وفي باب صفة القيامة والجنة والنار يأتي الحديث الشريف الذي روي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إِنَّهُ لَيَأْتِى الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**

[1] صحيح مسلم بشرح النووي (ت 676هـ)ج 16 ص : 108 .

اقْرَءُوا [1] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[2].

يدعم – صلى الله عليه وسلم – قوله بشاهد قرآني يستدل به لتكون البينة أكثر إقناعا ، والدليل أقوى إفحاما .بعد تأكيده الخبر بأكثر من مؤكد لإزالة حيرة المخاطب الذي هو كالمنكر له حتى لا يبقى أدنى شك في ذهنه ، فيخضع ويقتنع.بقوله : إنه ليأتي الرجل بتعريف المسند إليه وتوضيحه بأكثر من صفة بالعظمة والسمنة وهما صفتان حسيتان تصوران حقيقة هذا الرجل وحضوره في ذهن المخاطب ، لكنه مع ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة إشارة إلى حقارته وحبوط عمله ، فلا يقام له يوم القيامة وزنا وتقديم الظرف (عند) المضاف إلى لفظ الجلالة الله على المفعول به جناح بعوضة يفيد مقاميا وتداوليا التخصيص.ومن كان صغيرا وحقيرا عند الله فذاك هو الخسران المبين . والفعل حبطت الوارد في سياق الآية الكريمة السالفة الذكر بمعنى فسدت أعمالهم فبطلت وهو من الحبط وهو داء ترم له أجواف الإبل ، فيكون سبب هلاكها وانقطاع أكلها كما يقول الشريف الرضي في تلخيص البيان [3] واعتماد القرآن لهذه المادة التصويرية التي مدارها على الإبل من شأنه أن يجعل المعنى أقرب مأخذا وأيسر نفاذا إلى عقول المتلقين الأول وإلى قلوبهم .لأن للعرب معرفة دقيقة بالإبل وأحوالها حصلت لهم من كثرة معاشرتهم لها ، واعتمادهم عليها .مما قرب هذا الشاهد القرآني الصورة أكثر فكانت بائنة بينونة كبرى.

وفي باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم نجد الحديث الذي روي عن أبي سعيد الخدري ،وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال[4]: (**يُنَادِى مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَداً وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَداً وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَداً وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْتَئِسُوا أَبَداً**) . **فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[5]

[1] صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم المجلد 4 رقم: 2785 ص :2147

[2] الكهف . الآية

[3] الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية ط1 1955 ص: 122.

[4] صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها المجلد 4 رقم: 2837 ص: 2182.

[5] الأعراف الآية: 43 .

يأتي الشاهد القرآني ليمنح الخطاب النبوي قوة الإقناع بالسعادة الأبدية التي ينعم بها أهل الجنة في الجنة ممن أدركنهم رحمة الله ، وهدوا إلى الصراط المستقيم ، ورزقوا التوفيق ، ونالوا الجائزة بالفوز حيث الصحة الموفورة ولا سقم ، والحياة الحق ولا موت ، والنعيم الشامل الدائم ولا يأس بما كانوا يعملون .

ونخلص إلى أن للحجة الجاهزة (حجة السلطة ، الشاهد ، الدليل) لها طاقة حجاجية كبيرة تكتسب قوتها من مصدرها ومصداقية الناس عليها ، وخاصة إذا كانت من القرآن الكريم كما أن لها القدرة على توجيه المخاطب نحو النتيجة ، ولا يملك إلا أن يقتنع .ولا اعتراض . ولما كانت بهذه القيمة الحجاجية فقد استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطابه الشريف مراعاة لمقتضى الحال والمقام.

المبحث الثاني:

الحجج الاصطناعية

أولا : العدول الكمي بالزيادة داخل التركيب وأبعاده الحجاجية

1 . التوكيد بالأداة:

الجملة الاسمية الخالية من أدوات التوكيد تفيد نحويا معنى في ذاتها بغض النظر عن استعمالاتها المتنوعة المرتبطة بالمقامات المختلفة لم تتوخ فيها زيادة ولا نقصان بالنسبة إلى صورتها الخبرية الابتدائية ، فإذا زيدت بتأثير المقام أو لخلق مقام لفظ لإفادة معنى زائد على معناها الأصلي الذي لها في صورتها الخبرية الابتدائية تلك ،كان ذلك عدولا كميا بالزيادة ، وإذا أنقص منها بفعل المقام أو لصنع مقام أيضا لفظ لفائدة معنوية ما، كان ذلك عدولا كميا بالنقصان بتعبير عبد الله صولة [1].

ذلك لأن لألفاظ التوكيد الزائدة الداخلة على الجملة معاني اقتضاها المقام ، وأشعر دخولها على الجملة بوجود هذا المقام قال السيوطي: (وأهل الطباع يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه بإسقاطه)[2] فعدول الكلام بالزيادة علامة على مطابقة الكلام للمقام ، أو محاولة للتأثير في المقام بفضل ما تنتجه خصيصة العدول تلك من طاقة حجاجية [3]

إن الربط بين التوكيد والزيادة واعتبارهما يمثلان عدولا كميا من الأمور التي نجد صداها في كتب القدماء وقد جمع الزركشي بين التوكيد والزيادة عند تعريفه الزائد من الألفاظ الداخلة على الكلام بقوله : (هو ما أتي به لغرض التقوية والتوكيد)[4]

وإن كان غيره يرى أن الزيادة غير التوكيد لكنها منه بوجه بين ظاهر. قال ابن الزملكاني (ت 651هـ) في خاتمة درسه للتوكيد (ويعتنق بعنق هذا الفن نوع يسمى الزيادة ، والغرض منه تتميم المعنى كقول طرفة ابن العبد (الكامل) .

فَسَقَى دِيَارَكَ – غَيْرَ مُفْسِدِهَا– صَوْبُ الْرَّبِيعِ وَدِمْنَةُ تَهْمِي .

فقوله : – "غير مفسدها "– زيادة وهي عين القلادة وعمدة الإفادة)[5].

---

[1] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية السلسلة : لسانيات منشورات كلية الآداب بمنوبة . جامعة منوبة تونس. 2001 المجلد:13 ج1 ص:274 ، 275

[2] السيوطي ، جلال الدين معترك الأقران في إعجاز القرآن ،تحقيق علي محمد البجاوي دار الفكر العربي .د ت ج1 ص: 337 .

[3] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص ص 274 ، 275 .

[4] الزركشي، بدر الدين البرهان في علوم القرآن ،ج3 ص: 70 .

[5] الزملكاني كمال الدين بن عبد الكريم : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن تحقيق خديجة الحديثي ، وأحمد مطلوب . مطبعة العاني بغداد ص :237.

على أن التوكيد أو(الزيادة) بدخوله على الكلام يجعله مخرجا على غير الأصل ، ومعدولا به عن ذلك الأصل . قال الزركشي عن التوكيد : (إنه خلاف الأصل)[1].

ويعني بالأصل الجملة الاسمية العارية من أدوات التوكيد ؛ أي ذات الخبر الابتدائي .وخلافه الكلام المؤكد بألفاظ التوكيد المختلفة باعتباره عدولا عن الأصل يحمل في الوقت نفسه الأصل ، والخروج عن هذا الأصل .

إن اعتبار الزيادة والحذف خلاف الأصل يقتضي أنهما ظاهرتا عدول ، وهذا العدول إنما هو العدول عن أصل هو البناء التركيبي في مظهره الإخبار البسيط المجرد من ملابسات المقال والمقام ، وما يتولد عنهما من زيادة تدخل على أصل البناء أو من نقصان يصيبه [2]

فالجملة الاسمية غير المؤكدة حسب ترتيب عبد الله صولة تقع في الدرجة الصفر من الدلالة في سلم الدلالات التي تفيدها شبكة الجمل في حين تقع الجملة المؤكدة بإن في الدرجة الأولى من السلم ، وتقع الجملة المؤكدة بإن واللام وكذلك المؤكدة بإنما في الدرجة الثانية منه . أما الجملة المؤكدة بالقسم مع اللام أو القسم مع النفي والاستثناء فبالإمكان وضعها في الدرجة الثالثة من السلم [3].

وما إن تدخل عدولا كميا على الجملة الاسمية الأصل ذات الإسناد الخبري الابتدائي التي هي بمثابة الدرجة الصفر من التعبير كما يسميها عبد الله صولة بزيادتها عنصرا يفيد التوكيد حتى يحصل لنا عدول في مستوى المعنى ، ويتمثل هذا العدول (في ما أضيف إلى ذلك المعنى من معينمات هي من قبيل + دفع الشك ، أو + دفع الإنكار. وبديهي أن الذي أملى هذه الزيادات في اللفظ والمعنى إنما هو المقام أو ما يمكن أن نسميه بعبارة السكاكي "الاعتبارات الخطابية " فيكون الكلام بذلك مطابقا لمقتضى الحال وعلى هذا لا يصح أن نعتبر هذه الزيادات عدولا من جهة علاقتها بالمقام وإنما هي عدول بالقياس إلى. ما يمكن أن نصطلح عليه " بالجملة الصفر ")[4] على أن ما يؤكد مفهوم الزيادة عند الحديث عن التوكيد الداخل على الجملة الاسمية خاصة ما يذهب إليه القدماء من أن دخول " إن "على الجملة الاسمية يفيد تكرير هذه الجملة مرتين ، وإذا دخلت اللام على الخبر صارت ثلاث جمل [5] . ولما كانوا قد عدوا القسم

[1] الزركشي البرهان في علوم القرآن ج3 ص 385 .
[2] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيه ج 1.ص: 281 .
[3] المرجع نفسه ،ج1ص: 289 ، 290 .
[4] المرجع نفسه ، ج1 ص :291 . 292.
[5] الزركشي، البرهان ج 2 ص: 408 .

مما يجيء به المتكلم عند الحاجة إلى تأكيد كلامه بأكثر من إن مع لام الابتداء [1] .أمكن لنا أن نقول قياسا على ما سبق : إن إدخال القسم على إن مع اللام لهو بمثابة أن تتكرر جملة الخبر الابتدائي أربع مرات أو أكثر .ومهما يكن من أمر فالقسم (مؤكد للمعنى الثابت في الجواب فهو كالزائد يتم معنى الكلام بدونه) [2]

أ – التوكيد بإنّ :

وبناء على ما سبق يمكن لنا أن ننظر إلى الأمثلة الآتية من الأحاديث النبوية الشريفة على اعتبار أنها خطاب موجه إلى مخاطَب عدل فيه عن الأصل (الخبر الابتدائي) عدولا كميا بزيادة عنصرا من عناصر التوكيد وهو : "إن" مراعاة للمقام ومقتضى الحال.

عن جابر بن عبد الله، قال: مرّت جنازة، فقام لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقمنا معه فقلنا: يا رسول الله، إنّها يهوديّة، فقال: (**إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا**)[3]

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مؤذّنان بلال وابن أمّ مكتوم الْأعمى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**)[4] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعاً وَعِشْرِينَ**)[5].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**)[6].

فالجمل الاسمية المؤكدة بإنّ الواردة في أمثلة الأحاديث الشريفة نحو: إنّ الموت فزع ، إنّ بلالا يؤذن بليل ، إنّ الشهر يكون تسعا وعشرين ، إنّ أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر .

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص: 391 .

[2] علي أبو القاسم عون، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم ، ص : 247 248 .

[3] صحيح مسلم ،كتاب الجنائز المجلد 2 ،رقم : 960 ، ص: 660

[4] المصدر نفسه ،كتاب الصيام المجلد 2 ، رقم: 1092 ، ص : 768 .

[5] المصدر نفسه ،كتاب الطلاق المجلد 2، رقم : 1479 ، ص: 1107 .

[6] المصدر نفسه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،المجلد 1 ،رقم: 651 ، ص :451 .

كانت قبل إدخال التوكيد عليها من الضرب الابتدائي، وهو الأصل ، ثم أدخل عليها عدول كمي بزيادة عنصر يفيد التوكيد وهو :(إنّ) فصارت على خلاف الأصل ويتمثل هذا العدول (في ما أضيف إلى ذلك المعنى من معينمات هي من قبيل + دفع الشك)[1]

أي أصبح الخبر فيها من الضرب الطلبي الذي يفيد رفع الشك ، ودفع التردد ، وعلى هذا يكون المعنى لا شك في كون الموت فزعا ، ولاشك في كون بلال يؤذن بليل ، ولا شك في كون الشهر تسعا وعشرين ولا شك في كون أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء ، وصلاة الفجر .

وأن الذي أملى هذه الزيادات في اللفظ والمعنى إنما هو المقام ، أو ما يمكن أن نسميه بعبارة السكاكي "الاعتبارات الخطابية " فيكون الكلام بذلك مطابقا لمقتضى الحال ، وعلى هذا لا يصح أن نعتبر هذه الزيادات عدولا من جهة علاقتها بالمقام ، وإنما هي عدول بالقياس إلى. ما يمكن أن نصطلح عليه " بالجملة الصفر ")[2] على أن ما يؤكد مفهوم الزيادة عند الحديث عن التوكيد الداخل على الجملة الاسمية خاصة ما يذهب إليه القدماء من أن دخول " إن "على الجملة الاسمية يفيد تكرير هذه الجملة مرتين.

ومما يحتج به البصريون برواية الأنباري (577هـ) في مسألة القول في رفع الخبر بعد إن المؤكدة أن إن وأخواتها لما أشبهت الفعل من وجوه كثيرة – منها اشتمالها على معنى الفعل – كان لها شأن الفعل مرفوع ومنصوب ، على سبيل المثال معناها حققت [3] أو أكدت [4]

وهو براغماتيا عمل لغوي يعبر على صعيد الجهة عن موقف اعتقادي هو " أنا متحقق " فإذا نقلنا مسألة إنّ هذه من كونها تفيد عملا لغويا إلى كونها موقفا اعتقاديا أمكن لنا أن نعتبر دخول إنّ على كلامنا مفيدا معنى : "أنا متحقق كون كذا هو كذا "[5] فيكون من معاني الجمل الاسمية الواردة في أمثلة الأحاديث السابقة ما يأتي :

أنا متحقق من كون الموت فزعا ، وأنا متحقق من كون الشهر تسعا وعشرين ، وأنا متحقق من كون أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء ، وصلاة الفجر.وهو ما يجعل كون فزع الموت ، وتسعا وعشرين

---

[1] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص : 291 .

[2] المرجع نفسه، ج1 ص 291 . 292

[3] الأنباري عبد الرحمن. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر د ت ج 1ص 178 .

[4] المرجع نفسه، ص :226 .

[5] عبد الله صولة الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج 1 ، ص : 292

عدة الشهر ، وصلاة العشاء والفجر أثقل الصلاة على المنافقين مقتضى حاصلا من هذه الجملة (لكنه مقتضى غير ثابت ولا يقيني لما يقتضيه فعل تحقق من وضع مزدوج ملتبس فلا هو باليقين ولا هو بالشك) [1]. لكننا نقول مع هذا : إن توكيد الخبر بإنّ الذي هو من الضرب الطلبي جاء ليرفع الشك من ذهن المخاطب الذي يكون على حال من التردد في قبول الخبر، فبمجرد أن يؤكد له ذلك بمؤكد يقتنع بلا اعتراض ، فيكفيه أن يؤكد له الخبر بمؤكد واحد مراعاة لحاله ومقتضى المقام .فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد للمخاطب هذه الأخبار المتمثلة في الأحاديث المذكورة أعلاه بإنّ ، وينزله منزلة المتردد حتى لا يبقى لديه أي شك . بخلاف لو كان المخاطب منكرا للخبر ففي هذه الحال يجب أن يؤكد له بأكثر من مؤكد تبعا لحاله ويكون المقتضى من الجملة في الخبر الإنكاري مقتضى يقينيا بحتا .وهذا ما سنبينه في توكيد الخبر بإن مع اللام بإذن الله تعالى .

ب – التوكيد بإنّ مع اللام :

لئن كان المقتضى من الجملة في صيغة الخبر الابتدائي مقتضى صفر ،وكان المقتضى من الجملة في صيغة الخبر الطلبي في منطقة وسطى، وحيز وسط فإن المقتضى من الجملة في صيغة الخبر الإنكاري مقتضى يقيني بحت بتعبير عبد الله صولة السابق . وآية ذلك أن لدينا في هذا الحديث (عن عائشة قالت : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على يهوديّة يُبْكَى عليها، فقال: (**إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا**) [2] مؤكدين بمعنى حققت هما " إن " و" اللام " فاللام ، وإن لم يكن لها عمل إن في الجملة ، فإن لها معنى التأكيد الذي لإنّ كاملا .فيكون معنى (إنّهم ليبكون عليها ، وإنها لتعذب في قبرها) : أنا متحقق تحققا أو جدا كونهم يبكون عليها ، وكونها تعذب في قبرها . أو اليقين القاطع بكاؤهم عليها وتعذيبها في قبرها .

وهكذا يكون منطوق الجملة " التحقق الكامل من بكائهم عليها ، وتعذيبها في قبرها ، ويكون مقتضاها " تحقق بكائهم عليها وتعذيبها في قبرها ".ذلك هو المقتضى من التوكيد بإن مع اللام فأين تكمن حجاجيته في أمثلة الأحاديث الشريفة الآتية :؟

ففي باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.نجد الخطاب النبوي الشريف ممثلا في ما روي

[1] عبد الله صولة ، الحجاج من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص : 346 .

[2] صحيح مسلم ، كتاب الجنائز، المجلد 2 رقم 932 ص: 643 . .

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: (**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ – فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ –: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ، – وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ –: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**)[1].

وفي باب من فضائل عمر نجد قوله: – صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحاً أُتِيتُ بِهِ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَجْرِى فِي أَظْفَارِى ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**) . **قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ (الْعِلْمَ)** [2].

وفي باب بأي شيء يذهب الغضب نجد قوله : – صلى الله عليه وسلم :

عن سليمان بن صرد قال : استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**إِنِّي لأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِى يَجِدُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)**[3] فقال الرجل : وهل ترى بي من جنون ؟

وفي باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه نجد :

عن الأغر المزني وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِى وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**)[4].

فعندما ننظر إلى التراكيب الإسنادية الاسمية الواردة في الأحاديث الشريفة المذكورة أعلاه.

من نحو : (وإنّا إن شاء الله للاحقون) ، (إنّي لأرى الري يجري في أظفاري)[5] ، (إنّي لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد) ، (إنّه ليغان على قلبي ، وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة).

نلاحظ أن هذه الجمل الاسمية تحمل أخبارا جاءت مؤكدة بإنّ مع اللام .فهي على خلاف الأصل وهذا العدول الكمي بالزيادة الذي اقتضاه مقام الخطاب يتمثل (في ما أضيف إلى ذلك المعنى من

---

[1] المصدر السابق، كتاب الجنائز ، المجلد 2 رقم: 975 ص : 671 .

[2] المصدر نفسه، كتاب فضائل الصحابة، المجلد 4 رقم: 2391 ص: 1859 .

[3] المصدر نفسه، كتاب البر والصلة والآداب ،المجلد 4 رقم 2610 ص :2015 .

[4] المصدر نفسه، المجلد 4 رقم:2702 ص : 2075 .

[5] إني لأرى الري يجري في أظفاري : الفائدة من التأكيدات إزالة الحيرة في جريان اللبن في الأظفار .

معينمات هي من قبيل + دفع الإنكار)[1]. وعلى هذا يكون الرسول الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قد أكد خبر اللحوق إن شاء الله عز وجل والمصير إلى ما صار إليه من مات من المسلمين للمخاطب تأكيدا لا إنكار معه ؛ أي تأكيدا يقينيا . كما أكد رؤية الري يجري في أظفاره ، وأكد معرفته للكلمة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) التي تمنى من الغاضب أن يقولها كما أكد الغين الذي على قلبه واستغفاره لله في اليوم مائة مرة . وقد ذهب القدماء إلى أن دخول " إن "على الجملة الاسمية يفيد تكرير هذه الجملة مرتين ، وإذا دخلت اللام على الخبر صارت ثلاث جمل[2] .وهذا ما يزيد الكلام تأكيدا على تأكيد ، وبالتالي يدفع إنكار المخاطب المنكر للخبر من أجل إقناعه وإسكاته .

إن التوكيد بإنّ مع اللام ربما لكونهما يتكافآن من حيث درجة التوكيد ، فكلاهما تأكيد على تأكيد لهما هذه الوظيفة الحجاجية من جهة الاقتضاء الذي يكسبه التوكيد الجملة ، فهو إذ يؤكد المنطوق توكيدا مضاعفا يؤخر لحظة اعتراض السامع على القضية التي يعرضها هذا المنطوق . ونكتة ذلك أن القضية قد تحولت بواسطة التوكيد مثنى إلى مقتضى يجعل استئنافها، والتعقيب عليها قد فات أوانها [3].

نفهم من هذا القول أن التوكيد بإنّ مع اللام ، يؤكد الكلام تأكيدا مضاعفا بواسطتهما تتحول القضية إلى مقتضى يؤخر لحظة اعتراض السامع عليها ، وهو الجهة التي يظهر فيها الحجاج ، تتمثل هذه الوظيفة الحجاجية في تقديم هذه المسائل للمتلقي وفرض حقيقتها عليه باعتبارها مسلمات ومقتضيات غير قابلة مبدئيا للنقاش والمجادلة.كما أن الحجاج بواسطة المقتضى خاضع للقاعدة التالية : " قدم ما عندك من معلومات جديدة أو محل خلاف بينك وبين مخاطبك في صورة مقتضى ينضاف – ولو مؤقتا – إلى جملة الحقائق التي يسلم بها هذا المخاطب .[4]

ويتضح هذا أكثر عندما نعرض أمثلة الحديث الشريف الآتية : على النفي والاستفهام ، باعتبار أن دخول لفظي إن مع اللام يفيدان معنى : أنا متحقق جدا من كون كذا هو كذا، أو اليقين القاطع أن كذا هو كذا .وعليه يكون المعنى في أمثلة الأحاديث الشريفة الآتية كالآتي :

. وإنّا إن شاء الله للاحقون

. إنّنا متحققون جدا من كوننا لاحقين .

---

[1] عبد الله صولة . الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص : 91 ، 92 .

[2] الزركشي، البرهان ج 2 ص: 408 .

[3] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1.ص : 91 ،

4 C.k. orecchioni : l implicite …op.cit .p 30 .

- أو اليقين القاطع من كوننا لاحقين .
- إنّي لأرى الري يجري في أظفاري.
- أنّا متحقق جدا كون رؤتي الري يجري في أظفاري .
- أو اليقين القاطع كون رؤتي الري يجري في أظفاري .
- إنّي لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد .
- أنا متحقق جدا من كوني أعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد .
- أو اليقين القاطع كوني أعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد .
- إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة.
- أنّا متحقق جدا من كونه يغان على قلبي .
- أو اليقين القاطع كونه يغان على قلبي.
- وأنّا متحقق من كوني أستغفر الله في اليوم مائة مرة .
- أو اليقين القاطع كوني أستغفر الله في اليوم مائة مرة .

وعند عرض هذه المعاني المعتبرة على النفي والاستفهام نحصل على ما يلي :

عرض التراكيب الإسنادية على النفي اوالإستفهام
. إنّنا لسنا متحققين جدا من كوننا لاحقين . ليس اليقين القاطع من كوننا لاحقين . هل نحن متحققون جدا من كوننا لاحقين ؟ . هل اليقين القاطع من كوننا لاحقين ؟
. أنّا لست متحققا جدا كون رؤتي الري يجري في أظفاري . ليس اليقين القاطع كون رؤتي الري يجري في أظفاري. . هل أن متحقق جدا كون رؤتي الري يجري في أظفاري؟ . . هل اليقين القاطع كون رؤتي الري يجري في أظفاري ؟ .
. أنّا لست متحققا جدا من كوني أعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد . ليس اليقين القاطع كوني أعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد

فهذه المعاني التي دخل عليها النفي على سبيل المثال تقتضي وجود معنى بواسطة " إذن" فمعنى أنا لست متحققا جدا من كوننا لاحقين إذن أنا متحقق من كوننا لاحقين، أو ليس اليقين القاطع من كوننا لاحقين إذن اليقين أننا لاحقون. وقس على ذلك بقية الأمثلة ، كما نلاحظ أن المقتضى المحول عن القضية بواسطة التوكيد لم يزل وبذلك أخّر لحظة اعتراض السامع على القضية ، وإنكاره لها ."فقد باتت هذه القضية بفضل المقتضى الذي أنتجه لها تأكيد الخبر بإنّ مع اللام من الحقائق التي يقرّ بها المخاطب ولو مؤقتا " [1]. وهذا هو وجه الحجاج بالمقتضى الثابت اليقيني الذي هو كالمسلمة التي لا تقبل المناقشة .

إن التوكيد بإنّ مع اللام ينقل النزاع في مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (وإنها لتعذب في قبرها) من خصومة من نزاع موضوعه هل العذاب هو حاصل لها أم لا ؟ إلى نزاع موضوعه هل يتحقق تعذيبها تحققا تاما أم لا "وخلال هذا النقل يحصل ضمنيا الإقرار بحقيقة حصول تعذيب المرأة اليهودية في قبرها "في شكل مقتضى بات من تحصيل الحاصل ومما لا يمكن الاعتراض عليه"[2].

فيأتي التوكيد بإن ومع اللام مبئرا هذا المعلوم أي تسليط الضوء على القضية بواسطة التوكيد . "وعملية التبئير هذه هي التي تخرج القضية من كونها محتوى إخباريا معلوما محايدا إلى كونها جزءا أساسيا في هذه النظرية [3]

ج – التوكيد بإنّ واللام و القسم :

ويأتي القسم المظهر من أبرز أشكال التأكيد الرامية عل صعيد المفهوم إلى هدم نظرية الخصوم هدما لا رجعة فيه. وذلك لما يتميز به التأكيد بالقسم المظهر الداخل على جمل هي مؤكدة بعدُ بإن مع اللام عادة. من طول وإطناب وعلو في درجة رد الإنكار ودحضه مفهوما.[4] ويقول صولة عبد الله في موضع آخر : " فهو إذ يثبت القضية ويوجهها يقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها "[5] فلم يبق له إلا التسليم بها قال أبو القاسم القشيري (ت 465هـ) فيما نقله السيوطي عنه (إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفصل بإثنيين : إما بالشهادة ، وإما بالقسم فذكر تعالى في

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 357

[2] المرجع نفسه، ج1 ص :351 .

[3] المرجع نفسه ، ج1 ص: 323 .

[4] المرجع نفسه، ج1ص:313 .

[5] المرجع نفسه ،ص 367.

كتابه النوعين حتى لا تبقى لهم حجة [1]، ومن أمثلة الخبر المؤكد بإنّ مع اللام والقسم الأحاديث الشريفة الآتية:

عن عمر بن أبي سلمة ؛ أنه سأل سول الله صلى الله عليه وسلم أيقبل الصائم ؟فقال له سول الله صلى الله عليه وسلم : (سل هذه) – لأم سلمة – فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك. فقال : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**)[2].

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أتشفع في حد من حدود الله) فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : **(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)**[3]، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها .

بالنظر إلى المثالين السابقين من الحديث الشريف نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أكد تقواه لله عز وجل وخشيته له بالقسم ، وإنّ واللام . وكذلك فعل عندما أكد قطع يد ابنته فاطمة لو سرقت. فضلا عن كون القسم جاء ليسلط الضوء على المعلومة الجديدة (البؤرة focus) التي من شأنها أن ترد .ويثبتها ويقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها .

فالمقسم به (الله عز وجل) لا يختلف في عظمته اثنان قد حصل حولها إجماع ضمني ، في حين أن المقسم عليه يمثل موضوع النزاع والاختلاف ، لذلك جاء الخبر من الضرب الإنكاري لدفع الإنكار وإحلال اليقين القاطع . وفي هذا الشأن يقول عبد الله صولة : (إن المقسم به وإن كان من الناحية

[1] السيوطي،الإتقان ،في علوم القرآن ،ج2 ص :133 .

[2] صحيح مسلم، كتاب الصيام ، المجلد 2 رقم: 1108 ص: 779.

[3] المصدر نفسه، كتاب الحدود ، المجلد 3 رقم: 1688 ص 1315 ..

النحوية زائدا أو كالزائد لتمام المعنى بدونه ، فإنه ليس كذلك من الناحية الحجاجية لكونه ضروريا جدا لإنتاج الإقناع أو لاحتمال حصوله على الأقل[1].

ويقول في موضع آخر :(المقسم به يمثل توطئة للإقناع بالقضية المعروضة في جواب القسم . فالمقسم به له دور في توجيه الملفوظ وإثباته وجعله مما يحمل على أنه واقع لا محالة)[2].

فإذا تقرر عند القدماء أن دخول " إن "على الجملة الاسمية يفيد تكرير هذه الجملة مرتين ، وإذا دخلت اللام على الخبر صارت ثلاث جمل [3] . ولما كانوا قد عدوا القسم مما يجيء به المتكلم عند الحاجة إلى تأكيد كلامه بأكثر من إن مع لام الابتداء [4] .استطعنا أن نقول ما قاله عبد الله صولة "أمكن لنا أن نقول قياسا على ما سبق : إن إدخال القسم على إن مع اللام لهو بمثابة أن تتكرر جملة الخبر الابتدائي أربع مرات أو أكثر"[5] .ومهما يكن من أمر فالقسم (مؤكد للمعنى الثابت في الجواب فهو كالزائد يتم معنى الكلام بدونه) [6] وبناء على هذا نسمح لأنفسنا أن نقول : إن الحديث بإدخاله القسم على إنّ مع اللام كأنّه كرر جملة الخبر الابتدائي أربع مرات ، فهو يذهب إلى أقصى مدى التوكيد لرد كل إنكار .

د– التوكيد بإنّما :

والقصر هو أيضا ضرب من التوكيد وتكرير لجملة الخبر الابتدائي مرتين أو أكثر فهو عند بعضهم " توكيد مضاعف " فهو " بمنزلة مؤكدين إذ ليس القصر إلا تأكيدا على تأكيد [7]

ومن هنا يكون الرسول الأعظم كأنه كرر جملة الخبر الابتدائي مرتين أو أكثر المتمثلة في قوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ)** [8] ؛ لأن القصر بمنزلة مؤكدين ؛ إذ ليس القصر إلا تأكيدا

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1ص: 369 .
[2] المرجع نفسه ج1 ص 371 .
[3] الزركشي ،البرهان ج 2 ص: 408 .
[4] المرجع نفسه ،ج2 ص: 391 .
[5] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأساوبيه ج1 ص 292
[6] علي أبو القاسم عون أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم منشورات جامعة الفاتح ليبيا1992 ص ص 247 ، 248 .
[7] ابن عاشور : التحرير والتنوير ج7 ص: 303 .
[8] صحيح مسلم، كتاب الإمارة ، المجلد 3 رقم 1841 ص :1471 .

على تأكيد . وجاء التوكيد بإنّما للتذكير بالأمر المعلوم الذي يقر به المخاطب ، ولا يعمل به ؛ لأن المخاطب يعلم أن الإمام من شأنه أن يتقدم الصفوف ، ويتقلد المسؤولية ، وله سلطة الأمر ، فهو جنة يقاتل من وراءه ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فهو مأجور ، وإن أمر بغيره كان عليه منه كما جاء في الحديث الشريف . فالمخاطب الذي يكون على هذه الصفة صفة الإمامة ينبغي أن يكون في مستوى المسؤولية ، وهذه المسألة من المسلمات التي تكوّن كفايته المعرفية .

2- التوكيد بالصفة :

للوصف في البيان النبوي أعظم القيمة في كشف المعاني ، وتحديد المفاهيم ،به تكمل الصورة على الوجه الذي يقررها في النفس تقريرا لا تطلب بعده المزيد .

ولذلك تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة المخاطب في خطابه، وذلك بإطلاق المخاطب لنعت معين في سبيل إقناع المخاطب

" فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجه نظرنا و موقفنا من الموضوع ويبدو هذا خاصة حين نجد صفتين متناظرتين و لكنهما متعارضتان"[1]

وفي مقام التعظيم وموضع التفضيل بين مسجده صلى الله عليه وسلم وبين سواه من المساجد نجد هذا الحديث الشريف : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِى هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**)[2]

الذي جاء وصف مسجده صلى الله عليه وسلم بالإشارة للقريب (ليصف محسا ؛لتحديده أتم تحديد ، وتمييزه أكمل تمييز في نظر السامع ، وترسيخ صورته الكريمة في قلبه محكوما له بهذا الفضل على كل ما سواه إلا المسجد الحرام) [3]، فأنت تلاحظ أن الخطاب النبوي الشريف من خلال هذه البنية التركيبية التي وظف فيها الوصف باسم الإشارة للقريب قد اكتسب به الكلام طاقة حجاجية ما كانت لتكون في غياب هذا الوصف .

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:(**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ** " **غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ)**[4].

لا شك أن الصفة (خالصا) الواردة في الخطاب النبوي الشريف دلت على معنى في موصوفها ، وخصصته بعد أن كان شائعا لكونه نكرة ، لكنه خصص بالوصف الذي كان له دور في الكشف عن

---

[1] عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج والخطابة الجديدة بيرلمان وتتيكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم بإشراف حمادي صمود .جامعة منوبة تونس 1998 ص : 316.

[2] صحيح مسلم كتاب الحج المجلد 2 رقم : 1394 ص : 1012

[3] عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ص : 430 .

[4] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ،المجلد 1 رقم 58 ص :78 .

المعنى ، وتحديد المفهوم من أجل تجلية الصورة على الوجه الذي يقررها في النفس ، وهذا ما منح التركيب طاقة حجاجية ما كانت لتكون لولا هذا النعت ؛ لأنّ به تزول الاحتمالات التي تضعف عملية إقناع السامع ،وإسكات المتردد وإفحام المنكر، لكن بتوظيف الصفة لا يطلب المزيد .

عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: **(بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)**[1].

يحث الرسول – صلى الله عليه وسلم – على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها ، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم .

استعمل صفة الظلام لليل التي تحيل على السواد تأكيدا له على اعتبار أن الليل والظلام كلاهما يوحي بالسواد الذي تشمئز منه النفس . وتتقزز ؛ لأنه مشعر بالخوف ، والشؤم فالعرب يفضلون اللون الأبيض على الأسود ، وهو تفضيل راجع إلى دلالة كل واحد منهما . فالبياض يدل على السعادة والصفاء والنور والحياة والسمو والفضل والكرم ، والسواد يدل على الظلمة والدونية والشقاء في عالمي اليقظة والمنام .ولما كان الظلام يوحي بالسواد صار هذا الأمر بمثابة المعلومة المسلم بها عند المتلقي يقبلها من غير اعتراض ، فيذعن ويقنع فكانت صفة الظلام أفضل مؤثر وأقوى حجة عليه .وتشبيه الفتن بقطع الليل المظلم بجامع السواد ينبئ بفظاعتها وفرار النفس منها .

عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما يروي عن ربّه تبارك وتعالى، قال: **(إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)**[2].

فعندما ننظر إلى الصفات الواردة في هذا الخطاب أو الحديث النبوي الشريف، وهي على التوالي : كاملة في عبارة حسنة كاملة ، وكثيرة في عبارة أضعاف كثيرة ، وواحدة في عبارة سيئة واحدة ، نجد أنّها دلّت على معان في موصوفاتها، وأكّدتها تأكيدا لا يترك مجالا للشك أو الغموض لدى السامع أو المتلقي مما يجعله يسكت لا يطلب المزيد ، وفي هذا ضغط يمارس عليه للاقتناع بالنتيجة (إنّ هذا الفضاء الضمني

[1] المصدر السابق ،كتاب الإيمان المجلد، 1 رقم 118 ص : 110 .

[2] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان المجلد 1 رقم 131 ص :118 .

الذي يظهر فيه معنيا الاستحسان والاستقباح يمثل بضمنيته تلك البعد الحجاجي الذي للألفاظ ذات أحكام القيمة الأخلاقية)[1] .

فلو نظرنا إلى هذه الصفات لوجدنا أنّها جاءت لتنتج مقتضى تأكيدا لموصوفه ، فهو كالزائد لكون معناه قد فهم بعد من موصوفه ، فهذا المقتضى مهم جدا من الناحية الحجاجية لا يستطيع الخصم رفضه وفي هذا الشأن يقول عبد الله صولة : (فإن هذا النعت يأتي لينتج مقتضى مهما جدا من الناحية الحجاجية . وذلك لعدم قدرة الخصم على دحضه ورفضه ، فهو من قبيل المقتضى يبقى رغم امتحانه بالنفي)[2]

ولو نحذف النعت في الأمثلة السالفة الذكر ونعرض القضية على النفي و الاستفهام فنقول مثلا :

عرض التراكيب الإسنادية على النفي والاستفهام	عرض التراكيب الإسنادية على النفي والاستفهام
لن يكون منافقا ؟	لن يكتبها الله أضعاف ؟
هل سيكون منافقا ؟	هل سيكتبها الله أضعاف ؟
لن يكتبها الله عنده حسنة؟	لن يكتبها الله عنده سيئة ؟
هل سيكتبها الله عنده حسنة ؟	هل سيكتبها الله عنده سيئة

لانتفت القضية ، وزال المقتضى نهائيا . ولما كان هناك حجاج "ذلك وجه من وجوه أهمية العدول الكمي بالزيادة يتجاوز مجرد التوكيد الذي أناطه عليه القدماء إلى الإسهام في إنجاح المحاجة بإنتاج المقتضيات التي توجه الحوار الوجهة التي تحددها إستراتيجية الخطاب الشاملة "[3]

فضلا عن كون الصفة : (كثيرة) – في قوله : أضعاف كثيرة –المعبرة عن موضع الكم ، وهي من أجل هذا تمثل أداة حجاجية ناجعة رغم كثرة تداولها في الكلام ، وجريانها على الألسنة، مما يجعلها موضعا قويا ومخزنا للحجج ثريا خصبا[4] ؛لأنّ الموضع يكون في العادة محل إجماع ، فهو فكرة عامة غير قابلة للنقاش، يؤدي استخدامها في الخطاب إلى اقتناع المخاطبين بما يعرض عليهم بواسطتها. بتعبير عبد الله صولة .[5]

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية . ج1 ص: 163 .
[2] المرجع نفسه، ج1 ص : 354 .
[3] المرجع نفسه ، ج1 ص: 354 .
[4] المرجع نفسه، ج1 ص : 604 ، 607 .
[5] المرجع نفسه ج1 ص : 607

عن أبي قتادة بن ربعيّ، أنّه كان يحدّث، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرَ عليه بجنازة، فقال: **(مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟** فَقَالَ: **(الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ)**[1]

استعمال الخطاب النبوي الشريف الصفة (المؤمن) ومنحها للعبد ، وضحت موصوفها وميزته تمييزا في ذهن المتلقي ، اضطلعت بدور حجاجي لما لها من قيمة أخلاقية في معتقد المخاطبين الذين لا يختلفون في كون " الإيمان " هو من الصفات المحمودة التي تأتي في أعلى درجات السلم يسعى المسلم إلى الارتقاء إليه ، فالإيمان عند ابن منظور الطمأنينة . قال : (قالوا للخليل ما الإيمان ؟ قال : الطمأنينة)[2] ويأتي بمعنى التصديق . قال ابن منظور : (واتفق أهل العلم من اللغويين ، وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق)[3] . و الإيمان شرعا هو: (التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .)[4]

والشرط في هذا التصديق أن يكون بالقلب مصدقا بالعمل .

وقال الأصفهاني : (الإيمان هو التصديق الذي معه أمن)[5] فالمؤمن هو الذي صدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، أصبح بفضله ذا أمن ، ومن هذا المعنى الجامع يحصل المقتضى وهو أن المرء قبل أن يؤمن هذا الإيمان يكون في خوف على أساس أن الأمن يضاده الخوف [6] فمعنى كلمة الإيمان يقتضي وجود دائرة خوف مصنوعة بيد الكفر . فالكلمة علاوة على كونها كما قال الراغب : (تستعمل على سبيل المدح ، ويراد بها إذعان النفس للحق على سبيل التصديق)[7] تفيد من جهة الاقتضاء خروج المتصف بها من دائرة الخوف ودخوله مدار الأمن . إن كلمة مؤمن تفيد معنى المطمئن والمصدق بدعوة الإسلام الذي معه أمن وهي مدح له ، كما تذكره على وجه الاقتضاء بالوضع الذي كان عليه قبل أن يصبح من حاملي هذه الصفة ، وهو الخوف بشتى أنواعه .وهذه الصفة تدل على قيمة أخلاقية تقويمية ممدوحة . أما الصفة فاجر فتفيد معنى الظالم فاعل المنكر وهي ذم لموصوفها " وهذان الكلمتان التقويميتان

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب الجنائز المجلد 1 رقم 950 ص 656

[2] ابن منظور، لسان العرب مادة (أ م ن .)

[3] المرجع نفسه . الموضع نفسه .

[4] حمودة السعفي . حقيقة الإيمان في الإسلام مجلة الهداية العدد : 4 تونس . رجب، شعبان 1414 هـ ديسمبر، فيفري 1994 ص ص : 21 ، 24

[5] الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن المطبعة الميمنية مصر د ت ص : 25 .

[6] المرجع نفسه ،ص: 121

[7] المرجع نفسه ، ص : 25 .

تنتظمان ضمنيا على محور حسن/ قبيح الأخلاقي . وتنطبق صفة الحسن على ما اشتق من مادة (أ م ن) ، فالشخص الموصوف بهذه الصفة يحمل ضمنيا صفة حسن . وتنطبق صفة القبيح على ما اشتق من مادة (ف ج ر) فالشخص الموصوف بهذه الصفة يحمل ضمنيا صفة قبيح)[1] .

والصفة أكثر استعدادا من الأسماء والأفعال لا لتقويم العالم والحكم عليه فحسب ؛ وإنما أيضا لوضع هذا العالم في مراتب متفاوتة[2] ، وهو ما يبرر بجلاء نزوع الحديث الشريف إلى التقويم والمفاضلة بين الأشخاص والأعمال والأشياء ، وهذا التقويم التفاضلي يكسب الخطاب النبوي بعدا حجاجيا أظهر وأعمق مما يكسبه إياه مجردا من وجود كلمات تقويمية فيه سواء أكانت هذه الكلمات أفعالا أم أسماء.

فهذه الصفات الملحوظة في الحديث (المؤمن ، الفاجر) وضعت الموصوف بها في مراتب متفاوتة من حيث القبح والحسن ، وعلى المتلقي أن يختار ، ولا شك أن من كان له قلب وألقى السمع ، سيختار الحسن ، وفي هذا توجيه له نحو الإقناع ، وحمله على التحلي بالإيمان وابتعاده عن الفجور .

[1] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص :

[2] المرجع نفسه ج1 ص : 159

3 – التوكيد بالبدل:

وقد تأتي البدل والعطف كمتممات في التراكيب الإسنادية لغاية أن يؤكد بها المعنى الذي يكون قد فهم بعد مما سبق على نحو يبدو معه أن في الكلام ما هو زائد ، وأن ثمة عدولا بالزيادة ، وهي ظاهرة موجودة في الحديث النبوي الشريف .من ذلك ما يأتي :

عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:(**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**)[1].

عن أنس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**)[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ....**)[3].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ – وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)[4].

عن عائشة قالت : قالت : (**تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَقُّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**)[5].

هذه أمثلة من الحديث النبوي الشريف قد اشتملت على مركبات بدلية يمكن تبيينها بالجدول الآتي :

[1] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان المجلد 1 رقم 158 ص : 138

[2] المصدر نفسه ،كتاب الزكاة المجلد 2 رقم 1047 ص :724

[3] المصدر نفسه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، المجلد 1 .رقم :542 ص :385

[4] المصدر نفسه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،المجلد1 رقم: 564 ص : 394

[5] المصدر نفسه،كتاب السلام، المجلد 4 ،رقم :2228 .ص : 1750

المبدل منه	البدل
ثلاث	طلوع الشمس من مغربها ....
اثنتان	الحرص على المال ...
عدو الله	إبليس
هذه	البقلة
تلك	الكلمة

اعتبر ابن يعيش أن المعتمد بالحديث في العلاقة البدلية هو الاسم الثاني ، والأول بيان ، فالبيان في البدل مقدم ، وفي النعت والتوكيد مؤخر [1]

وعلى رأي ابن يعيش يكون المبدل منه هو الذي يفسر البدل ، ويبينه مسبقا فهو يوجهه تبعا لذلك الملفوظ كله ، ودور هذا التبيين المقدم هو توجيه المتلقين إلى القبول بما سيأتي بعد ذلك من كلام ، وإلى عدم النفور منه ، إضافة إلى أن ذكر البدل يجيء مكررا بالإجمال مرة ثم بالتفصيل بعد ذلك لتأكيد المعنى فيكون الوصف بالبدلية أفخم وأمكن في نفس المتلقي ويظهر هدا جليا في بدل التفصيل .

ويضاف إلى ذلك ما ينشأ عن المنطوق في علاقة البدلية من ضمني يشحذ الذهن ويبعثه على الاستنتاج والاستخلاص . وما يستنتجه الذهن لا يستطيع أن ينكره .

[1] ابن يعيش، شرح المفصل .ج3 ص :66 .

4- التوكيد بالعطف.

والعطف من مظاهر العدول الكمي بالزيادة الذي يطرأ على الجملة ، والعطف المقصود ههنا ما يقع بواسطة الواو . فمن الكلمات والمركبات المعطوف بعضها على بعض بهذه الطريقة ما يكرر بعضه بعضا من جهة المعنى بشكل يقترب من الترادف ، وإن لم يكن إياه.هذا الضرب من العطف مما يقسم عادة في أنواع أخرى إلى عطف الخاص على العام وبالعكس ، وعطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى . وهذه الضروب من العطف القصد منها حسب هذا النوع من التواليف التوكيد[1] ومن العطف الذي جاء بواسطة الواو في الحديث النبوي الشريف ما يأتي:

عن أبِي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً**)[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) [3]

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثاً وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثاً فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**)[4].

قال العلماء : الرضا والسخط والكراهة من الله تعالى ، المراد بها أمره ونهيه أو ثوابه وعقابه ، أو إرادته الثواب لبعض العباد والعقاب لبعضهم . والاعتصام بحبل الله هو التمسك بعهده وهو إتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه ، والحبل يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب ، وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم ، ويوصلون به المتفرق ، فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور ولا تفرقوا أمر بلزوم جماعة المسلمين ، وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام .

عن أبي موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال : (**بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا**)[5]

---

[1] ينظر، الزركشي ، البرهان ... ج2 ص : 364 ، 377 .

[2] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، المجلد 1 رقم 52 ص : 72

[3] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان ،المجلد 1 رقم 30 ص : 58

[4] المصدر نفسه،كتاب الأقضية، المجلد 3 .رقم 1715 ص :1340

[5] المصدر نفسه ،كتاب الجهاد والسير . المجلد. رقم 1732 ص :1358

إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده ؛ لأنه قد يفعلهما في وقتين ، فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر في معظم الحالات ، فإذا قال : ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه . وهذا هو المطلوب .

وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله ، وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته والنهي عن التنفير بذكر التخويف، وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير .

عند تأمل أمثلة الحديث الشريف المذكورة أعلاه نجد مجموعة من المعطوفات وهي :

. هم ألين قلوبا ، وأرق أفئدة.

. أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا.

. وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا.

يمكن لنا أن نقول في شأن هذه الأمثلة : إن المعطوف فيها ليس مغايرا للمعطوف عليه ، وإنه هو هو كما قال الزجاج : (عطف الشيء على ما هو هو أو بعضه)[1] أو من قبيل عطف الشيء على نفسه كما قال الزمخشري في الكشاف : (" عطف الشيء على نفسه)[2]

(أو عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه)[3] . وبهذا يكون حكم المعطوف عليه مع المعطوف في هذه الأمثلة بمنزلة ذكر الشيء مرتين ،لأن المعطوف وهو (وأرق أفئدة) يحمل دلالة المعطوف عليه ، وكذلك بقية الأمثلة ، والغرض من هذا كله هو التوكيد وتمكين المعنى في ذهن المتلقى والارتقاء به في السلم الإقناعي عبر درجات العطف ، كما جاء المعطوف عليه لفظا تقويميا يوجه دلالة الملفوظ الجملية وجهة محددة ، ويوجه تبعا لذلك سلوك المتلقي الوجهة التي يريد له المتكلم أن يسير فيها وبناء على هذا نستنتج أن العطف ضرب من ضروب التوكيد له وظيفة حجاجية .

أما التوجيه بالعطف الذي يظهر في عطف الخاص على العام فيكون ذلك بمنزلة ذكر الشيء الواحد مرتين أو أكثر[4]. ويمكن لنا أن نمثل له بقوله – صلى الله عليه وسلم: (**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**)[5].

---

[1] الزجاج أبو إسحاق، إعراب القرآن ، تحقيق ودراسة ابراهيم الأبياري .دار الكتاب اللبناني. بيروت ط3 1986. ج3 ص: 818 .

[2] الزمخشري أبو القاسم محمود الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 1968 ج 2 ص: 397 .

[3] الزركشي ،البرهان ج2 ص 472 وما يليها .

[4] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص : 381 .

[5] صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ، المجلد 4 رقم 2415 ص : 1879

وإذا اعتبرنا هذه الواو هي بمنزلة (أخص بالذكر كذا أو واو أخص) كما قال عبد الله صولة [1]. يكون المعنى : لكل نبي حواري وأخص بالذكر حواري الزبير ، ويكون عنصر حواري الذي هو (الزبير) قد تكرر ذكره مرة بالتعميم فهو من عموم المعطوف عليه ، ومرة بالتخصيص في المعطوف .

فمادام أن لكل نبي حواري وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي فإذن هو له حواري ، ومادام أن الزبير قد وصفه النبي بأنه حواري فهو حواري فهو في حكم المذكور في عموم المعطوف عليه مرة ، ومرة بالتخصيص في المعطوف ، وعطف الخاص على العام يكون بمنزلة ذكر الشيء مرتين ومن هنا جاء التوكيد ليؤدي دورا حجاجيا في إقناع المخاطب .

وعند عبد الله صولة أن " واو أخص " يمكن أن تكون بمعنى أفضل بحسب السياقات [2] وعليه يكون المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي حواري وأفضل حواري الزبير فيكون دور العطف بها توجيها للملفوظ والتلفظ أو للقول والقول معا .

5 – التوكيد بالمفعول المطلق :

ومن وسائل التوكيد أيضا المفعول المطلق إذ يأتي المصدر مؤكدا لعامله سواء أكان عامله هذا مصدرا مثله أو فعلا أو صفة .

عن علي بن أبي طالب قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)[3]

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**أَيُّمَا رَجُلٍ أُعْمِرَ عُمْرَى لَهُ وَلِعَقِبِهِ فَإِنَّهَا لِلَّذِى أُعْطِيَهَا لاَ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِى أَعْطَاهَا لأَنَّهُ أَعْطَى عَطَاءً وَقَعَتْ فِيهِ الْمَوَارِيثُ**)[4].

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**)[5]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ**

[1] عبد الله صولة. الحجاج في القرآن ج 1 ص: 382 .
[2] المرجع نفسه ،ج1 ص: 385 .
[3] صحيح مسلم،كتاب العتق المجلد 2 رقم 1370 ص : 995
[4] المصدر نفسه، كتاب الهبات . المجلد 3 رقم: 1625 ص : 1245
[5] المصدر نفسه ،كتاب الإمارة . المجلد 3 رقم : 1848 ص : 1476

فَيَقُولُ لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ . وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)[1].

هذه أمثلة من الحديث النبوي الشريف اشتملت على تراكيب إسنا دية أكد فيها العامل بالمفعول المطلق ، وهذه التراكيب الإسنادية المؤكدة هي في الجدول الآتي :

تراكيب إسنا دية مؤكدة بالمفعول المطلق اشتملت عليها أمثلة الحديث الشريف
فمن أحدث فيها حدثا
أعطى عطاء.
مات ميتة جاهلية .
فيصبغ في النار صبغة .... فيصبغ صبغة في الجنة

يحصل بفضل التوكيد بالمفعول المطلق مقتضى هو إحداث الحدث في المثال الأول ، وإعطاء العطاء في المثال الثاني ، وموت الميتة الجاهلية في المثال الثالث ، وصبغ الصبغة في المثال الرابع .. فإدخال المفعول المطلق على هذه الأفعال يجعل للأفعال فيها مقتضيات ، ولولا هذا المصدر ما كان هناك مقتضى الذي من شأنه أن يفيد حقيقة وجود الحدث والعطاء والصبغة ، والدليل على ذلك أن عرض هذه التراكيب على النفي والاستفهام يذهب بمقتضاها في حال عدم إدخال المفعول المطلق ، وذلك على النحو الآتي :

عرض هذه التراكيب على النفي والاستفهام	عرض هذه التراكيب على النفي والاستفهام
لن يحدث	لن يموت
هل سيحدث ؟	هل سيموت ؟
لن يعطي .	لن يصبغ
هل سيعطي ؟	هل سيصبغ ؟

نلاحظ من خلال الجدول أن عرض هذه التراكيب الإسنادية التي لم يذكر فيها المفعول المطلق ، على النفي والاستفهام قد ذهب بمقتضاها .

[1] المصدر السابق ،كتاب صفة القيامة والجنة والنار . المجلد 4 رقم :2807ص : 2162

في حين أن إدخال المفعول المطلق على هذه التراكيب الإسنادية يجعل للأفعال فيها مقتضيات ، فات أوان نفيها والاعتراض عليها ، فقد جاء المفعول المطلق يقي المقتضى من هذه الأفعال إمكان أن ينفى أو يدحض أو يعترض عليه كما يقول عبد الله صولة .[1] ففي الأمثلة الأربعة المذكورة أعلاه يحصل المقتضى رغم النفي والاستفهام ، وذلك على النحو التالي :

إخضاع المنطوق للنفي والاستفهام	المقتضى الباقي
لن يحدث حدثا	سيحدث
هل سيحدث حدثا ؟	
لن يعطي عطاء	سيعطي
هل سيعطي عطاء ؟	
لن يموت ميتة جاهلية	سيموت

إن المفعول المطلق شأن النعت والتوكيد بالقسم ، وبإنّ مع اللام ، ربما تتمثل أهميته في مجال الحجاج في أنه يؤجل بإنتاجه مقتضى ما لحظة إنكار المخاطب للقضية المعروضة عليه ، فقد باتت هذه القضية بفضل المقتضى الذي أنتجه لها تأكيد المصدر لعامله من الحقائق التي يقر بها المخاطب ، ولو مؤقتا كما يقول عبد الله صولة [2]. وقد يكتسب المفعول المطلق طاقة حجاجية أكثر إذا وصف بكلمة ذات حكم تقويمي تنتظم ضمنيا على محور : (مدح / ذم)

كما هو الحال في مثال : مات ميتة جاهلية .فالمصدر ميتة (مصدر الهيئة) الواقع مفعولا مطلقا موصوفا بصفة تحمل ضمنيا صفة ذم التي تنطبق على ما اشتق من مادة (ج هـ ل). وهذا ما زاد في الكلام طاقة حجاجية .فلا شك ان المتلقي سينفر من سماعها وفي هذا توجيه له نحو حمله على الابتعاد عنها عن اقتناع .

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج1، ص : 357

[2] المرجع نفسه . ج1 ص: 357 .

ثانيا : العدول الكمي بالنقصان داخل التركيب وأبعاده الحجاجية

ا- حذف الفاعل :

لقد جعل الزركشي للحذف في القرآن ثمانية أقسام[1] منها (الاختزال: وهو اصطلاحا: حذف كلمة أو أكثر[2] فحذف الكلمة يكون بحذف المبتدأ ، أو الخبر أو الفاعل أو المفعول وغير ذلك ، وأما حذف أكثر من كلمة فيكون بحذف جملة القسم ، وجملة جواب الشرط ، وبحذف الجملة كلها وحتى الجمل[3] .

وسنقتصر في بحثنا على ظاهرة حذف الفاعل مع بناء الفعل للمجهول ، وظاهرة حذف الجواب في الجملة الشرطية.

1-حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول: وهذه الظاهرة موجودة في الخطاب النبوي الشريف، وسنتناول أمثلة عن ذلك بالدراسة والتحليل لاحقا .

لقد عني الباحثون بالبحث في دلالات البناء للمجهول ، وفي الأسباب الدافعة إليه منهم محمود سليمان ياقوت وقد لخصها على النحو الآتي:

أسباب حذف الفاعل:

1- معلوم 2- مجهول 3- الإبهام 4- الخوف 5- التعظيم 6- التحقير 7- الدناءة[4].

تلك هي أشهر المعاني المستفادة من البناء للمجهول ، وقد اختلفت مقاييس ضبطها ، وتنوعت فهي مقاييس موضوعية مرة (معلوم مجهول) ونفسية انفعالية مرة (الخوف) وتأثيرية مرة (تعظيم تقدير) أما عبد الله صولة فيرى لحذف الفاعل في القرآن غايات حجاجية تجمعها في رأيه غاية كبرى هي التبئير la focalization أو miseen focus من البؤرة facus أو fayer.

---

[1] بدر الدين الزركشي، البرهان 32، ص: 117-134.

[2] المرجع نفسه، ص :134-2-3.

[3] ينظر ،ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .ت.ج2. باب الحذف ص : 649،603.
ينظر، ابن الأثير ضياء الدين المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج2 باب الإيجاز . ص: 68، 118.
ينظر، الزركشي البرهان ،ج3. باب الحذف، ص :104-232.

[4] محمود سلمان، ياقوت المبني للمجهول في الدرس النحوي والتطبيق القرآن الكريم ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.ط1 1989 ص :20.

ويفيد من الناحية الاصطلاحية في علم اللسان انحصار الكلام في معنى معين بإلقاء الأضواء على العنصر الأساسي فيه باعتبار مدار الكلام في الجملة ، فهو يمثل المعلومة الجديدة فيها.

ويعرف تشو مسكي البؤرة بعد أن أشار إلى أن البؤرة والمقتضى من شأنهما أن يحددا في مستوى البيئة السطحية يعرف البؤرة بالقول: (البؤرة focus هي العبارة التي تشمل على مركز البئر)[1].

فيحذف الفاعل ويخلفه المفعول مكانه ، ينتقل مركز الاهتمام (البؤرة) من الفاعل إلى المفعول وهذا ما سماه ابن حني حين قال: (أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل كضرب زيد عمرا ، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا ضرب عمروا زيد ، فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب فقالوا: عمروا ضرب زيد ، فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة وتجاوزوا به حد كونه فقتله ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا عمروا ضرب زيد ، فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة الفضلة وتحاميها لنصبه الدال كون غيره صاحب الجملة ، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له ،وبنوه على أنه مخصوص به وألغوا ذكر الفاعل البتة نعم ، وأسندوا بعض الأفعال دون الفاعل البتة[2].

فالجملة التي بني فيها الفعل للمجهول ، لو صيغت في صورة البناء للمعلوم يكون الفعل فيها حينئذ مقتضى ؛ أي مسلما به ، ويكون الجديد ؛ أي موضوع النزاع دائرا حول فاعل الحدث ولهذا ينتقل فعل الحدث من منطوق أو بؤرة أو معلومة جديدة تمثل مناط الخلاف إلى مقتضى أو معلومة مسلم بها في حالة البناء للمعلوم ، وهذا غير مطابق لمعتقد المخاطبين ولواقعهم التاريخي.

عن مصعب بن سعد قال: دخل عبد الله بن عمر على ابن عامر يعوده وهو مريض فقال ألا تدعو الله لي يا ابن عمر؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ**)[3].

فعدم ذكر الفاعل اختصارا لكونه معلوما في هذا الحديث الشريف ونيابة المفعول به (الصلاة) عنه جعل مركز الاهتمام (أو البؤرة) ينتقل من الفاعل إلى المفعول به ، وأصبح التركيز على الحدث أي

[1] Naam chamsky studies on semanties in generative grammar montn the hager paris 1975 p91.

[2] ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ) ،المحتسب في تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها ،تح علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لقاهرة 1420هـ ، ج1 ص: 65.

[3] صحيح مسلم ،كتاب الطهارة ، رقم : 224 المجلد 1 ص : 204 .

أن الأهمية في الكلام انتقلت بواسطة البناء للمجهول من الفاعلية إلى الحدثية، فلو بني الفعل للمعلوم في هذا التركيب الإسنادي الفعلي المتمثل في الحديث الشريف : "لا تقبل صلاة بغير طهور" إلى نحو: لا يقبل الله صلاة بغير طهور لانتقل مركز الاهتمام أو البؤرة إلى الفاعل ، مما يقللان الطاقة الحجاجية في الكلام ،كما يمكن اعتبار قوله صلى الله عليه وسلم جوابا عن سؤال من قبيل من ذا الذي لا يقبل صلاة بغير طهور ، والجواب الله فيكون عدم قبول الصلاة بغير طهور مقتضى أي مسلما به ، ويكون الجديد في موضوع السؤال دائرا حول من ذا الذي لا يقبل صلاة بغير طهور ، وبهذا تنتقل فكرة عدم قبول صلاة بغير طهور من منطوق أو بؤرة أو معلومة جديدة إلى مقتضى أو معلومة مسلم بها في حالة البناء للمعلوم ، وفي هذا يقول ابن جني: ضابط البناء للمفعول أن يكون الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الفعل ولا غرض في إبانة الفاعل من هو[1] فالمخاطب لا يجادل فيمن ذا الذي لا يقبل صلاة بغير طهور لكون الفاعل معلوما ، وإنما يجهل عدم قبول صلاة بغير طهور، أو صدقة من غلول ،(فالبناء للمجهول ينشأ به التبئير والتركيز وبواسطته يسير الكلام مساره الحجاجي المخصوص ، ويوجه الحوار مع الخصوم الوجهة التي ينبغي أن يسير فيها)[2] . فعدم قبول الصلاة بغير طهور ليس مسلما به ، ولا مقتضى بل هو مدار المعلومة الجديدة أي البؤرة الجديدة ، مما يقوي الطاقة الحجاجية في الكلام.

عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً** (**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**)[3].

عن سهل بن سعد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ**)[4]

فعندما ننظر إلى عبارة : "تحشرون إلى الله حفاة "، وعبارة : "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء" نجد أن الفاعل محذوفا اختصارا لكونه معلوما فلا داعي لذكره ، وإنما كان التأكيد والتركيز على بؤرة الاهتمام بحدث الحشر المقترن بزمن المستقبل الذي هو محل مجادلة ، فالمخاطب لا يجادل فيمن يحشر

[1] ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ) ، المحتسب في تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها ج1 ص:61.

[2] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ، ص : 455 .

[3] صحيح مسلم ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . المجلد 4 رقم 2860 ص : 2194.

[4] المصدر نفسه ،كتاب صفة القيامة والنار المجلد 4 رقم : 2790 ص : .2150

الخلق يوم القيامة ، وإنما هو متردد في حدث الحشر والهيئة التي يكون عليها ، فألقي إليه الخبر مؤكدا لدفع الشك والاعتراض.وهذا هو مدار المعلومة الجديدة أي البؤرة الجديدة مما يقوي الطاقة الحجاجية في الكلام . أما في قوله صلى الله عليه وسلم : يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد . ففيه حذف الفاعل أيضا للاختصار والتركيز على حدث الحشر المقترن بزمن المستقبل وإلقاء الخبر إلى المخاطب من غير توكيد لأنه خالي الذهن من هذه المعلومة الجديدة ، فهو يقبلها بلا اعتراض مادام هو مسلم رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. ومادام أن الذي ألقى إليه الخبر هو محمد صلى الله عليه وسلم النبي الرسول الصادق المصدوق ، فكمال خلقه العظيم وصدق نبوته لأكبر حجة ، وأقوى دليل لإقناع المعني بالخطاب النبوي الشريف ، فكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو صدق محض .

ب . حذف جملة جواب الشرط :

ومن أمثلة الحديث الشريف التي حذف فيها جملة جواب الشرط أيضا ما يأتي :

عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**)[1] وفي رواية أبي بكر : قال : يعني يوم عاشوراء .

وفي باب السؤال عن أركان الإسلام قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ**)[2] قال هذا في شأن الرجل الذي جاء من أهل البادية وسأله عن أركان الإسلام .

عن أبي هريرة، عن النَبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: (**مَنْ أَعْتَقَ شِقْصًا لَهُ فِي عَبْدٍ، فَخَلَاصُهُ فِي مَالِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ، اسْتُسْعِيَ الْعَبْدُ غَيْرَ مَشْقُوقٍ عَلَيْهِ**)[3].

عن عمر أنه حمل على فرس في سبيل الله ، فوجده عند صاحبه ، وقد أضاعه ،وكان قليل المال فأراد أن يشتريه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: (**لاَ تَشْتَرِهِ وَإِنْ أُعْطِيتَهُ بِدِرْهَمٍ فَإِنَّ مَثَلَ الْعَائِدِ فِى صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَعُودُ فِى قَيْئِهِ**)[4] .

[1] صحيح مسلم،كتاب الصيام ، المجلد 2 رقم: 1134 ص :798 .

[2] ا لمصدر نفسه ،كتاب الإيمان ، المجلد 2 رقم 12 ص :42 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب العتق ، المجلد 2 رقم :1503 ص : 1140.

[4] المصدر نفسه ،كتاب الهبات ، المجلد 3 رقم: 1620 ص :1239.

عن أبي أمامة، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**)[1].

فهذه أمثلة من الحديث الشريف اشتملت على جمل شرطية حذف فيها جواب الشرط وهي كالآتي :

- لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع.
- لئن صدق ليدخلنّ الجنة.
- إن كان له مال.
- وإن أعطيته بدرهم
- وإن قضيبا من أراك.

ففي حذف جواب الشرط هذا كله توجيه لذهن المتلقي إلى تصور الجزاء الواجب تصوره، فالجزاء هو على الحقيقة مضمن في الشرط، وهو على الأول مما يوجه الشرط إليه المتلقين توجيها دقيقا بينا صارما معا ؛ إذ ليس لهؤلاء المتلقين إلا أن يتصوره على النحو الذي تمليه جملة الشرط بألفاظها ومعانيها.فجواب الشرط المحذوف الذي دلّ عليه دليل من الكلام السابق هو: فخلاصه في ماله في المثال الأول .ولا تشتره في المثال الثاني . وفقد أوجب الله له النار في المثال الثالث .

فتقدير الجزاء أو جملة جواب الشرط المحذوفة يجعل المتلقي شريكا بسد الفراغ ، وملء ثغرات الكلام ، وبالتالي يتبناه فيكون ذلك ألزم له بالحجة ، وأمض أثرا في ذهنه ، وفي هذا تكمن طاقة الحذف الحجاجية عموما.

"كما أن المخاطب عندما يلجأ إلى تقدير جملة جواب الشرط المحذوفة يصبح بمقتضاه يكرر الكلام السابق الدال على المحذوف تكريرا آليا. وهذا ما يجعله يؤكد بنفسه ما جاء الحديث بذكره على الابتداء . وبذلك يكون الحذف قد استدرج به المتلقي إلى أن يصادق المصادقة التامة على القضية المعروضة في جملة الجوار، وإنما جيء بجملة الجوار هذه لتلهمه الجواب ، وترشده إلى طريق المصادقة على القضايا "[2].

[1] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان المجلد 1 رقم :137 ص :122.

[2] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية الجزء الأول ص :(460-461-463).

ثالثا : العدول النوعي داخل التركيب وأبعاده الحجاجية.

1 – العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في جواب الشرط.

قد يلجأ المتكلم إلى العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في جواب الشرط قصد تحقيق أبعاد حجاجية يقتضيها المقام وحال المخاطب .فقد أورد الزركشي عن زين الدين التنوخي أنه كان يقول: إذا قصدوا مجرد الخبر أتوا بالجملة الفعلية ، وإن أكدوا فبالاسمية ثم بها وباللام"[1]

يتضح من هذا أن الجملة الفعلية دون الجملة الاسمية من حيث طاقة الإخبار، وقوة الإثبات فالجملة الفعلية يؤتى بها في أدنى درجات سلم التأكيد ، أو بالأحرى لا في حال التوكيد البتة كما يقول عبد الله صولة[2].

بينما الجملة الاسمية يؤتى بها للتوكيد، فالجملة الفعلية واقعة في أسفل درجات الخطاب ، فكأنها تمثل الدرجة الصفر من الكلام من حيث القيمة الإخبارية .[3]

ولما كانت الجملة الفعلية بهذا الاعتبار فقد جعلها النحاة هي الأصل في التعبير عن معنى الشرط ؛ إذ الشرط حسب النحاة (يكون بما ليس في الوجود ، ويحتمل أن يوجد وأن لا يوجد) [4] وقال أيضا الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال ، فأما الشرط فلأنه علة وسبب لوجود الثاني ، والأسباب لا تكون بالجوامد ، وإنما بالأعراض والأفعال ، وأما الجزاء فأصله أن يكون بالفعل أيضا ؛ لأنه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه ، والأفعال هي التي تحدث وتنقضي ، ويتوقف وجود بعضها على بعض)[5] ثم يصرح في موضع آخر بوجوب عدم التعبير عن الشرط بواسطة الاسم فيقول : (الأسماء ثابتة موجودة ، فلا يصح تعليق وجود غيرها على وجودها)[6].

نفهم من خلال هذا أن ورود جمل جواب الشرط اسمية في الحديث النبوي الشريف قائمة على العدول عن تلك القاعدة، ومنشأ هذا العدول أن جملة الجواب الأصلية هذه حذفت وجيء بالجملة الاسمية دليلا عليها وبديلا عنها ومن ذلك.

---

[1] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن 22ص:391.

[2] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص:499.

[3] المرجع نفسه، ص : 498.

[4] ابن يعيش، شرح المفصل ج8 ص: 157.

[5] المرجع نفسه ج9 ، ص : 2.

[6] المرجع نفسه ج8، ص : 157.

عن عمر أنه حمل على فرس في سبيل الله فوجده عند صاحبه وقد أضاعه وكان قليل المال فأراد أن يشتريه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: (**لاَ تَشْتَرِهِ وَإِنْ أُعْطِيتَهُ بِدِرْهَمٍ فَإِنَّ مَثَلَ الْعَائِدِ فِي صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**)[1].

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**)[2].

فالمثالان الواردان في البيان النبوي الشريف لهما كما يرى عبد الله صولة ثلاث وظائف حجاجية على الأقل: تتمثل الوظيفة الأولى : في حصول دلالة التضمن من الجملة الاسمية عوضا عن الدلالة التصريحية التي يمكن أن تحصل من الفعلية ثم يردف هذا قائلا: والرأي عندنا أن الحجاج بواسطة الدلالة التضمينية أبلغ وأنجع من الحجاج بواسطة الدلالة التصريحية[3] فالدلالة التضمنية ملحوظة من استعمال الجملة الاسمية في جواب الشرط في قوله صلى الله عليه وسلم: لا تشتره وإن أعطيته بدرهم، فإن مثل العائد في صدقته كمثل الكلب يعود في قيئه ، إشارة إلى كراهة شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه ، ووجه الحجاج في هذه الطريقة المحذوفة المقدرة كانت بواسطة التضمن ، وأن هذا التضمن من شأنه أن يجعل المتلقي يسلك مسلكا ضمنيا إلى دلالة الجملة المحذوفة معولا على كفاءته المنطقية في استخلاص معنى كراهة الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه ، وأن في سلوك المتلقي هذا المسلك بالتعويل على كفاءته المنطقية بداية الطريق إلى الاقتناع، ذلك أن المعنى الذي نستنتجه بأنفسنا يكون ألزم لنا بالحجة ، ونكون أشد تسليما به ، وأكثر إذعانا له من المعنى الذي يقدم لنا جاهزا مباشرة في شكل دلالة تصريحية .

إن الشرط في قوله صلى الله عليه وسلم: إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار يتضمن الجواب النهي عن الاقتتال بين المسلمين ،كما أن الجملة الاسمية المحققة في الجواب تقوم من الجملة الفعلية المحذوفة مقام العلة والسبب والتقدير: لا تشتره وإن أعطيته بدرهم لأن مثل العائد في صدقته كمثل الكلب يعود في قيئه. وفي قوله صلى الله عليه وسلم إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار والتقدير ، لا تقتتلوا لأن القاتل والمقتول في النار والله أعلم . فهذا العدول إنما هو إذن

[1] صحيح مسلم، كتاب الفرائض المجلد 3 رقم: 1620 ص: 1239.

[2] المصدر نفسه، كتاب الفتن وأشراط الساعة المجلد 4 رقم: 2888 ص : 2214.

[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص: 501.

من أجل أن يحصل تعليل للحكم المحذوف بواسطة القضية التي جاءت جملة الجواب الاسمية تعرضها، وهو تعليل منطقي من شأنه أن يدفع بالمتلقي إلى التسليم بالحكم والمصادقة عليه ، فالجملة الاسمية التي جاءت تحل محل الجملة الفعلية في جواب الشرط في الحديث الشريف قادرة بعكس الجملة الفعلية على أن تنهض من الناحية الدلالية والحجاجية بوظيفة التعليل والإقناع.[1]،خاصية لها لاحظها في الحقيقة بنفينيست Emile Benveniste وهو يدرس الجملة الاسمية عند هوميروس فقال: كثيرا ما تبدو الجملة الاسمية عند هوميروس علاقة سببية...إن صياغة الكلام في هذا النحو تصلح بحكم انبناء مضمونها على الديمومة أن تكون مسندا ووسيلة تبرر لمن يروم إقناع الغير[2].

فمعنى الجملة الاسمية يجيء كالكناية عن معنى الجملة الفعلية المحذوفة ، فهو بمثابة الحجة على الدعوى المدعاة في الجملة المطوية، وهذه الكناية الحاصلة من الجملة الاسمية لا يمكن أن تحصل من الجملة الفعلية لو حققت ، فدلالتها تكون حينئذ افصاحية تصريحية ولما كانت الكناية كما يقول السكاكي: (ادعاء الشيء ببنية والإفصاح ادعاء الشيء لا ببينه)[3]

كما أن في التعبير بالجملة الاسمية تكثيرا للمعاني التي من شأنها أن تؤدي دلالة الجملة الفعلية المحذوفة وتزيد عليها ومن أبلغ منها لكونها تبدو للمتلقي مسرحا لتعدد الدلالات ، فهي دلالات كثيرة ولكنها رغم كثرتها ينتظمها خيط دلالي واحد ، ويجمعها محور دلالي واحد فهي ليست مختلفة ولا متضاربة. غير أن من جمل الشرط في الحديث ما يمكن ألا تعتبر جملة جوابه الفعلية محذوفة ، قد جاءت الجملة الاسمية المحققة في الخطاب تعوضها وتدل عليها ، ويمكن لنا أن نمثل لهذا بالأحاديث الآتية :

قوله صلى الله عليه وسلم : عَن عبد الله بن عمرو، أَنّ نبِيَ الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: **(إِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنَّ يَطْلُعَ قَرْنُ الشَّمْسِ الْأَوَّلُ، ثُمَّ إِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنْ يَحْضُرَ الْعَصْرُ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرُ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنْ تَصْفَرَّ الشَّمْسُ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى أَنْ يَسْقُطَ الشَّفَقُ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ فَإِنَّهُ وَقْتٌ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ)**[4].

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج1 ص: 502.

[2] Emile Benveniste problème de l'linguistique générale édition Gallimard 1966 p 10 cit la phrase nominale.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم ص: 413.

[4] صحيح مسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة المجلد 1 رقم : 612 ص :426.

وقوله صلى الله عليه وسلم :(**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ)**[1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم : **(مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ)** ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: **(مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ)**[2] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : **(مَنْ أَعْتَقَ شِقْصًا لَهُ فِي عَبْدٍ، فَخَلَاصُهُ فِي مَالِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ، اسْتُسْعِيَ الْعَبْدُ غَيْرَ مَشْقُوقٍ عَلَيْهِ)**[3].

و قوله صلى الله عليه وسلم : عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**مَنْ بَاعَ نَخْلاً قَدْ أُبِّرَتْ فَثَمَرَتُهَا لِلْبَائِعِ إِلاَّ أَنْ يَشْتَرِطَ الْمُبْتَاعُ**)[4].

التأبير هو أن يشق طلع النخلة ليذر فيه شيء من طلع النخل ، والإبار هو شقه سواء حط فيه شيء أم لا .

وقوله صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إِذَا أَفْلَسَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ بِعَيْنِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ**)[5].

وقوله صلى الله عليه وسلم : عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**)[6] أي فهو باطل غير معتد به

وقوله صلى الله عليه وسلم :عن أبي موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)[7].

---

[1] المصدر السابق،كتاب صلاة المسافرين وقصرها المجلد 1 رقم: 710 ص : 493.

[2] المصدر نفسه ،كتاب الجنائز المجلد 2 رقم : 945 ص : 652.

[3] المصدر نفسه ،كتاب العتق المجلد 2 رقم : 1503 ص : 1140.

[4] المصدر نفسه، كتاب البيوع المجلد 3 رقم: 1543 ص :1172.

[5] المصدر نفسه، كتاب المساقاة المجلد 3 رقم: 1559 ص : 1194.

[6] المصدر نفسه، كتاب الأقضية المجلد 3 رقم: 1718ص : 1343.

[7] المصدر نفسه، كتاب الإمارة المجلد 3 رقم : 1904 ص : 1513.

نلاحظ أن البيان النبوي قد عدل عدولا صريحا عن التعبير بالجملة الفعلية إلى التعبير بالجملة الاسمية في جملة جواب الشرط .ووجه الحجاج في هذا العدول الصريح واضح من خلال ما يفيده التعبير بالجملة الاسمية من الخارج من إلحاح على المعنى ومبالغة فيه وتأكيد لا يكون بواسطة الجملة الفعلية قال ابن الأثير: (إنما يعدل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضرب التأكيد والمبالغة[1].

هذا القول من باب في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما ومنه نفهم أنه يعنى العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية .

والخلاصة أن العدول عن الجملة الفعلية في جواب الشرط إلى الجملة الاسمية يكون للاحتجاج ، وتقديم الأدلة ، وتأكيد جواب الشرط للمتلقي وحمله على الاقتناع .

[1] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج2 ،ص:51.

2 – العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الصورة البيانية

توطئة:

ومن العدول النوعي الذي له أبعاد حجاجية في الخطاب النبوي الشريف الصورة البيانية التي هي عدول عن الحقيقة إلى المجاز ، وقبل أن نتكلم عن الصورة وأنواعها باعتبارها مجازا ، نتحدث عن المجاز . فما هو المجاز في اللغة والاصطلاح؟.

المجاز:

المجاز لغة:

من جاز الطريق ، وجاز الموضع جوزا وجوازا ومجاز سار فيه و سلكه.[1]

فالمجاز لغة : الانتقال من مكان إلى آخر ، وهذا المعنى هو الذي أخذه البلاغيون ، واستعملوه (للدلالة على انتقال الألفاظ من معنى إلى آخر)[2].

المجاز اصطلاحا :

يقول السكاكي: (لأن المجاز مفعل، من جاز المكان يجوزه إذا تعداه ، وهو الكلمة ؛ إذا استعملت في غير ما موضوع لها ، وهو ما تدل عليه بنفسها، فقد تعدت موضعها الأصلي)[3] .

وقبل السكاكي، تحدث عبد القاهر الجرجاني عن نوعين من المجاز: المجاز عندما يأتي كلمة أو لفظا مفردا، و المجاز عندما يأتي جملة. و نبه إلى الفروق الموجودة بينهما، ذلك (أن حد كل واحد من وصفي المجاز و الحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد غير حده ، إذا كان الموصوف به الجملة)[4].

فالأول هو كل (كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني و الأول فهي مجاز، و إن شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه و بين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز)[5] .

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة، (ج و ز)، ص:724.

[2] احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، ص:589.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، ص:3،ص:360،361.

[4] الجرجاني، عبد القاهر أسرار البلاغة،ص:324.

[5] المرجع نفسه، ص،،325،326.

وباختصار، نقول مع السكاكي، إن المجاز(عند السلف من علماء هذا الفن قسمان: لغوي... ويسمى مجازا في المفرد، وعقلي... ويسمى مجازا في الجملة)[1]. ويمنح الجرجاني المجاز العقلي الذي يقع في الجملة اهتماما موسعا؛ لأنه يتضمن حكما يجد مكانه الأصلي في العقل، ولا يعود إلى الوضع اللغوي[2].

الوظيفة النفسية للمجاز:

يقول البلاغي إن الاستدلال البياني، أو المجازي، أكثر تأثيرا من غيره، فإن (أرباب البلاغة، وأصحاب الصياغة للمعاني، مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، و أن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر)[3].

وتعود هذه القوة التأثيرية للمجاز إلى أنه لا يؤدي وظيفة حجاجية استدلالية خالصة، أي أنه لا يخاطب في المخاطب عقله و ذهنه فحسب، بل يخاطب النفس و الانفعال أيضا. ولاشك أن قوة المجاز أو قيمته تعود عند البلاغي إلى قدرته على التأثير في الوقت نفسه على عقل المخاطب ونفسيته.

ولهذا نجد الجرجاني ثم السكاكي بقدر ما يتوسعان في ربط المجاز بالإدعاء و الاستدلال بما يفيد تعلق المجاز بالعقل، بقدر ما يقدمان إشارات كثيرة تفيد تعلق المجاز بالنفس، وتشدد على وظيفته النفسية. وهذا ما يسمح لنا بالقول إن الوظيفة الحجاجية للمجاز لا تعني سعيه إلى إقناع عقل المخاطب بدعوى ما فقط، بل هي تعني سعيه إلى بلوغ النفس أيضا، وجعلها تقتنع بهذه الدعوى و تتبناها. فالمجاز أنجع وسيلة للتأثير في النفس و تمكين المعنى في القلب)[4].

ذلك أنه عندما نقول: هذا اللفظ كالعسل، فان القصد هو أن يجد السامع عند وقوع هذا اللفظ في سمعه حالة في نفسه شبيهة بالحالة التي يجدها الذائق لحلاوة من العسل والتشبيهات، عند الجرجاني، (تراها لا يقع بها اعتداد، ولا يكون لها موقع من السامعين، ولا تهز ولا تحرك حتى يكون أشبه مقررا بين شيئين مختلفين في الجنس) فكلما كان التباعد بين الشيئين، في التشبيهات، شديدا، كلما كانت النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب)[5].

[1] السكاكي، مفتاح العلوم،ص:362.
[2] المرجع نفسه ، ص:395.
[3] السكاكي،مفتاح العلوم،ص412:.
[4] القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص:221.
[5] المرجع نفسه، ص :116.

الخلاصة أن للمجاز دورا كبيرا في الحجاج والإقناع ؛ لأنه من جهة أولى يؤدي وظيفة استدلالية ، ويتوجه بالأساس إلى عقل المخاطب ، ولأنه من جهة ثانية يؤدي وظيفة نفسية ، ويستهدف التأثير في نفسية المخاطب، (فالاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق السامعين و تروعهم ، والتخييلات التي تهز الممدوحين وتحركهم ، وتفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش أو بالنحت و النقر، فكما أن تلك تعجب وتخلب، وتروق و تؤنّق، وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها، ويغشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه، ولا يخفى شأنه)[1] .

الصورة وأبعادها الحجاجية :

كان للعرب القدماء اهتمام كبير ببعد الصورة الحجاجي من حيث هي تأثير في الوجدان وإقناع للفكر، فبحثوا في وظيفتها من هذه الناحية ،كما بحثوا في بنيتها بوصفها استبدالا ، وحديثهم عن بنيتها وعن وظيفتها لا يكاد يختلف كثيرا عن حديث علماء الحجاج المحدثين في الغرب.

يحد فيتقنشتاين Wittgenstein الصورة L'image .عامة بقوله: (هي أن تشاهد الشيء على هيئة شيء آخر)[2]. والصورة في الكلام البشري هي بتعبير الولي محمد (الشيء الملموس معبرا عنه في اللغة)[3].

ويقول عبد الله صولة معقبا على قول الولي محمد : (ونقول مدققين طبيعة هذا التعبير الذي يحدث عنه الولي محمد : إنه تعبير استبدالي يقوم فيه الشيء المشاهد أو الملموس؛ أي الصورة بديلا عن الفكرة أو المعنى أو المفهوم. (والمفهوم هنا يعنى concept). سواء جاء هذا التعبير بالصورة للكشف عن كوامن نفس المتكلم ،أو لمجرد الإمتاع أو للتأثير والحجة والإقناع ببعد الصورة الحجاجي من حيث هي تأثير في الوجدان وإقناع للفكر.[4].

ونفهم من هذا أن الصورة –كما عبر عنها عبد الله صولة بعد تعقيبه على قول الولي محمد – قائمة على الاستبدال ؛ أي هي بديل عن الفكرة أو المفهوم ، جاء التعبير بها للتأثير والإقناع .وهذا ما أكده بقوله :أن الصورة قائمة عندهم على الاستبدال سواء كان منشأ الصورة الاستعارة وقوامها الاستبدال والخلفية

---

[1] الجرجاني عبد القاهر ،أسرار البلاغة، ،ص : 317،318.

2 راجعه في Paul Ricoeur la métaphore vive op cite p :269

[3] الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي. المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء:ط1 1990، ص:19.

[4] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج2 ص: 547 .

بداهة[1] أم كان منشؤها التشبيه أو التمثيل، وحتى الكناية والمجاز المرسل اللذين يتردد الدرس البلاغي الحديث في اعتبارهما صورة أو تنشأ عنهما صورة. فقد أخرج الولي محمد المجاز المرسل من عداد الأنواع البلاغية التي تنشئ الصورة[2] كما رأى أن في اعتبار الكناية صورة كثيرا من التجوز[3]، ولكننا نوافق عبد الله صولة الذي يرى أنهما صورة ، وإن قامت العلاقة فيهما على المجاورة التي هي وجودية لا على المشابهة التي هي جوهرية، يكونان أحيانا لا دائما طبعا. صورة أي (شيئا ملموسا) يعوض المفهوم، فهما يستويان من هذه الناحية مع الاستعارة والتشبيه [4].

ومهما يكن من أمر، فإن الصورة التي اعتبرها القدماء من حيث بنيتها، قائمة على المجاز الذي يعوض الحقيقة دون أن ينتج عن عملية التعويض هذه تغيير في المعنى الحقيقي. وإنما الذي يتغير هو الشكل أو الصورة التي قدم فيها ذلك المعنى تقديما عدل فيه عن المادة المعنوية إلى (التصوير والتقديم الحسي) اللذين أناط عليهما القدماء مفهوم الصورة[5].

هذه الصورة لها دور في الإقناع ، والتأثير سواء نشأت عن التشبيه ، أو الاستعارة ، أو الكناية . ولعل هذا ما يشجعنا على دراسة الصورة في الخطاب النبوي الشريف ، وبيان أبعادها الحجاجية ، ممثلة في التشبيه ، والاستعارة ، والكناية .

[1] ينظر ابن الحفيد التفتازاني: الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد: دار الكتاب العربي، بيروت 1400هـ/1980م,ص299: حيث يقول المجاز خلف عن الحقيقة.

[2] الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي: ص : 17:-19.

[3] المرجع نفسه: ص: 128.

[4] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج2 ص: 549 .

[5] المرجع نفسه: الفصل الرابع: التصوير والتقديم الحسي، ص : 255. 312.

1 . التشبيه :

التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته.[1]

وهو لون بلاغي نقرب به المعنى من المتلقي بتوظيف عناصر ومكونات من بيئته، وما يحيط به، حتى يبدو الخطاب أكثر وضوحا ونفاذا إلى القلوب والعقول.

وبعبارة أخرى أن التشبيه هو لون من ألوان التصوير الأدبي يبين أن شيئا شارك غيره في صفة أو أكثر ، وتعقد هذه المشاركة بأداة . وأركانه أربعة : المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ووجه الشبه ، وهو عدة أنواع منه على سبيل المثال : التشبيه البليغ ، والتشبيه التمثيلي .

إن التشبيه والتمثيل، ويجمع بينهما ويفرق حسب الجرجاني أن كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا يكشف عن وجه الاستدلال فيهما أوضح كشف طريقة الزمخشري في درس التمثيل ، وبناء على هذا يمكن لنا أن نقول إن كل تشبيه أو تمثيل هو صورة جاءت تعوض مفهوما أو معنى حقيقيا[2].

لقد أورد ابن القيم رأيين للقدماء مختلفين في شأن بنية التشبيه فمنهم من يراه (تفاعلا) بين ركنيه فهو لإثبات حكم من أحكام المشبه به للمشبه، ومنهم من يراه استبدالا وتعويضا فهو: الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعني ، وأن أحدهما يسد مسد الآخر وينوب منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازا[3]. ويضرب ابن القيم مثالا يوضح به مبدأ الاستبدال والنيابة هذا فيقول في درسه للتشبيه في جملة (زيد أسد): الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد ، وأنه متصف بشهامة النفس، وقوة البطش، والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى إلا أنا لم نجد شيئا يدل عليه سوى جعلناه إياه شبيها بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه ، فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا : زيد شهم شجاع قوي البطش جريء الجنان[4].

وما قاله ابن القيم عن التشبيه من حيث خضوعه لمبدإ الاستبدال، ينطبق على التمثيل باعتبار أن كل تمثيل تشبيه. وهو عدة أنواع منه على سبيل المثال : التشبيه البليغ ، والتشبيه التمثيلي .

---

[1] اليوم: يوم عرفة، الشهر: ذو الحجة، المكان الحرام: مكة المكرمة.

[2] المرجع السابق ، ج2 ص: 549

[3] ابن قيم الجوزية: كتاب الفوائد المشوق.إلى علوم القرآن . إشراف لجنة تحقيق التراث،مكتبة الهلال، بيروت (د . ت)ص:88.

[4] المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

ا . التشبيه البليغ:

وهو ما ذكر فيه المشبه ، وحذف منه الأداة ووجه الشبه وهو أقوى مراتب التشبيه وأبلغها لذلك اخترناه كآلية من آليات الحجاج في هذا الفصل من موضوع بحثنا ولعل ما يقوي رأينا هذا هو ما يقوله محمد الجرجاني في سبب قوة التشبيه الذي حذفت بعض عناصره :" أقوى مراتب التشبيه، حذف أداته ووجه شبهه معا،لأن ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه ... فحذفها يوهم عدم تلك المزية ، وذكر وجه الشبه يدل على انتفاء وجه آخر له، فحذفه يوهم عموم التشبيه في جميع صفات المشبه به"[1].

فحذف الأداة ووجه الشبه يخرج التشبيه من التقريرية والمباشرة إلى نوع من المبالغة والتأكيد على تقريب طرفي التشبيه ، ومن صوره في الخطاب النبوي الشريف ما يأتي :

عن أبي مالك الأشعريّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**) [2]

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...**)[3]

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**)[4].

نجد في الأمثلة المذكورة أعلاه ، عدة تشبيهات بليغة كتشبيه الصلاة بالنور، والصدقة بالبرهان ،والصبر بالضياء ، والقرآن بالحجة ، والظلم بالظلمات ، والدنيا بالسجن بالنسبة للمؤمن ؛ فكل مؤمن مسجون ممنوع من الدنيا من الشهوات المحرمة ، والمكروهة ، مكلف بفعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم ، والراحة الخالصة من المنغصات . وشبه الدنيا بالجنة بالنسبة للكافر الذي له من ذلك ما حصل عليه في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات فإذا مات

[1] القزويني الإيضاح ،ص: 227

[2] صحيح مسلم ،كتاب الطهارة ، المجلد1 رقم: 223 ص :203 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب البر والصلة والآداب، المجلد 4 رقم :2578 ص : 1996.

[4] المصدر نفسه ،كتاب الزهد والرقائق ،المجلد 4 رقم :2956 ص :2272 .

صار إلى العذاب الدائم ، وشقاء الأبد .نلاحظ أن المحل الشاغر(وجه الشبه) لم يرد ذكره في بنية التشبيه ، "وهو بؤرة الحجاج فحذفه شكليا ، وبقاؤه ضمنيا مخفيا ، يدعو إلى أن يعمل المتلقي كفايته الثقافية والمنطقية للكشف عنه . ومضمونه يكون عادة معلومة جديدة بالنسبة للمتلقين ، أو هي في حكم الجديد ، مما لا يمكن تمثله ، أو قبوله ، أو استساغته في سهولة ويسر، فمن أجل هذا سُلِكت إلى إيصال هذه المعلومة الجديدة ، وتبليغها للمتلقي سبيل فيها استدراج له من خلال ما ينشأ عن المشبه به من مفهوم ضمني ينشأ هو نفسه عن مفهوم أولي للصورة ، ويأتي لملء ذلك المحل الشاغر فشكل الصورة يحتوي على محل شاغر هو تاج الحجاج ومناطه ، يحث المتلقي ويضطره إلى وجوب ملئه من خلال المفهوم ، وهذا كاف على مدى حجاجية الصورة ، فنصف كلام الصورة المصرح به من صنع المتكلم ، ونصف كلام الصورة من صنع المتلقي، وهذا الوضع هو الذي يكفل للصورة قدرتها الحجاجية.[1]

فالكلام في هذا التشبيهات البليغة يترك للمتلقي فضاء ضمنيا يتحرك داخله ، ويحمله على الإسهام في صنع نصف الكلام الضمني فيكون بذلك قد خطا خطوة أولى على درب الاقتناع بما يعرض عليه . وبعبارة أخرى فإن هذا الإجمال الناشئ عن التشبيه البليغ يدعو المتلقي ؛ أي المخاطب إلى تفصيل وحدات البنية التركيبية للتشبيه مما يجعله شريكا في إنتاج الدلالة ، إلى جانب أن التشبيه البليغ يتضمن ادعاء من المتكلم على أن المشبه هو نفسه المشبه به ، وفي ذلك حث للمخاطب أن يأخذ المعنى واضحا على وجه ادعائه .رغبة في تأكيد المعنى عن طريق التصوير، والإقناع الحسي فضلا عن أن الصورة التشبيهية ذاتها ينبغي أن تكون مطابقة للواقع ، مدركة بالحواس .وكل هذا يدل على أن للتشبيه البليغ طاقة حجاجية في الإقناع .

وبناء على هذا يمكن لنا أن نميط اللثام ونكشف عن وجه الشبه الذي هو بؤرة الحجاج باعتباره كلاما ضمنيا ناشئا عن مفهوم أولي للصورة فهو في الصلاة نور: الوضاءة والنضارة و الإشراقة والهداية ، فالصلاة تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب كما أن النور يستضاء به . وفي الصدقة برهان : الاستدلال على الصدق والإخلاص كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال ، فيقول تصدقت به ، وفي (الصبر ضياء) أي الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا ، والمراد أن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب .فوجه الشبه هو: الاهتداء والاستمرار على

[1] عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج 2 ص : 642.

الصواب، ومعناه وفي الظلم ظلمات قتامة السواد المشعر بالخوف وندرة الأمن وعدم الاهتداء والعذاب . فهذا الإجمال من غير تفصيل بسبب حذف وجه الشبه سما بأسلوب الكلام إلى درجة تطلب من السامع كفاءة تمكنه من ملء المحل الشاغر أين تكمن الطاقة الحجاجية والوقوف على الغرض المقصود. وفي هذا الصدد يقول الطرابلسي: (يتميز بتجرده من التفصيل بسبب خلوه من وجه الشبه مما يسمو بأسلوب الكلام إلى مستوى يقتضي من المتقبل إلماما خاصا بإطار الحديث أو ثقافة معينة واسعة تمكنه من الوقوف على الهدف المقصود[1]

وقريبا من هذا ما قاله ابن الأثير : (واعلم أن فائدة التشبيه هي الكشف عن المعنى المقصود ، مع ما يكتسبه من فضيلة الإيجاز والاختصار)[2] .

وسبب هذا التأثير هو ما توحي به الصورة المشاهدة من خيالات في ذهن المتلقي، حين يجد نفسه في مواجهة صورة تدركها حواسه، فلا يمكنه إنكارها أو الشك في حقيقتها.

فضلا عن كون هذا اللون من التشبيه أسهم في توضيح المعنى المراد وتبيينه وتأكيده ونقله من التجريد إلى التجسيد ، وجعل المشبه هو المشبه به نفسه ، وهو الأمر الذي يؤكده الرماني بقوله : (التشبيه باعتباره إجراء دلاليا وظيفته افهامية من خلال زيادة المعنى وضوحا وتوكيدا وإخراج الموصوف من حال التجريد إلى التجسيد ، ومقياس التشبيه عنده كثرة وجوه الشبه حتى يصل حده إلى قيام الواحد مقام الآخر)[3]

إضافة إلى ما للتشبيه من قدرة على التصوير والتجسيم أو التقديم الحسي للمعنى،على اعتبار التصوير الحسي وسيلة للتوكيد والمبالغة والمغالاة في نقل المعنى كما يقول ابن الأثير، وما يحدث من خلاله هو "إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة " [4].

وفي هذا الشأن يجعل الرماني وجوه التشبيه أربعة :

1 – إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ...

2 – وإخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة .

---

[1] الطرابلسي محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، منشورات الجامعة التونسية 1981 ص : 147.

[2] ابن الأثير ضياء الدين،الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور ،تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد ،مطبعة المجمع العلمي العراقي 1375 هـ 1956م ص: 90 .

[3] الرماني : علي بن عيسى النكت في إعجاز القرآن .ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام . دار المعارف ط 4 القاهرة (د . ت) .ص: 80 .

[4] الرازي فخر الدين محمد بن عمر(ت 606هـ). نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان. الأردن 1985 م ص :106 .

3 – وإخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة .

4 – وإخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة [1]

كما يمكن أن نستأنس في تعليل هذا الأمر، بما ذكره عبد القاهر من "أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس... لأن العلم المستفاد من طرق الحواس يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام" [2].

ب . التمثيل :

التمثيل : ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور[3].

أي أن تشبيه التمثيل : هو ما كان فيه وجه الشبه منتزعا من متعدد . وهو عكس التشبيه ؛ لأنه لا يقيم تشابها بين عنصرين اثنين بل بين صورتين يقوم على التشابه في العلاقة لا على علاقة التشابه بتعبير عبد الله صولة الذي يقول: إن التمثيل على عكس التشبيه مثلا، لا يقيم تشابها بين عنصرين اثنين بل بين بنيتين اثنتين فليس التمثيل بقائم إذن على علاقة تشابه وإنما هو قائم على تشابه في العلاقة أي أن التشابه فيه بين علاقتين: علاقة (أ) بـ (ب) من ناحية وعلاقة (ج) بـ (د) من ناحية أخرى[4].

وتظهر قيمته الحجاجية في توجيه السامع إلى النتيجة ، واستدراجه نحو الإقناع . من خلال عقد هذه الصلة بين الصورتين ،ليتمكن المخاطب من الاحتجاج ، وبيان حججه ،وفي هذا يركز عبد القاهرعلى التأثيرالذي يمارسه التشبيه على المتلقي فيقول : (اعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ... وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم ..وإن كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر)[5].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن .ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ..ص 81 .

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص :106 ، 107 .

[3] القزويني ،الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة ، ص: 216

3 Perlman et tyteca : traité de l'argumentation.op cit p 501 et 504

[5] الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة ص : 118 119

يمكن لنا أن نمثل له بالحديث الذي روي عن أبي موسى، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: (**مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**)[1]

شتان ما بين بيت وبيت : بيت عامر حيّ ، بذكر الله ، وإقام الصلاة ، وتلاوة القرآن الكريم ، والتسبيح والتهليل والتكبير ، ينبض بحركة اللسان الذاكر المسبح لله بحمده ، وشكره أناء الليل وأطراف النهار ، وبحركة الجسد الراكع الساجد ، وحياة القلب الخاشع الخانع القانت ، وحياة الروح المطمئنة . وبيت غافل ساكن سكون المقابر، لا حركة فيه ، ولا حياة ، فهو ميت خلا من ذكر الله . مثّل النبي – صلى الله عليه وسلم – للأول بالحيّ ، ومثّل للثاني بالميّت فنلاحظ أن التشابه في العلاقة بين البيت الذي يذكر الله فيه ، وبين الحي من جهة ، وهو الحركة الإيجابية ، والحياة الحق ، والسعي المثمر المفلح ، والرزق والكسب (كسب الحسنات) ، وفي العلاقة بين البيت الذي لا يذكر الله فيه ، وبين الميّت من جهة أخرى ، وهو: السكون ، والغياب ، واللا وجود في الواقع ،وفي هذا التمثيل بيان أيما بيان يسهم في توجيه المتلقي نحو الإقناع لما له من طاقة حجاجية

ومنه أيضا الحديث الذي روي عن جابر وهو ابن عبد الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ، غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ**)[2]

فلننظر إلى روعة هذا البيان النبوي الشريف الذي يملك على السامع عقله وقلبه بواسطة هذا التمثيل الذي يمثل فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للصلوات المفروضة الخمس بالنهر الجاري الكثير المياه على باب أحدكم والخطاب فيه للعموم إشارة إلى سهولته وقرب تناوله يغتسل منه كل يوم خمس مرات لاشك أنه لا يبقى من درنه شيء ، فبهذا التمثيل يضع المخاطب في موقف لا يستطيع معه أن ينكر أن من يغتسل بالماء كل يوم خمس مرات لا يبقى من وسخه شيء ، وهذا يقتضي ضمنيا عن طريق التمثيل أن إقامة المسلم الصلوات المفروضة الخمس وتأديته لها بالكيفية المشروعة ، تطهره من الآثام والذنوب ، فهذا المقتضى الضمني الذي يستنتجه المخاطب بنفسه هو الذي يؤدي به إلى الإقناع .

ومنه الحديث الذي روي عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)[1]

[1] صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها .المجلد 1 رقم : 779 ص : 539 .

[2] المصدر نفسه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،المجلد 1 رقم 668 ص : 463 .

الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه . حيث شبههم الرسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الحال وبهذه الصورة بصورة الجسد المتماسك الأعضاء المتلاحم الأجزاء حتى إذا اشتكى منه عضو اختل نظامه واضطرب ميزانه ، وشارك بعضه بعضا في ذلك فتساقط أو قرب من التساقط . فأنت ترى وجه الشبه منتزعا من متعدد يتمثل في التلاحم والتماسك والتعاضد والوحدة ، ووجه الحجاج فيه يظهر في عقد الصلة بين الصورتين ليتمكن المخاطب من الاحتجاج وبيان حججه ؛ لأن المتلقي لا يعترض على أن الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فهو حقيقة مشهودة ، وواقع مجرب وفي هذا توجيه السامع إلى النتيجة ، واستدراجه نحو الإقناع عن طريق ملء المحل الشاغر وهو ذكر وجه التشابه بين علاقة المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، وعلاقة الجسد بسائر الأعضاء بجامع التماسك والتكامل والتلاحم والانسجام . فهذا المقتضى الضمني الذي يستنتجه المخاطب بنفسه ، هو الذي يجعله يقتنع . وبذلك (يكون التمثيل قد استكمل أركانه وسد المحل الشاغر أو المحلين الشاغرين فيه وأدى وظيفته الحجاجية على خير وجه .)[2].

[1] المصدر السابق ، كتاب البر والصلة والآداب ، المجلد 4 رقم 2586 ص : 1999 .

[2] عيد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ج2 ص:656 .

2 . الاستعارة:

تعد الاستعارة آلية من آليات الحجاج ، فهي إحدى أبرز صور المجاز ، وأكثرها قدرة على التأثير " فالقول الاستعاري يتميز عن القول الحرفي في الحجاج بكونه يؤدي عدة وظائف في عملية التخاطب ، وعمليتي الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع ، ولذا فإن القول الاستعاري يعد آلية حجاجية بامتياز "[1]. وهو الأمر الذي يدعونا إلى أن نبين الأبعاد الحجاجية للاستعارة ، لكن بعد أن نتحدث عن مفهومها لغة ، واصطلاحا .

الاستعارة في اللغة :

يقول ابن منظور(ت 711م) الاستعارة من العارية، وهي معروفة [2] ؛ أي استعارة شخص من شخص آخر لمعرفة بينهما، والزبيدي يقول :(هم يستعيرون من جيرانهم الأمتعة و الثياب أي يستعيرون)[3] .

ونجد هذا موضحا عند ابن الأثير (ت736) بقوله :(الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء و لا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة احدهما من الآخر شيئا و إذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه)[4] فالأشخاص هم الألفاظ والكلمات والمعرفة التي بين هؤلاء الأشخاص هي علاقة المشابهة بين الألفاظ التي لولاها ما صحت الاستعارة.

وقد تردد عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في الاستعارة هل هي من المجاز العقلي أم من اللغوي و أشار المتأخرون إلى هذا التردد في الرأي فقال الرازي (ت606هـ): (اضطراب رأي الشيخ في أن هذا المجاز عقلي أم لغوي و الذي نراه في الأسرار أنه لغوي)[5] ورأى أن الاستعارة مجاز لغوي.

---

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ص: 95 ، 96.

[2]. ينظر لسان العرب، مادة (عير):ج2 ص : 940-941.

[3] الزبيدي محمد مرتضى (ت 1205 هـ) ،تاج العروس .ج3 ص 435.

[4] ابن الأثير، المثل السائر، ج2 ، ص: 77.

[5] الرازي فخر الدين محمد بن عمر(ت 606هـ). نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص :84.

الاستعارة اصطلاحا :

ولعل أول من تناولها بالتعريف الجاحظ (ت552ه)[1] ومن جاء بعده [2] إلا أنهم لم يعطوها التعريف الاصطلاحي الذي أعطاه عبد القادر الجرجاني، حيث حدد العلاقة بين المستعار و المستعار له و هي المشابهة[3]. واستقر التعريف تقريبا عند السكاكي (ت 626ه) في كتابه (مفتاح العلوم)[4] معتمدا على ما أخذه من عبد القاهر الجرجاني، وكذلك تبلور التعريف عند القزويني (ت937ه) في كتابه الإيضاح)[5]

وبعد أن مر مصطلح الاستعارة بهذه المدة التاريخية من الدراسة و التحديد، ، حدده جمهور البلاغيين بأنه ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة، بعد أن تردد عبد القاهر الجرجاني (ت471ه) في الاستعارة هل هي من المجاز العقلي أم من اللغوي ؟ وأشار المتأخرون إلى هذا التردد في الرأي فقال الرازي (ت606ه): (اضطراب رأي الشيخ في أن هذا المجاز عقلي أم لغوي والذي نراه في الأسرار أنه لغوي)[6]

وعرفوها بأنها : اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنيين الحقيقي و المجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للفظ[7]. وهو تعريف لا يخرج عما ذكره السكاكي والقزويني.

إن العلاقة بين طرفي الاستعارة (ليست علاقة منطقية بقدر ما هي علاقة من وضع الخيال الذي يتجلى من خلال الدمج و الانصهار بين المستعار منه و المستعار له)[8]. فعندما نقول: إن الاستعارة تقوم على التشبيه و تنبني عليه فإننا نعني بذلك أن المراد منه :(الذي يضمره المستعير في نفسه وهو تشبيه معنوي لا لفظي و هو لا يمكن تناسيه إلا بعد وجوده و استحضاره في النفس)[9] و من ثم يكون ميدان عمل الخيال في تشبيه المعاني و ربط الكلمات والتشبيه أصل في الاستعارة وهي فرع منه وقد يفوق الفرع الأصل كما قال الشاعر:

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين،ج1 ، ص :153.

[2] ينظر ابن قتيبة (ت276ه): تأويل مشكل القران، ص : 102 ، و ينظر الوساطة بين التبني و خصومه، القاضي الجرجاني (ت392ه) ، ص:41 .

[3] ينظر عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ص :34.

[4] السكاكي مفتاح العلوم ، ص :174.

[5] القزويني الإيضاح، ج2 ، ص: 278.

[6] الرازي فخر الدين محمد بن عمر(ت 606ه). نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 1985 م ، ص :84.

[7] ينظر غازي يموت علم أساليب البيان ص : 234، و ينظر: علم البيان في الدراسات البلاغية ، علي البدري ص :176.

[8] أحمد عبد السيد الصاوي، فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي ، دار بور سعيد ، الإسكندرية 1979 م .ص : 306.

[9] ينظر المرجع نفسه ، ص : 20 .21 .

كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرَى شَرَف كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ عَدْنَانُ .[1]**(البسيط)**

و بتقييد العلاقة في الاستعارة بالمشابهة خرج المجاز المرسل و العقلي؛ لأن المرسل له ملابسات غير المشابهة، و العقلي مجازه في الإسناد .[2]

وفي الاستعارة يحذف أحد الطرفين المستعار منه ، أو المستعار له ، و وجه الشبه ، والأداة حتى يصح استعمالها.

وأما اللفظ المستعمل في غير ما وضع له: فمعناه أن الألفاظ تدل على ما وضعت له في أصل اللغة وهذا ما يسمي بدلالة المطابقة كما قال السكاكي (هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة الإنسان على مجموع الحيوان الناطق و دلالة البيت على مجموع السقف و الجدار و سميت بذلك لتطابق اللفظ و المعنى)[3] . وهي دلالة وضعية و مثال على ذلك لفظ الأسد المفترس المعروف فاستعاره للرجل الشجاع مثل: (صافحت الأسد) فهو استعمال في غير ما وضع له على سبيل الادعاء لأن الاستعارة (لا تكون نقلا و إنما هي ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به و ذلك عن طريق إثبات المشبه به للمشبه)[4]. فدخل بالادعاء الرجل الذي هو المشبه في جنس المشبه به وهو الحيوان المفترس بإثبات ما يحمل لفظ الأسد من شجاعة و إقدام وهي من خصائص المشبه به ،للرجل المشبه، و يكون لفظ الأسد (مستعارا) وهو اللفظ المنقول، ويكون المستعار منه الحيوان المفترس المسمى أسدا، والمستعار له (الرجل الشجاع)، بعلاقة المشابهة بين الطرفين بمعاني الشجاعة والإقدام .

أما بالنسبة للقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي(فهي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له فهي تصرف الذهن عن المعنى الوضعي إلى المعنى المجازي و بتقييد القرينة هنا بمانعة خرجت الكناية فان قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي)[5].

وتنقسم القرينة إلى لفظية وحالية و اللفظية : هي ما يلفظ بها في الكلام ، و الحالية هي أمر عقلي تفهم من السياق أو حال المتكلم و هذا هو الغالب الأعم[6]، و قد تكون القرينة معنى واحدا كالمثال السابق(صافحت الأسد) أو تكون أكثر من معنى واحد كقول بعض العرب[7]:

فَإِنْ تَعَافُـوا الْعَـدْلَ وَ الإِيمَانَا فَإِنَّ فِـي إِيمَانِنَا نِيـرَانَا .(الكامل)

---

[1] علي البدري علم البيان في الدراسات البلاغية مكتبة النهضة المصرية ط2 القاهرة 1404هـ 1984 م. ص 176.

[2] ينظر الإيضاح، ج2 ، ص : 270 .

[3] السكاكي ، مفتاح العلوم ص:24.

[4] أحمد مطلوب، البلاغة العربية ، ص:215.

[5] أحمد الهاشمي جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة 1383هـ. 1963 .ص:291.

[6] علي البدوي ، علم البيان في الدراسات البلاغية:217.

[7] المرجع نفسه، ص:218.

فالنيران مستعارة للسيوف بجامع القتل استعارة تصريحية والقرينة هي العدل والإيمان لأن كليهما بمنزلة الشرط.

وفي الاستعارة التصريحية تكون القرينة من ملائمات المشبه وفي الاستعارة المكنية من ملائمات المشبه به، فهي تتبع الطرف المحذوف في الاستعارة.

والاستعارة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة وهي (تحصل من التفاعل بين بؤرة المجاز والإطار المحيط بها)[1] و هذا ما جاء به أصحاب النظرية التفاعلية للاستعارة ومن ضمنهم ماكس بلاك وتيبن فعندهم أن (للاستعارة هدفا جماليا و تشخيصيا و تجسيديا وتخيليا و عاطفيا)[2] و يقول ماكس بلاك : (إننا عندما نقول إن في الجملة استعارة هو أن نذكر شيئا من معناها لا عن تهجئتها وإملاءها أو أصواتها أي ينظر إليها من حيث الدلالة لا من حيث النحو وبناء الكلمة أو الجملة)[3].

إن كل ما جاء به أصحاب النظرية التفاعلية صحيح من الوجهة العلمية لهذا المصطلح ولكنهم لم يخرجوا على ما جاء به العرب من تحديد لمفهوم هذا المصطلح، ولم يضيفوا في بيان القيم الجمالية والتعبيرية فيه شيئا عما قاله البلاغيون القدماء ولاسيما عبد القاهر الجرجاني[4] .

وتكمن فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق ، إذ تمثل الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات اللغوية ، رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر ويظهر التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه إذ تكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المخاطب إلى الاقتناع ؛ إذ يهدف إلى تغيير المقاييس التي يعتمدها المخاطب ليكون سبب القبول والتسليم . وليس التخييل أو الصنعة اللفظية .فهي أبلغ لما فيها من البيان بما يحس ويتصور ، فهي مبالغة في التشبيه مع الإيجاز .

ومن أقسامها : الاستعارة بالكناية ، والاستعارة تصريحية .

وسنقتص على بعض الأمثلة من الاستعارة بقسميها: المكنية والتصريحية لتبيين وجه الاحتجاج بهما .

---

[1] يوسف أبو العدوس ، النظرية التفاعلية للاستعارة، المجلة العربية للثقافة، العدد 32 لسنة 1997 . ص: 223.

[2] المرجع نفسه ، ص:223 .

[3] المرجع نفسه ، ص: 223.225.

[4] ينظر: الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة: 17.18.

ا . الاستعارة المكنية:

وهي التي يذكر فيها المشبه ويحذف المشبه به مع ترك صفة من صفاته أو لازمة من لوازمه وإعارتها للمشبه مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي والعلاقة هي المشابهة ، أو"هي التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفي بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه "[1]

ومن الأمثلة على ذلك قوله- صلى الله عليه وسلم :

عن أَس عن النَبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: (**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)[2] .

في هذا البيان النبوي استعارة مكنية ، وذلك أن الحلاوة إنما تكون في المطعومات ، والإيمان ليس مطعوما شبه الإيمان بنحو العسل ، ثم طوى ذكر المشبه به ؛ لأن الاستعارة هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به (عسل ونحوه) حقيقة والجهة الجامعة وهو وجه الشبه الذي بينهما هو الالتذاذ وميل القلب إليه ثم لما ذكر المشبه أضاف إليه ما هو من خواص المشبه به ولوازمه وهو الحلاوة على سبيل التخيل وهي استعارة تخييلية وترشيح فنلاحظ في هذه الاستعارة المكنية عدولا عن معلومة جديدة وهي تشبيه الإيمان بالعسل بجامع الالتذاذ وميل القلب إليه ، إلى معلومة قديمة وهي كون العسل حلوا . وإذا كانت المعلومة الجديدة تمثل حكما هو موضوع اعتراض بطريقة أو بأخرى كالحكم على الإيمان بأنه حلو ، وكانت المعلومة القديمة محل إجماع في عالم معتقدات المخاطبين ، فعدوله عن المعلومة الجديدة إلى المعلومة القديمة ، لكون القديمة أقدر على توجيه الملفوظ نحو النتيجة المراد ة منه وهي ذات طاقة حجاجية أرقى من الجديدة . وهذا احتجاج واضح للمستعار له بهدف التأثير والإقناع بحيث يمارس المخاطب على المتلقي نوعا من الضغط يهدف إلى حمله على التصديق بمدلول الخطاب والتسليم به والركون إليه .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**)[3]

---

[1] أحمد مطلوب ا،لبلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع) ،مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل 1980 .ص: 218

[2] صحيح مسلم ،كتاب الإيمان المجلد 1 . رقم :43 ص : 66 .

[3] المصدر نفسه ،كتاب الإيمان ، المجلد 1 رقم : 16، ص: 45 .

في هذا البيان النبوي استعارة مكنية (والاستعارة في كلمة الإسلام والقرينة بنى على التخييل لأنه شبه الإسلام بمبنى له دعائم ثم خيل كأنه بيت على المبالغة ثم أطلق الإسلام على ذلك المخيل ثم خيل له ما يلازم البيت المشبه به من البناء ثم أثبت له ما هو لازم البيت من البناء على الاستعارة التخييلية ثم نسب إليه ليكون قرينة مانعة من أرادة الحقيقة . فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به وذكر ما هو من خواص المشبه به وهو البناء ويسمى هذا استعارة ترشيحية)[1]. وبتعبير آخر فالمستعار له هو الإسلام وهو معقول والمستعار منه البيت ، وقد حذفه وأبقى لازما من لوازمه ، وهو البناء وهو محسوس والجامع بين المستعار منه والمستعار له : القوة والصلابة . والاستعارة تخييلية لأن " استعارة الشيء المحسوس للأمر المعقول هي من صنع الخيال" [2]. وفي الاستعارة ذكر ما يلائم المستعار منه (البيت) ترشيح وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم ، والترشيح أبلغ من التجريد والإطلاق لما فيه من قوة في التأكيد والمبالغة التي تؤديها الاستعارة ، كما أن فيه إغراقا في تناسي التشبيه حتى لقد يستعيرون الوصف المحسوس للمعقول ، ويجعلون تلك الصفة كأنها لذلك الشيء ، وكأن الاستعارة لم توجد أصلا[3] . والاستعارة الترشيحية أبلغ أنواع الاستعارة ، وكل حقيقة عقلية تزداد رسوخا في القلب إذا امتثلت شاخصة أمام العيان .

فالاستعارة لها قدرة على التصوير والتخييل ونقل المشاعر ، (فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية)[4]. (ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر.)[5] ومن أغراضها كما ذكر العسكري التأكيد والمبالغة والإيجاز والحسن والتأثير [6]

وبعد هذا يمكن لنا أن نقول : إن الاحتجاج بالاستعارة المكنية يكمن في قدرتها على التأثير في نفسية المتلقي وعواطفه ومشاعره ، وحمله على الاقتناع بواسطة الانتقال من مما هو مجرد ومعنوي إلى ما هو

---

[1] العيني بدر الدين ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1 ، ص : 120 .

[2] الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ص: 262 .

[3] ينظر بدوي طبانة معجم البلاغة العربية ، منشورات جامعة طرابلس كلية التربية ، ط1، 1975 .ج1 ص:06 3.

[4] الجرجاني ، أسرار البلاغة ص: 33

[5] المرجع نفسه ، ص: 33

[6] العسكري الحسن أبو هلال ،كتاب الصناعتين، ص : 295

حسي ، الذي يقوي الشعور لديه بحضور الأشياء من جهة ، واستمداد مادة صورتها من المحسوس من جهة أخرى ، فهي (إذ تقنع أو تكون منطوية على طاقة إقناعية لا تكون كذلك لأنها من الحس فحسب وإنما لأن هذا الحس نفسه منتزع من تجارب المتلقين المادية وممارساتهم المعيشية ومشاهداتهم العينية ومن سلوكهم اليومي)[1].

فضلا عن كونها بناء شيء هو – إجمالا – محل خلاف ، على شيء هو – إجمالا – محل اتفاق. ولعل هذا ما عبر عنه الجرجاني بقوله : "وأما الاستعارة فإن مقدمتها الثانية يقينية،و"الشك كلما كان أقل في المقدمات المنتجة،كانت الدعوى من القبول أقرب (إذ تقنع أو تكون منطوية على طاقة إقناعية لا تكون كذلك لأنها من الحس فحسب وإنما لأن هذا الحس نفسه منتزع من تجارب المتلقين المادية وممارساتهم المعيشية ومشاهداتهم العينية ومن سلوكهم اليومي)[2].

فهي قد تعلو استعمال ألفاظ الحقيقة ، وذلك لأن المخاطب لا يلجأ إلى استعمالها ، إلا لوثوقه في أنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا ، وهذا ما يرجح تصنيفها ضمن أدوات السلم الحجاجي أيضا إذ (تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي)[3]

ب . الاستعارة التصريحية :

تقوم على حذف المشبه والتصريح بالمشبه به مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي .أو "[4]هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه "

ومن الأمثلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على أزواجه وسواق يسوق بهن يقال له أنجشة فقال: **(وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْداً سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ)**[5]. فقد شبه النساء بالقوارير لسرعة تأثرهن بالغناء وغيره فالمستعار منه هو القوارير (واحدها قارورة من الزجاج والقارور ما قر فيها الشراب وغيره)[6] فحذف المشبه وهو

---

[1] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الأسلوبيه ص 568 .

[2] المرجع نفسه ، ص 568 .

[3] عمر أوكان ، اللغة والخطاب إفريقيا ،الشرق 2001 ص :134

[4] أحمد مطلوب ،البلاغة العربية ص: 217

[5] صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ، رقم 2323 المجلد 4 ص : 1812 .

[6] ابن منظور، لسان العرب مادة (قرر): ج3 ص 54 .

النساء (المستعار له) وصرح بالمشبه به لوجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهي من ملائمات المشبه ، والجامع بينهما سهولة التأثر، والقوارير توحي بالهشاشة وسرعة الكسر والتي تتطلب رفقا كبيرا وعناية خاصة وهذا يتناسب مع ضعف النساء الذي يقتضي معاملة خاصة ، فيها كل معاني الرفق والإحسان حتى تعيش آمنة مطمئنة تؤدي رسالتها في الحياة على أحسن وجه

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَ لَهَا: (**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**) ، فَقَالَتْ: وَمَا تُبَالِي بِمُصِيبَتِي فَلَمَّا ذَهَبَ، قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ، فَأَتَتْ بَابَهُ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: (**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ**) ، أَوْ قَالَ: (**عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ**)[1]

في الحديث حث على الصبر عند المصائب ففي قوله : (اتقي الله) الظاهر أنها كانت تنوح في بكائها ولهذا أمرها بتقوى الله ومخافته [2]

والاستعارة في عبارة : (إنما الصبر عند أول صدمة ، أو قال عند أول الصدمة) هي الصدمة وأصل الصدم في اللغة هو " الضرب بجسد أو بشيء صلب "[3] واستعير لأول حدوث المصيبة لأنها لحظة حدوثها تصدم العقل والقلب كما يصدم جسد بجسد فالمستعار منه هو الصدم بالأجسام الصلبة . والمستعار له : هو المؤثر القوي الذي يهجم على القلب فجأة والذي ينطلق من المصيبة لحظة وقوعها في أولها .واللفظ المستعار هو الصدمة . والجامع بينهما هو شدة التأثير . أفادت هذه الاستعارة الدقة في تحديد الصبر الذي يحمد ويؤجر عليه المسلم وهو عند أول حدوث المصيبة . أما ما يحدث للإنسان من سكون بعدها فهو سلوة ونسيان . فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يجتمع على هذه المرأة مصيبتان: مصيبة الهلاك وفقدان الأجر. فأنت ترى أن هناك تفاعلا تاما بين طرفيها، بحيث يخيل للمتلقي أن المشبه هو نفسه المشبه به، وذلك بإسقاط المشبه من الصورة. فيتحقق بذلك الابتكار والتشخيص، ومن ثم تأكيد المعنى في النفس. من أجل حمل السامع على الاقتناع .

[1] صحيح مسلم ،كتاب الجنائز المجلد 2 ، رقم 926 ص : 638

[2] العيني بدر الدين ،عمدة القاريء ج3 ص :391 .

[3] المعجم الوسيط ،مادة (صدم) .ج1 ص: 511 .

هذا هو مكمن حجاجيتها في ادعاء أن المشبه هو نفسه المشبه به ، أي المطابقة بين المستعار منه والمستعار له .كما " أن المتكلم يثبت بها معنى لا يعرفه السامع من اللفظ ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ [1] فالدلالة كامنة في معنى القوارير في الحديث السابق لا في لفظه وكذلك في معنى الصدمة .

ومن ناحية أخرى نجد المتكلم في الاستعارة يأتي بما يتجاوز به المعتاد من القول والجاري على الألسنة، ليثير المخاطب ، ويحركه بهذا العدول و الانزياح مما يدفعه إلى إعمال فكره لإدراك المقصود ، واستنتاج الضمني وما يستنتجه بنفسه لاشك أنه لا ينكره وبالتالي يخضع ويقتنع .

[1] تامر سلوم ، نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية سورية (د، ت) . ص: 274 .

الكناية:

يقول يحي بن حمزة العلوي اليماني في تفسير لفظ الكناية وبيان معناها :

ولكثرة دورها في الكلام استعملت في اللغة ، والعرف، والاصطلاح ، فهذه مجار ثلاثة [1] :

المجرى الأول : في لسان أهل اللغة

الكناية لغة : الكناية مصدر كني يكني ، وكنيته تكنية حسنة ، ولامها واو وياء ، يقال : " كناه يكنيه ويكنوه " والكنية بالأب أو بالأم ,فلان يكنى بأبي عبد الله ، وفلانة تكنى بأم فلان

المجرى الثاني: في عرف اللغة

جاء في مختار الصحاح "الكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره)[2] .

الكناية مقولة على ما يتكلم به الإنسان ، يريد به غيره

والكنية بالضم والكسر في فائها: واحدة الكنى واشتقاقها من الستر ، يقال : " كنيت الشيء " إذا سترته ، وإنما أجري هذا الاسم على هذا النوع من الكلام ؛ لأنه يستر معنى ويظهر غيره ، فلا جرم أن سميت كناية .

المجرى الثالث: في الاصطلاح

الكناية في الاصطلاح البلاغي تعني إطلاق اللفظ وإرادة لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الحقيقي. وعرفها السكاكي بأنها (ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك ، كما تقول : فلان طويل النجاد ، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طويل القامة)[3]. فالمتكلم يقوم في الكناية بعملية تركيب ينقل خلالها المعنى إلى أحد لوازمه ، وما يترتب عليه فيذكره، ويكون هذا اللازم المذكور نقطة الانطلاق للمتلقي في تحليل المعنى الكنائي ، حيث يمر بلوازم المعنى التي مربها المتكلم ، ولكن في اتجاه عكسي إلى أن يصل إلى المعنى المراد .يقول الجرجاني : (متى أريد الدلالة على معنى فترك أن يصرح به فيذكر باللفظ الذي هو له في اللغة ، وعمد إلى معنى آخر فأشير به إليه وجعل دليلا عليه كان للكلام بذلك حسن ومزية لا يكونان إذا لم يصنع ذلك وذكر بلفظه صريحا)[4].

[1] العلوي يحي بن حمزة (ت 745 هـ)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز تج1 . ص: 284 ، 289 .

[2] الرازي ،مختار الصحاح ص 369

[3] السكاكي، مفتاح العلوم ص :512 .

[4] الجرجاني، دلائل الإعجاز ص:333 .

والكناية هي أيضا قائمة على الاستبدال. فما الكناية عند ابن الأثير إلا استعارة. والعلة في ذلك أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له. وكذلك الكناية فإنها لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام فيقال كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية[1]

ويعلق عبد الله صولة على قول ابن الأثير بقوله : واضح من كلام ابن الأثير أن سبب جعله الكناية استعارة خضوعها لعمليتي الطي والذكر، أي لمبدأ التعويض والاستبدال في تعبيرنا [2] . ولعل هذا ما يشفع له عز الدين بن عبد السلام بقوله : وبذلك تدرج الكناية في باب المجاز، وإن لم يكن هذا مسلما به بإجماع[3].

وعرف الفخر الرازي الكناية : بأنها اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها ، ويكون معناها مقصودا أيضا [4] وكونها (أبلغ من الإفصاح هو أنها تذكر الشيء بواسطة ذكر لوازمه ، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم ، ومعلوم أن ذكر الشيء مع دليله أوقع في النفوس من ذكر الشيء لا مع دليله ، فلأجل ذلك كانت الكناية أبلغ [5] بل رب كناية تربي على إفصاح [6].

ويمكن لنا أن نمثل لها بقوله صلى الله عليه وسلم : (**فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**)[7]

ففي هذا البيان النبوي الشريف عدول عن التعبير بالمعنى الصريح ، إلى التلميح بغية اختيار فطنة المخاطب وذكائه في اكتشاف الدلالة الضمنية ، فيبدأ استدلالاته من لفظ الكناية إلى المعنى المذكور ؛ ومن ثم إلى لازم هذا المعنى ، وهو المقصود ، وبالتالي فهو يقوم بعملية بناء المعاني وتركيبها من المعطى إلى المسكوت عنه ، ومن الصريح إلى الضمني ، ومن الملفوظ إلى المقصود . فالمعنى اللازم المقصود في الخطاب هو نور الوجه ، وهو المعنى الضمني المسكوت عنه الذي تركه للمخاطب ليكتشفه بنفسه ، وما اكتشفه بنفسه لايستطيع أن ينكره فهو يقتنع به ، فقد أطلق لفظ من استطاع منكم أن يطيل غرته

---

[1] ابن الأثير: المثل السائر .ج2: ص ص: 184.185.

[2] عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيه . ج2 ص : 551 .

[3] ينظر عز الدين بن عبد السلام: مجاز القرآن القسم الأول ، تحقيق وتقديم محمد مصطفى بن الحاج ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي. طرابلس ط1 . 1992 . (مذكور) ص :293.

[4] الفخر الرازي : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص: 192.

[5] المرجع نفسه، ص: 192 .

[6] الجاحظ ، البيان والتبيين، ص : 83 .

[7] صحيح مسلم ،كتاب الطهارة المجلد1 رقم : 246 ص : 216 .

فليفعل، وأراد لازم المعنى (نور الوجه) ومعنى الحديث من قدر منكم أن يغسل غرته (بأن يوصل الماء من فوق الغرة التي تحت الحنك طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا وفيه باب الاختصار وإنما اقتصر على ذكر الغرة وهي مؤنثة دون التحجيل ، وهو مذكر ؛ لأن محل الغرة أشرف أعضاء الوضوء ، وأول ما يقع عليه النظر من الإنسان).[1]

ومنه الحديث الذي روي عن أنس أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: (**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ**)[2] كناية عن موصوف ، وهو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

ومنه ما روي عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَداً) . قَالَتْ فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَداً . قَالَتْ فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَداً زَيْنَبُ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ**[3]

وفي عبارة " أطولكن يدا " لفظ أطلق وأريد به لازم معناه وهو العمل والتصدق مع جواز إرادة المعنى الحقيقي

ومنه ما روي عن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**)[4] ؛ أي من أتاكم ،وأنتم على حال من الاتحاد ، وأمركم مجتمع على رجل واحد ، يريد أن يفرق جماعتكم ، فتختلف كلمتكم ، وتنافر نفوسكم ، يُنهَي عن ذلك ، فإن لم ينتَهِ ، قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بقتله ، فَقُتِل،كان قتله هدرا .وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " يشق عصاكم" كناية عن التفرق والاختلاف .وهو المعنى اللازم المراد من إطلاق هذا اللفظ.

وفي باب إعطاء من يخاف على إيمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ . وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ**)[5] أي أنا أعطي من في إيمانه ضعف لأني

[1] العيني بدر الدين ، عمدة القارئ ج2 ، ص :248

[2] صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة المجلد 4 رقم : 2419 ، ص : 1881 .

[3] المصدر نفسه،كتاب فضائل الصحابة ، المجلد 4 ، رقم: 2452 : ص : 1907 .

[4] المصدر نفسه،كتاب الإمارة ، المجلد 3 رقم : 1852 ، ص: 1480.

[5] المصدر نفسه كتاب الزكاة المجلد 3 ، رقم : 1058: ص : 733.

أخشى عليه لو لم أعطه أن يعرض له اعتقاد يكفر به فيكبه الله تعالى في النار كأنه أشار إلى المؤلفة . وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " أن يكب في النار"كناية عن كفره الذي يؤديه إلى كب الله إياه في النار

فبالنظر إلى هذه الأمثلة من الحديث النبوي الشريف نلاحظ أنها اشتملت على كنايات عبرت عن حقائق مصحوبة بدليلها ، متبوعة ببرهانها ، مؤثرة بتركيبها أدت وظيفة حجاجية لإسكات المخاطب وإقناعه ومعلوم أن ذكر الشيء مع دليله أوقع في النفوس من ذكر الشيء لا مع دليله فلأجل ذلك كانت الكناية أبلغ [1] بل رب كناية تربي على إفصاح [2]

فأنت ترى أنه يجوز إرادة المعنى الحقيقي ، وهو المعنى الأول الحاصل من الكلام، وأنه مفيد في حد ذاته ؛ إذ لا قرينة مانعة من ذلك ؛ وهو في الحديث الأول : "يشق عصاكم " وفي الحديث الثاني : " أن يكب في النار على وجهه " ، ولكنه لا يكون كافيا بالنظر إلى السياق اللغوي العام الذي ورد فيه المجاز ، لذلك لا يمكن الاكتفاء بالمعنى الأول. فهذه القرينة السياقية ، جاءت تبطل المعنى الحقيقي المنطوق ، وتبعث على تدبر المفهوم . الذي هو المعنى اللازم ، جاءت لتسد أمام المتلقي الطريق إلى المعنى الأول ، وتوجيهه نحو استنتاج المكنى عنه بنفسه .وأن ما استنتجه المتلقي بنفسه لا يستطيع أن يعترض عليه ، ولا يسعى لتخطئة تصوره . وبالتالي يقتنع .

بعد أن استقر لدينا الآن أن الصورة تترك عادة محلا شاغرا في الكلام ، وأن هذا المحل الشاغر يؤدي إلى جعل الكلام نصفين منطوقا ، أو مصرحا به ، ومفهوما يأتي لسد ذلك المحل الشاغر، يستنتجه المتلقي بنفسه لا يستطيع إنكاره ، و أن للكناية محلا شاغرا هو المكنى عنه الذي يسهم المتلقي في سده بواسطة كفاءته المعرفية ، والثقافية ، . تعين أن الكناية هي الأخرى آلية حجاجية .

إن النجاعة الحجاجية التي للكناية مستمدة كما هو الشأن في الصورة عامة، من ظاهرة دفعها المتلقي إلى الإسهام في إنتاج قسم من كلام الصورة هو القسم الضمني، وذلك بالانطلاق من القسم المصرح به فيها.[3]

أي الانطلاق من اللفظ الذي أطلق إلى المعنى اللازم المراد.وهو القسم الضمني المكنى عنه .

---

[1] الفخر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص : 192 .

[2] الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص : 83 .

[3] عبد الله صولة الحجاج في القرآن ج2 ص :657 .

أي تقوم على التلميح دون التصريح ، وفي هذا التلميح دلالة تداولية مخبأة في الدلالة الحرفية ، فهي إذن تشبه الاستعارة في كونها تشتمل على معنى ظاهري ، وآخر ضمني يقصده المتكلم ، وينبغي أن يدركه السامع استنادا إلى ظروف إنتاج الخطاب المختلفة ، إذ يمكن أن يجد المخاطب في التركيب الكنائي ما يحيل إلى مقصود الكلام، مع جواز إرادة ذلك المعنى الصريح في الواقع .

فالمتكلم يراهن على فطنة المخاطب وذكائه في اكتشافه المكنى عنه ، مما يجعله يقتسم مع المتكلم تشكيل الفكرة ، وبالتالي ضمان الاقتناع.ومتى اكتشف القارئ الكناية أقرّ بصحة الأطروحة ؛ لأنه لا الكاتب أوردها صراحة ،ولاالقارئ يسعى لتخطئة تصوره كما تقول هاجر مدقن [1] .وهذا هو وجه الطاقة الحجاجية للتركيب الكنائي .

ونخلص إلى أن للصور البيانية الحاضرة في الخطاب النبوي الشريف من تشبيه واستعار وكناية أبعادا حجاجية ، تسهم إلى حد كبير في استدراج المتلقي، وتوجيهه نحو النتيجة ليقتنع بها من خلال اكتشافه واهتدائه للدلالة الضمنية بفطنته وذكائه وإعمال فكره . وبالتالي لا ينكر ما استنتجه بنفسه . ولا يسعى لتخطئة تصوره فضلا عن أهميتها في توضيح الدلالة، وبيانها بالتجسيد والتشخيص والإيجاز، وكل ذلك يتحقق بها التأثير والإقناع.

[1] هاجر مدقن ،الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ،منشورات الاختلاف .ط1 . 1434 هـ – 2013 م الجزائر ص : 117 .

خاتمـة

خاتمة :

وفي خاتمة هذا البحث أقول : إن الخطاب النبوي الشريف رسالة موجهة من النبي المعصوم محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى الناس عامة ، وإلى المسلمين والمؤمنين على وجه التغليب خاصة ،لهدايتهم إلى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحكيم ، حتى ينالوا السعادة في الدارين : الدنيا والآخرة ، وهو حريص عليهم أشد ما يكون الحرص بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وكان الصادق الأمين يبلغ ما أنزل إليه من ربه ، ويدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل بالتي هي أحسن بلسان عربي مبين . فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين . فأسر قلوب سامعيه بروعة خطابه وسحر بيانه ، وجمال أسلوبه ، وملك عقولهم بقوة حجته وإقناعه ، وبصدق كلامه وسمو أخلاقه ، إنه الأسوة الحسنة والرحمة المهداة ، والنعمة المسداة عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التسليم.

ولما كان الخطاب النبوي الشريف المدون في الصحاح والمسانيد بصفة عامة ، وفي صحيح مسلم بصفة خاصة الذي هو مجال البحث وميدانه – بعد أن كان منطوقا مسموعا – بهذا السمو والشرف ، وبهذه البلاغة والفصاحة التي لم ولن يطمع أحد من العرب في الوصول إليها ، ولم يدركها عربي قبل زمانه ، ولا في زمانه ، ولا بعد زمانه ، فقد جعلني أبحث عن السر في ذلك ، فإذا هو عجيبة التأليف ، وخصيصة التركيب ، وطريقة التعبير ،وجودة التصرف في فنون الكلام، وهذا ما ساقني بحب شديد ،ورغبة ملحة وطواعية إلى العمل على بيان وتبيين خصائص بناه التركيبية من منظور تداولي؛لأني رأيت في المقاربة التداولية القدرة على الاستنطاق والكشف والمعالجة ، لكونها تراعي ظروف إنتاج الكلام الإنجازي التأثيري واستعمالاته في المقامات التخاطبية المختلفة ، وأحوال المخاطبين لتحقيق تواصل ناجح ومثمر .

وبعد هذه الرحلة في بطون المصادر والمراجع، والبحث والتنقيب والمعالجة المنهجية ، والدراسة العلمية النظرية والتطبيقية لموضوع البحث نعود لختمه بالنتائج المسجلة الآتية :

– الخطاب : هو كل منطوق أو مكتوب يتوجه به المرسل إلى المرسل إليه، ليعبر به عن قصده الذي يؤدي لتحقيق هدفه بأفضل حالة من خلال استعمال العلامات اللغوية ، وغير اللغوية ، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة حسب اختيار استراتيجية معينة، بغض النظر عن الحجم حيث أصبح من الممكن أن يعد خطابا نص كامل أو جملة أو مركب أو شبه الجملة ، فإقصاء معيار الحجم رأي رآه أحمد المتوكل ونحن نوافقه على ذلك.

– لما اقتضى الكلام النبوي المنطوق الذي توجه به إلى الناس عامة والمسلمين والمؤمنين خاصة لتبليغهم

وإبلاغهم مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة ، وغايات العقيدة الصحيحة.مخاطبا ومخاطَبا ؛ أي باثا ومتلقيا ، وتضمن حوارا من جهة ،وكان ظهور ضمائر الخطاب في الدرجة الأولى لتكليف المسلمين وتوجيه الخطاب لهم مشافهة من جهة أخرى، فقد جاز لنا تسمية الحديث النبوي الشريف خطابا.

– الخطاب النبوي الشريف في قمة الفصاحة ، والبلاغة و البيان بعد القرآن الكريم فالنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة وبالتالي هو خير من مثل سنن الكلام العربي.ومن هنا كان مميزا بخصائص بناه التركيبية العربية ، وقد كشف عنها البحث.

– المقاربة التداولية جاءت لتجيب عن الأسئلة الآتية:

ماذا نفعل عندما نتكلم ؟ وماذا نقول عندما نتكلم ؟ ومن يتكلم ؟ ومع من يتكلم ؟ ولماذا يتكلم بهذا الشكل وليس بذلك ؟ وهل يمكن الاطمئنان للمعنى الحرفي للجملة ؟ وما هي الاستعمالات الممكنة للغة ؟

– فالتداولية تدرس التعبيرات أو التراكيب النحوية كما يستعملها المتكلم ضمن مقاصده وتحديداته، فهي تفترض (متكلما ومخاطبا وظروف خطاب) ؛لأنها حقل لساني ، يهتم بالبعد الاستعمالي الإنجازي للكلام ، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق. وهي بهذا المفهوم تتجاوز دراسة المستوى الدلالي، وتبحث في علاقة العلامات بمؤولها ؛ إذ يعتمد عليها المتلقي في تأويل الخطاب ، وفهم مقاصده ، ومن ثم نلاحظ أن العمل الذي أنجزه الفيلسوف أوستين يعد ذا فائدة لسانية هامة ؛ لأنه لفت الأنظار إلى أن وظيفة اللغة هي التأثير في العالم وصناعته وتغييره ، وليست مجرد أداة للتفكير ، ونقل الأخبار .فهي علم جديد يبحث في الأدوات التي يختارها المرسل، ليحقق أعلى درجات النجاح في تواصله مع المرسل إليه. ولذلك فإن أعلى مقامات التداولية في التراث العربي المقولة الشهيرة التي مفادها أن " لكل مقام مقال "، وكذلك مقولة البلاغيين " مطابقة الكلام لمقتضى الحال ".

– أن في المدونة العربية القديمة على اختلاف مصادرها، كثيرا من المسائل التي تحتاج إلى إعادة قراءتها في ضوء ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، وليس لتقريبها منها، بل للتقريب بين مجهودات إنسانية في دراسة اللغة.

– أن البلاغة العربية بمباحثها العديدة، تقدم نظرية كاملة للاتصال، والمقاربة بينها وبين اللسانيات التداولية أكثر من ممكنة. ويمكن القول بأن التداولية وجه من وجوه البلاغة. وقد عرض هذا المبحث إلى

العلاقة بين البلاغة والاتصال، واتضح أن الدرس البلاغي العربي القديم، قد عرف نظرية بلاغية متطورة جدا، وهي نظرية للتواصل عند كثير من الدارسين، لا تختلف عما تعرضه اللسانيات التداولية الحديثة.

وإذا كانت البلاغة العربية في أوجز تعريفاتها هي مطابقة المقال لمقتضى الحال، فهي لا تختلف عن اهتمامات اللسانيات التداولية التي هي دراسة اللغة حال الاستعمال؛ أي الكلام، بما يكتنفه من أحوال المتكلمين، وعناصر المقام وكل ملابسات التواصل. وبذلك فهما متداخلان، لاشتراكهما في هذه القضايا وغيرها.

– في الإمكان أن تكون التداولية بمفاهيمها الأساسية كسياق الحال ، وغرض المتكلم ، وإفادة السامع ، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب ومفهوم الأفعال الكلامية، أداة من أدوات قراءة الخطاب النبوي الشريف .

– لا يخفى على الدارس أن للسياق دورا كبيرا في تحديد المعنى المقصود بدقة، كما لا يخفى أن التداولية جعلته من لوازمها إلى درجة أن هناك من اصطلح عليها باسم المقاميات، ولذلك نجد المعنى يختلف باختلاف المقام والسياق ، فاختلاف السياق في الخطاب النبوي الشريف من صورة إلى صورة أخرى جعل أساليب التخاطب تختلف من سياق إلى آخر.ولذلك حظي باهتمام كبير عند البلاغيين العرب منذ القدم قبل أن يعد الآن في الغرب من الكشوف التي توصل إليها العقل في دراسة اللغة .

– صحيح مسلم متن من متون اللغة العربية بعد مكانته الدينية ، لما تضمنه من ذخيرة لغوية على لسان أفصح العرب ، فيه من الخصائص التركيبة التي لا يعلوها إلا القرآن الكريم ما يجعله جديرا بالاهتمام والدراسة .

– لا يخلو الخطاب النبوي الشريف من القيم التداولية ، والدليل على ذلك ما سجله البحث من أبعاد تداولية من خلال خصائص بناه التركيبية لأحوال المسند والمسند إليه ، باعتبارهما ركنين أساسيين في التركيب الإسنادي كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف ، والتعريف والتنكير ، والإظهار والإضمار . وكلها أدت أغراض ابلاغية تواصلية ومقاصد شرعية ووظائف تداولية في مقامات معينة بنجاح.

– أن جوهر الأفعال الكلامية هو القسم المسمى" الأفعال المتضمنة في القول،وعليه فهو جدير بالدراسة.ولذلك كان التركيز على الكشف عن القوى الإنجازية المستلزمة من المقام ، وأحوال المخاطبين من خلال خصائص البنى التركيبية للأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف وهي خصائص متعلقة

بالخبر والإنشاء وخروجهما من معناهما الحقيقي إلى معان أخرى لتأدية قيم تداولية ، ومقاصد ابلاغية منشودة .كما أن ظاهرة الأفعال الكلامية بحثت ضمن نظرية الخبر والإنشاء عند علماء العربية.

– لا يخلو البحث النحوي في تراثنا من اهتمام بالأفعال الكلامية ضمن تطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية . ومن ثم فقد ناقش نحاتنا القدماء كثيرا من المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب العربية المختلفة بخلفية تداولية فتطرقوا إلى كثير من الأفعال الكلامية ك فعل التأكيد ، وفعل النداء ...

– ارتبط الحجاج في التراث العربي بالجدل مرادفا له ، وتجلت مبادئه في الدرس البلاغي ، فاهتمت البلاغة بإستراتيجية التأثير والإقناع وتوفرت على جانب تداولي مرتبط بنظرية الحجاج .

– انفتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي على نظريات الحجاج في الغرب، مما جعلهم يستثمرون ما أفادوه في إثراء الدرس الحجاجي العربي ، ويوظفون آلياته وتقنياته في الخطاب العربي و الإسلامي ك عبد الله صولة ، وطه عبد الرحمن ، ومحمد العمري .

– الخطاب النبوي الشريف خطاب موجه إلى جمهور خاص – في اصطلاح الحجاج – معين مذكور داخل نص الحديث باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعينه . وقسم مذكور في الحديث لكنّه غير معيّن ولا محدد. فالمخاطبون هنا ليسوا بأعيانهم. والصورة النحوية التي جعلت لهم هي ضمير المخاطب المفرد عادة.

أما النوع الآخر من المخاطبين فواقع خارج نص الحديث غير مذكور فيه. ولكنه مع ذلك معني بخطاب الحديث ، وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم. إنه بعبارة "الحجاجيين" "الجمهور الكوني" ، معنيا بالحجاج من خلال الجمهور الضيق أو الخاص.والغرض من هذا الخطاب هو الإقناع والتأثير ، ولذلك جاء توظيف الصورة البيانية باعتبارها من آليات الحجاج لما تتمتع به من طاقة حجاجية ، تسهم إلى حد ما في التأثير على عقل المخاطب ونفسه ، وتوجيهه نحو النتيجة توجيها يجعله مقتنعا بها. كما للعدول الكمي بالزيادة أو بالنقصان داخل التركيب دور كبير في توجيه السامع.

أو الخاطب نحو النتيجة التي يريد المتكلم أن يقنع بها المتلقي.

– توصل البحث إلى أن للخطاب النبوي الشريف بعدا حجاجيا إقناعيا إلى جانب البعد التأثيري تمثل في الحجج الجاهزة ، والحجج المصطنعة التي منها : العدول الكمي بالزيادة المتمثل في التوكيد بأنواعه كالتوكيد بالأداة والصفة والبدل والمفعول المطلق ، أو العدول الكمي بالنقصان داخل التركيب كحذف

الفاعل ، وحذف جملة جواب الشرط ، أو العدول النوعي كالعدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في جواب الشرط ، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز في الصورة البيانية ، تم هذا العدول كله داخل التركيب في الخطاب النبوي الشريف وهو من خصائص بناه التركيبية ليحقق أبعادا حجاجية بامتياز.

وخاتمة الخاتمة أنني أسمح لنفسي أن أقول بملء الفم، ورفع الرأس: كم أنا سعيد – ولله الحمد حمدا حمدا في البدء والختام– إذ أكرمني الله بالهداية إلى دراسة جانب من جوانب خطاب نبيه الشريف المدون في صحيح مسلم ، وفق منهج تداولي، أراه مناسبا وكفيلا إلى حد بعيد في كونه يعين على الفهم والشرح والبيان، في انتظار ما ستسفر عنه الأيام من نظريات علمية تكون أقدر وأنجح . وأحسب نفسي أنني أسهمت بهذا البحث ، ولو بجهد المقل في خدمة السنة القولية المطهرة محبة لله ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ورحم الله العماد الأصفهاني الذي قال : إني رأيت أنه لا يكتب أحد في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أجمل العبر ، ودليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

رب أوزعني أن أشكـــــر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صـالحا ترضاه ، وأدخلني برحمتـــك في عبادك الصالحـين.

الفهارس العامة

1/ فهرس الآيات القرآنية

2/ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

3/ فهرس الأبيات الشعرية

4/ قائمة المصادر و المراجع

5/ فهرس الموضوعات

1- فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
1- ﴿وَاصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾	37	هود	4
2- ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلاَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰماً﴾	63	الفرقان.	4
3- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾	37	النبأ	4
4- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾	19	ص	4
5- ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾	63	الأنبياء	21.
﴿ كَىْ لاَ يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلاَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾	6	الحشر	24
6 – (﴿وَتِلْكَ ٱلاَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ). ﴾	140	آل عمران	25
7- ﴿ إِنِّىَ أَنَا رَبُّكَ ﴾	12	طه	110
8- ﴿أَنتَ مَوْلِينَا فَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾	286	البقرة	112
9- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	5	الفاتحة	112
10- ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	1	المسد	115

11- ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾	60	آل عمران	119
12- ﴿وَخُلِقَ ٱلإِنسَٰنُ ضَعِيفاً ﴾	28	النساء	120
13- ﴿هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾	40	التوبة	122
14- ﴿إِذ نَادِيهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوَى﴾	16	النازعات	122
15- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	3	المائدة	122.
16- ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَاغَشِيَهُمْ﴾	78	طه	125.
17- ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	44	الحج	133.
18- ﴿ وَقَال رَجُلٌ مُّومِنٌ مِّن ـالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ			
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا اَنْ يَّقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾	28	غافر	134
19- ﴿وَالله خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾	45	النور	134
20- ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾	103	هود	135.
21- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾	96	البقرة	134
22- ﴿ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾	3	القلم	134
23- ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾	72	التوبة	135
24- ﴿وَالذِيس هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ ﴾	59	المؤمنون	141
25- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىَ ﴾	14	طه	143
26- ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾	82	يوسف	149
27- ﴿مَتَٰع قَلِيلٌ ﴾	197	آل عمرا	149

28- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾	3	المائدة	150
29- ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾	22	الفجر	150
30- ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِۖ ﴾	32	يوسف	150
31 - ﴿فَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾	30	يوسف	150
32- ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾	30	يوسف	150
33- ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾	90	المائدة	165
34- ﴿فُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾	10	الذاريات	195
35- ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾	53	فصلت	195.
36- ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾	159	الصافات	195.
37 - ﴿ذُق إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾	49	الدخان	195
38- ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	35	الأحقاف	196
39 - ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾	172	الأعراف	196.
40- ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾	04	الأعراف	196.
41 - ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾	02	الصف	196
42- ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾	45	المائدة	197
43- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾	23	الإسراء	197
45- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾	258	البقرة	88

46- ﴿وَلاَ تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ 107 النساء .89

47- ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىَ﴾ 14 طه .260

48- ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ 71 مريم .261

49- ﴿ ثُم نُنَجِّى ٱلذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جُثِيّاً ﴾ 72 مريم .261

50- ﴿فَهَلْ عَسِيتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلاَرْضِ

وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ

فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ

أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ 22 -24 محمد 262

51- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ

فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْناً ﴾ 105 الكهف .263

52- ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ 43 الأعراف .264

2 – فهرس الأحاديث النبوية الشريفة موضوع البحث

الأحاديث النبوية الشريفة موضوع البحث	الصفحة
(أ)	
1-(أَبْشِرِى يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ)	249
2- (أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ)	129
3 - (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ)	113
4 - (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ)	135
5 - (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟)	137
6-(اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...)	306
7- (احْتَجَّتِ النَّارُ وَالجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الجَبَّارُونَ وَ المتَكَبِّرُونَ ....)	120
8-(أَخْبِرُونِى عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ.. . هِىَ النَّخْلَةُ)	115
9- (إِذَا أَفْلَسَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ بِعَيْنِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ)	299
10- (إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ)	112
(إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَّعَاما فَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا)	232
11-(إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ غَفَلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا	221
12-(إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِى النَّارِ)	297
13- (إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ)	112
14-(أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِى أَطْوَلُكُنَّ يَداً) . قَالَتْ فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَداً .قَالَتْ فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَداً زَيْنَبُ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتتَصَدَّق	223
15-(أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ)	242
16-(أَلَمْ تَرَوُا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ؟)	240
17 - أَلَيْسَ الَّذِى أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِى الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)	128
18-(أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ)	276
19-(أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب)	111
20-(أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)	111
21 -(إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ.	203

22 -(أَنْتَ آدَمُ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ ...) 139

23-(أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ..111

24-(أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ).....139

25-(إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّى وَإِنِّى أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِى دِينِهَا) 131

26 - إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ 284

27- (إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) 111

28 - (إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ) 277

29- (إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا)..... 131

30- (إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ).207

31 - اني لأُعْطِى الرَّجُلَ . وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِى النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ 223

32 - (إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا،كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً).... 141

33- (إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا).....271

34- (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِى وَإِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) 171

35- (إِنِّى لأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِى يَجِدُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).....272

36- (إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ

37- (إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَيَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الرَّحِمِ) 116

38 - (إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ).....117

39- (أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)..... 110

40-(إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ).....223

41 - انَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ . قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى . قَالَ فَذَاكَ لَكِ) 262

42- (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ 142

43 - إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثاً وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثاً .....)..... 286

44 – (إِنَّ أُولَئِكَ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)..... 118

45–(إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا) 269

46–(إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) 269

(إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعاً وَعِشْرِينَ 269

47– (إِنَّ الَّذِى يَجُرُّ ثِيَابَهُ مِنَ الْخُيَلاَءِ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) 127

48 – إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ..... 219

49– (إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ.) 225

50 – (أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَفِى أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ..... 237

51– (أي بُنَيَّ وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ) 243

52– (إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِى الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ)..... 125

53– (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ..) 112

54 –(أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟)..... 241

55 – (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..)..... 122

(ب)

56– بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا 280

57– (بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا)..... 219

58– (بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ .)..... 153

59–(بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ 111

60–(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ..... 316

61 – (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِى الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ 207

62–(الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) 178

(ت)

63 - تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ) 284

64- (تنكح المرأة لأربع...).....222

(ث)

65- ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ..... 284

66- (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبّ.....315

(ح)

67 - (الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ 124

(خ)

68- (خُذْهُ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا، فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ).....223.

(د)

69- (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَّاءِ هِرَّةٍ لَهَا - أَوْ هِرٍّ - رَبَطَتْهَا فَلاَ هي أَطْعَمَتْهَا وَلاَ هي أَرْسَلَتْهَا تُرَمِّمُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً).....136

70-(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ) 306

(ذ)

71-(ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ).....117

72-(ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثاً).....118

(س)

73 - (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ 120

74- (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ).....130

75- سُبْحَانَ اللَّهِ بِئْسَمَا جَزَتْهَا نَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَنَّهَا لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ) 153

(ع)

76 – (اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ)..... 233

77– (عُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ) 137

78– (عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ) 186

79– (عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ الْبَهِيم ذِى النُّقْطَتَيْنِ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ.) 219

80–(عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ) 185

81 – (الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا..... 209

(ص)

82– (صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ)..... 142

(ف)

83 – ... فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ) . قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ : (غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأذى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ 155

84– (فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا) 224

85– فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم "..... 202

86 – (فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ 131

87– فمنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ 222

88– (فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.....137

89 – (فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ) 115

(ق)

90–(قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ).... 20

(ك)

91– (كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ).....113

92–(كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ).....15

93– (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ).....164

94– (كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟)...244

(ل)

95-(لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَب فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ.... 164
96-(لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ 294
97- لئن صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ..... 294
98- (لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ
أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ.) 224
99 - لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ
إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)..... 240
100- (لاَ تَشْتَرِهِ وَإِنْ أُعْطِيتَهُ بِدِرْهَمٍ فَإِنَّ مَثَلَ الْعَائِدِ فِي صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ) 294
101- (لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ).....292
102 - (لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ..... 122
103-(لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ) 207
104- لكل نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ 287
105-(لوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ، كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ) 209
106-(لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ . الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا).....261
107 - (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ.....).....113
108- (لَا يَسْتَرْعِي اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً، يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّ.....153
109- (الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ...) 128
110- (...الَّذِى يَشْرَبُ فِى آنِيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِى بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ...).....126
111- (الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ...) 125
112- (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ).....144
113- (لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ) 140
114- (لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا وَلاَ تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيْئاً)..... 173

(م)

115 - (مَا شَأْنُكُمْ تُشِيرُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيَلْتَفِتْ
إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَا يُومِئْ بِيَدِهِ)..... 237

116-(مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) 310

117 - (الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا....).....114

118 - (مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيَتْرُكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاء..... 218

119- (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ) 282

120 - (مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ 223

121 - (مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ).....128

122 - (مَنْ بَاعَ نَخْلاً قَدْ أُبِّرَتْ فَثَمَرَتُهَا لِلْبَائِعِ إِلاَّ أَنْ يَشْتَرِطَ الْمُبْتَاعُ) .....299.

123- (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ).....299

124-مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ - وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ 284

125 -مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً 288

126 - مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَ.....299

127 - مَنْ أَعْتَقَ شِقْصًا لَهُ فِي عَبْدٍ، فَخَلَاصُهُ فِي مَالِهِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ، اسْتُسْعِيَ الْعَبْدُ.....299

128- مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ 299

129 - (مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) 135

130-(الْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللَّهُ أَشَدُّ غَيْراً) 157

(ن)

131- (النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ).....141

132- (نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ) 111

133-(النَّذْرُ لاَ يُقَدِّمُ شَيْئاً وَلاَ يُؤَخِّرُهُ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ) 141

134-(انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ)..230

135- (نَعَمْ تَرِبَتْ يَدَاكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا؟.....131

136- (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ)..... 152

(هـ)

137- (هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ ...).....120

138- (هَذَا حَجَرٌ رُمِىَ بِهِ فِى النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِى فِى النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا).....120

139- (هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) 115

140 - (هُمْ مِنْ آبَائِهِم.....129

(و)

141 - (وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة).....131

142-(وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَداً) 131

143-(وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْداً سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ) 318

(ي)

144-(يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا 254

145-(يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّى أَرَاكَ ضَعِيفاً وَإِنِّى أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِى لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ) 254

146- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً..).....293

147 - (يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ 225

148- (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ) 249

149- (يَا حَاطِبُ مَا هَذَا).....252

150- (يَا سُلَيْكُ قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا).....248

151 -(يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا فَإِنِّى قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِىَ اللَّهُ حَقًّا).....250

152- (يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْ.....249

153- (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لهُ وِجَاءٌ..... ... 222

154- (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النار..... 253

155- (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَد.....293

166 - (يُنَادِى مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَداً وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدا) 233

167-(يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ 284

3- فهرس الأبيات الشعرية الواردة في البحث

بيت الشعر		البحر	الصفحة
فَإِنْ تَعَافُـوا الْعَـــدْلَ وَ الإِيـــمَانَا	فَإِنَّ فِـــي إِيمَـــانِنَا نِيـــرَانَا	الكامل	315
فَسَقَى دِيَارَكَ – غَيـــرُ مُفْسِدِهَـــا- .	صَوْبُ الْرَّبِيـــعِ وَدِمْنَةُ تَهْمِـي	الكامل	267
كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابن ذُرَى شَرَف	كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ	البسيط	313
وإِنَّ سَنَامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِـــــم	بَنُو بِنْتِ مَخْزُوم وَوَالِدُكَ العَبْدُ	الطويل	175
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُـــدَاةُ بِـــهِ	كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِـــي رَأْسِـــــهِ نَارُ.	البسيط	114

4- قائمة المصادر والمراجع.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع مؤسسة الرسالة ناشرون ط1 . 1421 هـ بيروت لبنان.

المصادر:

مسلم بن الحجاج الإمام أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت 261) ، صحيح مسلم ، دار الكتاب المصري ، القاهرة. دار الكتاب اللبناني، بيروت.

المراجع:

3-الآمدي علي بن محمد ، الإحكام في أصول الأحكام تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية 1406هـ ، 1986م

4- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الدين محمد بن الأثير (637هـ) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت 1995.

أحمد المتوكل

5 -الجملة المركبة في اللغة العربية ، منشورات عكاظ ، الرباط ، المغرب 1988 .

6- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط .دار الأمان ، الرباط ط1 1431هـ ,2010م .

7- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص الرباط دار الأمان، 2001م.

8- اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) ، منشورات، عكاظ 1989م .1989

9- الوظيفة بين الكلية والنمطية دار الآمان للنشر والتوزيع الرباط المغرب 2003

10- الوظائف التداولية في اللغة العربية ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب ،ط1 . 1985 م.

أحمد مطلوب

11- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان طبعة جديدة، 2000، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان.

12- بحوث بلاغية ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1987

13- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة 1383هـ. 1963 م .

14- إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1994.

15– أرسطو، الخطابة، تعريف عبد الرحمن بدوي ، دار الشؤون العامة ، بغداد 1986. المقالة 1. الفصل 2.1356أ.

16- أرسطاطاليس،كتاب الخطابة، ترجمة:إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،ط23، 1953م.

17- أرمينكو، فراسوا، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر، ط1، 1987م.

18- الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ) ، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية ، بيروت 1405هـ ، 1985م .

19- إسحاق ابن إبراهيم، بن سليمان بن وهب الكاتب.البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1، مطبعة بغداد 1387هـ-1967م.

20- أسعد أحمد علي، تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1987م.

21- الأنباري أبو البركات النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،د.ت.

22- أولمان، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال بشر ، مكتبة الشباب 1978م.

23- أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟ ترجمة محمد العمري علامات، جدة ج

24- المجلد السادس شعبان 1417هـ / ديسمبر 1996، ص:77

25- بالمر علم ، الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية 1992م .

26- بسيوني عبد الفتاح فيود،علم المعاني، ط 21، مطبعة السعادة القاهرة 1988م.

27- بوقرة، نعمان،مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب، دار الكتب الحديث، إربد، ط2، سنة 2008 م.

28- بيار أشار، سوسيولوجيا اللغة، تعريب د عبد الوهاب ترّو، منشورات عويدات، بيروت –لبنان، ط1،1996م.

29- بريجتيه، بار تشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى نعوم تشو مسكي، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2004م.

30- البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، 1994م.

التفتازاني سعد الدين مسعد بن عمر التفتازاني الشافعي (ت792هـ)

31- التجريد في علم المعاني ، د،ط مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، 1331هـ.

32- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، د ت .

33- تمام حسان، الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء ،1114هـ.

34- ا بن تيمية، النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة ،1386هـ.

35- ثعلب أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1400هـ 1980م.

36- الجاحظ عمرو بن بحر(ت255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ,بيروت , لبنان د,ت

37- جان سرفوني، الملفوظية،ترجمة قاسم المقداد، من منشورات اتحاد كتاب العرب ،1996م.

الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت471هـ) :

38- أسرار البلاغة، تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر، ط،1 دار المدني جدة 1422هـ 1991م.

39- دلائل الإعجاز، تعليق محمد محمد شاكر، مكتبة الخانفي القاهرة، ط 5، 2004م.

40- الجرجاني علي بن محمد المشهور بالشريف الجرجاني (ت816هـ) ،كتاب التعريفات، تحقيق عبد الرحمن عميرة، علم الكتب بيروت، ط1، 1987م.

41- الجرجاني محمد بن علي، الإشارات التنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة القاهرة ، د ، ت.

42- جعفر دك الباب الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني دمشق ط1 ، 1980

ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ)

43- الخصائص،تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي،بيروت،د.ت.

44- سر صناعة الإعراب، تحقيق احمد فريد احمد، المكتبة التوفيقية القاهرة د، ت 307.

45-اللمع في العربية ، تحقيق د. سميع أبو مغلي ، دار مجد لاوي للنشر، ط1 ، 1988

46- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة1420هـ،1999م.

الجويني (ت478هـ)

47- البرهان في أصول الفقه، تحقيق:عبد العظيم محمود، دار الوفاء، مصر، ط4، 1418هـ.

48- الكافية في الجدل، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمد، مطبعة عيسى ألبابي الحلبي القاهرة 1399هـ 1977م.

49- ابن الحاجب أبو عمر عثمان، النحوي الإيضاح في شرح المفصل ، تحقيق وتقديم: د. موسى بيناي العليلي ، الكتاب الخمسون مطبعة العاني ، بغداد ، 1982م.

50- حازم القرطاجني (ت684هـ) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تونس، دط، 1966م .

51- حامد عبد القادر وآخرون ،المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، أشرف على طبعه عبد السلام هارون ، مطبعة مصر القاهرة (ج1 .1960 . ج2 . 1961 م)

52- حبلص محمد يوسف، البحث الدلالي عند الأصوليين، عالم الكتب، القاهرة، ط01،1991

53- أبو الحسن إسحاق بن وهب (ت337هـ) ، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، دط، دت .

54- حسين عبيد، الحذف بين النحويين والبلاغيين دراسة تطبيقية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط1 ت.حيدر.

55 – ابن الحفيد التفتازاني، الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد، دار الكتاب العربي، بيروت 1400هـ/1980م.

56- حمادي محمود،مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،منشورات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 02.

57- حمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية..، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007م.

58- حمودة السعفي. حقيقة الإيمان في الإسلام مجلة الهداية العدد: 4 تونس. رجب، شعبان 1414 هـ ديسمبر، فيفري 1994م.

59-حميد أحمد عيسى العامري، التقديم والتأخير في القرآن ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، 1996، ط1.

60- أبو حيان الأندلسي أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان (ت 745هـ)،ارتشاف الضرب من لسان العرب، مصطفى أحمد النحاس، مطبعة المدني ط 1، 1409/1408هـ – 1987/ 1989م.

61- ابن خلدون، المقدمة، مكتبة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان،ط2، 1961م

62- خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة جدة ط1، 1984م.

63-الدسوقي،حاشية الدسوقي على، شرح السعد: (ط دار السرورن بيروت: د.ت).

64- دفة بلقاسم . بنية الجملة الطلبية ودلالتها في السور المدنية، دار الهدى للطباعة والنشر،الجزائر د ، ت 2008م.

65- دماميني بدر الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (ت 827 هـ)، تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب المشهور بشرح الدماميني، على مغني اللبيب المطبعة البهية مصر، 1305هـ.

66- الرازي فخر الدين محمد بن عمر(ت 606هـ)،نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع . عمان . الأردن 1985 م.

67- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت:72هـ)، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، 1982م.

68- الرماني علي بن عيسى النكت، في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام . دار المعارف ط 4 القاهرة (د . ت)

69- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى، 1990م.

70- روجر فاولر، اللسانيات والرواية، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة الدار البيضاء ،ط1 ، 1997م

71- روديجر بوب نر، الفلسفة الألمانية الحديثة، ترجمة: فؤاد كامل- دار الثقافة للنشر والتوزيع-القاهرة.

72- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق المغرب، ط1 ، 1994م.

73- فان ديك، علم النص والسياق، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق محمد سعيد البحري، القاهرة جمهورية مصر العربية ط1 ، 2001م.

74- ريمون طحان ، الألسنة العربية ، تصدر بإشراف د. أنيس فريحة ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1981م.

75- الزبيدي سيد محمد مرتضى (ت1205هـ)،تاج العروس . طبعة دار بيروت.

76- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت 340هـ)، معاني الحروف في القرآن الكريم، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة دمشق ط2، 1406هـ 1986م 44

الزركشي محمد بن بهار بن عبد الله الزركشي (794 هـ)

77- البحر المحيط، ضبطه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر ،دار الكتب العلمية بيروت ط1 . 1421هـ . 2005م.

78- البرهان في علوم القرآن, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة , بيروت 1972م

الزمخشري محمود بن عمر (ت538هـ)

79- أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة 81-الفائق في غريب الحديث تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ،ط2 ، دار المعرفة ، بيروت .

80-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 1968م.

81- المفصل، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت: 1422هـ

82- الزملكاني كمال الدين بن عبد الكريم، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني بغداد.

83 - زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي (ت:806هـ)، وطرح التثريب في شرح التقريب، تحقيق، عبد القادر محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2000م

84- السبكي (بهاء الدين)،عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، د،ط دار السرور بيروت، د.ت .

85-السبكي،الإبهاج في شرح المنهاج، لعلي بن عبد الكافي السبكي (ت 706هـ)، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ)، تحقيق احمد جمال الزمزمي ونور الدين عبد الجبار صغيري دار البحوث للدراسات الإسلامية ولحياء التراث دبي ط1 1424هـ 2004م.

86- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل ، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996م.

87- سعود بن غازي أبو تاكي صور، الأمر في العربية بين التنظير والاستعمال، دار غريب القاهرة ط 1 ، 2005م.

88- السكاكي أبو يعقوب (ت626هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دارالكتب العلمية بيروت لبنان ط2 .2011 م .

السيوطي أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر السيوطي

89- الإتقان في علوم القرآن، بيروت عالم الكتب.

90- الأشباه والنظائر في النحو، راجعهُ وقدم لهُ : د. فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1984م.

91-شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،د.ت.

92- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة بيروت لبنان ط2، 1975م.

93- ابن الشجري ضياء الدين، الآمال الشجرية،دار المعرفة بيروت د.ت.

94- الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية ط1، 1955م.

95- الشمني تقي الدين احمد بن محمد الشمني (ت 872هـ)،المنصف من الكلام، على مغني ابن هشام، المشهور بحاشية الشمني على مغني اللبيب المطبعة البهية مصر 1305هـ .

96- الشوكاني محمد بن علي ، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق: محمد سعيد البدري دار الفكر بيروت، ط1.

97- الصبان حاشية الصبان، على شرح الأشموني، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، (ط دار الفكر، بيروت: د.ت)

98- الصراف علي محمد، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية، مكتبة الأدب القاهرة، ط1، 2010م،

99- صلاح فصل، الخطاب وعلم النص، عالم، المعرفة، ع164، أغسطس /آب، 1992م،

100- طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية مصر 1982م 1403هـ.

طه عبد الرحمن

101- تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1944م،

102- اللسان والميزان، أو التوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م

103- عبد الله بن محمود بن مورود الحنفي ، الاختبار في تعليل المختار، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية ، 1951م.

104- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيه السلسلة : لسانيات منشورات كلية الآداب بمنوبة ، جامعة منوبة تونس 2001 المجلد:13.

105- أبو العباس أحمد بن محمود بن حجر المكي الهيثمي (ت974هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، أخرج أحاديثه وعلق عليه، عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية (القاهرة).

106- عبد الجبار توامة، القرائن المعنوية في النحو العربي، رسالة دكتوراه في النحو العربي جامعة الجزائر 1998- 1995م.

107- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية بيروت 1979م.

108- عبد الرحمن الشربيني ، فيض الفتاح على حواشي، شرح تلخيص المفتاح، ط1 ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة ، 1323هـ ، 1905م .

109-عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، القطوف الدواني من علم المعاني ، دار الأنبار للطباعة والنشر الأنبار ، 1997م.

110- عبد الرؤوف المناوي ،فيض القدير وشرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط1، 1356م.

111- عبد الفتاح الجوز، التأويل النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشد الرياض، ط1 ،1404هـ-1984م.

112- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر بالفجالة (د.ت).

113- عبد المجيد، جميل البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع مصر، د ط20.

114- عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة ط،1 2004م طرابلس ليبيا.

115- ابن عربية راضية، اللسانيات التداولية في ضوء الدراسات العربية، أحمد المتوكل أنموذجا، الشابكة.

116 – عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار اقرأ ط2 1406، - 1986 ، بيروت ، لبنان .

117- عزيزة فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية بيروت ط1،1992م.

118- العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

119- العطار حاشية العطار على، جمع الجوامع، دار الكتب العلمية.

120- العقاد عباس محمود،مكتبة رحاب الجزائر.

121- ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك(ت672هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة بيروت ط 14،1964م.

122- العلوي يحي بن حمزة (ت 745 هـ)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق الشريبني شريدة دار الحديث القاهرة 2010م.

123- علي أبو القاسم عون، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم، منشورات جامعة الفاتح ليبيا1992م.

124- عودة خليل أبو عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، ط2، دار البشير عمان، 1414م.

125- ابن عياض اليحصب أبو الفضل عياض بن موسى (ت544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم تحقيق د. يحي إسماعيل، دار الوفاء (المنصورة)، ط2، 1425هـ -2002م.

126- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ)، المستصفى من علم الأصول دار العلوم الحديثة .

127- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، مقاييس اللغة ..تحقيق عبد السلام هارون دار الكتب العلمية إيران.

128- الفراهيدي (الخليل بن أحمد الفراهيدي) (ت175هـ) ، العين . تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، 1985م.

129- فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر ماي 1986م.

130- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط.دار الجيل، بيروت.

131- الفيومي أحمد بن محمد علي ، المصباح المنير، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية بيروت ط1، 1999م.

132-القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، مراجعة هيثم الطعيمي ونجيب ماجدي، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 2006م.

133- ابن قتيبة (ت276هـ)، تأويل مشكل القران، و ينظر، الوساطة بين التبني و خصومه، القاضي الجرجاني (ت392هـ) .

134- القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت 656 هـ) المفهم: لما أشكل من كتاب مسلم تح محي الدين مستو ويوسف علي الديوي وأحمد محمد السيد ومحمود ابراهيم بزال دار ابن كثير دمشق ط2، 1420هـ ، 1999م.

135- القزويني محمد بن عبد الرحمن (ت 739 هـ)،الإيضاح في علوم البلاغة، حققه وعلق عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار ط2، 2003م القاهرة.

136- القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ضبطهُ وصححهُ محمد عبد العزيز الخالدي دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1996م.

137- ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد المشوق.إلى علوم القرآن. إشراف لجنة تحقيق التراث مكتبة الهلال بيروت (د.ت).

138- كامل علي سعفان، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1918م،

139- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ط2، 1993م.

ابن مالك ، أبو عبد الله محمد جمال الدين (ت 672هـ)

140- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لابن مالك، (ط المكتبة العربية، القاهرة: سنة 1387 هـ - 1967م)

141- شرح الكافية الشافية تحقيق عبد المنعم هريدي مكة المكرمة 1982.

142- المازري أبو عبد الله محمد بنعلي بن عمر (ت 536هـ)، المعلم بفوائد مسلم تح محمد الشاذلي النيفر دار الغرب الإسلامي ط2 1992م.

143- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخلق عضيمة 1386،1399هـ.

144- مجيد عبد الحميد ناجي،الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت،لبنان،ط1..198

145- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه.ط1، 2008م، منشورات الاختلاف، الجزائر.

146- محمد بن إسماعيل الصاغاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، دار الفكر، بيروت (د.ت)

147- محمد صلاح الدين الشريف، تقديم عام للاتجاه البراغماتي، ضمن كتاب أهم المدارس اللسانية المعهد القومي لعلوم التربية تونس 1986م.

148- محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان ط1، 1982م.

149- محمد العمري،في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا إفريقيا الشرق المغرب ط2، 2002م.

150-محمد عيد، أصول النحو العربي، عالم الكتب القاهرة،1973م.

151- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر بيروت 1986م.

152- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد ليبيل ط1، 2004م.

153- محمود أحمد نحلة، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، دار المعرفة الجامعية كلية الآداب جامعة الإسكندرية مصر.

154- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية مصر 2002م.

155- محمود زيدان ، مناهج البحث الفلسفي ، في فلسفة اللغة دار النهضة العربية . بيروت 1985م

156-محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،دار الفكر العربي،القاهرة ط2 ،

1997م.157- محمود سلمان ياقوت، المبني للمجهول في الدرس النحوي والتطبيق القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط1 1989م.

158- المراغي (أحمد مصطفي)، علوم البلاغة ، ط ، 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1986م.

159- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، التنوير للنشر والتوزيع ط1 2008م الجزائر.

160- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية المنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04 ،جامعة الحسن الثاني عين الشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية المغرب 1998م.

161 – منال محمد هشام سعيد نجار،نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط1 ، 1432 هـ – 2011 م اربد الأردن .

162- ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت711هـ)، لسان العرب , دار صادر بيروت , ط1 ,1955م,،ج1 . مادة (خ ط ب.)

163- ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 1983م.

164- نعوم تشو مسكي، البنى النحوية، ترجمة د يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مجيد المشطة، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط1 1987م.

165- نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، جامعة حسن الثاني، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،د.ت،د.ط .

166- النووي صحيح مسلم بشرح النووي للإمام أبي زكريا (ت 631 676 هـ)، اعتنى به محمد عيادي بن عبد الحميد مكتبة الصفا القاهرة ط 1 .

167- أبو هلال العسكري (ت395هـ)، كتاب الصناعتين ،الصناعتين، تحقيق محمد علي البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العلية بيروت 1419هـ . 1998م.

ابن هشام جمال الدين الأنصاري (ت761هـ)

168- شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة1966م.

169-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا_بيروت،1991م.

170- الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي بيروت الدار البيضاء:ط1،1990م.

171- ياسين جاسم، الأمر والنهي عند علماء العربية والأصوليين دار إحياء التراث العربي بيروت ط1 2001م.

172- ياسين عبد العزيز ، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية مطبعة السعادة ط1 ، 1989م.

175- ياكبسون، رومان، اللسانيات والشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، سلسلة المعرفة الأدبية، ط1، 1988م. الشابكة.

173- ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص، د ط، دار السرور، بيروت . د ، ت

174ابن يعيش أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت643هـ)، شرح المفصل، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب ، ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1422هـ- 2001م.

المجلات

175 - أحمد المتوكل ،التمثيل الدلالي التداولي في النحو الوظيفي من بنية خطية إلى بنية متعددة الطبقات ، مجلة المناظرة، س3، ع: 5 ،1992

176- حافظ إسماعيلي علوي،الحجاج مفهومه ومجالاته،من إعداده وتقديمه مجلة عالم الكتب الحديث اربد الأردن 2010م.

177- بلبع عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول العدد 66 ربيع 2005م.

178-حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، عدد 1 يوليو-سبتمبر 2001 عالم الفكر الكويت .

179- حفناوي بعلي، التداولية البراغماتية ،مجلة اللغة و الأدب ،عدد 17. جامعة الجزائر.

180- حناش، محمد، الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع (مقاربة لسانية تداولية)، مجلة التواصل اللساني، المجلد العاشر، العددان 1، 2، سنة 2001م.

181- سورل، من سوسير إلى فلسفة اللغة (مقال)، إشراف ومراجعة مطاع الصفدي ، مجلة العرب والفكر العالمي ، ع : 13 ، 14، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ربيع 1991م.

182 - الولي محمد، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، مجلة عالم الفكر العدد :02 الجلد:40 2011م

183- يوسف أبو العدوس، النظرية التفاعلية للاستعارة، المجلة العربية للثقافة، العدد :32 لسنة 199م.

2 . ب . باللغة الأجنبية:

184- Adam (Jeam Michel) : Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes, éd Nathan, Paris, France, 1999.

185- André (Lalande) : Vocabulaire technique et critique de la philosophie,

éd Puff, Paris, 2003.

186- Anscombre. C et Ducrot. O : l'argumentation dan la langue, éd Mardaga lieg –Bruxelles, 1983.

187- Austin (J.L): Quand dire c'est faire , introduction ,traduction et commentaire par Gille Lane, éd de Seuil, Paris, 1970.

188- Benveniste (Emile): Problèmes de linguistique générale l. édi Gallimard, Paris, 1966.

189- Berrendonner (Alin): éléments de pragmatique linguistique , collection proposition, les éditions de minuit avec l'aide du conseil de l'université de tribonrg (suisse), Paris,1981.

190- Blanchet (Philipe): la pragmatique d'Austin à Goffman, collection référence, édi Bertrand-lacoste,Paris, 1955.

191- Breton (Philipe) : L'argumentation dans la communication L'argumentation, colleque saige, éd Puff, Paris, 1983.

192- Dubois (jean) et autres : Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage Larousse bordas, Paris 1999.

193- Ducrot (Oswald): présupposés et sous- entendus- in : la langue française , 1969.

194- Ducrot (Oswald): Dire et ne pas dire ; principes de sémantique linguistique, collection savoir, Sciences Herman ; 3em édi, Paris, 1991.

195- Eluerd(Roland) : la pragmatique linguistique, édi Fernard ,Nathan,(université, information, formation), Paris, 1985.

196- Frege (Gottlob): les fondements de l'arithmétique trad. franc.de : C .Lembert ,édi Le seuil, Paris, 1969.

197- Orecchioni (kerbrat) : l'implicite, édi Armand colin, Paris, 1986.

198- Grice (H.P) : logique et conversation- in : L'information grammaticale- traduit par : Frederick Berchet et Michel Bozen- paris – n 66- 1995 .

199- Grice (H.P) : Esthétique de la communication les termes clés de la linguistique, Dictionnaire de linguistique, édi de la connaissance 1995.

200- Longman (English) : Dictionary of gontemporary,édi Masson , Paris 1889.

201- Maingueneau (Dominique) : pragmatique pour le discourslittéraire, collection lettres, SUP, édi Dunod, Paris , 1977.

202- Maingueneau (Dominique) :Les termes clés de l'analyse du discours, édi le Seuil, collection mémo,fevrier, France, 1996.

203- Maingueneau (Dominique) :L'analyse du discours, introduction aux lectures de l'archives ,édi hachette, paris, France, 1991.

204- Maxidico : Dictionnaire encyclopédique la langue française ,édi de la connaissance, 1997.

205- Mounin (George) : Dictionnaire de linguistique, quadrige Puff, 1974.

206- Moschler (Jacque) : Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle ,édi Armand colin Masson, paris, France, 1996.

207- Perlman Ch : L'empire rhétorique de l'argumentation, édi librairy philosophique Vrin, Paris, 1996.

208- Recanati (François) : Philosophie de la logique te philosophie de langage, édi Odile Jacob, Paris, 1991.

209- Searle (John.R) :Les actes de langage , essai, de philosophie du langage, collection savoir et lecture, édi Herman , Paris, 1996.

5- فهرس الموضوعات :

البسملة

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة :..... (أ - و)

الفصل الأول : الخطاب النبوي الشريف، والمقاربة التداولية 1- 98

المبحث الأول : الخطاب، والخطاب النبوي الشريف 2-16

البنية والتركيب 13- 15

المبحث الثاني : التداولية : مفهومها ، وأهميتها..... 16-37

مفهومها :.....23 -27

أهميتها ..... 28 – 29

الأصول الفلسفية للفكر التداولي .....29 – 32

الدراسات اللغوية عند العرب 33- 37

المبحث الثالث : أبرز المفاهيم ، و المباديء التداولية 38- 59

المبحث الرابع: السياق مفهومه، وعناصره، وأنواعه 60- 79

المبحث الخامس: الحجاج، مفهومه، وخصائصه، وتقنياته.....80- 98

الفصل الثاني: الأبعاد التداولية لأحوال المسند، والمسند إليه 99- 190

المبحث الأول : الأبعاد التداولية لأحوال المسند إليه.....100 - 168

أولا :الأبعاد التداولية لتعريف المسند إليه ، وتنكيره .....101 - 138

1 – الأبعاد التداولية لتعريف المسند إليه.....106 - 131

2 – الأبعاد التداولية لتنكير المسند إليه ..... 132 - 138

ثانيا :الأبعاد التداولية لذكر المسند إليه وحذفه.....139 - 155

1 - الأبعاد التداولية لذكر المسند إليه..... ..139- 144

2 - الأبعاد التداولية لحذف المسند إليه .....145 - 155

ثالثا :الأبعاد التداولية لتقديم المسند إليه.....156- 168

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية لظاهرتي الإضمار والإظهار 169-173

المبحث الثالث :الأبعاد التداولية لأحوال المسند.....174 - 190

أولا : الأبعاد التداولية لتعريف المسند، وتنكيره.....175- 180

1 – الأبعاد التداولية لتعريف المسند ..... 175 -178

2 – الأبعاد التداولية لتنكير المسند .....179 - 180

ثانيا : الأبعاد التداولية لحذف المسند.....181- 184

ثالثا : الأبعاد التداولية لتقديم المسند.....185 - 190

الفصل الثالث : خصائص البنى التركيبية للأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف..191 – 256

المبحث الأول : الإخباريات.....192- 210

توطئة.....,,,,,,,,,,.....193- 199

أولا : جريان الخبر على مقتضى الظاهر .....200 - 203

ثانيا : جريان الخبر على خلاف مقتضى الظاهر .....204 - 205

ثالث : خروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية وإنشائية ..... 206 -210

المبحث الثاني: الطلبيات 211– 214

أولا : الأمر .....215 – 221

توطئة .....216 - 218

1 - خروج الأمر من معناه الحقيقي إلى معنى الإنشاء.....220

2 - خروج الأمر من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية.....221 -227

ثانيا : النهي .....228 - 233

خروج النهي من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية.....230 - 233

ثالثا : الاستفهام 234- 247

1 - خروج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معان إنشائية..... .237 - 238

2 - خروج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية.....239- 247

رابعا : النداء .....248 –250

1- خروج النداء من معناه الحقيقي إلى معان إخبارية..... 251 -253

2 - خروج النداء من معناه الحقيقي إلى معان إنشائية.....254 -256

الفصل الرابع : خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الحجاجي 257– 325

المبحث لأول : الحجج الجاهزة .....258 – 265.

المبحث الثاني : الحجج الاصطناعية 266-325

أولا : العدول الكمي بالزيادة داخل التركيب وأبعاده الحجاجية .....267 - 290

1- التوكيد بالأداة.....267 – 278

2 - التوكيد بالصفة..... .....279 – 283

3 - التوكيد بالبدل .....284 -285

4 - التوكيد بالعطف.....286- 287

5 - التوكيد بالمفعول المطلق 288- 290

ثانيا : العدول الكمي بالنقصان داخل التركيب وأبعاده الحجاجية .....291 – 295

1 - حذف الفاعل .....291 - 293

2 - حذف جملة جواب الشرط ..... 294 - 295

ثالثا: العدول النوعي داخل التركيب وأبعاده الحجاجية .....296 - 300

1 - العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية في جواب الشرط 296– 300

2- العدول عن الحقيقة إلى المجاز في الصورة البيانية ....301 – 325

توطئة.....301 - 305

1 - التشبيه .....306 - 311

توطئة.....ز.....312 - 317

2 – الاستعارة.....318 - 320

3- الكناية .....321 - 325

خاتمة 326- 330

الفهارس العامة.....331- 367

1 – فهرس الآيات القرآنية الواردة في البحث .....333 – 336

2 – فهرس الأحاديث النبوية الشريفة . .....337 – 345

3 – فهرس الأبيات الشعرية الواردة في البحث 346

3 – قائمة المصادر والمراجع 347- 362

4 – فهرس الموضوعات 363- 367

تمّ بحمد الله وعونه

الملخص :

الخطاب النبوي الشريف بصفة عامة ، والمدون في صحيح مسلم بصفة خاصة ، رسالة إبلاغية تحمل إلى الناس مقاصد الشريعة الإسلامية السامية ، وغايات العقيدة الصحيحة ، قصد إسعادهم في الدنيا والآخرة ، يخاطب في متلقيه العقل بالحجة للإقناع ، والقلب بالبلاغة للتأثير ، إنه إنجاز تأثيري جاء ليغير ويبني ، ويعلم ويربي ، ويصلح ويهدي للتي هي أقوم فحسبنا منه أن نحله من أنفسنا محل الغاية من السعي، والغرض من الحياة ، ونعطيه جهدنا كله لفهمه وإفهامه وتفسيره وبيانه حتى نظفر بقصده ، وتحقيق مراده بنجاح ، والتواصل معه بفلاح انطلاقا من دراسة خصائص بناه التركيبية إلى القرائن الخارجية التي تعين على تحديد دلالته بدقة. فلم نجد منهجا أقدر لهذا من المقاربة التداولية ، لأنها مقاربة لسانية تسعى إلى دراسة استعمال اللغة في الطبقات المقامية المختلفة ، باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد ، وموجها إلى مخاطب محدد ، بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد ، لتحقيق غرض تواصلي محدد .فقد أصبحت بهذا المفهوم مطلبا أساسيا تدعو إليه الحاجة العلمية في علوم اللسان العربي لدراسة خصائص البنى التركيبية للخطاب التداولي في المدونات ،كأقصى ما يمكن بذله في الاستنطاق اللغوي لتحديد غايات التواصل ، وقصد المتكلم ،خاصة إذا تعلق الأمر بالخطاب النبوي الشريف، فهو أولى بالدراسة وأحق بالعناية من جهة فهمه وتفسيره .ولهذا عقدت العزم برغبة شديدة في البحث عن خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم من منظور تداولي .

الكلمات المفاتيح : خصائص ، بنى تركيبية ، الخطاب النبوي الشريف ، مقاربة تداولية .

Résumé :

Le discours du Prophète en général, et celui cité dans *Sahih Muslîm* en particulier, est considéré comme un message informatif portant aux gens les intentionnalités de la saine religion islamique (La Shariâa) ainsi que les finalités de la noble foi, afin de les rendre heureux dans ce monde et au-delà. Ce discours vise la raison de son destinataire par des arguments de persuasion, et son cœur par une rhétorique d'influence. Il s'agit alors d'un produit persuasif construit pour changer, construire, instruire, éduquer et mener les gens à la bonne voie. Pour cela, nous sommes évertué pour le comprendre et le faire comprendre pour déboucher sur une interprétation à visée communicative et ce par l'étude de ses caractéristiques syntaxiques qui nous aident à bien déterminer sa sémantique. Nous avons trouvé la pragmatique comme le cadre théorique le plus propice pour entamer et finaliser cette étude, par la simple raison qu'elle est une approche linguistique ayant la finalité de rendre compte de l'utilisation particulière de la langue dans les différents styles. Elle est devenue une condition primordiale recherchée par la nécessité scientifique en sciences du langage arabes pour étudier les structures syntaxiques des discours pragmatiques dans les différents corpus, surtout si cela est lié aux paroles du Prophète (Le Hadith Nabaoui). C'est un discours qui réclame une primauté dans l'analyse, chose ayant créé chez nous une vive curiosité pour mettre en relief, de point de vue pragmatique, nombre de caractéristiques syntaxiques du discours du Prophète cité dans *Sahih Mouslîm*.

Mots-clés : caractéristiques ; structures syntaxiques, discours du Prophète (Hadith Nabaoui), approche pragmatique.